سلسلة
كتب
من أدب
المطاريد

الكتاب
السادس

ليلة سقوط قندهار
الصمود العربي الأخير
فى الوقت الضائع!!

ثرثرة خارج
نظام العالم !

# صليب

# فى سماء قندهار

بقلم:
مصطفى
حـامـد

<u>قصة المجاهدين العرب فى أفغانستان</u>
من الدخول الأول .. إلى الخروج الأخير
( 1979م—2001م )

# أفغانستان: الطرق و ا دن الرئيسية



# الكاتب في سطور

_ مصطفى حامد .
ـ من مواليد مصر عام 1945 محافظة الشرقية/ مدينة بلبيس.
ـ تخرج من جامعة الأسكندرية كلية الهندسة عام1969
ـ عمل في الصحافة خلال فترة السبعينات ،في عدد من الصحف الأهلية في أبو ظبي .
ـ كتب عن الجهاد الأفغاني وشارك فية منذ عام 1979 قبل التدخل السوفيتي .
ـ في 1985 أقام مع أسرته في باكستان . وعمل هناك مديراً لمكتب صحيفة الإتحاد الظبيانية حتي عام 1986 .
ـ أقام في أفغانستان منذ عام 1993 وحتي الحملة الأمريكية عام 2001م .
ـ تعرف عن قرب علي عدد من الشخصيات العربية الهامة التي عملت في القضية الأفغانية مثل الدكتورعبدا عزام وتميم العدناني وأسامة بن لادن الذي يعتبره صديقاً شخصياً له .
ـ له مجموعة من الكتب لم تنشر جميعها . وتدور حول تجربة العرب في الجهاد الأفغاني ، الذي عاصره منذ بدايته وحتي نهايته .
ـ تعرف عن قرب علي حركة طالبان ، وأميرها الملا محمد عمر ، وربطته بهم علاقة طيبة .
ـ من قندهار عمل مراسلاً لقناة الجزيرة القطرية لمدة عام ، إلي ما قبل الحرب الأمريكية علي أفغانستان .

# الفهرس

ـ غموض فى ( رباط جعلى).

**الباب الثانى:**

**بحث حول مرحلة الإنهيار الكبير. وسقوط نظام الإمارة الإسلامية. ص232**

ـ سقوط مزار شريف.

سقوط كابول وهرات:

ليلة سقوط كابول. - ليلة سقوط هرات.

**ضربات موجهة للعرب**

أ ـ ليلة إستشهاد أبو حفص المصرى.

ب ـ المجزرة الجوية للعائلات العربية فى بانشواى.

ج ـ سقوط تورا بورا ـ دروس بن لادن العسكرية

ـ كارثة إسمها سام7

د ـ ليلة سقوط قندهار ( الصمود العربى الأخير).

ـ ملحمة مستشفى مير ويس ( آخر البطولات العربية).

مراحل الهروب الكبير والمطاردات.

ـ **لماذا ؟ 11 سبتمبر أسئلة حائرة !!.**

**الباب الثالث مقارنات: ص265**

**مقارنة1 :-** العرب بين هزيمتين : 5يونيو 1967، 7 أكتوبر 2001م .

**مقارنة 2:-** طريق الأشواك : فلسطين .. أفغانستان .. وبالعكس

**من حرب** فلسطين عام 1948الي الحرب الأفغانية السوفيتية 1980م

**جدول مقارنات : 3 إجتياحات فى 21عاما**

**مقارنة 3:ـ** عاصفة الطائرات من" بيرل هاربور "إالي نيويورك .

**مقارنة4:ـ** فرعون وبني اسرائيل/ بوش و عرب افغانستان.

**مقارنة5 :ـ** أفغانستان/ العراق : تشابه ومقارنة بين الحربين .

أولا دوافع الحرب ـ ثانياً نتائج دينية للحرب ـ ثالثاً غنائم الحرب

رابعاً جوائز مائية ـ خامساً جوائز مقدسة ـ سادسا جوائز إستراتيجية .

**الباب الرابع ص302**

**1-بين حربين: حرب أم تهويل عسكري؟ .**

**2- بين حربين:الدولار الحاسم.**

**3- بين حربين : الحرب تبدأ بعد نهاية الحرب .**

**4- بين حربين : حتى يطول الوهم :**

**فى الفضاء حرب نجوم .. وعلى الأرض فيلم رعاة بقر.**

**5- بين حربين : حتى يطول الوهم :**

**.. عصب العيون.. إظلام العقول. منع الكلام .**

**وأخيراً: من يسمح بالكلام ؟؟.**

## خرائط جداول رسوم إيضاح

# صلبان .. فى سماوات المسلمين

الحروب الصليبية منذ نشوبها منذ أكثر من تسعة قرون وحتى الآن إرتبطت بظهور صليب فى السماء .. فى البداية كان خيالاً دعمته هستريا التعصب التى ألهبها البابوات والكرادلة .. وفى الأخير عندما إمتلك الغرب ناصية العلوم والتكنولوجيا .. صنع الصليبيون الجدد صليبهم الأبيض فى سماء المسلمين بواسطة طائراتهم النفاثة ، كما فعلوا فى قندهار ( عاصمة الإمارة الإسلامية ) ، وغيرها من القرى التى حلت بها نكبة ظهور ذلك الصليب المشئوم ، الذى يعقبه جحيم لا يبقى ولا يذر

فلننظر فى جذور ذلك الصليب ، فى حالته البدائية الأولى ..

ولنقتبس تلك الأسطر من كتاب ( تاريخ الحروب الصليبية ): (1)

والمنابع الغربية مليئة بالأمثلة الدالة على إستغلال النعرة الدينية لدى أهل الغرب للإشتراك فى الحملة ، من ذلك ما ذكره ( روجر أوف وندوفر ) فى كتابه تحت أحداث سنه 1217م ، من أنه فى شهر مايو من السنة المذكورة ( محرم – صفر 614هـ ) ظهر فى السماء السيد المسيح مصلوباً على خشبة الصليب ثلاث مرات فى ثلاث مناطق متفرقة بمقاطعة كولونيا بألمانيا ، الأمر الذى جعل الشعب الأوروبى يهب عن بكرة أبيه للإنضمام إلى صفوف الحملة وتخليص بيت المقدس .

ويزودنا الكاتب بتفاصيل هذه الظاهرة قائلا أنه لاح فى السماء شئ أشبه ما يكون بالصليب فى ثلاث أماكن ، الأول تجاه الشرق ، وكان الصليب أبيض اللون ، والثانى تجاه الجنوب وبنفس اللون والشكل ، أما الثالث فكان يتوسطهما ولكن لونه أسود .

والصليب الأوسط الأسود هو الذى يمثل المسيح مصلوباً والآخرين لِلصين كما هو معروف عند المسيحيين .

ويستطرد موضحاً أن المسيح كان مثبتاً عليه وقد دقت المسامير فى يديه وقدميه بينما رأسه متدلية إلى أسفل . ويقول أن هذه الظاهرة تكررت أكثرمن مرة فى سماء المقاطعة ، وفى إحدى المرات ظهر بالقرب من الشمس صليب أزرق اللون وأن كثير قد شاهدوه ، وفى مرة أخرى ظهر صليب أبيض كبير الحجم شاهده الآلاف من الناس ، ويضيف بأن هذا الصليب كان يتحرك ببطء من الشمال إلى الشرق}إ.هـ .

**ونحن نقول بأن الطائرات الأمريكية رسمت حتى الآن فى سمائنا ثلاثة صلبان ضخمة . واحد فى الشرق ، صلِب عليه شعب أفغانستان .والثانى فى الغرب وقد صلِب عليه شعب فلسطين . وثالث أسود وهو أضخمها وقد خصص لشعب العراق . وما زالت الطائرات الأمريكية تمتلك القدرة على رسم المزيد من الصلبان فى سماوات المسلمين .. والمسيخ الدجال ، ساكن (( البيت الأبغض )) فى واشنطن ، عازم على ذلك .. بكل تأكيد .**

( **المؤلف)**

---

***(1) كتاب : تاريخ الحروب الصليبية (1095 _ 1291م ) .***

***للدكتور / محمد سعيد عمران _ دار النهضة العربية للطباعة والنشر _ بيروت .***

# مقدمة

رغم صغر حجمها وفقرها إلا أن أفغانستان تعطى ميزة تفضيلية هائلة لأى قوة تسيطر عليها .. ميزة فى إمكانية التفوق السياسى والإقتصادى و الإستراتيجى وحتى الأيدلوجى.

فى منتصف القرن التاسع عشر إتفقت القوتان العظميان وقتها، بريطانياً وروسياً على جعـل البلاد مجرد كيان عازل، يمتص ولا يؤثر، فى مجمل أوضاع أسيا وسطها وجنوبها شـرقها وغربها.

قليل من المسلمين إكتشفوا الميزات الفريدة لأفغانستان أرضياً وشعباً.. تاريخاً ومستقبلاً.. فوصفها أحد مفكريهم منذ حوالى قرن بأنها قلب الإسلام الذى سيظل ينبض، حتى لو توقف النبض فى باقى الأجزاء.

حاول السوفييت إيقاف نبض الإسلام فى أفغانستان.. فإنهار الإتحاد السوفيتى وبقى الإسلام فى أفغانستان. والآن تقدمت أمريكا لإداء نفس المهمة لطرد الإسلام من أفغانستان وفرض (ديانتها الدولية الجديدة) على شعبها.

هذا ولم يمض على إندحار السوفييت من تلك البلاد سوى إثنى عشر عاما.. وعشرة أشهر، هى كل عمر الفترة التى حاول الأفغان فيها البحث عن تجسد لهويتهم الإسلامية ضمن نظام سياسى يدير شئون حياتهم.

ولكن أحداً لم يوافق على ذلك.

وتقدم الجيش الأمريكى كى يسحق جثث الأفغان ويدخلهم فى قفص العولمة بمفهومها الشامل من الإقتصاد وحتى الدين.

من عولمة الإقتصاد التى تضع أموال البشرية فى أيدى حفنة من المرابين اليهود،

إلى عولمة الدين التى تجعل للناس إلها واحداً لاسواه.. هو الدولار الأمريكى.. الذى يميز الخطأ من الصواب والحلال من الحرام.. والأخلاقى من غير الأخلاقى.. والشرعى من غير الشرعى.. وما هو من الدين، وما هو من خارج الدين.. ويميز ما بين الإسلام الحضارى والإسلام غير المتحضر.

*أمريكا ترى فى أفغانستان إسلاما ينبغى أن يطرد.. وثروات ينبغى أن ( تعولمها) فى جيبها.. هناك أفيون لابد أن تعاد زراعته، ونفطاً أسيويا هو المخزون الثانى فى العالم، لذا ينبغى أن يكون أمريكياً حتى يظل العالم أمريكياً لقرن آخر من الزمان..

*والذى كان جهاداً فى نظام دولى سابق أصبح إرهاباً دولياً فى نظام دولى حديث.. والإسلام نفسه تعاد صياغته ورسم حدوده و"عولمة" مفاهيمه وتحديد مرجعياته وطبقا للإسلام (المعولم) الذى أخذ مكان (الإسلام المعمم) فإنه ليس من الإسلام فى شئ ،أى فريضة أو قانون، تهدد المصالح الأمريكية أو تعارض العدوان الإسرائيلى، أو تضع دستوراً أخلاقياً خارج المصالح المادية والنفعية.

وعليه فإنه لا جهاد فى الإسلام( المعولم)، ومن يقول بغير ذلك فهو إرهابى يجب قتله وسحله أو وضعه فى قفص فى جزيرة بالكاريبى مكبلاً بالسلاسل.

وعليه فإن مجاهدى فلسطين إرهابيون، وكذلك بن لادن والملا عمر وطالبان، والكشميريون، ومسلمى الفليبين واندونيسيا وأسيا الوسطى و..

ليس هذا فقط بل أن مدارس "المعممين"، جميعها، مدارس إرهابية ينبغى إغلاقها أو إستبدال مناهجها بمناهج من مكتبه الكونجرس، وأساتذة من البيت الأبيض، وإدارات من الـ (إف بى آى).. حتى يتعلم المسلمون دينهم المعولم الجديد الذى ينقلهم من غياهب التاريخ إلى عصر ما بعد التاريخ.

الحرب دائرة على كافة المستويات التى يمكن تخليها. ليس فقط فى أفغانستان بل من مشارق الأرض وحتى مغاربها.. والجيش الأمريكى فى مهمة صليبية كما قال بوش ـ ليس فقط كى

يرسم الصليب فى سماء قندهار بدخان قاذفاته، بل كى يحكم العالم بالروح الصليبية التى لم يهدأ حقدها على البشرية يوماً.

الجيش الأمريكى الذى يمارس القتل يومياً فى أفغانستان، يقاتل اليوم معارك أسرائيل وبشكل مباشر.. فى العراق وفلسطين، وفى داخل وخارج الأطواق الأمنية التى تتخيلها العقليات الإستراتيجية المرعوبة لحكماء صهيون.

ليس هناك حاجة لعبقرية كى يكتشف كل فرد أن ما يحدث الآن على المسرح الإنسانى والدولى، غير معقول، ولا منطقى، وانه إقترب كثيراً من حافة الكارثة.. وأنه حتماً سيتوقف.. إن لم يكن بالحق الذى يقذفه ا على الباطل فيدمغه.. أى بالجهاد.. فسيحدث طبقاً للسنن الإلهية، التى تعيد التوازن إلى البشرية، عندما يستشرى فيها الإنحراف ويظهر الفساد فى البر والبحر.. فيهلك ا بقدرته المطلقة الأمم الظالمة التى طغت وتجبرت، بما أوتيت من قوة وعلم وثروة.

والاسلام الواقع الآن تحت نيران أعدائه.. والمسلمون المندحرون فى كل مجال وفى كل مكان.. ما زالوا يخسرون ولكن ضمن جولة فى حرب مستمرة منذ الأزل.. وأوشكت على نهايتها.. ولكن لصالح الإسلام.. على عكس ما يظن كل طاغية، أو كل يائس مهزوم.

والأمة التى كلفها ا بالجهاد ستمارس واجبها وحقها فى تلك الفريضة مهما كانت الأحلاف الدولية والإرهاب المادى والنفسى.

وخسارة جولة.. أو جولات.. لاتعنى خسارة الحرب. والباطل يستحيل له الإنتصار على الحق فى الجولة الأخيرة والحاسمة.

والهزائم الحالية للمسلمين هى نتيجة عصيانهم وتقصيرهم.. وحتى جرائمهم فى حق أنفسهم أولاً، وحق رسالة الدين التى قبلوا تحملها.. وتشرفوا بإسمها.

و المسلم الذى يرفض الإنحناء لصنم.. أو طاغية.. أو نظام دولى.. عليه أيضاً أن يرفض الإنحناء لزعيم ملهم..أو قائد تنظيم إسلامى أو جهادى.. أو جماعة تحمل إسماً كبيراً أو عريقاً.. أو براقاً.. فمعايير الحق التى يقاتل المسلم حتى يخضع لها جبابرة الأرض.. لا بد أن يطبقها هو أولاً على نفسه وأهلة.. وجماعته.. وزعيمه.. وحزبه.. وكل من يحب.. قبل أن يحاول تطبيقها على من يعاديه ويكرهه.

الهزيمة فى أفغانستان، كما هى أى هزيمة للمسلمين، لا يمكن أن تكون بسبب قوة الباطل.. ولكنها بسبب ضعف فى تطبيق المسلمين لشرائع الإسلام على أنفسهم.

ـ فأين كانت أخطاؤنا فى أفغانستان؟ .

وهل هى فعلاً تتكرر فى كل مكان نهزم فيه؟ .

وهل يمكن لنا الإصلاح، قبل أن نحدد موضع الخطأ والإنحراف؟ .

وهل يكون الحق أحب إلينا من أنفسنا وتحزباتنا.. أم يظل كبراؤنا، ونوادينا، وأقوامنا أحب إلينا من ا ورسولة وجهاد فى سبيلة ؟ .

قد يكون فى ثنايا تلك الوريقات قسوة غير مقصودة لذاتها.. ويكفى أنها مؤلمة لنفس كاتبها بأكثر مما قد تسببه من ألم لمن وجه إليه النقد أو العتاب.

ويكفى أنهم أحب الأخوة والأصحاب. ورفقه عمر طويل من المعارك والدماء والمعاناة.

ويكفى أن الجرح فى قدم أحدهم يدمى قلب كاتب هذه السطور قبل أن يتألم منه صاحبه.

ولكن الأخوة والمحبة ورفقه الجهاد والمعاناة.. ووحدة المصير، كلها يجب ألا تمنع قولة الحق، الذى نرجو أن تؤدى إلي تحديد الأخطاء ومن ثم علاجها..

* فإذا كان الهدف هو نصرة الإسلام.. الذى لا يمكن له الحياة أو النصر إلا بممارسة الأمة الجهاد بمعناه الشامل، وتحمل تبعاته كاملة من عموم الأمة وصفوتها.

* وإذا كان ذلك هو الهدف الذى ضحى لأجله الآلاف من خيرة شباب الأمة بأرواحهم ..فيمكننا إذن أن نتحمل مرارة النقد.. بل وقسوته أحياناً.وإذا كان قد أنهكنا المسير.. وأضعفنا حتى عن التعرف على أخطائنا.. أو حتى مجرد ذكرها.. فأقل الأمانات التى يمكن أن نؤديها لهذا الدين، هي تبصرة الأجيال الحالية والمقبلة بنتائج تجاربنا.. بتجرد وأمانة.. وتحمل كامل المسئولية والتبعات.

( المؤلف) .. في سبتمبر 2002م

**بين يدى الكتاب :**

كنا ثلاثة من الشباب دفعهم الشوق إلى الجهاد، وأحلام الدولة الإسلامية، إلى أفغانستان، فى صيف 1979م.

..ولم نكن نتصور وقتها، بأى حال، أن أفغانستان مشكلة على هذه الدرجة من التعقيد.. أو أن الجهاد فريضة (أو قضية.. وربما جناية!!) على هذه الدرجة من الخطورة .

..وعندما قابلت (أبو حفص المصرى) فى أواخر عام 1984 فى بيشاور.. ثم عملنا سوياً كفريق صغير للعمليات فى الجبهة مع مصرى آخر، لاقى ربه شهيداً، لم أكن أتصور أن (أبو حفص) هذا، سوف يصبح من أخطر المطلوبين أمريكياً.. وأن سعر رأسه سيصبح بملايين الدولارات.

..وعندما تعرفت على ( أبو عبيدة) – البانشيرى لاحقاً – فى أواخر عام 1986م .. لم أتصور أن هذا الشخص الذى يدخل القلوب بدون إستئذان .. سيصبح قائداً عسكرياً مزدوجاً لتنظيمين جهاديين هما : القاعدة والجهاد.. ولم أكن أعرف أى منهما حتى ذلك الوقت.

..وعندما قابلت أسامة بن لادن لأول مرة فى أواخر عام 1987م، عذرت الذين تخلوا عن إنتماءاتهم التنظيمية والتحقوا به.. فالرجل مستودع هائل للأخلاق الرفيعة، والسجايا الإنسانية النادرة.

لم يخطر فى بالى يوماً أن هناك قوة شيطانية على سطح الأرض، يمكنها تشويه الحقائق.. إلى درجة توهم معها الناس،أن هذا الشخص هو الخطر الأكبر على البشرية!!.

..وعندما عاصرنا فرار القوة السوفيتية من أفغانستان.. ثم إنهار النظام الشيوعى الرهيب فى كابول.. لم يتصور أحد منا أن هناك قوة على سطح الأرض سوف تتجرأ مرة أخرى على غزو أفغانستان.

..وعندما سيطرت حركة طالبان على الحكم.. وتوافد المهاجرون المسلمون من أقطار الأرض، على (الإمارة الإسلامية).. ولم يسألهم أحد عن جواز سفر، أو بطاقة هوية، أو حتى (تذكرة أتوبيس) .. تخيلنا وقتها أن أحلام المسلم بدولة، تتحقق فيها حريته، قد أخذت تتجسم فى الواقع.

..وعندما حولت التنظيمات المهاجرة تلك الإمارة الوليدة، إلى مرتع للفوضى.. لم أتصور أن يصل الإستهتار والعمى إلى هذه الدرجة فى أوساط (الطلائع) الإسلامية.. معقد آمال الأمة!!.

..وعندما تراكمت أخطاء العرب على أخطاء الطالبان، فسقطت ( الإمارة الإسلامية).. أيقنت بأن حركة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وكانت نشطة وقوية فى الإمارة، أنها كانت متضخمة، فى جانب المظاهر والسلوكيات العامة، وغائبة تماماً عن جوانب السياسة وشؤون الدولة.. حيث عشش الرأى الواحد، المحاصر بذئاب السلطة الجائعين لشهوة الحكم.

..وعندما سقطت (الإمارة الإسلامية).. تحققت من أهمية (المبادرة الشخصية) ليس فقط فى مشاريع بناء الأمم.. ولكن أيضاً فى مشاريع إسقاطها!!.

وأوضح سقوط (الإمارة).. إنتصار الغرور الفردى المسلح بالمال.. على التواضع المتدين المسلح بالسلطة السياسية.

..عندما بدأت أمريكا حربها على أفغانستان( فى 7 أكتوبر 2001م)، فوجئت، مثل كثيرين.. أن أحداً لم يستعد لهذه الحرب.. وأن كل اللاعبين الأساسيين على الساحة الأفغانية، من عرب وأفغان.. لم يختلف تقصيرهم كثيراً عن تقصير أبطال نكسة الخامس من يونيو1967م . كانوا، هم أيضاً، يهزلون بإستهتار.. أمام عدو جاد جداً.وفى النتيجة حصلنا على نكسة، أفظع وأعمق مما حصل عليه ( طواغيت) يونيو من العرب !!.

لا أحد يجهل أن ما يحدث هو أخطر بكثير مما تحاول أمريكا تصويره.. وأن كيان المسلمين ومعتقداتهم مهددة بأكثر مما كانت، عندما أطبقت عليهم كماشة التتار والصليبيين منذ تسعة قرون.

والحل؟؟ ..

بعيداً عن الفلسفات والمقدمات والمؤخرات .. الحل هو: أن يأخذ المسلمون مأخذ الجد.. حقيقة أنهم مسلمون.. فتلك هى الحقيقة المحورية الوحيدة فى حياتهم.

ولكن الدين مازال قطعة حلوى تلعقها ألسن كثيرة.. فإذا تحول إلى قطعة من الحديد المحمى، إنقطعت عنه الألسن وكفت عنه الأيدى.. وإحترقت فقط أيدى القابضين على الجمر.. جمر الدين.

..على السادة المتفرجين.. أن يتفضلوا بترك مقاعدهم.. وإقتحام ما ليس منه بد من المهالك .. التى وإن هربوا منها، فإنها سوف تصلهم ولو كانوا فى بروج مشيدة..

فتكنولوجيا القهر والسلاح الأمريكية، لايستعصى عليها ما يظنه الجبناء بروجاً.

أما الشجعان.. فعليهم أن يتيقنوا من أن الجهاد أكبر وأخطر من مجرد فرقعة نيران.. وأنه أكبر من أن يترك لمن أساؤا إستخدامه قبلاً.. وأخطر من أن يترك لمجرد تنظيمات مجهولة، يرعاها مغامرون..

وأن الجهاد شأن للأمة وهى صاحبة الحق فى تركيب وفك منظماتها طبقاً لمصالحها العليا..

وليس لأى تنظيم أن يلغى الأمة.. ويلغى دورها.. أو يقرر منفرداً نيابة عنها.

فالجهاد نبض أمة وحركتها.. ودماؤها .. ومصيرها ..

ومن لا يحرص على الموت، فلا حياة له. **"المؤلف"**

***** ******* ******** ********

## الكتاب السادس ؟

فى عام 1994م بدأت فى جبال خوست الكتابة حول مـامر بنـا مـن أحـداث فـى أفغانستان، وقد راعنى هولها وخطورتها.. مع جهل المسلمين بها.. رغم أن معرفتهم بحقيقة ما حدث يعد أمراً حيوياً لمصيرهم،

ولما كانت حملة المطاردات وقتها، تدور على أشدها فى باكستان (وما أشـبه الليلـة بالبارحة) .. فقد أسميت ما كتبته (أدب المطاريد)، أى الخارجين على القانون.

ورغم عدم الإستقرار.. وكثرة الإنقلابات والتنقلات، فقد أتممت من يومها خمسة كتب فقط، غطت أحداث الحرب الأفغانية من عام 1979 وحتى عام 1990م. ولم أتمكن من إتمام الباقى على نفس المنوال التفصيلى الذى إتبعته فى الكتب المذكورة.
الآن وقد فقدت الكثير من الأوراق والمستندات والمسودات فى الحرب الأخيرة، ولـم يتبقى سوى القليل منها.. يبدو الأمل ضعيفا، فى إتمام كتابة ما تبقـى مـن أحـداث الحرب الماضية.
الكتب الخمسة، وجميعها لم تنشر.. هى:

1 – 15 طلقة فى سبيل ا .
2 – معارك البوابة الصخرية.
3- خيانة على الطريق.
4 – معركة جلال آباد. (أو حرب المعيز).
5- المطار 90.

والمتبقى كان تغطية الأحداث الممتدة من عام 1991 حتى عام 1992م.
ولكن نظراً لتزاحم الأحداث الحالية وتدافعها، كان لابد من تلخـيص أهـم دروس الحرب الماضية، وربطها بالحرب الحالية ( الحملة الأمريكية علـى أفغانـستان.. والمسلمين .. والعالم) .
لأن الكثير جداً من الأحداث والحقائق قد حجـب عمـداً عـن ( الـرأى العـام الإسلامى)..
الذى رغم عدم فاعليته ( حاليا).. ولا أقول عدم أهميته.. إلا أنه بالتأكيد صـاحب الحق الشرعى والأخلاقى لمعرفة ما حدث.. وبأمانة.
وهذا ما إجتهدت لأجلة.

**المؤلف**

*********        *******        *******

# الفصل الأول

## العرب فى أفغانستان:
## فى البداية كان الإنقلاب

وقع الإنقلاب الشيوعي في كابول فى السابع والعشرين من شهر أبريل عام 1978ميلادية. وتميز بنفس السمات الدموية المبالغ فيها للثورات الماركسية.
كانت المنظمات الماركسية فتية وجيدة الأعداد والتنظيم، وتتلقى التوجيه والدعم بشكل مباشر ومكثف من السفارة السوفيتية في كابول.
ونجحت بشكل ساحق وسريع من التخاص فى رموز النظام السابق وركائزه السياسية والإجتماعية والإقتصادية، ونفذت مجازر سريعة ضد التيار الإسلامي التقليدي منه والحديث الذي تسرب إلى الجامعات الأفغانية.
كان زلزالاً داخلياً بكل ما في الكلمة من معنى.ولكن عالمياً كان الصدى باهتاً، وغاية ما وصل إلية الغرب أن قال بأن( كوبا جديدة ) قد قامت فى أفغانستان. ويقصدون قيام نظام ماركسي مشاغب ولكنه غير قادر على تهديد الأوضاع السياسية المستقرة فيما حوله من مناطق نفوذ للغرب، خاصة فى إيران وشبه القارة الهندية.

وكان لابد من "ملاعبة" ذلك النظام بما يلزم من مجهودات دعائية ودبلوماسية.. أو عسكرية إذا أمكن، من أجل عزلة وإضعافة ثم جعله ذريعة للتدخل في شئون الدول المحيط به أو حتى المتعاملة معه.
كانت الخبرة التاريخية واضحة من تعامل الغرب مع النظام الكوبى ومدي ذلك التعامل ومجالاته.
وعلى الصعيد العربى لم تكد تظهر ردة فعل لما حدث سوى بعض المقالات الصحفية أو حتى الكتيبات الصغيرة، وكلها إعادة لما يقال فى الغرب، أو تكرار ممل له.
ومن واقع خبرة الشعوب العربية فأن الإنقلاب مهما كان مغضوباً عليه، فإنه يستمر وتسير الحياة كما هى، وللحاكم دوماً السمع والطاعة، وإن ذبح وسلخ أو سجن ونفى.
وقد فهمت (الجماهير) وإن بشكل غامض أن الحكم فى بلادها ليس شأناً داخلياً، ولكنه من خصوصيات أحد أو بعض الكبار فى الخارج.
فأسلمت تلك "الجماهير" أمرها كله "لذابحها"، ولايهم نوع أو لون السكين أو طريقة الذبح.
..مقاومة الشعب الأفغانى للنظام الجديد، وقتاله تحت راية الجهاد تسببت في قلب الموازين الدولية والعربية تجاه ما يحدث في أفغانستان.
وبالنسبة للشباب العربي كان الإكتشاف غريبا ومذهلاً أن يكون الجهاد أداة لمواجهة نظام داخلي جاء على ظهر الدبابات ومدعوماً من قوة عظمى. فلم يكن هؤلاء الملتزمين العرب يخطر في بالهم أن هذا جائز، فضلا عن أن يكون ممكناً..والسؤال الذي يليه منطقياً هو: ماذا عن الأنظمة العربية؟ وما موقف الإسلام منها؟ وهل يجوز الجهاد ضد أي منها، أو كلها؟.
..بالطبع سارعت آله الدعاية الرسمية العربية إلي وضع تصور يبرر ظهور حالة الجهاد في أفغانستان بأنه خاص بالتناقض بين الإلحاد الشيوعي والإيمان الإسلامي، وهو الإيمان الذى يربط العرب تقليدياً بالغرب المسيحى ويجمعها فى خندق واحد ضد الشيوعية الدولية (!).
وظلت هذه النظرية شائعة ومعتمدة في دوائر السلطات العربية حتى إنسحاب السوفييت من أفغانستان في فبراير 1989، حين بدأت الإعترافات العربية وحتى المعونات الإقتصادية الخليجية تنهال على الدولة السوفيتية المترنحة.
ولكن قطاعاً إسلامياً يعتد به تأثر وتبنى نفس الموقف الحكومى(موقف الجهاد الإسلامى المتحد مع الغرب الصليبى)، وخاض به غمار الأحداث الأفغانية. بل توسع ذلك المبدأ ليشمل (الحرب العالمية ضد إيران) والتى قادها صدام حسين، بطل القادسية وحامي حمى أهل السنة (في زعم ذلك التيار) وبرروا وقوفهم مع أمريكا والغرب وحتى السوفييت في صف واحد ضد الثورة الإسلامية في إيران.
عندما غضبت أمريكا على صدام بعد تورطه في الكويت تم طرده من هذا القانون الإسلامي، الذي ظل يشمل أمريكا وتحالفها الدولي، وقد إنضمت إليه منظمات (جهادية أفغانية) أرسلت مقاتليها للدفاع عن الأرض المقدسة في السعودية تحت قيادة الجنرال الأمريكي اليهودي (شوارتزكوف) قائد قوات "التحالف الدولي" الذي شكلته أمريكا لتغطية إحتلالها للسعودية ودول الخليج.
* للغرب المبادرة في كل نواحي الحياة، حتى في القضايا الإسلامية (!!) صحفيون من الغرب زاروا أفغانستان بعد فترة قصيرة من نجاح الإنقلاب المذكور، وزاروا

مواقع في الجبال وأحضروا صوراً وكتبوا تقارير عن وجود "مجاهدين" حققوا إنتصارات على الجيش الشيوعي وحصلوا على "غنائم" من الأسلحة الحديثة.
وظهرت على صفحات الجرئد صور الأفغان الملتحين ببنادقهم الإنجليزية القديمة، وهم واقفون وسط معدات عسكرية محطمة وأمامهم أكوام من الذخائر والأسلحة الحديثة التى غنموها.
بدأت (الصحف الإسلامية) تعزف على نفس الوتر وتعلق على نفس التقارير وتعيد نشر نفس الصور، وكان للأخوان المسلمين قصب السبق فى ذلك المجال ولكنهم أظهروا أسماء قادة المنظمات الأفغانية من الأخوان المسلمين مثل برهان الدين ربانى، وجلب الدين حكمتيار، وصبغة ا مجددى إضافة إلى وجوه الجماعة الإسلامية الباكستانية التى ترعى هؤلاء وتشرف على شئونهم نيابة عن الجماعة الأم وقيادتها التاريخية فى القاهرة.
وحتى عام 1985 ظلت (بيشاور) الباكستانية هى (الخط الأحمر) للإعلام العربى والإسلامى الذى لم يتخطاه أحد سوى حالة إختراق واحدة لصحيفة الإتحاد الإمراتية عام 1979م.

## مراحل إتصال الشباب العرب بقضية أفغانستان

## المرحلة الأولى (79-1982) : البحث عن الجهاد

حماس الشباب العربي حمله مبكراً إلى عمق المعارك الجهادية في أفغانستان وكانت أول حالة تم تسجيلها في بدايات صيف 1979 قام بها عدد من الشباب أقل من أصابع اليد الواحدة.
إقتحم السوفييت أفغانستان بعد عدة أشهر من تلك المحاولة التي إنتشر خبرها بشكل محدود في أوساط معينة من "النشطاء" الإسلامين، كما وصل أحد أقطاب المحاولة إلى القاهرة وقابل الزعامة التاريخية للإخوان المسلمين، وشرح لهم المحالة ونتائجها.. وبجفاء صرفوه شاكرين!!
ولكن الغزو السوفيتي أشعل القضية الأفغانية وقفز بها في صدارة الأحداث العالمية، وصارت أفغانستان لمدة عشر سنوات أهم ساحات الحرب الباردة على الإطلاق، وبكل أسف دخل المسلمون حرباً بالوكالة، لم ينجحوا في جعل نتائجها السياسية لصالحهم.
* تزايد توجه الشباب العربي الى أفغانستان في إطار محاولات شخصية لأفراد قلائل غير تابعين لأية منظمات إسلامية.
وعندما شاع نبأ هؤلاء في الأوساط الإسلامية وصلت العدوى إلي الأجيال الجديدة من شباب الإخوان، وتحت ضغط منهم وتفادياً لإنسلاخهم عن الحركة سمحت لهم قياداتهم بمحاولات محدودة قاموا بها عبر منظمات الإخوان الأفغان خاصة سياف.
كان التسرب العربي نحو الجهاد في أفغانستان يتزايد تدريجياً ويتم بشكل سرى وينتشر فقط في أوساط "النشطاء" وتنتقل عدواه جغرافياً حتى وصلت إلى عرب (أوروبا).
وحاول بعض (المخلصين العرب) دعوة الأخوان إلى تنظيم الساحة الجهادية الأفغانية، ولكنهم رفضوا بشدة، وتمسكوا بمواقعهم الجديدة التي حددوها لأنفسهم،

بالإتفاق مع القوى الإقليمية والدولية- على حصر قضية أفغانستان فى ميدان الحرب الدعائية ضد السوفييت، وحصر المساعدة للشعب الأفغاني في المجال ((الإنساني!!)) من دواء وملابس وأموال.
وإتخذت الجماعة الإسلامية الباكستانية نفس الموقف بعد إتفاق واضح وشبه علني مع الرئيس الباكستاني ضياء الحق.
ومفهوم ضمناً أن الإخوان الدوليين فى القاهرة وصلوا إلى إتفاق مماثل مع نظام السادات، وأن المظلة الأمريكية ترعى تلك الإتفاقات "الإسلامية" فى باكستان ومصر.
فى تلك المرحلة لم تعمل سلطات الأمن العربية على وقف تسربات الشباب العربي والتي ظلت فى منطقة رمادية، تدور أخبارها فى أوساط الإسلاميين فقط، ولا يجرؤ الإعلام العربي على الحديث عنها، أما الإعلام الغربي فلم يرى لنفسه مصلحة فى ذلك.
بدأت حركة التسريب تلك تبحث لنفسها عن "إطار تنظيمي"فى ظل رفض الإخوان تولى ذلك الدور. وعدم وجود بديل إسلامى يمكنه ذلك أو حتى يرغب فى دور كهذا.
أما القادة الأفغان وفى ظل أوامر باكستانية وسعودية صريحة فلم يجرؤ أحد منهم على طلب متطوعين عرب، وأصروا على أنهم ليسوا في حاجة إلى ذلك بل في حاجة إلى أموال لشراء أسلحة كما زعموا. ولم يكونوا يصرحون بوصول مساعدات خارجية إليهم (أمريكية بالذات) عبر حكومة باكستان، أى الإستخبارات الباكستانية تحديداً. فقد كان ذلك قدس الأقداس الذي ظل محظوراً وبتواطؤ الجماعات الإسلامية الكبيرة ذات الصلة حتى لا يصل إلى جماهير المتحمسين المسلمين، خوفاً من عواقب ذلك على موقف المساندة الإسلامية للقضية الأفغانية بشكل عام.
وعلى قمة هرم المتواطئين جلس الإخوان المسلمون الدوليون وفرعهم الباكستاني (الجماعة الإسلامية).
كان (سياف) قد تم تعيينه سعودياً فى منصب الإمارة (للإتحاد الإسلامي لتحرير أفغانستان) كمنظمة المنظمات الأفغانية فنال هيبة لدى المتطوعين العرب، والأكثر نشاطاً من بينهم حاولوا من خلاله تنظيم عملية التسريب العربي نحو جبهات القتال.(1)
ونظراً لفقر هؤلاء مادياً، وحاجتهم إلى شرعية سياف كقيادة رسمية، فشلت مجهوداتهم الضعيفة نتيجة عراقيل وضعها سياف رغم أنه أظهر ترحيباً قولياً.
ولكن إصرار المتحمسين لم يتوقف وكان يجد تأييداً بطيئاً ولكنه متنامياً وينذر بخطر ظهور حركة غير مرتبطة بخطوط اللعبة الدولية والإقليمية فى أفغانستان. وأدى ذلك فى النهاية إلى تحريك سعودي إخواني مشترك لقطع الطريق على هؤلاء، فظهر (عبدا عزام) وحركته الصاخبة على ساحة الجهاد فترك بصماته التى لا تزول على هذا التحرك خاصه ما رافق منه الحرب الأفغانية ضد السوفييت.
ويمكن القول أن هذا التأثير وصل إلى حركات جهادية عربية وغير عربية نشأت من أفغانستان وإنتشرت من الفلبين وحتى القوقاز وأوروبا وأمريكا وغيرها.
ويمكن إعتبارة التيار الجهادي الأوسع إنتشاراً فى العصر الحديث، وهو التيار الذى تولى قيادته لاحقاً ((أسامة بن لادن)) ووضع عليه بصماته الخاصة وإن حافظ على جوهر (الفكر العزامى) إن صحت التسمية.

---

***(1)عبد الرسول سياف : من مواليد عام 1944 محافظة بغمان. خريج كلية دار العلوم كان ضمن تيار*** **الإخوان المسلمين في الجامعة مع شخصيات أخرى لامعة مثل برهان الدين رباني ، وجاب الدين حكمتيار وغيرهم . درس في الأزهر لعدة سنوات . وفي كابول سجن لمدة 6 سنوات وافرج عنه مع آخرين فى أعقاب الغزو السوفيتي بفترة وجيزة .**
**إبن خالة حفيظ ا أمين ، الرئيس الشيوعي الثاني لأفغانستان والذي قتله السوفييت وعينوا بدلا عنه بابرك كارمل .**

---

## المرحلة الثانية (83- 1986): عبد ا عزام نجم الجهاد الأفغاني

قضى عبد ا عزام عاماً ضمن صفوف حركة الإخوان فى الأردن، ضمن ما أسموه "كتيبة المشايخ" وهو تجمع من المتدينيين والمرتبطين بالإخوان المسلمين الذين عزلتهم فتح في (كرنتينا) عقائدية ثم وضعتهم على خط التماس مع إسرائيل.
وتلقى تدريبة على يد (عبد العزيز على) أبو أسامة المصرى وهو من النوادر الذين بقوا أحياء مع أبطال حرب 1948 من متطوعى شباب الإخوان المسلمين فى فلسطين.
إنجذب عبد ا عزام بقوة نحو رياح الجهاد القادمة من أفغانستان .
تحرك عزام إلى السعودية كي يعمل مدرساً فى إحدى الجامعات ، وهناك تأكد نزوعه السلفي إلى جانب ولائه الإخواني غير التنظيمي{ لأنه إنفصل تنظيمياً بعد خلافات حول موقف الإخوان من قضية فلسطين} .
دوائر سعودية معينة متعاطفة مع الجهاد الأفغاني رأت أن يكون الدكتور عبد ا عزام قريباً من الساحة الأفغانية، كي يتابع الأوضاع عن قرب، ويتمكن من الإحتكاك القريب مع الشباب الذى بدأ يتوافد إلى هناك ويتململ من عدم وجود آلية لإستيعابه جهادياً على الساحة الأفغانية.
وصادف ذلك رغبة شديدة من الدكتور الذي تلقى مساعدة سعودية نقلته إلى (الجامعة الإسلامية العالمية) التى أنشأتها وتديرها السعودية، وبكوادر إخوانية من مصر وباكستان .
وصل الدكتور عبدا عزام إلى إسلام آباد عام 1983. ورتب مع إدارة الجامعة هناك جدولاً تدريسياً يتيح له العمل ثلاثة أيام فى الأسبوع، حتى يتمكن من قضاء باقي الأيام فى بيشاور قريباً من القادة الأفغان.
طوال تلك المرحلة عمل الدكتور عزام بتوافق وثيق مع (أبو مازن) المستشار العسكري فى السفارة السعودية فى إسلام آباد، وعاشا متجاورين، وكان المسئول السعودي هو المدير الميداني عن النشاطات المخابرات السعودية في باكستان وأفغانستان خاصة فيما يتعلق بالقضية الأفغانية، وكان ينسق فى ذلك مع المخابرات الباكستانية والأمريكية. ضمن مكتب عمليات مشترك.
مع ما كان يتميزبه من إخلاص وإندفاع ونزاهة كان عبد ا عزام يمثل قمة الفكر الثوري السنى طوال الثمانينات ولم يكن عميلاً سعودياً، كما قد يفهم البعض من كونه ظل يعمل بصورة لصيقة مع السفارة السعودية طوال فترة عمله فى القضية الأفغانية، وإلى حين إغتيالة فى نوفمبر 1989 فى مؤامرة تضم السعودية ضمن عدد آخر من المتهمين.
كان الرجل يرى أن (الوهابية) ثورة وضعت آل سعود فى الحكم وأن بعضاً من ملوك هذه الدولة لم يكن مخلصاً لمبادئ تلك الثورة.

وأن بعض الأمراء وكبار رجال الدولة وكل العلماء فى (المملكة) مخلصون للإسلام وجادون في دعم الجهاد الأفغاني لوجه الله تعالى وحباً فى الإسلام.
لم تكن تلك شطحته الوحيدة، فقد كان يرى أن القادة الأفغان ذوى الأصول الأخوانية سياف،حكمتيار،ربانى.. هم من أفضل وأنقى من أنجبتهم الأمة الإسلامية من زعامات خلال القرن الأخير على الأقل. صرح بذلك وأصر عليه حتى قبل إغتياله بأسابيع. فى وقت قل فيه مصدقوه من بين المتطوعين العرب. وكانت تلك شطحته الكبرى الثانية . وقد أودت به شطحاته بل أودت بجميع تلك الظاهرة العربية الأفغانية والتى قادها بن لادن بعدة. والذي حمل على عاتقه نفس الرزايا والأحمال الفكرية.
فقد ظل بن لادن يسعى حتى اللحظات الأخيرة لإصلاح ذات البين فيما بين سياف وحكمتيار من جهة، وحركة طالبان من جهة أخرى، أما رباني فقد نفض منه يداه بعد أيام من عودة بن لادن الأخيرة إلي أفغانستان عندما أعلن الرئيس ربانى عزمه على إلقاء القبض عليه وتسليمه الى السعودية في أول فرصة يتمكن فيها من ذلك.
الشرائط المسجلة للدكتور عبد الله عزام والتي تناول فيها بطولات الشعب الأفغاني والكرامات التي حدثت مع المجاهدين ، أحدثت فورة شعبية واسعة فى أوساط المسلمين. وتوج ذلك بكتابه الأشهر (آيات الرحمن فى جهاد الأفغان) وكله حول الكرامات التي إجتهد فى تجميعها من أفواه الأفغان في بيشاور.
وتناولت عدة صحف ذلك الكتاب وكذلك الكثير من خطباء المساجد فى بلاد متفرقة، وكان ذلك الكتاب والأشرطة المسجلة لخطبة، سبباً فى ذهاب الآلاف من الشباب العرب إلي أفغانستان.
وقد ثبت فيما بعد إحتواء الكتاب على عدد من المبالغات والأكاذيب قللت من قيمته لدى الشباب العربي. الذين سرعان ما إكتشفوا بعد إختلاطهم فى الجبهات مع المجاهدين الأفغان وجود كثير من العيوب والأخطاء بينهم على عكس الصورة الملائكية التى رسمها لهم الكتاب. وإضطر الدكتور عزام لاحقاً إلى تقديم الكثير من التبريرات مثل: وجود أخطاء لدى "العوام" من الأفغان. ولكن مصداقيته كانت قد إهتزت، وحدث ذلك بعد أواسط الثمانينات وظهور حركات التمرد على قيادتة.
فى تلك المرحلة المبكرة لم يكن لدى الدكتور عزام أى وسيلة لترتيب دخول العرب المتطوعين إلى أفغانستان أو حتى الإتصال بهم ما لم يقوموا هم بزيارته. كما لم يكن يمتلك سوى توجيه النصائح والتشجيع في حال لقائهم، وتبنى بقوة دعوة كل قادر على القتال من العرب خاصة أن يحضر إلى أفغانستان، وكان يرى فيها مدرسة كبرى للمسلمين وقد كان محقاً فى ذلك.
..غير أن إستنفار المسلمين بشكل عام لم يكن عملياً وقتها ولا فى أى وقت لاحق نتيجة الإفتقار إلى هدف واضح وبرامج وحتى إلى (بنية تحتية) قادرة على الإستيعاب.
كان المشروع يحتاج إلى تنظيم قوى ورؤية سياسية نافذة وكوادر عسكرية مؤهلة وقبل كل ذلك إستراتيجية إسلامية واضحة ومستقلة.
وكل ذلك لم يكن متواجداً بأي حال. لا على الجانب العربي ولا على الجانب الأفغاني.
فى تلك الفترة كان عبد الله عزام يجتهد في جمع التبرعات وتسليمها إلى القيادة الشرعية للجهاد أي (عبد الرسول سياف)، مع نسبة صغيرة تذهب إلى حكمتيار الذي

دعمته الجماعة الإسلامية الباكستانية والإستخبارات الباكستانية بكل قوة فى مواجهة سياف الذي إعتبروه إختراقاً سعودياً لمنطقة نفوذ باكستانية. فقد إنزعج ضياء الحق الرئيس الباكستاني وقتها من إقتحامات السعودية لمناطق نفوذه وقوته التى يناور بها أمام الأمريكان، وأهم تلك الأوراق كان المجال الأفغانى، الداخلى، بدءاً من قيادات الأحزاب، وإنتهاء بقيادات العمل العسكرى الميدانى الداخلى.
دافع الدكتور عزام بكل ما يملك من قوة، عن مفهومة لدور العرب فى أفغانستان، والغريب أنه لم يركز على دورهم القتالى، بل يرى فيه عملاً ثانوياً نسبة لما يراه عملاً أساسياً ،وهو "دعوة الأفغان"!! "وتثقيفهم إسلامياً!!" و "إصلاح ذات البين (!!) فى حال ظهور منازعات فى الجبهات بين أتباع المنظمات الأفغانية، و"رفع الروح المعنوية" (!!) للأفغان بالتواجد الميدانى معهم، ومشاركتهم قتالياً (بما تيسر) .
وكان يرى أن الأفغان أقدر على القتال فى بلادهم من العرب، وأنهم ليسوا فى حاجة إلى رجال للقتال.
الطابع الإخوانى والمطالب السعودية واضحين فى هذا التصور. فقد بدأ إنقساماً واسعاً بين الشباب العربى -ثم بن لادن لاحقاً- وبين الدكتور عزام بسبب ذلك.
هذا وقد كان للدكتور عزام ثلاثة مشاريع هامة.

**1- معسكر صدى:** لتأكيد تهميشه للدور العسكري العربي، ونتيجة ضغوط جماعات إندفعت عسكرياً فى ميادين القتال فى باكتيا بوجه خاص. إضطر الدكتور لإقامة معسكر تدريبي، داخل أحد معسكرات سياف. فى منطقة صدى بالمناطق الحدودية لباكستان، وكان أكثر وقت المعسكر منصباً على الدروس الدينية وقيام الليل، مع أبسط ما يمكن توفيرة من تدريب على السلاح.
ثم ساهم بالتنسيق مع سياف فى عقد دورة تدريبية موسعة فى معسكر بدر بمنطقة (بابى) الباكستانية القريبة من بيشاور شارك فيها بعض العرب. والهدف الأساسى منها تجميع المجاهدين من مختلف المنظمات وعقد دورات وعظية لهم مع القليل من التدريب العسكرى حتى يؤلف بين قلوبهم ولا يتحاربون فى الجبهات!! .
في أعقاب معركة "جاور" ، أبريل 1986، فى خوست، ومحاولة الدكتور عزام المساعدة فيها، وانكشاف تفاهة القدرات العسكرية للعرب الذين تحت سيطرته تزايدت الضغوط عليه منهم للإهتمام بالتدريب.
فأمدة التنظيم الدولى للإخوان المسلمين بعنصر أو إثنين كان لهما تأثير جيد فى رفع المستوى التدريبى للشباب التابعين له. ولكن ظل المستوى أقل كثيراً من المطلوب.
ولم يتحسن الوضع إلا بوصول ضابط سورى سابق لا يعرف الإبتسام هو (أبو برهان) الذى تولى الإشراف على معسكر صدي وأوصله إلى مستوى تدريبي متقدم.

**2 - مكتب الخدمات (1984-1993)**

كان مكتب الخدمات هو أهم مشروعات الدكتور عبد ا عزام ومنه إنبثقت باقي نشاطاته التي كان أهمها (مجلة الجهاد) ثم معسكر صدى.
جاءت فكرة المكتب من تيار عربي أفغاني خارج عن الهيمنة المفروضه على الساحة الأفغانية.بهدف دعوة المسلمين إلى تقديم تبرعاتهم إلى المجاهدين فى الساحات القتالية مباشرة بدون المرور على بشاور التي عجت بالفساد والتدخل الأجنبي والتنافس على الزعامة والإدعاءات الكاذبة .. بل أصبحت قيادات بيشاور عقبة فى وجه تطوير العمل الجهادى الداخلي، ومانع لوحدة المجاهدين فى الداخل كما أن تلك الزعامات

تشجع الإقتتال الداخلي وتحرض عليه.
وأن على المسلمين دخول الجبهات مباشرة ودراسة الأوضاع على الأرض ثم تقديم المساعدات حسب الإحتياجات الميدانية.
فى موسم حج عام 1404هـ، حمل (جلال الدين حقاني) أحد أشهر القادة الميدانيين آنذاك، حمل معه المشرع مكتوباً إلى مكة. وعرضه على عبد ا عزام فوافق عليه ثم حمله إلى أسامة بن لادن الذي أعجبه المشروع وتحمس له، ولكن طلب غطاء شرعياً عبر سياف(!!) الذي كان موجوداً أيضاً فى مكة. فهم سياف مغزى المشروع وأنه يستهدف مكانته المهيمنة على الساحة الأفغانية، ولكنه أسرع إلى إحتواء المشروع بجعله تحت إشرافه، فوافق عزام وبن لادن على أن يكون المشروع تحت لافته "الإتحاد الإسلامي لمجاهدي أفغانستان" وهو التنظيم الذى يرأسه سياف على أنه جامعه لكل الأحزاب والمجاهدين،وهو ما لم يكن صحيحاً.
دفع بن لادن ما يكفى من الأموال لبداية قوية للمشروع الذى أصبح أسمه "مكتب خدمات المجاهدين الأفغان" وصار إسمه إختصاراً( مكتب الخدمات). وسرعان ما أصبح المكتب، المستودع الأكبر لتبرعات المسلمين للجهاد فى أفغانستان، خاصة التبرعات القادمة من السعودية ودول الخليج..وأثار ذلك غيرة وخوف سياف، وحسد وحقد باقى المنظمات.
..عانى المكتب المشاكل العربية المعتادة فى الإدارة البيروقراطية. فسيطرة عزام كانت مطلقة، وكبار مساعديه هم من الأقارب و "البلديات" . والجهاز الإدارى متضخم بلا داعى.
حتى أنه عند التأسيس إستوعب 30 عربياً مقيماً فى بيشاور هم كل عرب بيشاور آنذاك وكان عدد مجلس الإدارة 15 شخصاً حتى أن أحد الظرفاء العرب وكان من الشخصيات المحترمة، وهو الآن سجين فى أمريكا بتهمة ملفقة، وقف هذا الشخص فى جلسة للشورى وقال متهكماً على هذا الوضع: (عدد المديرين فى المكتب هو نصف عدد العاملين، هل يمكن أن نتصور الوضع لو أن نصف عدد سكان العالم بدأ يحكم النصف الآخر؟").
أهم المشروعات التخصصية للمكتب كان مشروع نقل السلاح إلي داخل أفغانستان.
وكانت كميات ضخمة من الأسلحة والذخائر مكدسة فى منافذ التهريب الحدودى بدعوى أن الأحزاب التى سلمتها لأصحابها لم تسلمهم أجرة النقل (!!) وهى تكاليف باهظة.
تصدى مكتب الخدمات لحل المشكلة وأقام مراكز فى تلك المناطق لوزن الشحنات ودفع أجرة النقل لأصحاب الدواب الذين ينقلونها عبر مسالك الجبال.
يبدأ العمل من الصباح وحتى العصر.. تدخل القوافل عبر الحدود إلى أفغانستان. ومن العصر إلى العشاء.. ترجع القوافل مرة أخرى إلى داخل حدود باكستان كى يتولى أفراد آخرون من نفس المجموعات وزن نفس الحمولة وإستلام الأموال من العرب.. وهكذا..دواليك.. حتى حلول الشتاء.. فلا الأسلحة دخلت، ولا أموال العرب نفذت!!.
منذ ذلك الوقت شاعت المقولة الأفغانية المشهورة "بأن العرب مجرد حمير تحمل زكائب من الأموال" ولم تمحى تلك الصورة الهزلية، الواقعية، من مخيلة الأفغان الى الآن.
القلة المخلصة من المجاهدين الأفغان إستفادت بلا شك من خدمات المكتب المذكور،

بعد زحام ومنافسة حارة من اللصوص والأفاقين. وعجز أفراد المكتب عن التمييز بين الغث والسمين، فضاعت أكثر مجهوداته وأمواله هباء منثوراً.
..ساهم المكتب فى مشروع طبع "وتهريب" الكتب الإسلامية إلى داخل الحدود السوفييتية فى المناطق الإسلامية المجاورة لأفغانستان. وهو مشروع داخل فى إطار الرؤيه الأمريكية لإستخدام الورقة الإسلامية ضد إمبراطورية الشر السوفيتية. ونجح المكتب جزئياً، وبذل العديد من المخلصين العرب والأفغان جهوداً مضنية فى هذا المجال.
ونذكر أن أمريكا ساهمت بالسلاح والأموال وإلى جانب روسيا الإتحادية فى قمع الثورة الإسلامية التي لاحت فى طاجيكستان أواخر عام 1992 !! .

**3-مجلة الجهاد (1985-1994)**

وهى أهم المشروعات التى مولها مكتب الخدمات. وكانت وسيلة الإتصال الرئيسية بين الشباب العربى فى أنحاء شتى، وبين الجهاد فى أفغانستان.
كان خطابها دينياً عاطفياً مع رؤية سياسية مبسطة مختزلة. وسياستها الأفغانية هى دعم قيادة سياف كقيادة شرعية للجهاد فى أفغانستان. وبدقة كانت المجلة تعبيراً عن رؤية جهادية حركية لتيار سلفى داخل الإخوان المسلمين. وهو تيار تمرد بشكل مكتوم على الحركة الام، وأنشأ بعض نشطائه تنظيمات جديدة غاب عليها الطابع الثقافي فى الجهاد(أوجهاد على الورق) على حد قول البعض،ولكن ميزته كانت فى حداثة الخطاب، والحدة الفقهية، وسلاطة التعامل مع الخصوم، والدعم المالى الخفى لبعض المجاهدين.
وفازت بعض أجنحة ذلك التيار بمراكز بحثية وإعلامية قوية فى عواصم أوروبية، وكانت جيدة التمويل، وامتلك بعضها إمتداداً ملموساً فى دول الخليج، والسعوية خاصة، وجندت عدداً من العلماء الأصلاحيين الشباب.
البناء الفكرى الذى شيدة الدكتور عزام من خلال تلك المجلة، مازال هو الزاد لدى (قافلة المتطوعين الرحل ) من العرب ومعظمهم من السعودية والخليج واليمن، الذين جابوا ميادين الجهاد التى أفتى بشرعيتها علماء البنتاجون فى السعودية.
وبعد إغتيال الدكتور عزام فى نوفمبر 1989، بدأت المجلة تفقد البريق والمصداقية والحرارة التى كان يوفرها قلمه.
فاستمرت بعده عدة سنوات حتى أوقفت السعودية عنها الدعم المالى، وطردت باكستان طاقمها.. فانطفأت المجلة.

**العرب فى ..معركة جاور (إبريل 1986)**

كانت أهم الحملات السوفيتية وأضخمها حتى ذلك الوقت، وقاعدة جاور تقع على مسافة 15كم من الحدود الباكستانية وهى سلسة مغارات حصينة محفورة فى هضبة رملية تحيط بها جبال شاهقة، وكان جلال الدين حقانى يستخدمها كقاعدة خلفية لعملياته فى منطقة خوست.
وشنت القوات السوفيتية الحكومية حملة مطوله إستمرت حوالى 4 أسابيع إلى أن تمكنوا من إحتلال القاعدة لمدة يوم ونصف.
كان تواجد العرب فى تلك المعركة خافتاً جداً. فيما عدا مشاركة مجموعة قليلة حضرت المعركة واستوعبت أوجه قصور المجاهدين وإسلوب عمل السوفييت. كان أهم هؤلاء شخصان هما أبو حفص- وأبو عبيدة وكلاهما خدم فى الجيش المصري.

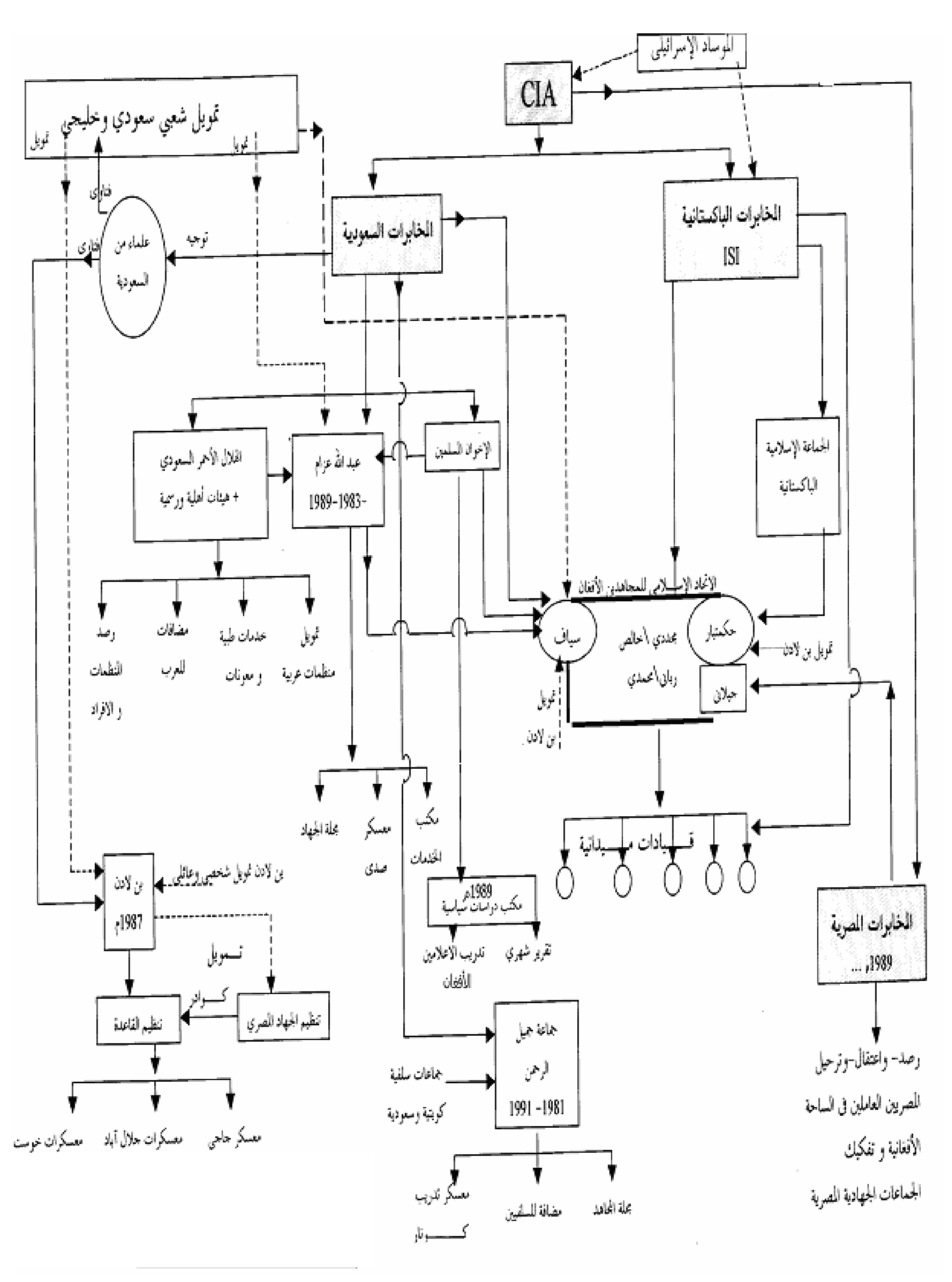
وكلاهما قاد عمليات العرب فى جاجى فى العام التالى 1987م.
وهى العمليات المظفرة التي ظهر بسببها أسامة بن لادن نجماً لامعاً فى ساحة العمل العربي في أفغانستان.
وكلاهما أسس معه تنظيم القاعدة بعد تلك المعركة، وكانا محركاً ذلك التنظيم وقوته الدافعة.
إلى أن قضى أبو عبيدة نحبه غرقاً فى أحد البحيرات الأفريقية فى مايو 1996م.
ولحقه أبو حفص فى نوفمبر 2001م، نتيجه قصف جوى أمريكي لمركزه فى قندهار.
****************************

## المرحلة الثالثة: مسيرة بن لادن من جاجى الى جلال آباد .

### معركة جاجى (رمضان 1407هـ- مايو 1987م)

كان أسامة بن لادن يكتفي بدور الممول من وراء ستار لمكتب الخدمات ، مع بعض تبرعات لسياف (كأمير شرعي للجهاد) وكان ذلك كل دورة، حتى إكتشف بن لادن أن مكتب الخدمات لم يحقق الأهداف المنشودة، وأنه غرق في البيروقراطية، مع بعض الفساد الإداري، إضافة لإبتعاده عن الميدان الجهادى. فقرر النزول بنفسه إلى الميدان، ومن خلال شرعية سياف.
فقضى فترة فى مركز قتالي لسياف على الحدود الباكستانية وهو مركز جاجى. وكان سياف قد صنع من المركز مصيدة لأموال العرب، يستدرج إليها المتحمسين من السعودية والخليج، يشاهدون بعض التمثيليات القتالية، تنتهي بذهاب الضيوف بعد إفراغ ما فى جيوبهم من الدولارات وكتابتهم قوائم بالإحتياجات التى ينبغي إرسال أثمانها فوراً إلى سياف حتى يتمكن من فتح كابول فى أسرع وقت.
ومع بقاء بن لادن وقتاً أطول من اللازم إكتشف الخدعة وقرر تحويل جاجى إلى مركز قتال حقيقى حسب منظوره.
فحفر مغارات وطرق ومستشفى ثم بدأ فى تحصين سلسلة جبال أمامية تتحكم فيما يليها من مواقع العدو، أسماها بن لادن "المأسدة"..
وهنا دقت أجراس الإنذار فى كابول. وبدأت حملة سوفيتية ضخمة لتطهير المنطقة لأعادتها إلى ما كانت عليه أي إلى مجرد (سيرك قتالي)، لإبتزاز المغفلين العرب- لكن الوقت كان قد فات
فدارت معركة قاسية، وصلت فيها القوات الخاصة السوفيتية إلى "المأسدة" ولم تستطيع التمركز فيها لفترة طويلة، وخسرت العديد من أفرادها، الذين تمكن العرب من قتل بعضهم فى إشتباكات قريبة وكمائن وتطويقات ماهرة وجريئة قادها أبو حفص وأبو عبيدة.
إشتعلت حماسة العرب، وإكتسبوا جرعة غير متوقعة من الثقة بالنفس وصعد بن لادن إلى قمة العمل القتالي العربي فى أفغانستان. وشرع فى تكوين تنظيم القاعدة.
..توقع كثيرون أن ما فعله بن لادن فى جاجى كان مجرد نزوة تعودوا عليها من أثرياء الجزيرة، وبعد أن إنتهت المعركة إنتظروا أن يعود كل شئ إلى ما كان عليه..
لكن مساعداه ،أبو عبيدة وأبو حفص، مضياً قدما فى مشروع معسكرات تدريب، وتشكيل تنظيم دولي. مع عمليات عسكرية فى الداخل كانت فى رأيهما مجرد استكمال للتدريب.. فبعد خبرتهما فى تلك المعركة فقدا الثقة فى القيادات السياسية الأفغانية وعلى رأسها سياف، وفقدا الثقه فى المقاتلين الأفغان الذين يصعب الإعتماد عليهم أو

تنظيمهم.
ودخل تنظيم الجهاد المصرى على الخط، وخلط أوراقه مع القاعدة ثم توافدت التنظيمات العربية الجهادية على ساحة بيشاور.
التنظيمات العربية التى لم تستطيع أن تكون نفسها فى بلادها، فعلت ذلك فى بيشاور، حيث وجدت التمويل الكافي، والمجاهدين من الشباب، فظهرت كمية من التنظيمات العربية على الساحة البيشاورية، وأهمها كانت تنظيمات شمال أفريقية وأخرى اندونيسية وبنجابية وحتى صينية.
وكان التمويل السعودي المتوفر فى ساحة بيشاور كافياً لتمويل أي عدد ممكن من التنظيمات الجديدة، أو الإنشقاقات فى الجماعات القائمة بالفعل.
بدأت تلك التحركات فى أعقاب البدء فى تشكيل تنظيم القاعدة كتنظيم دولي للجهاد. وهو شعار فضفاض جداً وغير عملي، إلا أنه أثار الذعر فى كثير من الدوائر خاصة مع الإقبال الكبير على مبايعة بن لادن من قبل مئات الشباب العربي من مختلف الجنسيات. وربما بسبب ذلك نشطت دوائر معينة غربية وعربية فى إطلاق إشارة لتكوين التنظيمات على أساس وطني، وربما قبائلي، المهم ألا يمضى تيار بن لادن إلى نهايته فى تدويل الجهاد.
وقد عاد الإخوان المسلمين بصفتهم التنظيمة لأول مرة إلى الساحة الأفغانية لكبح بن لادن، أو أي تيار آخر مشابه يسعى الى تشكيل (دولية إسلامية مسلحة).
ولاشك أن الإخوان نسقوا ذلك مع (الكبار) المشرفين على اللعبة الإسلامية ويراقبونها عن كثب ويمسكون بالخيوط الرئيسية.. كما يتوهمون على الأقل.




## التمويل و الإرتباطات الأساسية فى الساحة العربية الأفغانية

(1987-1992)

## عبد ا    عزام ..وبن لادن.. صداقة ومنافسة

حدثت فجوة ما بين الرجلين بن لادن وعزام- رغم أنهما حافظاً علـى مـستوى راق من التعامل المهذب والإحترام المتبادل.

لكن بن لادن أصبح أشد بريقاً وأكثر مصداقية فهو يدفع من جيبه ملايين الـدولارات فى معركة واحدة فى جاجى. ويشارك بنفسه فى معركة شرسة قلبت موازين النفسية العربية فى أفغانستان وأثارت أحلام آلاف الشباب فى جزيرة العرب واليمن.

التيار السلفي المتحمس والذي بدأ فى تشكيل جماعـات جهاديـة وطنيـة.. خاصـة الجزائريين. ناطحوا الدكتور عزام بعنف، وطعنوا فى إنتمائه الإخوانى، وعلاقاته مع الرسميين السعوديين، ثم تحالفوا مع سلفيين من الكويت وأزاحوا الدكتور عزام مـن إمامة الجمعة فى مسجد مستشفى الهلال الأحمر الكويتى، والذي كان المسجد الرئيس لعرب بيشاور. نزح الدكتور إلى مسجد قريب من مراكز سياف الرئيسيه، وأسـموه مسجد (سبع الليل) وهو أحد شهداء معركة جاجى.

فانقسم التيار العربى إنقساماً رئيسياً، وانفتحت بوابة المهاترات التى لم تترك أحـداً .. لاعزام ولابن لادن .. ولا أي تنظيم من الإخوان (أقدم التنظيمات) وإلى آخر تنظـيم جهادى من الجزائر أو ليبيا.

كما بدأت تظهر إنتقادات لقادة التنظيمات الأفغانية والطعن فيهم- وانتشر الكلام عـن "عقائد"الأفغان  و "شركياتهم" وطرحت مقولات بأن "الأعاجم"لايستطيعون إقامة "دولة إسلامية" وأن العرب فقط هم المهيئون لذلك والقادرون عليه- وعلى رأس هذا الإدعاء كان تنظيم الجهاد المصري، وكبار مسئولي القاعدة. وكان لهذا الإعتقاد تأثيراً كبيـراً فى مدى مساهمتهم فى الجهاد فى أفغانستان فيما بعد معركة جاجى. وكان له تـأثير كبير فى موقفهم من (حركة طالبان) عندما عادوا إلى أفغانستان مرة أخرى فى عـام 1996م.

فتخطوا أوامر الحركة، وتجاهلوا مصالح أفغانستان فكانت التداعيات التى قادت إلـى هزيمة ساحقة فى الحرب ضد أمريكا وتحالف الشمال.

حافظت بعض المجموعات العربية الصغيرة على "إستقلاليتها" ولم تجرفها التنظيمات، ولكنها كانت صغيرة العدد، قليلة التأثير. وأهم تلك التجمعات وأكبرها كـان تجمـع "أبوالحارث الأردنى" فى خوست، الذى لم يأخذ أي صبغة تنظيمية، لذا توجـه اليـه النافرون من التنظيمات بكل أنواعها. وصادف التوفيق الأعمال العسكرية التى شارك فيها، لكون الجبهة الأفغانية العاملة هناك، بقيادة جلال الدين حقـانى، كانـت فعالـة وناجحة وكان التنسيق معها كاملاً.

..توسع العمل الإغاثي العربى بشكل كبير جداً خلال تلك الفترة وباسـتثناء بعـض الجهود المخلصة، وكثير من العـاملين المخلـصين والمتحمـسين، إلا أن المجهـود الإغاثي العربى كان بشكل عام مظلة إستخباراتية للأنظمة العربية، وبالمثـل كانـت المنظمات الغربية التى تفوقت بعمق التجربة وبراعة التنظيم.

إستطاع عدد من الإغاثيين العرب تقديم خدمات قيمة للغاية للمهاجرين الأفغان.. وفى أحيان أقل للمجاهدين فى الجبهات.

ورغم كل السلبيات فإن الإغاثات العربية حققت إختراقاً في مجال التعلـيم الأفغـانى، وتقدمت فى مجال تعليم اللغة العربية والقرآن الكريم، وبدأت فى وضع برامج تعليمية

لمراحل التعليم المختلفة، بالتنسيق مع الأحزاب الأفغانية، وشارك الإخوان المـسلمين بمجهود مخاص وجيد فى هذا المضمار. والحركة السلفية الـسعودية هـى الأخـرى حاولت دس أنفاً ولكن العلماء، الأفغان تصدوا لها.
وعلى كل الأحوال فقد أعلنت المؤسسات الإغاثية الكنسية الحرب على هذا المجهود، وتمكنت من إيقافه، ثم دفعته إلى الخلف تدريجياً فى سبيل علمنة التعليم الأفغاني، لولا وصول حركة طالبان إلى الحكم. ولكن بعد إحتلال أمريكا لأفغانستان فسوف يكـون التعليم الديني هو المستهدف الأول لحملة التنصير والعلمنة التى خططت لها أمريكـا منذ وقت طويل من أجل تخريب المجتمع الأفغاني، وفك إرتباطه الشديد مع الإسلام.
(أرسلت أمريكا خلال العام الأول لإحتلالها أفغانستان، أكثر من عشرة ملايين كتـاب دراسى، طبعت فى أمريكا باللغات المحلية الأفغانية، ورفضت بحـزم أى مـشاركة إسلامية فى المجهود التعليمى داخل أفغانستان خاصة من إيران وباكستان).

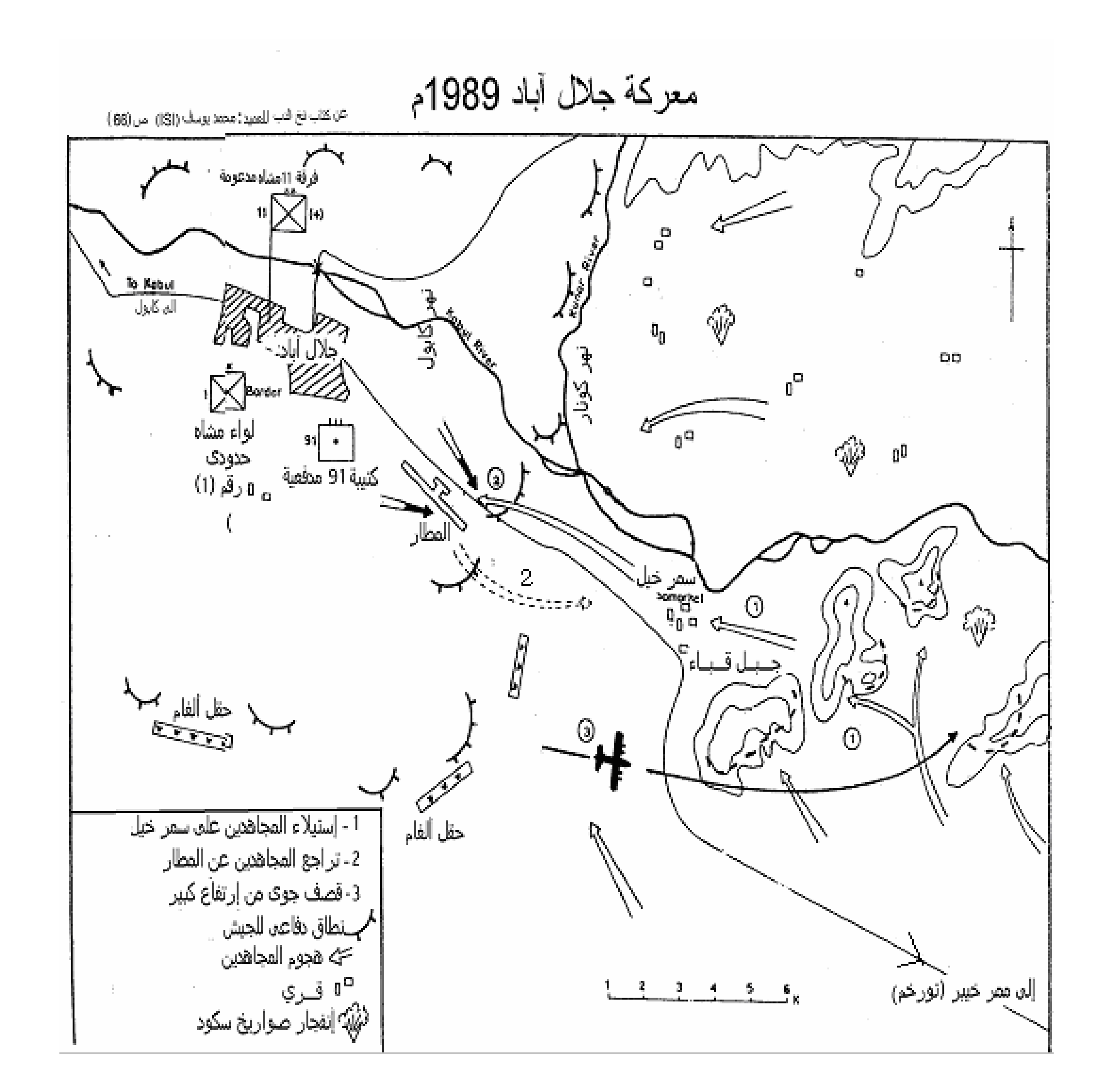
## وصول حيدرة:

قليلاً ما يذكر ذلك الحدث التاريخي فى المسيرة الأفغانية للمتطوعين العرب.
وحيدرة أو (على محمد) ضابط مصري هاجر إلى الولايات المتحـدة وتطـوع فـى الجيش الأمريكي (القوات الخاصة)، برتبة عريف. وفى عام 1988 وبعد إتصال مـع بعض معارفه من العسكريين المصريين العاملين ضمن تنظيم الجهاد، وصل حيـدرة إلى بيشاور، وعمل فى تدريب كوادر التنظيم التوأم (الجهاد المصري والقاعدة).
ولم يكن ذلك حدثاً عادياً لأن التدريبات التى حقنها حيدرة فى هذين التنظيمين، والتي إنتشرت "بالعدوى" بعد ذلك فى تنظيمات بيشاور العربي منها وغير العربي. كانـت قفزة نوعية بكل المقاييس.
فقد إحتوت على تدريبات القوات الخاصة الأمريكية فى حرب العصابات التي شارك "حيدرة" ضمن فرق الخبراء الأمريكيين فى مقاومتها فى عـدة بلـدان مـن أمريكـا الجنوبية.
واحتوت-وهذا هو الأعجب- على عمليات خطف الأفراد والطـائرات والإغتيـالات !!.وكانت فقرة غريبة تماماً عن مجرد إحتياجات الساحة الأفغانية بل تـشمل رؤيـة مستقبلية غريبة للعمل الجهادى العربي.
فهل كان كل ذلك استدراجاً؟ أم حماساً ومبادرة من حيدرة؟
ذلك المصري (إبن البلد) الذى عمل بإندفاع وحماس مع إخوانه المصريين والعـرب، وتخرج على يديه الكثير من المدربين الذين أحبوه كثيراً واستوعبوا ما عنـده بكـل شوق.
وظل حيدرة يتردد على بيشاور بدون أية معارضة من السلطات الأمريكيـة التـى كانت على إطلاع بتحركاته، بصفته أحد موظفيها العسكريين العاملين!.
وبعد ذلك بسنوات ألقت السلطات الأمريكية القبض على حيدرة فى أعقـاب عمليـة تدمير سفارتى أمريكا فى كينيا وتنزانيا بتهمة أنه شارك قبل سنوات فى إستطلاع تلك السفارات، وقت تواجد بن لادن فى السودان، فكلفه بذلك العمل، وأمدة بـبعض مـن دربهم حيدرة سابقاً من كوادر القاعدة.
ثم اتفقت السلطات الأمريكية مع حيدرة على تحويلة من متهم الى شـاهد.. علـى أن يدلى بما عنده من معلومات!! .
وقد كان حيدرة على صلة شخصية حميمة مع كبار قيادات التنظيمين التوأم (الجهـاد

والقاعدة).
بالطبع كان فى وسع السلطات الأمريكية وقف تردد حيدرة على بيشاور منذ عام 1988. وبدلاً عن ذلك تركته يواصل تدريباته، ثم وجهت مدفعيتها، الثقيلة نحو العرب منذ عام 1989 أي بعد اتمام الإنسحاب السوفيتى- ونشوب معركة جلال آباد.
ومن بين إتهاماتها العديدة، للمجاهدين العرب، كان الإتهام بالتدريب على خطف الطائرات والعمليات الإرهابية!.
من الأساليب الأمريكية المعروفة، خلق الخطر وتضخيمه ثم طرح نفسها كمنقذ، وبائع لخدماتها الأمنية بأفدح الأثمان الإقتصادية والسياسية.
والأرجح أنها إستخدمت الضابط أو العريف حيدرة فى واحدة فى أخطر تلك الألاعيب.

## العرب فى معركة جلال آباد (مارس 1989- ابريل 1992)

العلاقة بين العرب ومدينة جلال آباد علاقة غريبة وتحتاج إلى دراسة أكثر تفصيلاً، دراسة تتناول النواحى النفسية إلى جانب النواحي السياسية.
فالعرب يقبلون على المدينة فى كل مرة إقبالاً عاطفياً منفلت الزمام. وفى كل مرة يواجهون كميناً تم نصبه بعناية.. ولو أن عاطفية العرب كانت أقل قليلاً لسهل عليهم إستكشاف ما تم تجهيزة لهم.
وأسامة بن لادن على رأس ذلك الفريق العربى الذى ينجذب مثل الفراش الى نيران الكمائن الجاهزة، خاصة فى جلال آباد.
وكان له ثلاث (مزالق تاريخية) فى تلك المدينة.
المنزلق الأول: فى معركة جلال آباد الشهيرة التى بدأت فى مارس 1989 ولم تنتهى إلا قبل أيام من إستسلام كابول فى أبريل 1992م.
المنزلق الثانى: كان فى عودته "التاريخية" والإجبارية فى مايو 1996.
المنزلق الثالث: كان فى حرب "بن لادن والولايات المتحدة"، والتى إستمرت من 7اكتوبر وحتى 7 ديسمبر 2001 م.
.. بدأت معركة جلال آباد فى ظروف سياسية حرجة، والقضية الأفغانية برمتها فى مهب الريح فلم يكد يمر على إتمام الإنسحاب السوفيتى أقل من شهر حتى بدأت المعركة بدون تخطيط مسبق.. والسبب هو تقليص قوات النظام الشيوعى فى كابول مساحات الأرض التى تنتشر القوات فوقها بهدف تركيز الدفاعات عن المدن الأساسية.
وكان الإتفاق بين السوفييت وأمريكا- والذى على أساسه إنسحب الجيش الأحمر من أفغانستان هو ألا تقع البلاد فى قبضه التيار الإسلامى الذى يجب تهميشه أولاً ثم إستبعاده فى وقت لاحق، وأن تحكم البلاد بعملاء الدولتين بنسب يجرى الإتفاق عليها، أو الصراع من أجل تحديدها، حسب موازين القوى النهائية التى ينجلى عنها الموقف.




وهذه النقطة تحديداً تسببت فى إطالة مدى الحرب عدة سنوات إضافية، أى منذ أن إنسحبت السوفييت فى فبراير 1989 وحتى إنهاء النظام فى إبريل 1992م.
إذن كان سقوط أياً من المدن الرئيسية خطاً أحمراً متفق عليه بين (العملاقين) سوف يعملان سوياً للحفاظ عليه. لأن سقوط مدينة كبرى سوف يؤدى إلى إنهيار مؤكد للنظام فتنتهى الحرب بإنتصار واضح لصالح المجاهدين.
أما إبقاء المدن سليمة، وترك المجاهدين ينطحون إطواقها الدفاعية المنيعة. فسوف يشيع فيهم اليأس، ويرغم المتحمسين للجهاد على الجنوح إلي "الواقعية" والقبول بمبدأ مقاسمة السلطة مع الشيوعيين، وتيارات غربية تراها أمريكا.
على مستوى البلاد كلها نفذ الجيش الأفغانى إنسحابات كبيرة، متخلياً عن معظم الريف والتجمعات المدينة الصغيرة، مركزاً قوته كلها للدفاع عن العاصمة وسبعة مدن أساسية وهى:
جلال آباد- خوست- جرديز- غزنى- قندهار- هرات- مزار شريف.
من جهتها زودت موسكو نظام كابول بمجموعة لابأس بها من الطائرات الحديثة، وكمية ضخمة من صواريخ سكود، وفى الغالب أنها شاركت- حتى بعد إنسحاب قواتها بمجهود وإسناد جوى كثيف بواسطة قاذفات إستراتيجية تقصف من إرتفاعات شاهقة. هذا إضافة لأطقمها العاملة على تشغيل بطاريات صواريخ سكود التى إستخدمت بغزارة فى تلك المرحلة من الحرب، ولا يستبعد أيضاً

مشاركة طيارين هنود فى عمليات الإسناد الجوى بالقاذفات السوفيتية الحديثة .
وعلى الجانب الأمريكي ولأجل إضعاف قدرات المجاهدين على إسقاط المدن الرئيسية، قطعت من جهتها كل أشكال الإمداد العسكري بالأسلحة والذخائر.
وسمحت لباكستان بإمداد المجاهدين، من باقى مخزون السنوات السابقة بحيث لا يتوقف نشاط المجاهدين، فتستولى الحكومة الشيوعية القائمة مرة أخرى على البلاد كاملة، وتنفرد بالحكم، بدون مشاركة الأطراف الأمريكية.
وهكذا كانت المعادلة الحرجة التى دارت فى ظلها معارك السنوات الأربع التى تلت إنسحاب السوفييت من أفغانستان.
قبل تنفيذ أي إنسحاب للجيش كانت الإستخبارات الأفغانية (خاد) تعقد صفقات مـع عناصر محلية لتسليمها المناطق المجاو عنها. وحتى تتنازل لها ليس فقط عما بهـا من منشآت عسكرية ومدينة بل وحتى مخزونات أسلحة وذخائر فى مقابل تأمين تلك المناطق من نشاطات "الأشرار" أي المجاهدين.
وقد نجحت فى معظم المناطق، ولكن بعض المناطق شهدت إرتباكات خطيرة كادت تؤدى إلى سقوط مدن هامة، خاصة ما حدث فى خوست (خريف 1988) ثم فى جـلال آباد بعدها فى(ربيع 1989).
والسبب هو تطفل بالقوة من بعض العناصر غير المرغوب فيها. فاجتاحوا المناطق الجديدة واستولوا على أجزاء هامة منها، وتعقبـوا الجنـود المنـسحبين، فتحـول الإنسحاب إلى فرار، وكادت تسقط المدينتان.
في حالة خوست توقفت المطاردة بسبب إستشهاد قائد المجاهدين بفعل لغم أرضـى قتله فى الحال، فتوقف الهجوم عدة أيام كانت كافية لتثبيت الوضع على ما هو عليه، فلا هو بالخطوط الآمنة التى أرادتها القوات الحكومية، ولا هو إقتحام المدينة وفتحها الذى أراده المجاهدون. ومن حسن الحظ القوات الحكومية أن قوات المجاهدين حول المدن لاتخضع لقيادة واحدة ولا تنسق مع بعضها بعـضاً إلا بـصعوبة ولفتـرات محدودة فى مواضع محدودة، فالمطاردات التى حدثت كانت فى قطاعـات بعينهـا وليس على كامل الطوق الدفاعى للمدينة.
فعاشت المدينتان فى وضع دفاعى معتل ولكنه قادر على الصمود فى ظل الفوضي وانعدام القيادة لدى المجاهدين، وفى ظل العرقلة الباكستانية لهم.
بإستثناء منطقة خوست التى إجتازت السلبيات وتمكن المجاهدون من فتحهـا فـى معركة عنيفة فى (مارس 1991-رمضان 1411هـ ).
إرتبكت عملية الإنسحاب التى حاول الجيش الأفغاني تنفيذها حول جلال أباد، خاصة فى الطرف الجنوبى الشرقى.
والسبب أن هذا القطاع كان تحت ضغط مزعج منذ عدة أشهر فى عمليات متقطعـة بدأت منذ خريف 1988شاركت فيها مجموعات عدة، خاصة جماعات (يونس خالص) التى تعتبر جلال آباد أهم معاقلها. وقد شاركت مجموعة عربية من اليمن فـى تلـك العمليات، وكان لها ثقلها الإيجابى.
بعد إتمام الإنسحاب السوفيتى وإرتفاع معنويات المجاهدين زاد الضغط على القـوات الشيوعية، وتمتع المجاهدون بدعم قريب من قواعدهم الخلفية فى باكستان التى يربطها طريق دولى بأفغانستان عبر بوابة (تورخم)، التى تعتبر مدخل إقليم جلال آبـاد ( أو ننجرهار).

حقق المجاهدون إنتصارات كبيرة وغنموا أسلحة ثقيلة ودبابات فواصـلوا الـضغط على طريق تورخم الدولى وحققوا المزيد من التقدم والغنـائم، ثـم تقـدمت قـوات المجاهدين من إقليم كونار، فحققوا تقدماً كبيراً في مناطق واسعة، وهـددوا الطـرف الشرقى للمدينة، وهذه كانت نقطة الضعف الكبري فى الطوق الدفاعى، نظـراً لمـا توفره طبيعة الأرض للمجاهدين من إمكانية إقتراب كبيرة من المدينة، وتحت غطـاء قري كثيفة الزراعة يصعب على الجيش الحكومى توفير دفاعات كافية لسد ثغراتهـا، بما يجعل مراكزه الدفاعية عرضة للتطويق لتسرب المجاهدين من جنباتها.

التقدم من الطريق الرئيسى عبر تورخم حقق نجاحه الأكبر بالإستيلاء على أهم سلسلة جبلية المواجهه لقريه (ثمرخيل) إلى الشمال من الطريق الدولى، ثم قفزوا على القرية نفسها واستولوا على مركز عسكري هام ومقر أحدى الفرق العسكرية.

وفتح الطريق أمامهم على مصراعيه نحو مطار المدينة فتقدموا اليه،ودارت معركـة عنيفة مع القوات الحكومية المدافعة عنه، والتى نجحت فى إيقاف زحفهم.

بينما تسربت قوات أخرى للمجاهدين عبر المزارع الواقعة شـرق المدينـة وهـدفهم التسلل إلى المدينة نفسها عبر المزارع والقرى. ومن هناك يتقـدم مجاهـدوا كونـار أيضاً.

وعند هذه النقطة من تطور الموقف العسكري ظهرت المدينة قاب قوسين أو أدنى من السقوط وبإعتبارها المدينة الثانية من حيث الأهمية. والمفتاح الطبيعى للوصول الـي كابول العاصمة.

ظهر وكأن نظام كابول يعيش أيامه الأخيرة وأن حدس الذين توقعوا سقوطه سـريعاً بعد إنسحاب السوفييت قد صدق.

لقد إقترب المجاهدون من الخط الأحمر الذى حددته "القوتان الأعظم" للوضع السياسى فى أفغانستان، فتحركت كل منها من جهتها لإعادة "التوازن" إلى الموقف. ومنع سقوط جلال أباد كمرحلة أولى.. ثم تلقين المجاهدين درساً فى مرحلة تالية، يقـنعهم بعـدم التمادى فى الإعتماد على العمل العسكرى "الجهاد"، والقبول بنوع من التسوية الداخلية تحت وصاية من "القوتين الأعظم".

- الجانب السوفيتى ساهم بمجهود جوى من القصف الكثيف بالطائرات وصواريخ سكود

- والجانب الأمريكى دفع الإستخبارات الباكـستانية لكـبح جمـاح المجاهـدين الأفغان. حكومة (بى نظير بوتو) التى دفعتها أمريكا إلى الحكم بعد إغتيـال الـرئيس ضياء الحق، كانت من أشد المتحمسين لعدم وصول الإسلاميين إلى الحكم فى كابول، حرصاً منها على عدم إنتقال العدوى إلى باكستان نفسها.

الخطوة الأولي للإستخبارات الباكستانية كانت وقف تقدم المجاهدين عبـر المـزارع الواقعة شرق وشمال الطريق الدولى. فأوقفوا مجاهدي كونار، وأعـادوا مجاهـدى جلال آباد إلى جنوب المطار وطلبوا منهم عدم تجاوزه.

ونجحت تلك الخطوة نجاحاً سريعاً مذهلاً، حيث لم يكن للمجاهدين أى قيـادة عليـا، وكانوا عبارة عن مجموعات كثيرة متنافرة، و أكثرهم لم يحضر لأكثر مـن سـرقة الغنائم والعودة بها الى باكستان.

توقف زخم الهجوم، واستمرت المناوشات على حدود المطار عدة أيام بلا فائدة فتوقفت أيضاً. وتسبب القصف الجوى فى أحداث خسائر كبيرة فى المجموعات

المهاجمة التى سادتها فوضى عارمة.
الخطوة التالية كانت تحويل سيل الهجوم الأفغانى إلى المناطق الصحراوية جهة الغرب، طبقاً لأوامر المخابرات الباكستانية، ونتيجة للقصف الجوى المركز، على المجاهدين فى صحراء مكشوفة، تكبدوا خسائر شديدة. وهناك بدأت أكثر فصول الحرب الأفغانية مأساوية.
..فى الوقت غير الملائم.. وفى المكان غير الملائم، بزغ نجم العرب لامعاً.. ودخل أسامة بن لادن المعركة مع تنظيمه الجديد "القاعدة" بعنفوان منقطع النظير.!! ساحباً خلفه جل الثقل العربى فى بيشاور، سواء من التنظيمات العربية أو المتطوعون الفرادى.
واستمر عمله على ذلك المحور الصحراوى العقيم الذى إستدرجته إليه الإستخبارات الباكستانية. وكانت معظم الجماعات الأفغانية قد بدأت تهجر مسرح عمليات جلال آباد بعد أن إكتشفت الورطة، المؤامرة.. بينما تزايد التواجد العربى،حتى أصبحت جلال آباد عملياً هى قضية العرب الأولى فى أفغانستان.
مضت عدة أسابيع على هذا الحال، وحقق العرب بقيادة بن لادن مكاسب عديدة وتقدماً على المحور الصحراوى. ولكن بخسائر بشرية عالية لم يتعودوا عليها فى أى مكان آخر. وكلما تزايدت الإنتصارات غاصوا أكثر فى مستنقع الرمال فى ذلك المحور الكئيب، وضعف تركيز قوات العرب بإنتشارهم فوق الرمال، وانكشفوا أكثر لضربات الطيران وصواريخ سكود.
وبعد عدة أسابيع شنت القوات الحكومية هجوماً كاسحاً وافق أيام عيد الأضحى، وكانت الجبهة شبه خالية إلا من قوات بن لادن، التى تقهقرت إلى بوابه (تورخم) وبعض مزارع الأشجار التالية له. بعد أن نجت بصعوبة من تطويق القوات الشيوعية لها. وكان أمر الإنسحاب الذى أصدره بن لادن (رغم معارضة معاونيه) هو أفضل القرارات التى نفذها العرب فى تلك المنطقة طول مدة القتال.
تمكنت بعض العناصر العربية (بمبادرات فردية) من التمسك بالقمة الجبلية المقابلة لقرية سمر خيل. وخاضت معركة باسلة صدت فيها قوات عبدالرشيد دوستم التى كانت رأس الرمح فى الهجوم الشيوعى. كان الإحتفاظ بتلك القمة هو أفضل إنجازات العرب فى تلك المعركة لأنه منع قوات دوستم أن تصل إلى هدف الحملة، وهو إغلاق بوابة تورخم على الحدود مع باكستان. وبالتالى فشل برنامج كانت قد تم تجهيزه للبدء فى مفاوضات بين حكومة كابول ومنظمات بيشاور من أجل الوصل إلى تسوية سلمية وتشكيل حكومة مشتركة.
كان ذلك نصراً بارزاً، لم يكن مقصوداً- ولكن المشاركة العربية كانت السبب الأساسى فى تحقيقه.
خرج بن لادن من جلال أباد وقد خسر عدداً من أبرز ساعديه. و أصيب نائبه الثاني- ابو حفص - إصابات بالغة. وعاد بن لادن إلى السعودية ولم يعد إلى الساحة الأفغانية إلا فى فترة عابرة فى عام 1991 لم يشارك فيها فى أى عمل ميدانى.
ولكن العرب إستمروا فى التوافد على جلال آباد بكثافة، وأخذت الحرب هناك شكل حرب إستنزاف تكبد العرب فيها لعدة سنوات أكبر خسائرهم فى كل حرب أفغانستان وكانت وفق بعض التقديرات 500 شهيد وفى تقديرات أخرى 300 شهيد.

لم تكن الخسارة الأفدح هى خسارة الأرواح بل كانت أفدح الخسائر هو ذلك النمط الفوضوى فى العمل الذى رسخته تجربة جلال آباد.
فقد تكونت الكثير من الجماعات الجديدة، والأمراء الشباب الجدد، وجميعهم يتلقى معونات سعودية مباشرة من متبرعين معلومين أو مجهولين.
وتميز العمل العسكرى بالنمطية واللاجدوى، وكثرة الخسائر البشرية، وإنعدام الإنجازات، وعدم وجود خطة من أى نوع.
واستغلت المجموعات الأفغانية العرب أبشع إستغلال، وإستفادات منهم فى عملياتها العسكرية، التى إستحوزوا على ما ينتج عنها من غنائم، وتحمل العرب معظم ما فيها من تضحيات. كما وتحمل العرب تمويل معظم المجموعات الأفغانية، التى لم تشغل نفسها بغير الإبتزاز والسرقات. بإستثناء مجموعات قليلة من الأفغان الذين لم يتمكنوا من تغيير وضع فاسد حتى النخاع. وكانت المخابرات الباكستانية تشرف على تزكية ذلك الفساد.
أما مجموعات جلال آباد من العرب فقد أنشأت كل مجموعة لنفسها معسكراً للتدريب وتوزعت المجموعات حسب العرقيات العربية. وزادت فيها الإنقسامات وكانت مرتعاً مثالياً لمختلف أجهزة التجسس العربية، التى زادت كثيراً من معدل نشاطاتها فى أوساط العرب المضطربة تمهيداً ليوم توجيه الضربة القاضية التى كانت أمريكا تجهز لها فى نفس العام.

.............................................................................................

## إغتيال عبد ا عزام (نوفمبر 1989)

أثناء عمله فى الساحة الأفغانية تلقى الدكتور عزام تهديدات عديدة بالقتل. كان أولهـا من القائد الأصولى حكمتيار الذى ضايقه إنحياز الدكتور عزام الكامـل تقريبـاً إلـى سياف وتحويله كميات كبيرة من الأموال إليه. وقد عبر القائد الأوصولى برهان الدين ربانى عن ضيقه الشديد من موقف الدكتور عزام، وأن لـم يطلـق التهديـدات مثـل حكمتيار نتيجة هدوئه الشديد ولطف طبيعته. ولم يشذ أحد من قادة التنظيمـات عـن حالة التذمر هذه. حتى أضطر الدكتور عزام إلى الإختفاء فترة مـن الـزمن داخـل معسكر صدى الحدودى فى حماية سياف.
حاول الدكتور عزام ونجح إلى حد كبير فى أن يظهر الإعتدال مع القـادة الأفغـان جميعاً من الناحية المذهبية والفقهية، وحاول أن يواجه مغالاة التيار السلفى الـسعودى الذى حمله شباب الجزيرة، ثم تبناه بعنف أشد أبناء الشمال الأفريقى، ثم أرسى دعائمه النظرية تنظيم الجهاد المصرى فى كتاب بالغ الأهمية أسـموه (العمـدة فـى أعـداد العدة..) الذى أختزل المسافة الفارقة بين تيارى الجهاد والتكفير إلى أدنى حد ممكن.
ولكن أجراس الخطر الحقيقى على حياة الدكتور عزام دقت بعنف عندما وضع قدمـة فى الساحة الفلسطينية، ودرب فى معسكر صدى عدد من الشباب الفلسطينى، قام عدد منهم بعمليات عسكرية داخل حدود إسرائيل.
دقت الإنذارات ليس فى تل أبيب وحدها، بل لدى القوى الفلسطينية الناشطة هنـاك، من منظمة التحرير إلى منظمة حماس التى دعمها الدكتور عزام بكل قوة. فقد كـانوا يرون أن الدكتور عزام دخل إلى الساحة بطريقة غير مدروسة، وبدون تنسيق مسبق أو أرضية كافية وبدون مراعاة "قوانين اللعبة". وقد كانوا محقـين، وكـان زجـرهم للدكتور عزام عنيفاً.
ولكن مجرد الزجر وحده لم يكن كافياً لردع الرجل الذى إمتلكت التجربه الأفغانية كل

حواسه، ويرى أنها صالحة للتطبيق فى كل زمان ومكان.
مع إقتراب موعد إغتياله تسلم الدكتور عزام تحذيراً من محاولة وشـيكه لإغتيالـه. وصله التحذير من السفارة الفلسطينية فى إسلام أباد. وقبل الإغتيال النهـائى جـرت محاولة لإغتياله فى مسجده ولكن قبل توافد المصلين إكتشف خادم المسجد وجود لغم مضاد للدبابات مع جهاز توقيت أسفل المنبر الذى يلقى من عليه الدكتور عزام خطبته الأسبوعية فى صلاة الجمعة.
فى أسبوع تالى نجح المترصدون فى إصطيادة وهو فى طريقه إلى المـسجد لإلقـاء خطبة الجمعة ومعه ولداه إبراهيم ومحمد.
قتلوا جميعاً فى فاجعة هزت بيشاور، والتواجد العربى كله وكانت تلك إشارة البـدء لتصفيته.
فى اليوم السابق للإغتيال نفذت المخابرات السعودية والباكستانية مـسرحية سـيئة الإعداد والتنفيذ، إدعوا فيها إحباط محاولة "إرهابى عربى" إختطاف طائرة متوجهـة من إسلام اباد إلى السعودية عبر مدينة كراتشى. ثم إعتقل شاب مصرى بهذه التهمة.
كانت القضية مليئة بالثغرات الفنية، وشهود كثيرون من العرب كانوا على علم بـأن هذا الشاب إختطفته عناصر سعودية مع عناصر من جماعة جميل الرحمن، وعـذبوه ثم سلموه إلى المخابرات الباكستانية.
فى أعقاب الحادثتين، جرت حملة مطاردة وبحث عن كبار الشخصيات العربيـة خاصة المرتبطين مع بن لادن. وإختفى الجميع عن الأنظار بسرعة. كما إختفى أيضاً أنصار الدكتور عزام، الذين حامت الشبهات حول تواطؤ عـدد مـنهم فـى عمليـة الإغتيال.
تصرفت السلطات الباكستانية بطريقتين متناقضتين فى القضيتين. فكانت متعسفه للغاية فى القضية الأولى واجتهدت فى تلفيق الأدلة ورشوة القـضاء وإرهـاب المحـامين، وتجاهل الشهود حتى فاز الشاب المصرى بالسجن المؤبد فى باكستان.
أما قضية الإغتيال فكان المجهود منصباً على طمس الأدلة وتهريب المشتبهين، ولـم يكن هناك تحقيق جاد يستحق الذكر.
كانت أبرز البصمات التى لاحظها جميع من فى تلك الساحة وقتها كانـت البـصمات السعودية والباكستانية، فى عملية إغتيال عزام ومسرحية إختطاف الطائرة كلاهما.
وكما كانت مسرحية إختطاف الطائرة غير متقنة، كذلك كانت عملية الإغتيـال، فقـد كانت بصمات الجناة واضحة، وحتى شخوص العديد منهم.
أما المتواطئون فكانوا أوضح من أن يشار إليهم بالبنان. ولكن إذا كانت جهه واحـدة هى التى تقوم بكل الأدوار فليس من سبيل للوصول إلى الحقيقة، وهكذا إذا كان القاتل هو المحقق والقاضى والسجان.
لقد كانت عمليتى إغتيال الدكتور عزام وإغتيال الرئيس ضياء الحق قبلهـا بخمـسة عشر شهراً متشابهتان من هذه الناحية أيضاً.فلم يكن المطلوب أبـداً الوصـول إلـى الحقيقة أو الإمساك بتلابيب القاتل.
أمريكا كانت تدير اللعبة كاملة.. وتحدد الأدوار.. وتعطى الجزاء وتحـدد العقـاب.. وتحرق الأوراق التى لم تعد ضرورية.. أو تحرق الأدوات التى إنحرفت فى إتجاهات ضارة أو غير متفق عليها..
كانت الفوضى ضاربة أطنابها فى المعسكر العربى من بيشاور وحتى جـلال آبـاد،

ولكنها ضمن إطار ساحة تحت السيطرة الأمريكية الصارمة. كل شئ فيها بحـساب، حتى الفوضى نفسها.
ولا يعنى ذلك أنهم تمكنوا من التحكم فى كل شئ، خاصة علـى الأرض الأفغانيـة.، فالعديد من التحركات العامة فلتت من بين أيديهم وكانت لها تأثيرات حاسمة أحياناً.
ولو أن أمريكا إستطاعت التحكم فى كل شئ، لهدأت أفغانستان منذ وقت طويل، ومـا إحتاجت أمريكا الى إستخدام قواتها بشكل مباشر على الساحة الأفغانية.
لم تتحول كل القوى إلى أدوات فى اليد الأمريكية فهناك قوى إسلامية حقيقية فلتت من عمليات التوجيه أوالتصفية، وإستمرت فى العمل من أجل تحقيـق رؤيـة إسـلامية لأفغانستان والعالم الإسلامى.
وكان لها نواحي قوة، والعديد من نقاط الضعف. وظهر ذلك جلياً فيما تلى من أحداث.
* قال البعض أن أمريكا أرادت أن تحتفل وحدها بالنصر الكبير في أفغانستان، أكبر معارك الحرب الباردة، بل المعركة النهائية التى أزاحت المنافس السوفيتى فى ساحة العالم.
من أجل ذلك قتلت أمريكا الرئيس الباكستانى ضياء الحق مع الجنـرال أختـر عبـد الرحمن مؤسس جهاز الإستخبارات الأكبر على الساحة الأفغانية وكلاهما كان مرشحاً لدور البطولة "كفاتح لأفغانستان".
كما إغتالت الدكتور عبد ا عزام الذى كان مرشحاً بجدارة لأن يصبح رمزاً شـعبياً عربياً وإسلامياً , خاض ونجح فى تجربة جهادية ضخمة.
والأخطر أن الدكتور عزام قد شرع فعلاً فى نقل تجربته الي أرض فلسطين، وسـار فى ذلك الطريق الخطر خطوة أو خطوتين.

**ولكن لماذا لم يتم إغتيال بن لادن أيضاً؟**

يبدو هذا السؤال وجيهاً، خاصة وأن بن لادن وقتها كان هو الشخصية الثانية على الساحة العربية فى أفغانستان بعد الدكتور عبد ا عزام بل صاحب أكبر تنظيم عربى قتالى.
دوائر الإستخبارات الناشطة على ساحة بيشاور حاولت الترويج لنظرية أن بـن لادن له يد فى إغتيال الدكتور عزام بدافع المنافسة، وأن ما حدث هو صراع مـسلح بـين جماعات إرهابية فى بيشاور للسيطرة على الساحة.أى أنهم حاولوا الإيهام بـأن مـا يحدث فى بيشاور هو شبيه بما حدث على الساحة الأمريكية فى الثلاثينات، من حرب بين عائلات المافيا، من أجل السيطرة على أسواق الأربـاح غيـر المـشروعة فـى مجالات الجريمة المنظمة.
لم يكن الطرح مقنعاً لأحد رغم محاولات كثيرة للترويج من جانب بعض المـستفيدين ممن يعملون في مشاريع عزام فى بيشاور.
نظرية أخري أكثر معقولية تقول بأن بن لادن جرى الإحتفاظ به لأن مدة "صلاحيتة" لم تنته بعد.
وأن المخابرات السعودية سحبته من ساحة بيشاور، ثم حجبته عنها ومنعته من السفر ومغادرة السعودية، إلى أن جرى تنظيف ساحة بيشاور من عقبتها الكبرى المتمثلة فى الدكتور عزام الذى سار فى " الإتجاه الخاطئ".. أى فى إتجاه فلسطين.. وهـو خـط أحمر محاط بالألغام فى وجه العمل الجهادى العربى.. خاصة إذا كان ذو عمق دولي تلاحم على الأرض الأفغانية، ويتبنى أسلوبها فى العمل المباشر.

* أما برنامج بن لادن فلم يكن سرياً هو الآخر، وكان يذكر صراحة ضرورة تحرير جنوب اليمن من الحكم الشيوعى، وبنفس الإسـلوب الأفغـاني، وكانـت إتـصالاته وتجهيزاته تدور كلها فى هذا الإطار.
أما الساحة الأفغانية لديه فكانت مجرد ساحة تدريب- أو إعداد للمواجهة الحاسمة على أرض اليمن. وكان يرغب فى تدويل المواجهة إسلامياً- على النمط الأفغانى أيـضاً، أى أن يكون هناك تواجد إسلامى جامع على أرض اليمن كما هو الحال على الأرض الأفغانية، لأجل هذا أنشأ تنظيم القاعدة تحت شعار دولية الجهاد.. وكان يعنى تحديـداً تدويل الجهاد فى اليمن.
كان المشروع بوجه عام متوافقاً مع المطامح السعودية التى تنزع إلى السيطرة علـى اليمن، أو على الأقل إبقائه ضعيفاً متحارباً ممزقاً ثم التوسع تدريجياً على حسابه، مع الإحتفاظ بالمناطق الشاسعة التى إنتزعها آل سعود من اليمن الضعيف علـى مـدى العقود الماضية.
وأمريكا من جهتها ترحب بمشروع مثل ذلك، سوف يساعدها فـى تطهيـر مواقـع إستراتيجيه على مضيق باب المندب، /بوابة إسرائيل الجنوبية /والبحر الأحمر الـذى كان يوماً بحيرة إسلامية داخلية محظورة على الصليبيين، وأيضاً على بحر العـرب وشواطئ القرن الأفريقى.
كان لابد من مطاردة بقايا النفوذ السوفيتى، وإستبعاد عملائه السابقين، وزرع قوى جديدة لاترى معبوداً إلا فى البيت الأبيض.. يجب أن تطوى أعلام موسكو من العالم العربى كما طويت قبلاً أعلام لندن وباريس.
لكن السيطرة على بن لادن لم تكن أمراً سهلاً، فخلقه الدمث يخفى طبيعة جواد جامح، لايستطع أحد السيطرة عليه، ولا يستطيع هو السيطرة على نفسه.
فإحتجازه فى السعودية كان أمراً صعباً.. فقد إعتبره مواطنوه بطلاً مجاهداً، وإستقبل فى المساجد إستقبال الأبطال.. وفى خطاباته القليله، داس على العديد مـن الألغـام.. فهو مرة يطالب بالمقاطعة الإقتصادية لأمريكا بإعتبارها عدوا للمـسلمين..، ومـرة أخرى يطالب بتدريب الشباب السعودى للدفاع عن بلادة، محذراً من صـدام حـسين وطموحاته التى تهدد الأرض المقدسة.
بينما كانت السعودية تبرم الإتفاق تلو الآخر مع حاكم العراق، والعلاقات بينهما فـى ذروة التألق، أو هكذا يظهر. ولكن الحقيقه أن صدام الذى فرغ من حربه مع إيـران، بدأ يطالب السعودية ودول الخليج بدفع المزيد من الفواتير لبنـاء العـراق، وهـؤلاء بدورهم يصانعونه من جهة، ثم يخفضون أسعار النفط فـي الـسوق الدوليـة التـى يغرقونها بالإنتاج، حتى لايستطيع العراق إعادة بناء نفسه أو تمويل مشاريع توسـعية قد تطالهم فى المستقبل القريب.
سحبت السلطات السعودية جواز السفر الخاص بأسـامة بـن لادن ومنعتـه مـن الخطابة فى المساجد، وطالبته بالتوقيع على تعهد بعدم الخطابـة أو الإدلاء بأحاديـث عامة. وأخيراً طالبت عائلته، القريبة من القصر، أن تسيطر على إبنهـا الجـامح إذا أرادت ألا تطاله عقوبة ملكية.
إلى هنا والخلاف كان ممكن تطويقه وأن يبقى مشروع بن لادن ضـمن المـشروع السعودى فى جزيرة العرب، أى ضمن إستراتيجية أمريكية أوسع للمنطقـة العربيـة كلها.

ولكن إجتياح جيوش صدام حسين للكويت، وما ترتب عليـه مـن نـزول القـوات الأمريكية إلى أراضى السعودية وعلى مرمى حجر من المقدسات الإسلامية الكبرى، أدى إلى إنقلاب موازين العلاقات وظهور "معارضة إسلامية" داخل المملكة تطالـب "بالإصلاح!!".
وظهرت رموز مثل الدكتور "المسعرى" "وسعد الفقيه" تمكنا من الفرار إلـى أوروبـا ورفع أصواتهما بشكل غير مسبوق.
وإضطر بن لادن لاحقاً أن يفر إلى السودان ويشكل هو الآخـر جناحـاً "إعلاميـاً" معارضاً حاول أن ينطق من الخرطوم.
ولكن العاصمة الإسلامية الجديدة لم تكد تتحمل سوى بضعة بيانات وما ترتب عليهـا من ضغوط سعودية مدعومة أمريكياً، حتى وجد بن لادن نفسه على ظهـر طـائرة سودانية خاصة تحمله إلى .. جلال آباد!!! .
فهل كانت مصادفة جيدة الإعداد؟ .
وكيف فهموا أنه إذا إكتمل قطبى المعادلة: بن لادن وجلال آباد تولدت الكارثة ؟؟.
***

## المرحلة الرابعة (1990-1992): رجال بلا قيادة

غابت القيادات الكبيرة و"التاريخية" عن الساحة العربية فى أفغانستان بإغتيال عبـدا عزام ومن قبله إحتجاز بن لادن فى السعودية. ومع ذلك شهدت تلك المرحلة ظهـور عدد كبير من القيادات الشابة والتنظيمات "القطرية" الجديدة على ساحة جلال آباد.
أكثر هذه التنظيمات تفكك بمجرد خروج أفرادها من ساحة القتال العقيم فـى جـلال آباد.. وبعضها إستمر لفترات طويله أو قصيرة خاصة تنظيمات ليبيـة وجزائريـة. إضافة الى تنظيمات إسلامية فى مناطق نائية عن الإنتباه مثل أندونيسيا وبـنجلادش والصومال.. والصين الشعبية!! .
كان مستحيلاً تجميع هذا الطيف الواسع فى حزمه ضوئية واحدة.
وطرح بن لادن لموضوع "الجهاد العالمى" الذى أسس حوله تنظيمة الجديد "القاعـدة" كان مجرد محاولة لتحويل الزخم الإسلامى فى أفغانستان نحو ساحة جديدة هى اليمن.
وتنظيم الجهاد المصري الذى إندمج معه بالكامل "ظاهرياً" كان يأمل بتحويل إمكانات وطاقة بن لادن الدافعه نحو مشروع الجهاد فى مصر.
إذن دعوة عالمية الجهاد التى طرحت على الساحة العربية فى أفغانستان كانت مجرد ذريعة لتقوية مشاريع قطرية".
وقد عانى التحالف الإندماجى بين القاعدة والجهاد من عدة تمزقات وحالات "طلاق" ثم "عودة" بشكل متتابع إستمرت إلى هزيمتهما معاً فى الحرب الأخيرة ضـد الولايـات المتحدة.
* هناك طروحات أقل شهرة وكانت ذات تأثير كبير فى السنوات التالية، وكلها نبتت فى تربة جلال آباد، وجميعها قام عليها سعوديون تمويلاً وتنفيذاً وإبداعاً.
* طرح قال أن عالمية الجهاد تعنى: الجهاد فى ساحات إسلامية بعيدة عن المنطقـة العربية والتى يكون الوصول إليها ممكناً، ويكون المسلمون قد تحركوا فيها فعلاً.
وهذا الطرح كان مرضياً عليه بشكل ضمني من السلطات السعودية وشجعه العلماء بالفتاوى ثم وجهوه فى الإتجاهات الأمريكية المطلوبة.
كان هذا الفريق أول من تحرك لاحقاً صوب البوسنة، ثم الشيشان. وجزء آخر تحرك

أولاً صوب طاجيكستان ثم إنسحب منها وتوجه صوب الشيشان وكان يقوده "خطاب"، الذى أضحى نجم الشيشان اللامع.

تيار صغير للغاية، تأثر بأفكار بعض الذين عاشوا وتعلموا فى أمريكا وأعتقدوا أن جبهتها الداخلية مليئة بالثغرات، وأن توجيه الضربات الى "البطن الأمريكى الرخـو" هو أفضل التطبيقات لعالمية الجهاد ولخدمة الإسلام والمسلمين.

من قادة جلال آباد /السعوديين الشباب/ تبنى هذا الطرح "أسامة أزمراى" وعدد مـن أصدقائه ودعمه "رمزى يوسف" صاحب ومنفذ فكرة ضرب مبنى مركـز التجـارة العالمى في نيويورك.الذى أدى ضربه فى عام 1993فى عهد الرئيس كلينتون إلى بدء الحرب الأمريكية الأولى ضد "الأفغان العرب". كما أدى تدميره عام 2001 على يـد شباب من السعودية إلى نشوب حرب صليبية كاملة فى عهد بوش الثـانى، وشـملت أفغانستان وفلسطين وباكستان ووصلت إلى أندونيسيا والفلبين.

الطرحان السابقان تحققت فيهما- وبدرجات متفاوته، مساهمة متعددة الجنسيات أثنـاء التنفيذ، وبعض التأثير الفكرى لجنسيات غير سعودية خاصة فى حالة "الجهـاد ضـد أمريكا" بشكل مباشر، والتى كانت جديدة تماماً على ساحة العـرب الأفغـان عامـة، وعلى السعوديين خاصة.

إنتشر العرب فى تلك المرحلة على مساحة واسعة من الأرض الأفغانية ولكـن أهـم تجمعاتهم تأثيراً كانت فى جلال آباد وخوست. ولكل تجمع سماته الخاصة وتأثيراتـه على المسيرة العربية وحتي الأفغانية.

جلال آباد إتسمت بإنتشار واسع جداً لمعسكرات التدريب العربية والتى تشرف عليها جماعات جهادية قدمت إلى الساحة أو تكونت عليها حديثاً.. ونتيجة لفشل الحملة على المدينة وتحول القتال إلى إستنزاف عقيم . خف الحماس للقتال وتحول إلى ما أسـمته الساحة العربية "الإعداد" وهو مصطلح غامض له تفسير خاص لدى كل جماعة.

وبعد إختفاء الزعامات الكبيرة حاول (الإخوان الدوليون) الهيمنة على الساحة بعناصر غير معروفه، ومعسكرات أقيمت فى جلال آباد بعناصر إخوانية عراقية، وبعض من فلسطينى الأردن ولكنهم لم يحققوا نجاحاً يذكر.

القاعدة والجهاد.. تحولا إلى هذا الإعداد، وأكثروا من المعـسكرات التدريبيـة. وإن كانت القاعدة إنسحبت تدريجياً من جلال آباد وركزت جهدها على معسكرات خوست، التى عملت بطاقة تدريبية واسعة جداً تصل الى خمسئه متدرب شهرياً.. معظمهم من السعودية.

..عانت المعسكرات من التكدس وضعف الإنضباط ومراعاة مستوى الرفاهية فى الحياة السعودية العادية، ماعدا فترات قليلة من التقشف أدت إلى إنصراف الزبائن إلى معسكرات أخرى. فعادت الأمور إلى التوسعة المعيشية والإنضباطية فى المعسكرات وبالتالى ضعف مستوى التدريب مع غزارة فى التبرعات.

وكانت تلك سمة عامة لدى كل معسكرات العرب التى تميزت بالتبـذير والإسـراف الذى أثار حفيظه الأفغان وحسدهم.

الطيران السوفيتيى والأفغاني لم يضايق تلك المعسكرات إلا نادراً، وهو أمر غـامض ليس له تفسير واضح إلى الآن، وربما كان ذلك النشاط موضع رضـا دولـى مـن الكتلتين الأعظم، لسبب ما.

وقد يكون الرضا ناتج عن حاله الفوضى الفكرية والتنظيميـة وضـعف مـستويات

التدريب، والمخططات المستقبلية البراقة جداً لجماعات مبعثرة عديمة الخبرة أثبتـت الأحداث مأساوية نشاطاتها. وربما كان كل ذلك ليس غائباً عن فطنة العيون الدوليـة اليقظة.. التى تتابع الصحوة الجهادية العربية فى أفغانستان.التى كانت بـشكلها هـذا تبشر تلك القوى بأنها "صحوة الموت" وليست"صحوة إنبعاث" لأمة ممزقة.
أشارت نزعة "الإعداد" والإنتشار المفرط للمعسكرات التدريبة إلى "عسكرة" مبالغ فيها لفكرة الجهاد،. ثم الثقه التى لا مبرر لها فى الـنفس وفـى قـدرة "التنظـيم" علـى مواجهه"الطواغيت" وهزيمتهم. والإستعلاء على من هم خارج التنظيم من "الأغيـار"، ليس فقط من الأفراد العاديين من المسلمين بل /وعلى وجه أخص/ مـن المنافـسين الجهاديين الذين يشتركون معهم فى رؤى شبة متطابقة.
فى هذا الجو الفكرى كانت "السلفية" خير متراس عقائدى وسيف إنتقـام دينـى مـن الجميع، مسلمهم وكافرهم، أى كل من هم خارج الجماعة أو التنظيم.. أو العقيدة!!
ربما لأجل تلك الحالة التى (لاتسر صديق) قرر الأعداء التغاضى عن تلك الظـاهرة، أن لم يكن دفعها إلى الأمام، وتزكية الشطحات الفكرية والتنظيمية، وأغداق التمويـل الملكى والسلفى عليها.
لعلها كانت المرة الأولي فى التاريخ الحديث التى تفتح فيها معسكرات التدريب أبوابها لكل من هب ودب تحت شعار "إعداد الأمة".. وكان معلوماً للقائمين على المعسكرات أن أعداداً كبيرة من " عيون" الطواغيت دخلت وتدربت وربمـا توظفـت فـى تلـك المعسكرات.
فقد دخلت عملية الإعداد فى إطار المنافسة بين التنظيمات العربية فى تلك المرحلة.
فكانت وسيلة لإجتذاب الشباب الجدد. فيتم تدريبهم على كل ما يرغبون فيه مما تقدمه تلك المعسكرات من دورات، ثم.. لاحقاً.. يعـرض علـيهم الإنـضمام للتنظـيم أو الجماعة!!.
. ولم يكن مجدياً كل صيحات لفت النظر، التي وجهت إلى كبار القائمين على تلـك اللعبة، من أن العالم كله يدرب أجهزة عسكرية / أو أمنية/ بعينها تم إختيارهـا ثـم إعدادها لتنفيذ برامج محددة ضمن خطط واسعة تغطى متطلبات الدولة ، أو التنظـيم، على المدى البعيد، وهى خطط ومتطلبات سياسية فى جوهرها.
فليس هناك فى عالم اليوم أو أمس أو الغد شئ أسمة عمل عسكرى قائم بذاته مـستقل بكيانه إلا لدى فرد- أو على الأكثر مجموعة صغيرة جداً من الأفراد/ مختله عقليـاً/ تلتذ بعمليات القتل أو تتعبد بها شياطينها.
# ظلت هذه الظاهرة موجودة وفاعلة، ومدمرة على الوجود العربى حتى عودة العرب مرة ثانية إلى أفغانستان، وظهور بن لادن كوهج إعلامى مبهر للعيون ولكنـه ظـل غارقاً فى تنافس مع جماعات العرب الأخرين، عبر إغراءات التدريب، ضمن صراع لتجنيد عناصر جديدة تفد إلى أفغانستان بشكل عابر أو دائم.
#"البطولة" كانت السمة البارزة للإداء القتالى العربى فى أفغانستان. حتى أنهم سرقوا الأضواء فى جلال آباد تحديداًمن المجاهدين الأفغان.
بطولة العرب وحرصهم على الشهادة هى حقائق لاشك فيها، والذى لاريب فيـه أن تلك السمات العالية لم يستفاد منها بشكل جيد، إن لم يكن قد أسئ إستخدامها عن سوء نيه أحياناً- وكما حدث تحديداً فى جلال آباد.
أما خوست فهى المكان الوحيد تقريباً الذى تم فيه توظيف الأداء القتالى الباسـل

للمجاهدين العرب بشكل مجدى عسكرياً فى ذلك القطاع الهام. والتى أدت بدورها الى إحداث تصدع رئيسى فى البنية العسكرية السياسية للنظام عندما نجح المجاهدون فـى فتح المدينة فى مارس 1991م، وقد سقط النظام بالفعل بعد عام تقريبـاً مـن سـقوط خوست.

ولا شك ان العرب كانوا من نجوم ذلك الفتح، وضمن صانعيه على أرض المعركة.

أهم مجموعة قتالية للعرب فى أفغانستان كانت فى خوست، بقيادة "أبـو الحـارث الأردنى" وهو شاب من بادية الأردن، جاء إلى الساحة الأفغانية بتأثير دعوة الـدكتور عزام الذى كان يعيش فى الأردن، ولكن أبو الحارث لم تحتويه دوامة عبد ا عـزام بل وقف معارضاً بهدؤ لكل إنحرافات بيشاور العربى منها والأفغاني، معتكفـاً فـى ميادين القتال فى خوست، عاملاً بشكل لصيق مع قوات جلال الدين حقانى الذى بادله الإحترام والثقة.

إتخذ أبو الحارث أركان حرب لمجموعته مكون من عدد قليل من شباب الأردن ذوي الأصول الفلسطينية، مع عدد من جنسيات عربية متنوعة، ورفـض أي نـوع مـن الوصاية التى حاولت جهات عربية عديدة فرضها عليـه، مثـل مكتـب الخـدمات، والإخوان المسلمين، وغيرها. ورفض مبدأ (التمويل مقابل الهيمنه) والذى كان معمولاً به على نطاق واسع فى إجمالى الساحة الأفغانية والعربية.

وبعد فتح خوست تكاتفت عدة جهات عربية على تفكيك مجموعة أبو الحارث وشـقها على نفسها، ونجحوا فى ذلك بعد إستسلام مدينة "جرديز" حيث عزلـت المجموعـة مؤسسها أبوالحارث واستولى (أبو معاذ الخوستى) رئيس أركان حربه- على القيـادة بناء على قرار مجلس الشورى.

وقاد أبو معاذ مجموعته إلى جانب حكمتيار فى قتاله ضد حكومة ربانى حتى قتل فى أحد تلك المعارك، ثم أضمحلت المجموعة من بعده وتلاشت.

...مع نشوب معركة جلال آباد، ظهرت لهجة العداء الغربـى والتحـريض ضـد التواجد العربى فى أفغانستان، وأخذت تتصاعد بوقاحة ووحشية، مع تحذير السلطات الباكستانية نفسها للعرب بضرورة المغادرة قبل أن تبدأ حملة ضدهم، قالت بأن أمريكا ومعها حكومات عربية تضغط لبدئها. وإدعوا بأنهم لن يستطيعوا الصمود طويلاً أمام الضغوط الأمريكية والعربية.

ومع فشل حملة المجاهدين على جلال آباد، ومغادرة بن لادن الـساحة، ثـم إغتيـال عبدا عزام، هبطت معنويات العديد من العرب، وبدأوا فى التفكير فى مغادرة ساحة أفغانستان التى تشرب المزيد من الدماء وتقدم القليل من الأمل.

رافق ذلك دعوة حارة ومهذبة من جانب شباب السودان، ممن كـانوا قـريبين مـن الساحة الأفغانية وعملوا فيها ضمن أعمال الإغاثة، ثم تولوا مناصب حكوميـه فـى السودان، بعد "الإنقلاب الإسلامى" الذى نفذه الجيش تحت رعاية "الجبهة الإسـلامية" بقيادة حسن الترابى فى عام 1989م.

كان هؤلاء فى قمة الحماس والمثالية ودعوا العرب العاملين بنـشاط علـى الـساحة الأفغانية أن ينتقلوا نحو السودان لبنائها، كدولة إسلامية كبيرة ذات إمكانات، ومهـددة من الغرب الصليبى الزاحف من الجنوب مع قوات "جون جارانج".

تحسست بعض المنظمات الجهادية طريقها إلى هناك وأرسلت الطلائع إلى الخرطوم.

وكان بن لادن وتنظيم الجهاد من الأوائل فى هذا المجال.
نقل بن لادن مرتكزاتة الإقتصادية إلى الخرطوم بشكل تدريجى إلى أن إنتقل نهائياً إلى هناك مع كامل تنظيمه، خاصة بعد بدء الحملة الشعواء ضد العرب فى باكستان فى مارس 1993التى أدت إلى تنظيف بيشاور من العرب، ونزوح معظمهم إلى خارج باكستان. والقليل منهم إختفى فى أرجائها الواسعة، وأقل القليل لجأ إلى أفغانستان مواصلاً السعى لتحقيق حلم إسلامى لم يكتمل.
** ورغم أن المرحلة كانت بداية إنحسار التواجد العربى من أفغانستان إلا أنهم حققوا فيها أفضل إنجازاتهم العسكرية.
...فمن مشاركتهم البارزة فى خوست، إنتقلت مجموعة أبو الحارث إلى جرديز وشاركت فى حملة قوية على المدينة فى شهر أكتوبر من نفس العام. وكانت حملة ذات بداية موفقه تمكنت فيها قوات المجاهدين من تحطيم خطى الدفاع الأول والثانى فى أندفاعة واحدة أوصلتهم إلى الحافة الخارجية للمدينة. لولا أن الإمدادات الحكومية وصلت إليها فى اللحظة الحرجة..بعدما رتبت المخابرات الباكستانية كسر طوق الحصار وفتح الطريق الذى يصلها بالعاصمة كابول .

## المرحلة الخامسة: الفوضى العربية العظمى (92-1993)

داهم الشتاء المجاهدين فتأجلت حملتهم على جرديز إلى الربيع، ولكن المدينة إستسلمت فى إبريل 1992م. ثم لحقتها عدة مدن منها العاصمة كابول.
فى تلك الفترة كانت "القاعدة" قد تمكنت من تجهيز قوة "نظامية" هى الأفضل تدريباً وتجهيزاً بين كل التشكيلات العربية التى شاركت فى طول تجربة أفغانستان وكان مقرراً أن تشارك تلك القوة فى العمليات النهائية على مدينة جرديز. ولكن الفرصة لم تتح لها بسبب إستسلام المدينة بدون قتال.
وقد تبخرت تلك القوة سريعاً و بشكل درامى، فلم يبقى لها من أثر.
بدأت "القاعدة" فى الرحيل النهائى صوب السودان، فتتحول هناك إلى ما يشبه "التنظيم الزراعى، " لكون الزراعه كانت أبرز أعمال القاعدة فى تلك الفترة.
وكما تبخرت القوة النظامية للقاعدة فى جرديز، تبخرت مجموعة أبو الحارث، فقد عزلت المجموعة قائدها "التاريخى" وتولى أمرها "أبو معاذ الخوستى" الذى كان بحق من أفضل من قاد عمليات أرضية تكتيكية بين العرب وأكثرهم توفيقاً.
ولكنه توجه إلى مساندة حكمتيار فى صراعه ضد حكومة ربانى.
ورغم إتضاح زيف هذه المعركة إلا أن أبو معاذ إستمر بعناد فى خوضها حتى لقى حتفه فى إحدى المواجهات، فإنتهت بذلك أفضل مجموعة قتالية للعرب فى أفغانستان.

### كتيبة اليرموك

.وأثناء معركة حكمتيار ومسعود، ظهرت فجأة "كتيبة اليرموك" التى أسسها شاب أمريكى من أصل سورى. ويدعى أبو روضة وكانت الكتيبة ذات تمويل جيد وكثافة بشرية من عناصر عربية جديدة لم تحضر إلى أفغانستان قبلاً.
وكان "أبو روضة" متحمساً لشخص حكمتيار بشكل كبير. وقد لقى حتفه فى أحد الإشتباكات حول كابول، وآلت الكتيبة إلى نائبة "أبو سليم" لكنه لم يستطع الحفاظ عليها بسبب رغبته فى الإشراف على الكتيبه التى تقاتل على أعتاب كابول بينما هو فى

فيلته الأنيقة فى إسلام آباد. فتحللت "كتيبه اليرموك" أيضاً، وكانت آخـر المـشاريع العسكرية للعرب فى أفغانستان أثناء تلك المرحلة.

## مشروع الخلافة

آخر المشاركات (الفكرية) و(الحضارية) للعرب فى أفغانستان كان مشروع الخلافـة. فأحد العرب من رعايا بريطانيا العظمى، طرح فكرة إعلان خلافة إسلامية حقيقية فى كابول.

وبالطبع صاحب الفكرة قدم نفسه كخليفة، وحصل فوراً على بيعه البعض، وكان ذلك كافياً، (حسب إجتهاد فقهى معين) لأن يكون ذلك ملزما لكافة المسلمين، وأن الـذى سيمتنع عن أداء البيعه أو من يجرؤ بعد ذلك على طرح نفسه كخليفه للمسلمين (فى مشارق الأرض أومغاربها) سوف يعاقب بالقتل !!

الغريب أن عدداً كبيراً من العرب أسرع إلى البيعه، بما فـيهم قـدماء فيمـا يـسمى "بالحركة الإسلامية"!!

جنود الخليفه قاموا بعمليات إختطاف وقتل ومعارك بالأيدى مع مخالفيهم، وهددوا من لم يبايع من عرب بيشاور بالقتل وسبى النساء والأطفـال وخطفهـم مـن الـشوارع والبيوت.

فأثاروا موجة ذعر بين العرب دفعت عديدين إلى الهجرة.. وربما كان ذلك مقصوداً.

.مع إزدياد الجرائم، وتدخلات الشرطة وتحفز أوساط العرب فى بيشاور إضطرت "الخلافة" إلى الإنسحاب إلى مناطق حدودية ولاقت تعاطفاً من أوساط تجار المخدرات هناك، ولكن سرعان ما اكتشف أتباع الخليفة أن تلك القبائل نفسها لـم تـدخل فـى طاعتة، فإشتبكوا معهم. فطردتهم تلك القبائل إلى مقاطعة كونار الأفغانية التى بقـوا فيها بعد أن فقدوا معظم قوتهم البشرية بين قتيل وسجين وتائب.

وبقى الخليفة البريطانى يصدر الفرمانات المضحكة المبكية، مثـل أوامـره لأهـالى فلسطين ألا يزرعوا شجر الغرقد حتى لا يختفى اليهود خلفه أثناء المعركة الفاصـلة معهم.

كما وأباح الخليفة تعاطى الحشيش، وحرم إستخدام العملة الورقية، وأمر أتباعة بحرق جوازات سفرهم (بينما إحتفظ هو بجوازه البريطاني وغادر به لاحقاً إلى بريطانيا!!).

.وما أن وصل بن لادن إلي جلال أباد عائداً- أو مبعداً- من السودان حتي جـاءة رسل الخليفة برسالة تطالبه بأداء البيعة وإلا.. ثم قال أتباع الخليفة، أن واجب حركة طالبان مبايعة الخليفة، ولكن هؤلاء أيضاً لم يستجيبوا، وسيطروا علـى جـلال آبـاد ووصلوا الى حدود "كونار".

لم يكد يتبقى أحد حول الخلفية، فعاد إلى موطنه فـى الجـزر البريطانيـة، تاركـا للمسلمين مهمة البكاء والحسرة على أمجاد آخر خلافة إسلامية فى تاريخهم .

.بهذا يمكن القول أن الفراغ الذى حدث فى الساحة العربية بغياب القيادات الكبيـرة بعد إغتيال الدكتور عزام _ واحتجاز بن لادن فى السعودية وبدء رحيل عدد كبير من قدماء العرب والتنظيمات العربية خارج بيشاور، هذا الفراغ إجتذب بـشكل غـامض عناصر عربية من الغرب وتحديداً من بريطانياوالولايات المتحدة ، ومعهم جاء أهـم مشروعين عربيين على الساحة العربية فى أفغانستان بعد فتح كابول فى (إبريل 1992م) وهما مشرع (كتيبه اليرموك) ثم مشروع (الخلافة الإسلامية) كما سبق وذكرنا.

ومن الصعب أثبات أو نفى أن لحكومة البلدين يد فى هذين المشروعين سواء بـشكل

مباشر أو غير مباشر.

** في فورة الإنفعال بإستسلام مدينة جرديز، مع ما بها من قوة عسكرية ضخمة، أثارت الدهشة، قدم قادة ميدانيون أفغان، عرضاً لإخوانهم وشركائهم فى الفـتح مـن العرب أن يقيموا معهم فى المنطقة بشكل دائم، وأن يعطوهم مجاناً قطعاً كبيـرة مـن الأرض العامة التابعة للدولة، ويقدموا لهم أيضاً معسكر تدريب حكومى ضخم، وقالوا أنه من وجهة نظر شرعية فإن حقوق العرب الذين شاركوا فى الفتح تتـساوى مـع حقوق الأفغان!!.

وعرضوا عليهم إستلام هذه الحقوق والثبات فوق هذه الأرض.

نُقلت وجهت النظر تلك إلى وجهاء العرب فى بيشاور، أو من تبقى منهم، مع نصائح مغلظة بعدم ترك أفغانستان لأن النوايا الأمريكة واضحة فى العزم علـى مطـاردتهم وإستئصالهم بأى حجة كانت، وتهمة الإرهاب جاهزة، والأنباء تأتى من المسلمين فى أمريكا من أن الإحتكارات الأمريكية تتكلم عن ثروات أفغانستان الضخمة والتى لـم تستثمر بعد.!! وعزم تلك الشركات القدوم إلى أفغانستان لولا وجود عـدة آلاف مـن "الإرهابيين العرب" الذين يجب إقتلاعهم أولاً من هناك.

كان كبار العرب يستمعون الى العرض الأفغاني، والتحذيرات المرافقه له، بينما هـم يحزمون حقائبهم ويحجزون تذاكر السفر.

أما الباقون فلم يكونوا يتخيلون شكل المستقبل، وكل منهم منشغل فى بـرامج اليـوم، ولاشأن له بما يأتى به الغد.

كان إهدار تلك الفرصة واحداً من أهم أخطاء العرب فـى كـل الحـرب الأفغانيـة (الأولى) فالذى حدث هو أن عملية المطاردة التى بدأت بعد ذلك بعام تقريباً، أطاحت بالسواد الأعظم منهم، بين قتيل وسجين ومطارد ومشرد وملاحق. حتى أن تنظيمـات كاملة تلاشت من خارطة الحياة العملية. والقليل الذى تبقى عاد محطماً منكسراً إلـى أفغانستان تحت وطأة إبعاد من السودان ومطاردات فى اليمن، وملاحقات فى أوروبـا ودول الغرب.

عادوا إلى أفغانستان أشد ضعفاً وأقل تماسكاً ليكرروا نفس الأخطاء القديمـة إضـافة لأخطاء جديدة تتناسب مع تطورات المرحلة!!

حتى كنستهم الحملة الأمريكية مرة أخرى خارج أفغانستان فى خروج إجبـارى هـو الأسوأ، حتى أننا يمكن تسمية "بالخروج الأخير للعرب من أفغانـستان" ولابـد مـن حدوث معجزة حتى تتبدل تلك التسمية إلى ماهو ألطف منها.

. وقت تقديم العرض المذكور كان للعرب على الأرض الأفغانيـة "كتلـة قتاليـة" يحسب لها ألف حساب إذا تجمعت تحت قيادة واحدة.

وكان لديهم عدد من القادة العسكريين الممتازين، وكميات ضخمة من أفضل الأسلحة والذخائر. وكان بينهم أعداداً كافية من القدرات المدنية التى يمكنهـا تـشييد أركـان مجتمع عربى متميز فى المجالات الإقتصادية والتعليمية والطبية.

ولكن العالم كان يعامل العرب فى أفغانستان ومازال كأنهم كتلة واحدة، والحقيقة التى لا يجهلها أحد أن العرب دوماً قلوبهم شتى وعقولهم شتى.. وكذلك تنظيماتهم.

---

**مشاريع العرب بعد فتح كابول**

بعد فتح كابول بدأت نشاط مكثف للإستخبارات العربيـة فـى بيـشاور، خاصـة السعودية والمصرية، إضافة إلى الباكستانية بطبيعة الحال.

هيئات إغاثة سعودية بدأت فى حث العرب للتوجه صوب البوسنة. وتكفلـت بتميـل رحيلهم "للجهاد" إلى جانب المسلمين هناك ضد الصليبيين من الكروات والصرب.

والذين لايرغبون فى الرحيل، وظفوا أعداد كبيرة منهم فى مشروع سعودى لإعمـار أفغانستان، نزل إلى الساحة بدعاية ضخمة، ووعود سـخية بتموويـل ضـخم مـن "المملكة". فإستوعب المكتب المذكور أعداداً لابأس بها من العرب، وطرحت عشرات المشاريع فى أفغانستان للعمل فيها.

وظهر بعد عدة أشهر أن الموضوع كله لايعدو كذبة كبيرة وتوقف كل شئ فجأة كمـا بدأ فجأة،مع فضائح كثيرة بإختلاسات مع سرقات مدعومة بفتاوى تكفيـر واسـتباحة لأموال المملكة.

وكانت دفعة فساد مركزة قال بعض العاملين فيها أنها كانت مقصودة لإتلاف ما تبقى من شخصيات عربية لها قيمة.

رحلت أعداداً لابأس بها من العرب إلى البوسـنية، وبـدأت المخـابرات الـسعودية مشروعها الجهادي الجديد، مع كل الخبرة التى إكتسبتها من أفغانـستان. وإسـتمرت أفواج الشهداء العرب تتدفق على البلقان حتى أتمت المطلوب منها بحضور القـوات الأمريكية، وهيمنة النفوذ الأمريكى على البلقان رغماً عن أنـف أوروبـا واتحادهـا الهش. لقد تكررت مأساة العرب فى البوسنة على النمط السابق فى أفغانستان، فمـن تبقى طرد ثم طورد واعتقل.. وتواصل الضغط على مجرد قرية عربية تبقت هنـاك، فاستوعب معسكر الإعتقال الأمريكى فى جونتانامو الكوبية عدداً منهم !! والبقية تأتى.

كرر العرب فى البلقان الدور الذى تدربوا عليه فى أفغانستان فأتقنوه وكـرروه فـى مناطق عدة فى العالم خاصة البوسنة و الشيشان- وهو دور (بغال التحميـل) التـى تحمل الأثقال الأمريكية إلى المناطق الخطرة فى العالم، وما أن يضع السيد الأمريكى قدمه ويحقق مآربة، حتى يطلق رصاصة الرحمة على رأس البغال المخلصة التى لم يسعدها الحظ بنيل الشهادة.. "فى سبيل ا "!!

* فى خريف عام 1992 وصل بيشاور وفد من حزب النهضه فى طاجيكستان يطلب مساعدة إسلامية لمواجهة مجازر تقوم بها الحكومة والعناصـر الـشيوعية الـسابقة، وبمساعدة من الجيش الروسى الموجود فى البلاد.

ثلاث مجموعات من العرب التحقوا بالمشروع الطاجيكي إستجابه للإسـتغاثة التـى حملها نائب حزب النهضة الإسلامية ( محمد شريف ).

**المجموعة الأولى**: قادها "خطاب" الذى نقل مجموعته القتالية من جلال آبـاد إلـى نقطة على الجانب الأفغاني من نهر جيحون المواجه لطاجيكستان وإنضم إليه عدد من الطاجيك والأفغان وبدأ برنامجاً قتالياً قاده بنفسه بعد أن رتب لبرنامجه خـط تمويـل قادم من السعودية.

**المجموعة الثانية**: كانت من المستقلين الذين تبنوا مشروعاً لتدريب قوة قتالية مـن حزب النهضه تكون عماد عمله الجهادى فى طاجيكستان.

**المجموعة الثالثة**: من المتطوعين الفرادى الذين عبروا نهر جيحون مع مجموعات

طاجيكية للقتال إلى جانبهم، وقد شارك هؤلاء فى عدة عمليات . وسجل العديد منهم بطولات أسطورية، فتسببوا فى كوارث للقوات الخاصة الروسية، وأثاروا فزعاً حقيقياً فى صفوف القوات الروسية العاملة فى طاجيكستان، والمناطق الحدودية المحازية لنهر جيحون بشكل خاص.

بعض هؤلاء شوة تلك الصورة الناصعة وتحرك فى طاجيكستان كى ينشر "العقيدة الصحيحة" فأثاروا الفتن فى صفوف المجاهدين والأهالى.فكانوا واحداً من الذرائع لإبعاد العرب عن الساحة الطاجيكية.

**لم تستمر التجربة العربية فى طاجيكستان طويلاً.. وذلك لعدة أسباب :**

كان مطلباً سوفيتياً ثم روسيا أساسياً.. ألايعبر" الإسلام الأصولى" نهر جيحون، وعلى هذا الأساس وافقوا على الإنسحاب من أفغانستان.

وكانت أمريكا ضامنة لهذا الشرط، والدول المحيطة بأفغانستان موافقة وضامنة أيضاً لهذا الشرط. ولكل منها أسباب الخاصة.

لقد نجحت أمريكا فى إيجاد توافق إقليمى تجاه رؤيتها لأوضاع أفغانستان.

وفقد التيار الإسلامى، الأفغاني والعربى- أى قيادة ذات جدارة تكون قادرة على إيجاد إتفاق إسلامى محلى ثم إقليمى حول أوضاع أفغانستان فقد أثاروا مخاوف الجميع، وتحالفوا بإجتهاد مع أعدائهم !!.

إذن فعبور العرب لنهر جيحون فى عام 1993 م. كان سباحة ضد التيار السياسى الدولى المعادى للأصولية فى ذلك الوقت ثم (للإرهاب) فى فترة بن لادن الأفغانية، وفى كلا الحالتين كان الإسلام هو المستهدف. وبدأوا معه (بتقليم الأظافر).. أظافر الدفاع الممثلة فى الجهاد (كفكرة) والمجاهدين (كتجسيد لهذه الفكرة).

قدمت الولايات المتحدة، بواسطة سفيرها فى العاصمة الطاجيكية، وقدمت إسرائيل بواسطة متمولين يهود من أبناء المنطقة، مساعدات قيمة للحكومة الطاجيكية، كى تصمد ثم تهزم الحركة الجهادية فى بلادها، والمد الشعبى الإسلامى فى الشارع الطاجيكي الذى أثارته إنتصارات المسلمين الأفغان.

ولكن اللطمة القاضية للعمل الجهادى في طاجيكستان، جاءت على يد حكومة المجاهدين، فى كابول!! ،والتى كان يرأسها الزعيم (الأصولى حسب التصنيف الأمريكى) برهان الدين ربانى ورئيس وزرائه ومستشاره الأول عبد الرسول سياف، الزعيم الأصولي حسب التصنيف السابق، والحاصل مرتين متتاليتين على جائزة الملك فيصل فى (خدمة الإسلام !!!!) ثم وزير الدفاع أحمد شاه مسعود، أسد بانشير والحاكم الفعلى فى كابول.

هؤلاء الثلاثة فى لقاءات متتابعة مع زعيم حزب النهضة عبدا نوري بعد أن إستدعوه من طالقان فى شمال أفغانستان إلى العاصمة كابول تحدثوا معه بروح (أخوية حازمة) حول مطلبين واجبى التنفيذ.

**الأول**: أن المشكلة الطاجيكية(لن) تحل إلا بتفاهم سياسى بين حزب النهضة وحكومة دوشنبة بقيادة رحمانوف.

**الثاني:** وجوب إستبعاد (العرب الأفغان) فى القضية الطاجيكية بشكل تام وفى أسرع وقت.

..بدأت النهضه بالتعاون مع وزير الدفاع الأفغاني أحمد شاه مسعود وبمتابعة حكومة ربانى برنامج طرد العرب من سواحل نهر جيحون وإقتلاعهم من قضية

طاجيكستان، وتم البرنامج بنجاح فى مدى زمنى وصل إلى عاميين تقريباً.
فنزح خطاب ومجموعته من شاطئ نهر جيحون إلى جبال الشيشان.
وتقطعت وشائج حزب النهضة مع معسكر الفاروق فى خوست.
"والعبرانيون العرب" الذين عبروا نهر جيحون إلى طاجيكستان عانوا مـن خـسائر بشرية وعزلة ومضايقات فعادوا أدراجهم محبطين.
وأنتهت بعودتهم أول قفزة (عسكرية جهادية) للعرب فيما "وراء النهر" منـذ القـرن الهجرى الأول!!.
ظاهرة ذات مغزى حدثت أثناء إنهماك مسعود وحكومة ربانى فى تـصفية القـضية الطاجيكية.
ذلك أن المهاجرين الطاجيك الذين فروا من المذابح إلى الأرض الأفغانية، عبر نهـر جيحون، قد تعرضوا للكثير من حوادث السطو، والإعتداء على الأعراض، وخطـف النساء، والزواج الإجبارى من الفتيات، على يد عصابات مسلحة من "المجاهـدين!!" السابقين من أبناء الشمال الأفغانى!!.
تركت تلك الأحداث أسوأ الأثر فى نفسيات المهاجرين، ودفعتهم إلى اتخاذ قرار العودة إلى بلادهم عندما عرض عليهم ذلك فى إطار "المـصالحة" مـع نظـام رحمـانوف الشيوعى.
وحتى قيادات النهضه (وجميعهم مازال قيد الحياة) أظهروا مشاعر النقمة على مسعود الذى أساء معاملتهم واغتصب القيادة الفعلية من بين أيـديهم، وعـين عمـلاءه فـى المناصب العسكرية الحساسة فى صفوف النهضة، وخاصة وزير دفاعهم "رضـوان" وكان مجرماً محترفاً قبل وصوله لذلك المنصب على يد مسعود ، بعـد أن أثـارت عليه الدعاية الروسية حملة ترويج واسعة على النمط الأمريكي لجعله بطلاً قومياً !!.
..قتل رضوان الكثيرين من المخلصين سواء من الكوادر العسكرية أو السياسية فى صفوف الحزب. تلك الأحداث الدامية بتفاصيلها المأساوية الكثيـرة، تـدل علـى أن إدعاءات مسعود ورباني الدفاع عن أقلية الطاجيك فى مواجهه الأكثرية البشتونية التي تمثلها حركة طالبان لم يكن إدعاء صحيحاً أو مخلصاً . فمعاناة الطاجيك على أيديهما كانت أبشع من معاناتهم على يد الشيوعيين. حتى أنهم فضلوا العـودة إلـى الحكـم الشيوعي فى بلادهم مرة أخرى، بدلاً من البقاء تحت رعاية حكومة ربانى، ورجـال مسعود.

****

## إضرب إضرب.. دمر دمر

..فى ظل فوضى النشاط العربى، وبؤرته جلال آباد منذ معركتها فى 1989 تنامـت تنظيمات شتى من النمط الميكروسكوبى، والأخطر هو مفاهيم غامضة جديدة شـاعت بشكل وبائى فى الوسط العربى مثل مفاهيم (الجهاد العالمى) و (إعداد الأمة).
وتمكن البعض من الحصول على تمويل سخي، وحدثت عمليات تحقق بهـا المعنـى المقصود من المفاهيم الهائمة سابقة الذكر.
...منها عمليات تفجير فى المناطق الإسلامية فى الصين، وظهـور تنظـيم سـلفى متشدد، على النمط السعودى، تبنى العمليات .ومع سيطرة ذلـك الفكـر علـى كـل معسكرات التدريب العربية، تقريباً لم يواجه مسلمى أقلية ( الإيجور) الصينية صعوبة فى الحصول على ما يلزمهم وما لا يلزمهم من تدريبات.

كان واضحاً لمن يراقب الأمور وقتها أن تحريك الأقلية المسلمة في الصين فى إتجاه المواجهة المسلحة ضد النظام الشيوعى فى الصين، وكان تحريكاً سعودياً، لايتوافـق قطعاً مع مصالح مسلمى الصين بل يتوافق مع المصالح الأمريكية التى وسعت مـن لعبها بالمسلمين أو بالورقة الإسلامية، والإندفاع الجهادى لدى المسلمين أو الإرهاب الإسلامى كما أسمته أمريكا فيما بعد، عندما تعارضت مصالحها معه.

وأدى الضغط على الصين بالورقة الإسلامية إلى إقناعها بالدخول فى مواجهة ضـد (الإرهاب الإسلامى) أو (التطرف الإسلامى) فى أفغانستان وأسيا الوسطى.

ولم تكن الصين لتوافق على ذلك لولا تلك التفجيرات داخل أراضيها لعدم قناعتها أن مثل ذلك الخطر يهدد مصالحها أو أن له وجود أصلاً.

وبعد وصول حركة طالبان إلى الحكم فى كابول كان وجـود الجماعـة الإسـلامية الصينية، والتى رعت السلسلة تفجيرات فى الصين، كان لها فى النهاية أثراً حاسـماً فى وضع الصين فى معسكر الأعداء بالنسبة لحركة طالبان.

..على نفس المنوال حدثت عملية تفجير فى مشهد شرق إيران داخل حرم مسجد الإمام الرضا وقت إزدحامه بالمصلين. فذهب العشرات ما بين قتيل وجريح، وإنتهت تقريباً إمكانية التعايش ناهيك عن التفاهم أو التعاون- بين إيران وبين الحركة الجهادية السنية الأصولية فى أفغانستان.

ومن يومها وأيران موجودة دوماً فى المعسكر المواجه لتلك الحركة، بشقيها الأفغانى والعربى. ولم تساند إيران توجها أصولياً فى كابول. هذا هو العامل الأهم الذى يفسر موقفها المنفعل للغاية من حركة طالبان، التى كان أحد أهم عوامـل سـقوطها هـو، الموقف الإيرانى المساند بقوة لتحالف الشمال، قبل أن تجهز عليها الولايات المتحـدة بسلاح طيرانها.

...عملية مركز التجارة الدولى فى نيويورك فى بدايات عام 1993 هى التى كانت الذريعة لبدء حملة أمريكية مبيته لكنس العرب من باكستان وأفغانستان.

وجذور العملية تمتد إلى حيث جذور عملية مشهد لنفس المجموعة تقريباً، ونفس مدرسة جلال آباد المجيدة.!! .

ولو صحت الإدعاءات الأمريكية أن بن لادن نجم جلال آباد الأول- يقف وراء تدمير مبانى مركز التجارة الدولى فى نيويورك فى سبتمبر 2001 نكون أمام إرتباط يتفوق على مجرد المصادفة، بين نيويورك وجلال آباد..وبين آل بوش وبين مركز التجارة العالمى وبين الحملات الدولية ضد العرب و"الإرهاب **الإسلامى" فى عام 1993 ثم 2001م.**

وأخيراً.. بين (بن لادن) وجلال آباد التى قرر أن يخوض فيها معركة تقليدية حاسمة ضد الجيش الأمريكى، وإختار هو موقعها فى جبال تورابورا على مشارف جلال آباد!!

فكانت المعركة من نوع (التراجيديا الجهادية) التى تخصص بن لادن فى إخراج فصولها.. وسوف نتفحصها لاحقاً فى موقعها من الأحداث.

## بن لادن فى السودان: القاعدة تنظيم زراعي

كان بن لادن متحمساً لبناء السودان الإسلامية إقتصادياً، وكعادته دوماً إذا إقتنع بفكرة ما، فإنه يندفع فيها بكل قواه وأمكانياته بل وكيانه كله.
وإذا تلبسته حالة كهذه فلا سبيل لتغيير قناعاته أو التأثير عليه، سوى فى إتجاه واحد فقط .. هو الدفع معه فى نفس الإتجاه ..وغالباً ما تنتهى تجاربة هذه بفشل أن لم يكن بكارثة.
وقد تلبسته تلك الحالة فى سنواته الأخيرة من أفغانستان. فلم يبال بمن حوله من كبار مسئولى التنظيم بل لم يبال حتى بحاكم البلاد (الملا محمد عمر) رغم هيبة منصبه الدينى كأمير للمؤمنين.
..فى السودان وضع بن لادن كل ما يملك ولم يبخل بشئ وبذل أقصى طاقته البدنية وجميع خيالاته فى بناء سودان مسلم وقوى. كان الحلم عظيماً ولكن الواقع كان شيئاً أخر.
فلا السودان الحكومة ساعدة، ولا القاعدة التنظيم أسعفته، .. بإختصار كانت أحلامه واندفاعاته فى السودان كما فى غيرها أبعد بكثير من الواقع.. لقد عجز بن لادن دوماً أن يحلم بطريقة واقعية..
...من الجانب السودانى كانت "البيروقرطية" الشهيرة تقف له بالمرصاد، وفى الحقيقه تقف فى وجه كل مستثمر، فالموظف الفقير يسره تدفق الدولارات الآتية للإستثمار، على أمل أن يصل إلى جيبه شئ منها يوماً ما بطريقة ما.. ويحزنه جداً

# نشاطات المجاهدين العرب فى افغانستان

## من فتح كابول(٢٧\٤\٩٢)- وحتى عودة بن لادن مع الموجة العربية الثانية (مايو ١٩٩٦م )

| نوع النشاط | اسم الهيئة | تاريخ التأسيس | تفاصيل النشاط | فترة النشاط وملاحظات |
| --- | --- | --- | --- | --- |
| قضية طاجكستان | معسكر الفاروق (مستقل) | 1988 | تدريب كوادر عسكرية لحزب النهضة الطاجيكية<br>تدريب كوادر من عسكرية من المجاهدين الشيشان<br>تدريب كوادر عسكرية من المجاهدين الاوزباك | 1993 - 98<br>قصفت امريكا المعسكر بالصواريخ فى اغسطس ٩٨ واقتحمته قواتها عام ٢٠٠٢م وكان مهجوراً |
| | جماعة خطاب | 1989 | التمركز على الجانب الأفغانى من نهر جيحون وشن<br>عمليات عسكرية على مواقع الجيش الروسى والطاجيكى الحدودى | 1996-93<br>(تحويل خطاب الى الشيشان) |
| | مجاهدون عرب (متفرقون) | | مشاركة المجموعات الجهادية الطاجيكية فى العمليات وداخل الاراضي الطاجيكية | 1993-96<br>(تحولوا الى الشيشان والبوسنه) |
| القتال حول كابول | مجموعة ابو معاذ الخوستى | 1992 | القتال الى جانب حكمتيار ضد قوات نظام ربانى التى يقودها أحمد شاة مسعود | 1993 - 95<br>انتهت المجموعة بمقتل ابو معاذ فى دار الامان في كابول |
| | كتيبة اليرموك "ابو روضة السورى" | 1993 | القتال الى جانب حكمتيار ضد قوات نظام ربانى التى يقودها أحمد شاة مسعود | 1990-93<br>انتهت المجموعة بمقتل ابو روضة قرب كابول |
| نشاط تدريبى عام | معسكر خلدن<br>معسكر صدى سابقا<br>تابع مكتب الخدمات د عزام<br>ادارة ابو زبيدة وابن الشيخ | 1986 | تدريب عناصر الجماعة الإسلامية الجزائرية<br>تدريب جماعات سلفية من الصين<br>تكوين جماعات سلفية مقاتلة فى مناطق مختلفة<br>تدريب عام لمن يريد. | 1993 - 95<br>قبضت باكستان على ابو زبيدة وابن الشيخ وسلموا الى امريكا عام ٢٠٠٢م بتهمة الانتماء الى القاعدة |
| | معسكر جهادوال (القاعدة) | 1988 | تدريب مجموعات باكستانية مختلفة<br>تدريب مجموعات كشميرية | 1996-93<br>قصفت امريكا المعسكر بالصواريخ فى اغسطس ٩٨ واقتحمته قواتها عام ٢٠٠٢م وكان مهجوراً |
| اقامة الخلافة | جماعة الخلافة | 1992 | ارهاب العرب فى بيشاور ــ عمليات سطو مسلح وقتل. ــ اشتباكات مع قبائل ثم التمركز في كونار الافغانية | انتهت بعودة الخليفة الى بريطانيا عام ١٩٩٦ |

خروج شئ منها، بصفة أرباح ويروى فى ذلك نهباً للسودان الحبيب، وعندها يصبح وطنياً شوفينياً.. تساعده فى ذلك أطنان من الأوراق الممهورة بإختام رسمية تطبع لوائح وقوانين، تخنق وتعرقل وتتعسف فلا يبقى أمام المستثمر إلا الفرار، ولو بدون أرباح.. أو حتى بشئ من رأسماله.. وهذا ما حدث مع بن لادن..
ترك خلفه معظم ما أحضره إلى السودان من أموال ومعدات.. ونجا بالجزء اليسير من رأس المال.
ولعل البروقراطية السودانية حققت أول سبق لها على الإمبريالية الأمريكية فى محاربة "مصادر تمويل الإرهاب".. خاصة المتعلق بأسامة بن لادن..
ومن جانب "التنظيم" كانت الضغوط شديدة ومتنوعة فهؤلاء الذين خرجوا للتو من معارك أفغانستان وجحيم جلال آباد بدمائه وفوضويته، لم يتخيلوا مجرد تخيل.. أن يتحولوا فى السودان إلى مزارعين وعمال إنشاءات وإداريين فى مكاتب!!.
رأو فى ذلك التحويل إنحرافاً .. أو حتى مؤامرة!!
وسادت حالة تمزق داخلى أسفرت عن إنصراف معظم أفراد التنظيم الذين إلتحقوا به تحت شعار (الجهاد الدولى)، وإلتحقوا بتنظيمات جهادية محلية قائمة..أو أستحدثوها بأنفسهم. وتقلص التنظيم من عدة آلاف إلى عدة عشرات.
منذ تشكيل القاعدة كان بن لادن هو الممول الأوحد للتنظيم. ومع تمتعه بدماثه خلق ومعامله حميمة مع من حوله، وروح إنسانية دافئة متواضعة وكرم فطرى، فجعلته تلك المؤهلات فى موضع (الأبوة) التى حجمت إلى حد كبير مشاعر الحساسية، التى تنشب أحياناً من كونه صاحب القرار الأوحد فى جميع المسائل، والمتدخل فى كل التخصصات، وصاحب الحل والعقد لكل المشاريع والبرامج.
كانت القاعدة مثالاً نادراً لما يمكن تسميته (جهاد قطاع خاص) أي ذلك التنظيم الذى ينشئه متمول قوى لتنفيذ تصوراته الجهادية الخاصة، ولتحقيق رؤيته لمصالح الأمة والنهوض بها.
الإستقلال المادى لمؤسس التنظيم جعل رأيه هو الأوحد داخل التنظيم فأصبح هو نفسه التنظيم، والتنظيم مجرد شركة خاصة لتنفيذ تصورات المدير العام.
تلك الشخصية القائدة التى تحرك التنظيم ليست بحاجة إلى إتصال حقيقى بأمتها أو بأي قوي إسلامية خارجة عنها. وبالتالى كانت التصورات والخطط بعيدة جداً عن الواقع الموضوعى، الذى تحياه "الأمة". لقد تحرك بن لادن بتصور مستقل عن الأمة وعن مصالحها لأنه تحرك بتمويل مستقل عن الأمة ومشاركتها. إستقلاليته المالية أكسبته الطابع الأبوي الذى يرى من خلاله ضرورة أن يطيعه الأخرون بأدب وبلا تدخل.
فى مرحلة القتال ضد السوفييت كان بن لادن يستلم ملايين الدولارات من تبرعات تجار السعودية ولكنه أبداً لم ينفق منها شئ على القاعدة، بل سلمها كلها أو أنفقها لمصلحة المنظمات الأفغانية خاصة حكمتيار ثم سياف، وظل هو مستقلاً بشكل كامل عن كل ما هو خارج نفسه.
فقط فى مرحلته الثانية فى أفغانستان، وعندما فقد معظم أمواله ما بين أموال مجمده فى السعودية وأموال (غنمتها) الحكومة السودانية، من ذلك "الإرهابى المطلوب دولياً"، إضطر بن لادن إلى إستلام معونات مالية أنفقها على القاعدة. ولكن ذلك لم

يسفر عن أى مشاركة خارجية فى قرارة (على ما يظهر)، سوى ما ظهر فى أيامه الأخير فى أفغانستان من وجود ناطق رسمى للقاعدة يحمل الجنسية الكويتية، وكان من الوجوه الجديدة تماماً، وكان مفهوماً أنه يمثل (نوع ما) مشاركة خارجية معه وإن فى دائرة الضوء المبهرة للإعلام الدولى. وليس أبداً فى دائرة القرارات السيادية التى كان مصراً على الإستئثار بها حتى عن أضيق دوائر الأعوان من كبار مساعديه.

**( الحالة الجهادية السلفية لم تختلف كثيراً عن شقيقتها اللدود ( الإخوان الدوليون) في مجال التبعية للمال وتأثيراته السياسية والفكرية. فعن تركيبة مكتب الإرشاد لجماعة الإخوان المسلمين ( عام1989) يقول الدكتور عبد ا النفيسي:**

**( ... ومن الطبيعي في تركيبة كهذه أن يصبح الكويتي أمينا للمالية لضمان الدعم المالي للتنظيم الدولي وهو دعم صار أساسيا وأفرز بعض التحالفات القيادية التي لا تخدم المسار العام للدعوة بقدر ما تكرس هيمنة نجوم المال عليها وبعض العالقين بهم) ( من المؤسف أن تتحول هذة إلي ثغرة خطيرة إستطاع بعض نجوم المال في الخليج والجزيرة أن يوظفوها للتحكم في المسار السياسي والإجتماعي لحركة الإخوان بما يتناسب مع مصالحهم العريضة في المنطقة .ومن الملاحظ في السنوات الأخيرة بروز ثقل نجوم المال في السياسات التي تتبعها حركة الإخوان مما نتج عنه إبتعاد أهل الكفاية والإختصاص عن عملية وضع القرار وصياغته في الحركة . لقد إنعكس هذا الداء بوضوح علي موقف الحركة إزاء المسألة الإجتماعية والمطلبية في أكثر من مجتمع عربي أو إسلامي ) .د . عبد ا فهد النفيسي – كتاب ( الحركة الاسلامية رؤية مستقبلية أوراق في النقد الذاتي ) ص246-245 هامش ص268 راجع أيضاً الفقرة الثانية من ص 251)■**

فى السودان تحولت القاعدة، أو ما تبقى منها، إلى مكتب مقاولات يديره بن لادن بأفراد هم من بقايا الحرب الأفغانية الأولى.

والغريب أن الولايات المتحدة إكتشفت هذا الوضع، عن قرب، وبتفصيل ممل، عن طريق مصادر دقيقة وقريبة جداً من بن لادن فى مرحلته السودانية. وكان من المتوقع أن تغتبط بذلك وتطير فرحاً به.

ولكنها إستشاطت غضباً وشددت النكير على بن لادن، وحركت معها تحالفاً دولياً، أبرز أعضائه: السعودية، مصر، والجزائر وفرنسا، ولاداعى لذكر بريطانيا بإعتبار إلتحامها العضوى بالمؤخرة الأمريكية.

لقد أثبت ذلك أن القوم فى حاجة ماسة إلى (عدو شرس) يبرر تواجدهم وعدوانهم على "الحالة" الإسلامية، ولابد أن يكون العدو (إرهابياً مسلماً) ليحقق لهم إستراتيجية ما بعد الحرب الباردة. تلك الإستراتيجية التى لاشك فى منبعها اليهودى، ورؤية اليهود لمستقبل البشرية والأطوار التى (يجب) أن تمر بها، أى الحتمية اليهودية للتاريخ. ولا غرابة أن تكون مرحلتنا الحالية هى مرحلة ملاحقة وتصفية القوى الإسلامية الفاعلة، وإخضاع الإسلام للتصورات اليهودية كما خضعت المسيحية من قبل. ولا غرابه أن تكون عقول التنظير لتلك المرحلة عقولاً يهودية أو عقولاً مستأجرة لحساب مؤسسات يهودية، تعمل لصياغة العقلية الأمريكية، خاصة فى مراكز القرار.

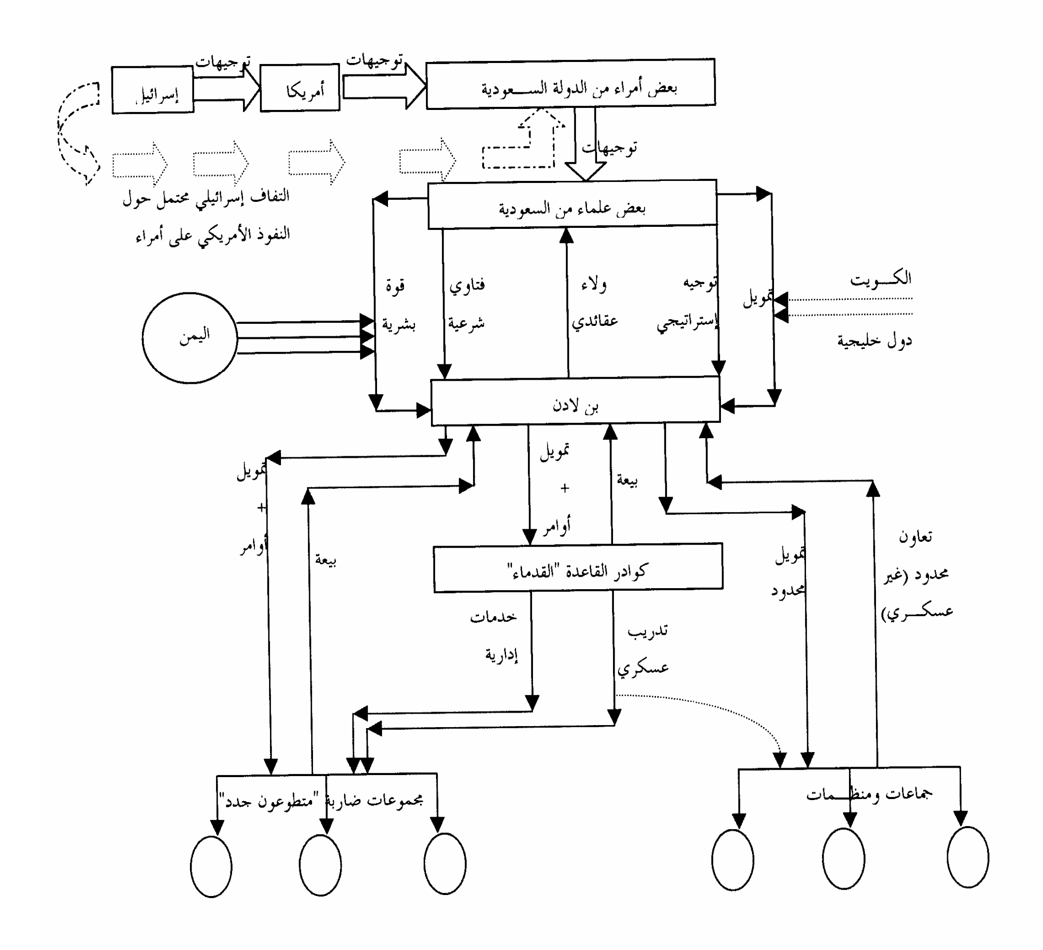
لم يكن من وجهه نظرهم أفضل من بن لادن، فقد خبروا إمكاناته العملية والفكرية وقدراته التنظيمية. لقد أختاروه عن وعى كى يلعب أمامهم دور العدو الإسلامى الإرهابى الشرس.

..فالعدو المعلوم إمكاناته خير من عدو مجهول المنشأ والقدرات والفكر، وذلك أمر محتم ظهورة بحكم أن أمه كأمة الإسلام لايمكن أن تستسلم لمثل هذا المخطط بدون إبداء مقاومة شرسة. والأفضل إذن بحكم المنطق والعقل، أن يختار المرء عدوة، أو من يلعب أمامه ذلك الدور.

واذا كان الصراع (صراع حضارات) فلا ينبغى أن تترك الحضارة المعادية كى تفرز بنفسها حركة مقاومتها وقيادات تلك الحركة، فذلك أمر محفوف بالمخاطر.
لقد لعب بن لادن دوراً رئيسياً فى آخر مراحل الحرب الباردة فى قيادته لتنظيم القاعدة فى الحرب الأفغانية ضد السوفييت ثم ضد نظام كابول فى مرحلة الحرب الاخيرة.
وتم رصده بشكل جيد، ولاشك أنهم أدركوا أن الفردية المطلقة لذلك "العدو" تجعله غير قادر على المضى بعيداً فى الإضرار بمصالحهم.
وأن ( القاعدة) كتنظيم يدار بطريقة بن لادن الأبوية المهذبة والمتسلطة فى آن واحد، جعلت ذلك التنظيم غارقاً فى السلبية وإنعدام المبادرة الفردية. فقد تقلص التنظم حجماً وأداء إلى مجرد (مكتب) يمولة بن لادن، حتى أن المعركة الأمريكية الأخيرة فى أفغانستان كانت ،وبكل الفاجعة، معركة الولايات المتحدة ومن خلفها وأمامها نظام دولى متكامل، ضد بن لادن كشخص متفرد يدير معركة كونية بواسطة مكتبة الخاص والمسمى تجاوزاً (تنظيم) القاعدة.
وكان الشعب الأفغاني فى موقع المتفرج. بينما تنظيم "الطالبان" يحاول الدفاع عن نفسه، وقد عزله بن لادن بسياسته عن قواعدة الشعبية التقليدية.
لقد أثبتت تلك المعركة براعة أمريكا فى إختيار العدو محدود الضرر وملاعبته والإستفادة من عجزه أو محدوديته فى بناء هيبتها الكونية بأقل الخسائر وبأبخس التكاليف._

. **أفضال أبو الفضل..**

...آخر المعلومات وأهمها وصلت إلى الأجهزة الأمريكية عن طريق "أبو الفضل المكى" نسيب بن لادن، ومدير أعماله منذ إنتهاء معارك جلال آباد، وحتى إستسلام أبو الفضل طوعاً للسلطات السعودية فى عام 1995. وكان الشاب الذى فقد قدمة فى إنفجار لغم فى معارك جلال آباد، قد ضاق ذرعاً بالظروف المتوترة التى تمر بها القاعدة فى السودان، لكثرة الإنشقاقات عن التنظيم وإنصراف أعضائه السابقين إلى نواحى شتى تنظيمه ومعاشية. ومن تبقى منهم غرق فى دوامة مشاكل وصراعات داخلية بين من يرون "سعودة" التنظيم أى جعله مقصوراً على السعوديين فقط، بعد أن توجه معظم الأعضاء المستقيلين نحو تنظيمات "قطرية". وتيار آخر على رأسهم بن لادن يرى بقاء صفة "التدويل" أو "الأممية" فى التنظيم. ربما بسبب سعة الأفق فى النظر إلى الأمور، أو بسبب أن معظم الكوادر المؤهلة التى يمتلكها فى وقتها- وفى كل وقت- كانت غير سعودية. وبالتحديد فإن الطعنات كانت موجهه من العناصر السعودية صوب شخصيتين من مصر هما أبو عبيدة "البنشيرى" أهم شخصيات التنظيم بعد بن لادن. ثم أبو حفص المصرى، نائب أبو عبيدة وأكثر قيادات القاعدة جدية وعناداً. وكلا الشخصين كان المؤسس الحقيقى لتنظيم القاعدة، وقد أدارا العمل خلال إحتجاز بن لادن فى السعوية بعيداً عن ساحة بيشاور من صيف 1989 وحتى بداية 1992 وهى الفترة الحرجة فى تاريخ تأسيس ذلك التنظيم.




**ملاحظات:**

[١] لا وجود للشورى – ولا دور للكوادر في اتخاذ القرار.

[٢] الكادر في القاعدة وظيفي محترف وغير سياسي ولا دور له في القرار السيادي للتنظيم.

[٣] دائرة القرار السيادي محصورة فى بن لادن, والتأثير الخارجي الوحيد يمكن أن يأتى من الكتلة الاعلى وهى كتلة العلماء.

[٤] ارتباط المجموعات الضاربة هو مع بن لادن رأساً, وعلاقتهم مع كوادر القاعدة فنية فقط.
وكذلك العلاقات الخارجية جميعها- بيده والكوادر للنواحي التنفيذية في هذه العلاقات.

## تنظيم القاعدة: التأثيرات الخارجية والآلية الداخلية.

**{وإذا شبهنا القاعدة بعربة يقودها بن لادن فإن أحصنة الجر كانت هذين الشخصين. ومن المشكوك فيه كثيراً أن تستمر القاعدة بعد غيابهما، إلا أن يختطف شخص ما أو مجموعة ما ذلك الإسم الأكثر شهرة، ويستغلونه فى عمل شئ آخر كما حدث لإسم الإخوان المسلمين من قبل. أى أن الإسم يمكن أن يستمر مع إختفاء المضمون القديم وظهور مضمون آخر مغاير}.**

فى ظروف الإضطراب هذه قرر أبو الفضل إنهاء حياة الغربة والمشاكل الحياتية والتنظيمية فعاد الى "المملكة" حيث تلقفته الإستخبارات السعودية وبعد تحقيقات مطولة إستخرجت أهم تفاصيل العمل وأكثرها خصوصية ودقه فيما يتعلق بنشاطات بن لادن وجماعته، ثم حولت الملف مع أبو الفضل نفسه إلى الإستخبارات الأمريكية، صاحبة الشأن فى الموضوع كله. وكانت تلك أهم غنيمة معلوماتيه تحصل عليها أمريكا عن بن لادن، والتى يعتقد أنها، أى أمريكا وعلى ضوء معلومات أبو الفضل قررت، ترقية بن لادن إلى منصب عدو أمريكا رقم واحد!!.

وكان القرار موفقاً وسعيداً فلم يتركوا للرجل أى فرصة لأى خيار آخر، فضيقوا عليه الخناق فى السودان. وليس من المستبعد أن اختيار أفغانستان كمنفى له كان خياراً أمريكياً نفذته السودان، لأن بن لادن من وقتها أصبح شأناً أمريكياً بحتاً يتعلق بإستراتيجية كونية، تتعدى حجم السودان أو السعودية أو أفغانستان، بل وتتعدى أهمية بن لادن فى حد ذاته.

**[ وسوف نرى لاحقاً كيف أنهم طالبوا حكومة طالبان بالتحفظ عليه وعدم السماح له بمغادرة أفغانستان عندما أعلنت حركة طالبان أنه غادر البلاد إلى جهه غير معلومه!!كان بقاء بن لادن فى أفغانستان مطلباً أمريكياً لإستخدامه كذريعة حرب . وطالبوا بتسليمه وليس إبعاده . حركة طالبان لم تكن مستعدة مطلقاً لتسليمه ولكن غير معترضة على مغادرته البلاد إذا إختار هو ذلك . لكن أمريكا أصرت على التسليم وليس المغادرة كى تحافظ على ذريعة شن الحرب . كان سفير طالبان فى إسلام أباد عبد السلام الضعيف هو وسيلة الإتصال فى ذلك الموضوع لذا حرصت أمريكا على إختطافه إلى جوونتانامو حتى لا يبوح بالسر الكبير ].**

أول ظهور إعلامى دولى لبن لادن كان على صفحات مجلة (تايم) الأمريكية. وفى ذلك دلاله معنية حيث أجرى معه فى الخرطوم الصحفى الأمريكية (سكوت) حديثاً مطولاً ومصوراً إستغرق صفحات عديدة فإنتقل بن لادن من يومها إلى سطح الإعلام الدولى، وبالتدريج وصل إلى الصدارة. والمهم هنا هو أن أمريكا قررت إتخاذ بن لادن عدوها الأول فى العالم، بينما الرجل منهمك فى مشاريع مدنية مزدحمة فى السودان، ويعانى من هجران أتباعه له وإتهامات الكثيرين له "بالإنحراف" عن مسيرة الجهاد إلى "مشاغل الدنيا".

## نشاطات غير قانونية!!

إلى جانب نشاطه الإستثمارى فى السودان، أبقى بن لادن على خطين مع العمل الجهادى الأول خاص بالتمويل والثانى خاص بالتدريب وبهذا حافظ على شئ من المعنويات الجهادية داخل تنظيمه "القاعدة". وقد أثيرت ضجة كبرى بسبب نشاطه التمويلى وبالغ فيه الإعلام الدولى كثيراً، وفى الواقع أنه قدم تمويلاً ذا بال إلى جهتين فقط، الأولي تنظيم الجهاد، ذا الإرتباطات العضوية بتنظيم القاعدة، وكان تنظيم الجهاد المصرى،بالتوازى مع الجماعة الإسلامية المصرية، غارقاً حتى أذنيه فى حرب إغتيالات ضد كبار مسؤولى النظام ربما كانت هى الأوسع حجماً ونوعاً فى التاريخ السياسى المصرى، وتسببت ذلك فى إنزعاج أمنى كبير للنظام المصرى الذى لم يكن صعباً عليه تتبع مصادر التمويل، التى يعرفها سلفاً منذ مرحلة التكوين والتدريب

العسكرى الذى مر بها التنظيم فى باكستان وأفغانستان.
تزايدت الضغوط المصرية والأمريكية على الخرطوم لوقف بن لادن عن صب الزيت على النار فى مصر، فتوقف مرغماً بينما تنظيم الجهاد فى مرحلة حرجه جداً من المواجهة. فوقعت القطيعة بينه وبن لادن ولم تعد المياة إلى مجاريها إلا بعد لقائهما فى أفغانستان مرة أخرى فى عام 1997.
الجهه الثانية التى تلقت تمويلاً من بن لادن كانت الجماعة الإسلامة الجزائرية وكان بن لادن يطمح فيما هو أكثر من ذلك. فقد كان لديه فى وقت ما عدداً كبيراً من الجزائريين ضمن تنظيم القاعدة. وسعى بالفعل إلى إدخال أسلحة إلى الجزائر عبر الصحراء الأفريقية.
ولكن مع تنامى حجم وتأثير "التيار التكفيرى" فى الجماعة الجزائرية، أرسلوا وفدا إلى الخرطوم تحدث مع بن لادن بلهجه ملؤها الجفاء وقريبة من التهديد بألا يدفع أموالاً لغير جماعتهم وإلا فإنه سوف يتحمل التبعات!! فهم بن لادن الرساله وقطع كل علاقة له مع الجزائر.
***(في السودان تعرض بن لادن للإغتيال على يد جماعة تكفيرية "متعددة الجنسيات " هاجمت مقر إقامته بالرشاشات وجرحت عدداً من جماعته ، لكنه لم يصب بسوء"".***

- النشاط العملى الأخر كان النشاط التدريبى فى الصومال، وكانت الجماعة الصومالية المسماة "الإتحاد الإسلامى" قد عقدت فى بيشاور صداقه عميقة مع بن لادن والقاعدة، ساعد عليها الأرضية السلفية السعودية التى وحدت ذهنية التنظيمين، إضافة إلى تقديرهما المشترك "لأمير الجهاد الأفغانى" عبد الرسول سياف قائد تنظيم "الإتحاد الإسلامي" الذى إستعار الصوماليون السلفيون إسمه لتنظيمهم.

كانت الرحلة إلى الصومال من أجل التدريب مكافأة مجزية بالنسبة لأعضاء القاعدة المنهمكين فى وظائفهم المدنية المرهقة والمملة.
وأضعف ذلك من الضغوط والإتهامات والتشكيك الذى أحاط "بن لادن" من الذين طعنوا فى توجهاته المدنية وتركه الجهاد.
ولم يكن لدى بن لادن أى مشروع فى الصومال أو شرق أفريقيا أبعد من ذلك سوى ما كان لبعض أنصاره المستقلين من أتباع التنظيم الذين حاولوا الإستقلال إقتصادياً والإبتعاد عن بن لادن- فإفتتحوا بمساعدته بعض المشاريع الصغيرة فى مجالات مختلفه بدأت من صيد السمك إلى تجارة الماس، منيت فى معظمها بالفشل، كما هى عادة المجاهدين عند "أنحرافهم" نحو "الدنيا"، وأحياناً قبل ذلك الإنحراف.
كانت "القاعدة" تمتلك فى ذلك الوقت أفضل مجموعة مدربين بعد تركيزها الكبير على هذا المجال طوال السنوات الخمس الأخيرة من الحرب الأفغانية. ونجح بن لادن فـى الحفاظ على معظم هذه المجموعة حتى نهاية تجربته الأفغانية الثانية على يد جـورج بوش وصواريخه الموجهه بالليزر.
الكثير من كوادر القاعدة كانوا مدربين جيدين، وعدد منهم كان لديهم القـدرة علـى الإبداع التكتيكي فى ميدان القتال. وتتناسب درجة إبداعهم بشكل عكسى مع إقتـراب بن لادن منهم.
فقليلون على مستوى العالم يمكنهم منافسة بن لادن من الناحية الأخلاقية، ولكنه ظلـم نفسه وغيره عندما تصدى لمسائل القيادة خاصة العسكرى منها.

فهو من ذلك الطراز من القادة الذى يتدخلون فى كافة التفاصيل لكافة الأعمال ويـرى نفسه أختصاصياً فيها جميعاً، والنتيجة.. إخفاق فى كل شئ. فهو لم يكن فى الصومال لذا أبدعت كوادر القاعدة ومدربوها أيما إبداع.. وتسببوا فى إيقاع الرعب فى القوات الأمريكية وتوابعها.. وقاتل العرب بالصوماليين فحركوهم وتحركوا معهم بشكل سريع وذكى.. وكان تأثير ذلك هائلاً من الناحية المعنوية..

فلم يقاتل العرب قتالاً يذكر ولم يتكبدوا أية خسائر ومع هذا فقد كانت مكاسبهم علـى المستوى الشعبى والقبلى كبيرة جداً.. ونتيجه المعركة أن فرت القـوات الأمريكيـة لاتلوى على شئ بعد فضائح عسكرية مدوية خاصة فى مقدشيو العاصمة.

والغريب هنا.. أن بن لادن أمر بإنسحاب جميع عناصرة من الصومال!!. لم يـدرك بن لادن والعرب من خلفه المكسب الذى حققوه فى الصومال كما لم يـدركوا حجـم الإنتصار الذى شاركوا فيه فى أفغانستان. وفى كلا الحالتين رحل العرب بعد تحقيـق النصر، فضاعت ثمار النصر، والتقطه آخرون، وهم قوى معادية للإسـلام بـالفطرة والمصالح.

تصرف العرب المتطوعون دوماً بنفسية البدو الرحل يأتون كالعاصفة ويرحلون كالإعصار ولايبقى لهم من أثر إلا الدمار الذى خلفوه. ولا عجب من نفسية أو عقلية البدو الرحل هذه، فهى من تأثير القيادة البدوية القادمة من جزيرة العرب ذات العاطفة المتوهجة والنَفَس القصير، مع تعصب مذهبى ضيق الأفق، وإنعدام فى التخطيط.

لقد عانى الجهاد من العسكرة الزائدة عن الحد على يد التيار الجهادى الذى تبلور وبلغ ذروته فى التجربة الأفغانية الأولى، وكان من مفرداتها روح البداوة القادمة من جزيرة العرب بسطوتها المالية ثم فقه البداوة القادم بكل قسوة وعبوس صحراء نجد، ثم الصياغة النظرية لتلك التوليفه المهلكة والتى صاغها تنظيم الجهاد المصرى فى سفرة المسمى (العمدة فى إعداد العدة) والذى جعل الجهاد معضلة وسوط عذاب مسلط على الأمة الإسلامية وليس فريضة وسبيل خلاص.

البرنامج الوحيد كان القتال.. وفقط!! فهذا هو الطريق الأقصر والأسرع نحو الجنة.

.. أما السياسة الوجه الآخر للعملة الجهادية فهى رجس من عمل الشيطان، وهى غموض وكذب وخداع، وليست من شيمة المؤمنين.

أما الإقتصاد.. والمال والذى هو صنو القتال وقوته المحركة، فيأتى به ا وفاعلى الخير من المملكة!!.

من ناحية عملية كانت التركيبة أو توزيع الأدوار يتم كالتالى:

القتال للمجاهدين.. والتمويل للسعودية.. والسياسة لأمريكا.

وبوضوح أكبر فإن أمريكا تأمر السعودية بتحريك الشباب عن طريق فتاوى العلماء وتمويلهم عن طريق تبرعات أهل الخير ودفعهم نحو مناطق تحتاج أمريكا إلى إستخدام الورقة الإسلامية ضد بعض أعدائها مثل روسيا أوالصين أومنافسيها الأوروبيين.

تلك هى التركيبة التى جعلت من المجاهدين (الدوليين) العرب مجرد بغال تحميل لخدمة الأهداف الأمريكية.

ونلاحظ أن من معانى صفة " دوليين"، أن تلك اللعبة كلها تجري خارج المنطقة العربية التى ينبغى أن تبقى هادئة بعد خروج السوفييت منها ودخولها أفواجاً فى حظيرة الراعى الأمريكى.

عملية الصومال التى خاضتها القاعدة "بالصدفة".. كانت خارج التوصيف السابق، رغم أنها حافظت على كونها خارج المنطقة العربية مع أن الصومال عضوا شكلياً فى ما يسمى جامعة الدول العربية.

.. وقتها كان علماء البنتاجون فى السعودية يصيحون بالشباب من أجل التوجه إلى البوسنة للقتال إلي جانب مسلميها ضد الصرب. ولأحدهم خطبة يصيح فيها بأعلى صوته مستنجداً "أين أسامة.. أين الأسد فى براثنه" ويقصد أسامة بن لادن الذى كان غائصاً فى أتربة السودان باحثاً عن حلم إسلامى ضاع فى صحراء أفريقيا.

فلم يستجيب بن لادن لصيحات الإستنفار تلك وقد كانت علاقته بالعرش السعودى وأشقاء الملك فى أسوأ حالاتها.

على أية حال كان الصدام مع أمريكا فى الصومال محض مصادفة لم يخطط لها أحد. لهذا تجاهلتها أمريكا وتناساها بن لادن حتى كشف عنها فجأة فى مقابلة صحفية بعد عودته إلي أفغانستان وإعلانه الشهير للجهاد ضد الولايات المتحدة الأمريكية.

قررت أمريكا من جانب واحد، جعل بن لادن عدوها الإسلامى الرهيب. لم يكن حجم بن لادن الحقيقى يؤهله لذلك ولم يستشره أحد فى لعب ذلك الدور، الأكبر بكثير من أمكاناته.

ومع ذلك عملت أمريكا على إضعافه أكثر، بتقليص إمكاناته المالية الذاتية،التى هى أهم أسلحته التى يمكنه بها إعادة بناء تنظيمه من جديد.

كما قررت إبعاده عن المنطقة العربية كلها حتى لايتمكن من مد أصابعه هنا أو هناك.

كانت أمريكا تخشى بشكل خاص من تحرك بن لادن فى اليمن، وليس السعودية المحمية بشكل جيد، ليس فقط بجهاز إستخبارات مدرب ومزود بتكنولوجيا القمع المستوردة من أمريكا، بل الأهم من ذلك جهاز القمع الفقهي "من علماء البنتاجون" الذى يحمى النظام والملك ، عبر تجريمه أى معارضة جدية للنظام ، وتصويرها على أنها فتنة محرمة شرعاً.

كان الخوف الأمريكى منصباً على اليمن، فالتيار الإسلامى الشعبى أعاد توحيد البلاد بقوة السلاح فى عام 1994م، برغم التهديدات الأمريكية السعودية المشتركة التى لم تستطيع وقف الزحف الأسلامى صوب الجنوب. والطيارون السعوديون الذين كان من المفترض عليهم قصف المجاهدين اليمنيين إذا تخطوا الخط الأحمر الذى حددته أمريكا لهم، عند قاعدة "العنود" الضخمة المهددة بالسقوط فى أيدى الإسلاميين. هؤلاء الطيارون رفضوا قصف إخوانهم اليمنيين وطالبوا بفتوى مباشرة من علماء المملكة تسمح لهم بذلك.. فتراجع الملك خوفاً من "الفتنة" التى قد تتحرك على متن طائرات الفانتوم.

دخل المسلمون اليمن الجنوبى بدون أذن أمريكا وكان لأسامة بن لادن يد فيما حدث وكان للإخوان المسلمين فى اليمن الشمالى يد أخرى.

بن لادن قبل تلك الأحداث كان قد نزح كميات ضخمة من أسلحة الصومال وحولها إلي اليمن، وبدأ شباب من السعودية، بعضهم يعرف بن لادن مسبقاً، وأخرون سمعوا فقط عنه، بدأ هؤلاء فى تهريب أسلحة من اليمن إلى السعودية، من ضمنها صواريخ (سام-7) المضادة للطائرات، بنية إستخدمها ضد أهداف أمريكية. كان هناك تهديد بإنفلات بين الشباب السعودى، وأن تمتد أيادى إلى الدماء المقدسة للجنود الأمريكيان الذين يمرحون فوق أراضى "المملكة" وعلى مرمى حجر من الحرمين الشريفين.

دخل بن لادن فى منافسة إعلامية مع رموز المعارضة السعودية فى لندن الدكتور المسعرى وسعد الفقيه.
وأصدر عدداً من البيانات القوية ضد الملك فهد والتواجد الأمريكى فى مملكته.
وإنفردت بيانات بن لادن بخطورة خاصة عما يصدر فى لندن ، لإعتبارات أولها القرب الجغرافى، فما يفصل السودان عن السعودية ليس سوى شق مائى ضيق يدعى البحر الأحمر، الخطورة الثانية كانت مصداقية بن لادن لدى الشباب السعودى على خلفيته الجهادية فى أفغانستان.
لذا إستمات الملك وأشقاؤه الثلاثة فى إبعاد بن لادن من السودان- بعد أن رفض وساطات عائلته بالعودة الآمنة إلى المملكة.
وأخيراً إلتقت مصالح المملكة مع المعايير الأمريكية حول إبعاد بن لادن من السودان .. ليلة مغادرته الخرطوم ،كانت الضغوط الإعلامية والسياسية الآتيه على السودان لاتطاق.. وبدأت سلسلة العقوبات المتدرجة من أجل تسليمه أو إبعاده ،بوصفه (الإرهابي الأكبر فى العالم) كما صوره الإعلام الدولى. وإنهالت (التقارير الأمنية) التى تناقلتها وسائل إعلام فى الغرب عن معسكرات تدريب تابعة "لإبن لادن" حتى يخيل للمتلقى بأن الرجل قد بذر أراضى السودان بمعسكرات الإرهاب وليس بالقمح.
ذلك فى وقت لم يكن لابن لادن أى معسكر فى السودان ولا فى أى مكان آخر، وتدريبات القاعدة لجماعة الإتحاد الإسلامي بالصومال توقفت منذ إنسحاب الأمريكان (أو فرارهم) من الصومال، ومعسكراته فى أفغانستان فى منطقة خوست كانت رهن التصفية، ولدى المسئولين عنها هناك أمر بالإنتقال إلى السودان، حيث أعمال الإنشاءات المدنية تنتظرهم.
حتى مجمعات تخزين المعدات الزراعية أو معدات الطرق وردت فى القوائم التى نشرها (الإعلام العالمى) كمعسكرات تدريب للإرهابيين التابعين (لابن لادن). كان هناك إصراراً أمريكياً واضحاً على جعل الرجل (مجرماً) إرهابياً وأن يستمر فى لعب ذلك الدور الحيوى المسمى "العدو الخطير الذى يهدد الوجود" وهو الدور الذى لا يستطيع الغرب أن يحيا إلا به سواء كان هذا العدو حقيقياً أو مصنوعاً, راغباً فى لعب دور العدو أم أنه يلعبه رغماً عن أنفه.. كانوا يدفعون بن لان دفعاً إلى صدارة المسرح الدولى كى يلعب دور زعيم العصابة الشرير..أمام بطل المسرحية وكاتب السيناريو والمخرج ومروج الإعلانات "الشريف" الأمريكى حامل المسدسات وحارس العدالة والمنتصر دوماً أمام كاميرات التصوير.
بإختصار.. لم يكن مقبولاً أمريكياً (توبةً) بن لادن وأتباعه وانغماسهم فى الحياة المدنية.. خاصة وأن تنظيم القاعدة كان قد تفكك عملياً، ولم يتبقى منهم حول بن لادن إلا أقل من واحد فى المئة ممن كانوا معه فى أفغانستان.
وقد تزوج معظمهم وأنجب أطفالاً وثقلت حركتهم بعد أن كانوا خفافاً مثل الطيور الجارحة فى أفغانستان.
ووقع أكثرهم فى غرام السودان والحياة فيها، رغم صعوبات المعيشة، والتناقض الفكرى مع النظام الحاكم .
حتى بن لادن نفسه ورغم المشاكل والعراقيل والمعاملة المالية السيئة التى يلقاها من البيروقراطية السوادانية وحتى من بعض السياسيين هناك، إلا أنه وقع هو أيضاً فى غرام السودان شعبا وأرضاً ولم تكن تراوده أى فكرة للخروج منها أو تغيير نمط

نشاطاته (الإعمارية) بأى حال. ولم يكن يدرك بالطبع أنه ليس هو صاحب القرار بشأن حياته ونشاطاته الشخصية فهناك نظام دولى جديد هو الذى يحدد الأدوار ليس فقط للدول أو الأنظمة أو الأفراد..بل وحتى شركات المقاولات و مدرائها.. فى السودان كانوا أو حتى فى جزر القمر.

قبل ترحيل بن لادن من السودان كانت جميع نشاطاته غير القانونية، والمسببة للمشاكل مع حكومات أخرى قد توقفت واقتصرت أعماله على المقاولات والزراعة وانفض عنه معظم من إنتموا يوماً لتنظيم القاعدة.

كل هذه الصورة وبكافة تفصيلاتها الدقيقة وصلت إلى الإستخبارات الأمريكية، بواسطة (أبو الفضل) وبالتأكيد عن طرق أخرى أيضاً.

ومع ذلك ضاعفت حملتها عليه وعلى حكومة الخرطوم وعلى كل المستويات الممكنة حتى تم إبعاده فى مايو 1996 فى يوم وافق يوم الهجرة النبوية الشريفة- ونقلته طائرة خاصة صغيرة من مطار الخرطوم إلى مطار.. جلال آباد.

*****

يقول نبيل شرف الدين في كتابه ( بن لادن .. الطالبان .. الأفغان العرب ) : ( ص37-38)

( وحسب قطب المهدي الذي أصبح مسئولا للمخابرات السودانية فأن ترحيل بن لادن من السودان جعله يتحول إلي إرهابي معاد لأمريكا ) .

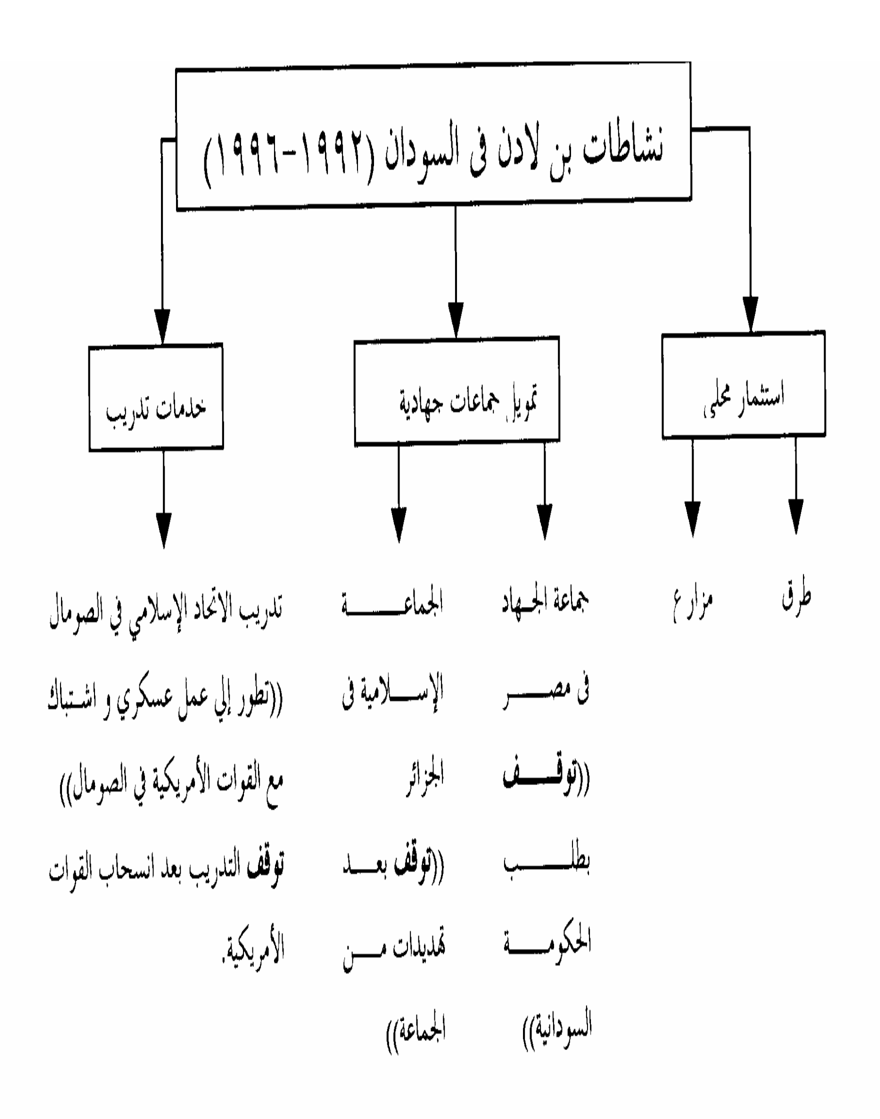
( يقول قطب المهدي الذي أصبح مسئولا عن المخابرات السودانية أن الحكومة السودانية عرضت تسليم بن لادن للسعودية أو للولايات المتحدة في حالة تقديم أدلة للحكومة السودانية ضد بن لادن ـ إلا ان امريكا لم يكن لديها أدلة حينئذ ).

( حسب المصدر اللإستخباراتي السوداني فإن السعودية خافت من آثار ترحيل بن لادن ولهذا قامت المخابرات الأمريكية بإبلاغ الجنرال فاتح عروة قائلة له : دعه يخرج من البلاد .. فقط لا تدعه يرحل للصومال . وقال الفاتح عروة أحد المفاوضين السودانيين المعروفين والسفير السوداني في واشنطن – قلنا لهم سيذهب لأفغانستان . فأجابت المخابرات المركزية الأمريكية ( سي إي إيه ) دعه يذهب – هذا أفضل له ولكم وللجميع ) .

( ووفقاً للمهدي فقد كانت رحلة بن لادن من السودان كارثه شخصية - حتي خسر حوالي 30 مليون جنيه استرليني .

فلم تكن لدي إبن بن لادن الأموال التي تتحدث عنها السلطات الأمريكية – وحينما رحل إلي أفغانستان كان علي وشك الإفلاس ولم يكن لديه أي شيء ).

( نائب وزير الخارجيه الامريكى رتشارد أرميتاج قال بعد نهاية الحرب على أفغانستان أن السودان قد إتخذ بعض المبادرات الجيدة إلى حد بعيد ولكن إذا شاء أن يكون فى التحالف فعليه أن يتبنى القيم ذاتها) راجع ص 194 من كتاب قرآن وسيف للدكتور رفعت سيد أحمد . و قد جاء فى نفس الصفحة أيضاً ( إن الخرطوم كانت قد قدمت للولايات المتحدة بعض المعلومات الإستخبارية التى تتعلق بمساعدين لأسامة بن لادن و بفترة إقامة الأخير فى السودان 1991\1996




ملاحظة:

تم إبعاد بن لادن من السودان في وقت كانت نشاطاته قد انحصرت فقط - ومنذ اكثر من عام - في المجالات الاقتصادية.

**الفصل الثاني**

## العودة إلى الوطن الأفغانى

## جلال آباد.. العودة الثانية للعرب(مايو1996م)

كان الهبوط فى مطار جلال آباد فى أصيل ذلك اليوم الربيعى مفاجأة تامة لعدد من مرافقي بن لادن من أفراد حرسه الخاص.

فلم يكونوا على علم بوجهة الطائرة. ولم يكونوا يتوقعون بأى حال أن يعـودوا إلـى أفغانستان. وأكثرهم لم يكن ليرحب بذلك رغم أن الجميع تقريباً شارك فـى معـارك جلال آباد، وسببت لهم صدمة لكثرة الضحايا من العرب. وفـاض كـأس إحتمـالهم بنشوب الحرب الأهلية حول كابول بقطبيها مسعود وحكمتيار، ثم إختلال الأمن فـى البلاد كلها، وقد كانت تصلهم الأخبار المؤلمة وهم فى السودان.

لم يكن لدى القاعدة فى السودان فكرة واضحة عن حركة طالبان، وبشكل عـام لـم يكونوا على إستعداد للثقة بأى شئ فى أفغانستان.

القادة الأربعة الذين منحوا حمايتهم لابن لادن ومن تبعه إلى جـلال أبـاد مـن العرب، كانوا أهلاً للثقة وبكل الشهامة الأفغانية النادرة فى هذا الزمان، والغريبة على غير الأفغان، دفعوا فى مقابل حمايتهم تلك أرواح ثلاثة منهم إغتيلوا علـى دفعتين. والرابع وهو شاب يدعى الدكتور أمين تحمل على منكبيه معركة (تورا بورا ) التى أقامت أمريكا عليها ضجة صمت الآذان.

**(ضمن المفارقات الكثيرة في قصة " عرب أفغانستان " أن إبعادهم وعائلاتهم من الخرطوم إلي جلال أباد تمت بواسطة رحلتين *لطائرة* من أوكرانيا يقودها طيار روسي!! والطائرة مستأجرة من شركة طيرا ن خاصـة .بعـد ذلك بخمس سنوات قامت الطائرات الأمريكية بالقضاء علي كثير من هؤلاء العرب في حربها عام 2001م ضـد بن لادن وحركة طالبان .**

**قد يقول بعض السطحيون أن الأمريكان قد أحضروا العرب إلى أفغانستان فى الثمانينات كي يقـتلهم الـروس . بينما أحضر الروس العرب إلى أفغانستان فى التسعينات كى يقتلهم الأمريكان )!! .**

القائد الشاب "عبد الحق مجاهد" إستضاف الوفد العربى الذى نفته الخرطوم وبذل جهده وكرمه الأفغانى فى التخفيف عن بن لادن ومن معه مؤكداً دعمه وحمايته لهم كإخوان شاركوا فى الجهاد وبذلوا فيه طاقتهم.

وبسبب موقفه المبدئ هذا أغتيل الرجل فى بيشاور اثناء ذهابه إلى صلاة العشاء.

القائدان "المهندس محمود" و"سازنور" كانا ضمن فريق الإستـضافة والحمايـة وكلاهما عمل بشكل ما مع بن لادن أثناء معارك جلال آباد 1989. الأول يتبـع حزب إسلامى بزعامة يونس خالص والآخر من قادة البـدو ومحـسوب علـى حزب الإتحاد الإسلامى بزعامة سياف.

أغتيل الرجلان فى سيارة واحدة أثناء توجهما إلى البوابة الحدودية فى (تورخم) لإستقبال قوافل طلاب الشريعة المتدفقين صوب جلال آباد التى أسلمت قيادهـا تواً لحكم طالبان. وفى كمين واحد قبل وصل سيارة الرجلين إلى المنفذ الحدودى قتلا داخل سيارتهما على يد أقارب القائد البدوي (شمالى) وكانا قد شاركا فـى التخلص منه بإغتياله فى عام سابق ، إستباقاً لإنقلاب كان يـدبره فـى المدينـة لصالح مجموعته.

أشارت قرائن كثيرة إلى تورط الباكستان فى تدبير الكمين المذكور الذى أفقد بن لادن دعائم قوية لتواجده كما أفقد الحكم الجديد لطالبان دعائم إستقرار كبيرة فى المنطقـة.

ولم تكن الإستخبارات السعودية من مركزها فى سفارتهم بإسلام آبـاد بعيـدة عـن حوادث الإغتيال الثلاثة، من جهه التحريض والتمويل على أقل تقدير.

**مشاعر.. وأحداث:**

بن لادن وخمسة عشر من أتباعه كانوا طليعه العودة الثانية للعرب إلى أفغانستان. وكانت عودة تلك المجموعة مفعمة بالمشاعر بعضها متوافق والبعض الآخر متناقض.

ها قد عادوا إلى جلال آباد مرة أخرى، أكثرهم خاض غمار معاركهـا وكلهـم يعرف عددا ممن أستشهد ودفن فى أرضها.

وطاف بن لادن ومجموعته الصغيرة تلك أهم مواقع المعارك الماضية، خاصـة جبل قباء الشهير الذى يتحكم فى قرية سمر خيل. فى أحضان ذلك الجبل المهيب أشار بن لادن إلى بقايا مغارة متواضعة إنهارت فوق رأسه مع عدد قليل كانوا معه، بفعل قنبلة من طائرة. وعلى بعد خمسين متراً منها كان هناك آثار خيمـة إستعملها يوماً كمقرقيادة، وعلىقرب منها أصيب شاب مصرى بشظية قاتلة من قنبلة طائرة قذفت مخه على الأرض، وأصيب أبو حفص الرجـل الثالـث فـى القاعدة يومها بشظية أخرى كادت أن تكون قاتلة. وأخذ هو بنفسه يشرح كيـف أصيب وأنه تمدد على الأرض وظل فى وعيه يكلم من حوله حتى وضعوه فـى سيارة لنقله وعندها أغمي عليه.. وكان لديهم ما يضحك وهم يشيرون إلى فجوة قريبة فى الجبل قليلة العمق مازالت سوداء الجوانب إذ كانت مطبخـاً لموقـع القيادة. ونفس القنبلة التى أصابت وقتلت، هدمت المطبخ فتساقطت الأوعية على الشاب العربى مسئول المطبخ الذى ورغم أصاباته السطحية إلا أنه ظـن أنـه أستشهد فصرخ مكبراً و تمدد على الأرض، ولم يصدق نفسه وهم يضعونه فوق قدميه طالبين منه المسير.. ويبدو أنه أصيبب بخيبه أمل فى نيل الشهادة فى تلك الفرصة المواتية.

# أسوأ الأخبار التى تلقاها بن لادن ومن معه كان نبأ وفاة أبو عبيدة البنشيرى غرقا فى أحد البحيرات الأفريقية الكبرى. كان أبوعبيدة ذو روح إنسانية مرحة، وطاقة عمل ضخمة، وشجاعة فى القتال وتماسك في الأزمات.. فجعله ذلك الأكثر شعبية وقرباً من الشباب المجاهد فى أفغانستان . ولايدانيه فى ذلك أى من القيادات الكبيرة من وزن بن لادن أو عبد ا عزام.

كان أبو عبيدة فى وقت واحد قائداً عسكرياً فى تنظيمين جهاديين وهما القاعدة والجهاد المصرى واستمر كذلك لفترة.

كما أنه قام بدور بارز فى معركة جلال آباد الأولى التى قادها أسامة بن لادن. وكاد أن يقع فى أسر القوات الشيوعية المهاجمة. واستمر تأثيره على مسرح جلال آباد لعدة أشهر أعقبت تلك المعركة.

بعد وفاة أبو عبيدة تولي أبو حفص صلاحياته التنظيمية، إضافة إلى صلاحياته الأصلية، فكان هو الرجل الثانى فى تنظيم القاعدة، والأكثر عبئاً بين الجميع.

# تلقى بن لادن خبراً من كابول كان له أكبر الأثر فى فترة بقائه التالية فى أفغانستان.

فقد أصدر مجلس الوزراء قراراً بتسليم بن لادن ومن معه إلى حكوماتهم فى حال تمكنت حكومة كابول من القبض عليهم. كان برهان الدين ربانى وقتها رئيساً للجمهورية فى كابول، وسياف فى موقع أعلى قليلاً من رئيس الوزراء،

وهو الموقع الذى شغله للتو جاب الدين حكمتيار الذى لاقى هزائم متتالية على يد حركة طالبان الفتية، فالتحق بسرعة بحكومة كابول بعد وساطات من الجماعة الإسلامية الباكستانية مدفوعة بحكومة إسلام آباد التى يرأسها نواز شريف.
وقتها كان أحمد شاه مسعود العدو التاريخي لحكمتيار يمسك بمقاليد القوة على الأرض ويتحكم فى القوات المسلحة والميليشيات وأجهزة الأمن فى كابول وشمال أفغانستان.
أما جلال آباد التى قذفت الأقدار بأسامة بن لادن إليها، فكان يحكمها حاجى قدير ،الذى كان ميزاناً لعدة مراكز قوى يمثل هو الحل الوسط بينها. ولم يكن قدير مرحباً بوصول بن لادن إلى الولاية، ولم يسع مطلقاً لمقابلته رغم أن الفاصل بين مقار أقامتهما في وقت ما، كان لا يتعدى عدة مئات من الأمتار. ولم يكن بقادر على طرده لأن مولوى يونس خالص بسط حمايته الأدبية على بن لادن ومن معه ،
والمهندس محمود القائد القوى لدى تنظيم يونس خالص، وصاحب المكانة الأدبية والصداقة الوطيدة مع حاكم الولاية (حاجى قدير) وإخوانه حاجى دين محمد وعبد الحق.. المهندس محمود هذا وقف صراحة إلى جانب بن لادن.
قرار حكومة كابول حسم وضع بن لادن فى الفترة القادمة كحليف ثابت لحركة طالبان، وعدو مقاتل لنظام ربانى ومن حوله.
بالطبع لم يعدم الرجل مستندات شرعية قوية. خاصة بعد سيطرة حركة طالبان على كابول فى 27 أكتوبر من نفس العام، ثم تطبيقها الفورى لأحكام الشريعة الذى أعطى ثماراً فورية فى إستتباب الأمن، وهو السلعة الإستراتيجية لدى الشعب فى ذلك الوقت الذي عمت فيه الجريمة التى تقودها عصابات مسلحة بالدبابات تقطع الطرق وترفع أعلام أحزاب التآلف الحكومى فى كابول، حيث كان كل فريق فى نظام كابول يقيس قوته بعدد وقوة العصابات التابعة له فى أقاليم البلاد. وفي المقابل كانت تلك العصابات تستمد "شرعيتها" من صور الزعيم وأعلام الحزب الذى تتبع له ويشغل مناصب وزارية فى نظام كابول.

**أسلم ..تسلم**

. تلقى بن لادن ومن معه فى أعقاب وعيد حكومة كابول دعوة من ذلك العربي "خليفة المسلمين" فى كونار، بالدخول فى طاعته وأداء البيعة له.
فكان ذلك هما مضحكاً فى أعقاب هم آخر كان مبكياً.
فلم يتبق حول الخليفة العربى فى كونار سوى أقل من عشرة أشخاص ولكنه قادر على تنفيذ عمليات قتل بواسطتهم.
وصل أثنان من رسل الخليفة إلى جلال آباد وأصرا على مقابلة بن لادن الذى تملص منهما وخصص لهما وفداً شرعياً لمناقشتهم وصرفهم بالحسنى. تساءل بعض من حضر الحوارات (التى بطنها رجال الخليفة بالتهديد) حول من ينبغى شرعاً مبايعته فى أفغانستان.
فهناك حكومة ربانى فى كابول، وهناك الملا عمر الذى بايعه مئات من العلماء وقادة القبائل ويحكم بالشريعة، ثم هناك الخليفة العربى فى كونار.
كان الرد جاهزاً وهو أن نظام ربانى يقع خارج المنافسة لأنه لايطبق أحكام الشريعية، أما الملا عمر الذى يطبق الشريعة فى المناطق التى يسيطر عليها فينبغى عليه أن يبايع الخليفة العربى فى كونار، الذى كان سابقاً عليه فى الظهور وتطبيق الشريعة.
ثم كانت التساؤلات المبنية على ذلك تدور حول مفهوم خلافة كونار لأحكام الشريعة،

خاصة وأن الخليفة قد أباح لنفسه ولأتباعه تدخين الحشيش، ومنع عليهم حيازة جوازات السفر أو إستخدام العملة الورقية، وفوق هذا كله، هناك التساؤلات حول شرعية عمليات كثيرة ما بين قتل وسطو مسلح وضرب وتعذيب.. الخ.
ولكن سرعان ما إستولت حركة طالبان على جلال آباد ثم كابول وأخذت تهاجم كونار.. فعاد الخليفة أدراجه إلى مقره فى لندن وكفى ا المؤمنين القتال.

## تفجير الخُبر

من الأنباء التى تلقاها بن لادن والعرب الذين رافقوه فى عودتهم الثانية إلى أفغانستان، وكانت من الأنباء الأعمق أثراً فى مسيرتهم التالية، كان نبأ تفجير الخبر فى السعودية، والذى إدعت أمريكا أنه أودى بحياة 19 من رعاياها فى مجمع سكنى تابع لسلاح الطيران الأمريكى.
من نافلة القول أن هذا النبأ أسعد بن لادن ومن معه بل وأسعد كل أفغان جلال آباد.. صالحهم وطالحهم. ولكنه من ناحية أخرى أثار مخاوف بن لادن من عدة نواحى:
-تغلب موجة التفكير الجزائري على شباب الموجة الجهادية الجديدة في بلاد العرب خاصة بعد إستيلاء التيار التكفيرى على زمام قيادة الحركة فى الجزائر، وسطوع نجم "عنتر الزوابرى" قائد ذلك التيار وأهم رموزة والذى أثار إستياء وإشمئزاز المسلمين قبل غيرهم.
وكان من الطبيعى أن تكون السعودية أسرع من يتأثر بهذا التطرف الدامى على إعتبار أنها مهد ذلك التيار فكرياً ومصدر تمويله، على الأقل فى مراحل بدايته.
فى الخرطوم وصلت إلى بن لادن والعرب من حوله موجه من (الأعمال الفنية) لذلك التيار قادمة من الرياض وجدة وغيرهما. تلك الأعمال الضحلة عبارة عن كمية من الأناشيد الهستيرية، أحدها لم تزد كلماته إلا قليلاً حول ذلك البيت ( أقتل أقتل.. دمر دمر) وكانت أحداث البوسنة هى محور الرئيسى لقصص تلك الأناشيد.
خشية بن لادن كانت من أن تنتقل إلى بلاده المؤامرة التى أوصلت الزوابرى" وعصابته ومنهجه إلى قيادة الجهاد فى الجزائر فدمر كل شئ بما فيه الجزائر والحركة الإسلامية بها.
كان يخشى من إنقضاضه حكومية ودولية على الشباب المسلم فى السعودية تكون ذريعتها ظهور تيار زوابرى سعودى شعاره الوحيد (أقتل أقتل .. دمر دمر).
لذلك كان بيانه المعنون بإعلان الجهاد لتحرير الحرمين الشريفين( **صدر في أغسطس 1996** ) يهدف فى جانب كبير منه إلى تحديد دستور للعمل الجهادى فى السعودية يكون بعيداً عن منهج التكفير وسفك الدماء بلا حساب.
وقد ناله من جزاء ذلك الكثير من النقد الجارح من جانب أنصار الزوابرى من عرب أوروبا وخاصة تيار لندن السلفى الجهادى، على إعتبار أن قتل الجندى السعودى عندهم يتساوى مع قتل الجندى الأمريكى فكلاهما كافر.
فى بيانه المذكور حصر بن لادن العمل المسلح ضد الأهداف الأمريكية فقط. إذ كان يخشى إذا تحول القتال إلى أهداف داخلية، أن تتطور الأمور وتنفلت بدفع من الخارج بحيث تؤدى إلى تفتت السعودية إلى دويلات، بما يسهل على إسرائيل إبتلاع الأجزاء التى تراها داخله ضمن إسرائيل الكبرى بحدودها التوراتية، والتى تصل إلى شمال المدينة المنورة وتبتلع الكويت وأجزاء من العراق وتطل على مياة الخليج.
سبقت عملية "الخُبر" بعدة أشهر عملية أخرى فى الرياض قتل فيها عدد من الخبراء

العسكريين الأمريكيين العاملين ونفذ العملية أربعة من الشباب السعودي تدرب أحدهم فى أحد معسكرات جلال آباد ولايكاد يعرفه أحد ممن عاصر تجربة جلال آباد. أما زملاؤه الثلاثة فلم تطأ أقدامهم أرض أفغانستان.
خشية بن لادن هنا كانت من إحتمال تعدد الجماعات الجهادية فى "المملكة" بحيث يصعب إتحادها لاحقاً. وربما تكرر الكابوس الأفغاني بخلافاته وتدخلاته الخارجية.
فقدم نفسه عبر بيان إعلان الجهاد كقيادة عامة للجهاد ضد القوات الأمريكية فى "المملكة"وجزيرة العرب المحرم عليهم شرعاً التواجد فيها.
ويمكن القول أن حادث تفجير الخبر (فى أعقاب حادث تفجير الرياض)* كان له أعمق الأثر فى قرار بن لادن إصدار إعلانة الشهير المعنون (إعلان الجهاد على الأمريكيين المحتلين لبلاد الحرمين).

*** { في 15 نوفمبر 1995إنفجرت سيارة مفخخة أمام مقر عسكري أمريكي في مدينة الرياض أودى بحياة خمسة أمريكيين وإثنين من الهنود . أعدمت السلطات السعودية المسئولين عن الحادث } .**

مرة أخرى كان أعنف الإعتراضات قادمة من نفس التيار "اللندنى" للجهاد السلفى. كان هناك بالطبع إعتراضات كثيرة على "إعلان الجهاد" الذى صدر عن "بن لادن" من الجماعات الجهادية "القُطرية" التى إعترضت على خلفية عدم إمتلاك بن لادن لوسائل تنفيذ هذا الإعلان، وبالتالى سيظل الإعلان فرقعة إعلامية تفقد الرجل مصداقيته. آخرون هالهم "مناطحة" أمريكا فى حين فشلت أقوى الحركات الإسلامية فى مقارعة إنظمة محلية أكثر ضعفاً مثل سوريا ومصر والجزائر.بعض أصحاب تلك الإعتراضات غيروا مواقفهم بعد الدوي الذى أحدثته العمليتان اللتان حسبتا"لابن لادن" خاصة تلك التى أطاحت بالمدمرة الأمريكية فى ميناء عدن والتى من بعدها شهد تحرك بن لادن إنطلاقاً حاداً نحو الأعلى، وغير كثيرون مواقفهم من المعارضة أو التحفظ إلى التأييد أو المشاركة . بشكل عام..إشارات التأييد التى وصلت بن لادن بعد بيانه بإعلان الجهاد على الأمريكيين المحتلين لبلاد الحرمين كانت كثيرة ومشجعة له فى المضى قدماً.. ولكن كيف وبأى طريقة؟
هنا كان السؤال الأهم.. والأخطر..

## تورا بورا:
## الإسم والأسطورة

"تورا بورا"ـ **ومعناها السيل الأسود** ـ سلسلة جبال منيعة، تنطق بالعنفوان. وينطق الأفغان إسمها مشفوعاً بالفخار. فقد شهدت سفوحها معارك دامية بين المجاهدين والجيش السوفيتى.. وسقط فيها عشرات الشهداء. ولم يتمكن الجيش الأحمر من إغلاقها فى وجه المجاهدين، أو الإستقرار فى مراكزهم التى إحتلها أكثر من أيام معدودة.
وبأسلحتهم القليلة تمكن المجاهدون ليس فقط من قهر القوات الخاصة السوفيتيه بل أسقطوا العديد من الطائرات المقاتلة والهيلوكبتر .
وأول طيار سوفيتى أسير تم عرضه على الإعلام الدولى عام 1983، كان من أسرى (توارابورا) بعد أن أسقط المجاهدون طائرته من طراز سوخوى بواسطة بندقية إنجليزية عتيقة، وليس صواريخ ستينجر الأمريكية التى لم تصل إلى أيدى المجاهدين إلا بعد أن قرر السوفييت مغادرة أفغانستان بالفعل.تلك السلسلة من الغابات الصنوبرية تفصل بين أفغانستان وباكستان ،وفى الأيام الخالية كان المجاهد المثقل بالعتاد والطعام

يحتاج إلى يوم كامل تقريباً حتى ينتقل من مراكز إمداده فى باكستان حتى موقعه القتالى فى تورا بورا.. وهو نفس الطريق الذى سارت عليه القوات الخاصة الباكستانية التى تحركت فى باكستان من أجل الإطباق من الخاف على مواقع العرب وبن لادن فى تورا بورا أثناء الحملة الأمريكية فى أكتوبر 2001م.

ومن المفارقات أنه فى عام 1986 وعلى إمتداد نفس السلسلة من جهة الجنوب الغربى فى ولاية باكتيا المجاورة دارت واحدة من أشرس المواجهات بين العرب بقيادة بن لادن والقوات الخاصة السوفيتية تكللت بالنجاح . وكان الجيش الباكستانى يصفق طرباً لشجاعة العرب( في جاجى) ويحث الأحزاب الأفغانية على إمدادهم بالأسلحة والعتاد فى تلك المعركة.

ولم يكن ذلك الجيش ليجرؤ على الظهور بشكل مباشر أمام القوات السوفيتيه أو حتى القوات الشيوعية الأفغانية.

وبالمثل فعل الجيش الباكستانى فى معارك جلال آباد 1989 حيث زود العرب وجماعة بن لادن بالذات بكل الإحتياجات القتالية وبشكل مباشر لأول مرة فى حرب أفغانستان وأصبح يعاملهم على قدم المساواة كأى منظمة أفغانية.

** وقع بن لادن فى غرام تورابور من النظرة الأول كان ذلك فى يوم صيف قائظ من ذلك العام (1996)، وقد أنهك الحر والرطوبة والملاريا فى جلال آباد العرب المطرودين من الخرطوم فوصل عددهم إلى حوالى أربعين أسرة، كلهم تقريباً من أتباع بن لادن.

إستغرق الأمر ثلاث أشهر تقريباً حتى إنتهى بن لادن من إعداد بيانه الشهير عن (أعلان الجهاد على الأمريكان المحتلين لبلاد الحرمين) إنقضي معظمها فى شكليات الصياغة، والضبط اللغوى، وإختيار أبيات الشعر. شارك جميع الموجودين فى النقاشات التى لم تخلو من طرافة وضحكات. وإنتقل جهاز الكمبيوتر ومولد الكهرباء إلى الجبل وبدأت طباعة البيان وتصحيحة.. كانت عملية طويلة أكثر من اللازم ومملة أحياناً.. لكن أحداً لم يشعر بالتردد بل أرتفعت المعنويات كثيراً بمعركة غير متوقعة بالنسبة للجميع، ولايتصور أحد ولو بشكل إجمالى كيف ستدور رحاها.

الحوارات تناولت ببساطة معتادة موضوعات أكثر خطورة ربما على مستوى العالم.. كيف لا ومحورها الأساسى كان محاولة الإجابة على السؤال: (كيف نحارب أمريكا؟) القوة الأولى فى العالم. والسؤال الذى لم يطرح أبداً هو( لماذا نحارب أمريكا؟) فلم يكن أحد يجهل الإجابة عليه. بل لأجل هذا المعرفة تحديداً كان السؤال الأول يبدأ بكلمة كيف؟.

كانت النقاشات متفرقة الأوقات، متداخلة الموضوعات، وأكثرها فى جلسات (مواربة)، أى نصف مغلقة، يمكن أن يحضرها حتى بعض (الضيوف). يشاركون فيها عن خبرة بموضوعاتها المطروحة أحياناً وبدون هذه الدراية فى أغلب الأحيان.

وكعادة العرب ،المجاهدين على الأقل،لم يسفر كل ذلك عن شئ مكتوب لتحديد السياسات والخطوط العامة للعمل. فهم يكرهون الثوابت ولايطيقونها، ويغرمون بدلاً عنها بالإرتجال والبداهة فى كل الأعمال وبالتالى ليس هناك ذلك الشئ الذى يدعى فى الغرب "إستراتيجية".

وحتى الأهداف العليا (النهائية) هى الأخرى عائمة ومتبدلة كما سنرى خلال هذا السرد.

فى الواقع لم يتغير (العرب الأفغان) عما كانوا عليه فى الحقية السوفيتية للحرب ولم يكونوا قادرين على إحداث ذلك التغيير فى أنفسهم.

## - أحاديث فى تورا بورا -

تحت أشجار الصنوبر على قمم تورا بورا، وقريباً من مغارات شهدت معارك وسالت قربها دماء، كان هناك ما يكفى من الوقت للخوض فى غمار مواضيع كثيرة يمكن تبويبها كما يلى:

### الأفكار العامة:

..إن أمريكا لن تسحب قواتها من السعودية (ودول الخليج) بدون قتال لذا لابد من إعلان الجهاد لإخراجهم من جزيرة العرب.

..إن النفط هو الجائزة الكبرى التى حصلت عليها أمريكا بإحتلال السعودية والكويت وباقى دول الخليج. والنفط هو السلعة التى تؤمن لأمريكا سيطرة على الإقتصاد العالمى، وبالتالى على السياسة العالمية. وتمدها بالمال الكافى لتطوير أسلحة تمكنها من إرهاب العالم كله.

..إن الإحتلال الأمريكى لجزيرة العرب مرتبط عضوياً بالإحتلال اليهودى لفلسطين وللمشاريع الوشيكة لأنشاء (إسرائيل الكبرى) التى تصل حدودها من البحر الأبيض حتى الخليج، وتضم شمال السعودية إلى حدود المدينة المنورة.

..إن التواجد العسكرى الأمريكى فى الخليج- وتحطيم العراق بشريا ومادياً- جزء من هذا المخطط كما أنه يوفرمظلة أمان لإسرائيل التى لا يمكن أن تعتمد على جيشها منفرداً حتى ولو كان متفوقاً فى العتاد والعدة على جميع جيوش العرب، التى يتفق الجميع على أن وظيفتها الأساسية هى قمع شعوبها وتأمين حدود إسرائيل، ولكن طبيعة الجبن اليهودية تمنع إسرئيل من الدخول فى أى حرب أو القيام باى مغامرة كبرى بدون وجود جيش لدولة عظمى واحدة على الأقل كى يوفر لها حماية قريبة.

..كان بن لادن يسمى ما تقوم به أمريكا بالنسبة للنفط فى السعودية والخليج خاصة ومن ثم فى باقى الدول الإسلامية- بأنه أكبر عملية سرقة فى التاريخ. وكان يمتلك مخزوناً كبيراً من الأرقام الخاصة بالأسعار والإنتاج يؤيد بها قوله ويستخلص منها أرقام المليارات التى تنهبها أمريكا من المسلمين فى صبيحة كل يوم.

وطبقاً لأرقامه فإن السعر الحالى للنفط( وكان وقتها تحت العشرة دولارات )، لا يتجاوز جزء من عشرة أجزاء من السعر الحقيقى فى حال ترك النفط كسلعة فى السوق الحرة وحسب نسب الإرتفاع فى أسعار المنتجات الصناعية ونسب الهبوط فى سعر الدولار.

وكان يرى أن سعر النفط العادل ينبغي أن يكون بين 150 إلى 200 دولار للبرميل الواحد بل ربما يتعدى المئتى دولار أيضاً.

وكان يحاول له حساب عدد شاحنات النفط المتحركة على الطرق فى حال إفتراض إلغاء النقل البحري، وكم مرة سيطوق حبل الشاحنات هذا الكرة الأرضية بالنفط (المنهوب) من السعودية فقط.

..سلبية الشعب السعودى إزاء الإحتلال الأمريكى لبلاده كان صدمة كبيرة، وقارن البعض ذلك بغيرة الشعب الأفغانى على دينه وبلاده، رغم عدم وجود مقدسات بها، ومقاومته ودحره للسوفييت فى حرب طويلة طاحنة.وقال ذلك (البعض) أن آل سعود والمؤسسة الدينية السعودية تتحمل وزر تخدير الشعب دينياً. وإقتناعهم بأن وضع

الإحتلال لايعارض الشرع لأنه تم برضا ولي الأمر (الملك فهد).
وصورت المؤسسة الدينية عملية القاومة (حتى للإحتلال الأمريكى) بأنها فتنة إذا لم تتم بإذن ولى الأمر. وبالتالى سوف تتصادم المقاومة مع قوات المملكة وشرعيتها الدينية.
..الإحتلال الأمريكى للسعودية ، جعلها عملياً فى وضع المسيطر أو (المحتل) للمقدسات الإسلامية فى مكة والمدينة. ومع إحتلال اليهود للقدس تكون المقدسات الإسلامية جميعاً ساقطة فى يد اليهود والنصارى، وبهذا يكون المسلمون هم الأمة الوحيدة من بين أصحاب الديانات التى لا تسيطر على مقدساتها رغم وجود تلك المقدسات على أراضيها.
بناء على ما سبق إقترح البعض توسيع دعوة الجهاد وحركته لتشمل الأمة الإسلامية كلها فى مواجهه أمريكا وإسرائيل.
وقالوا بأن المواجهه بهذا الشكل تتعددى قدرات وأمكانات الشعب السعودى والشعب الفلسطينى، وبدون تحريك المسلمين جميعاً فلا يمكن تحقيق نصر كامل.
..إن مواجهة عميقة كهذه ستكون طويلة الأمد، وتتخطى مفهوم المواجهه العسكرية المجردة، لتصبح مواجهة إقتصادية أهم بنودها المقاطعة الشعبية لمنتجات العدو، والدفع نحو الإستقلال الإقتصادى عنه، وإيجاد بدائل للتعامل التجارى والإقتصادى معه، وإنتزاع ثروات المسلمين من بين يديه.
وهناك المواجهة الثقافية بأعماقها بعيدة الغور، وهي مواجهة صعبة فى ظل هيمنة العدو على وسائل الإعلام والثقافة وتكنولوجيا الإتصالات الفضائية.
وهناك الإختلافات المذهبية التى كسرت ظهر المسلمين وكانت السلاح الأول فى يد العدو لهزيمتهم.
وكيف أن تيارات مذهبية معينة ،سياستها و رأسمالها الأول فى الحياة هو تمزيق المسلمين وإشعال نار العداوة بينهم. ثم هناك الحركات الإسلامية التى تحالفت مع العدو أو تعايشت معه وتقاسمت الأدوار، والتى ستقاوم تحركاً إسلامياً جديداً بهذه الأوصاف العسكرية والثقافية والإقتصادية والسياسية.
وهناك عقبة المؤسسة الدينية الرسمية خاصة فى السعودية ومصر والتى أضحت أداة لخدمة السيطرة الأمريكية الإسرائيلية علي العالم الإسلامى.
..إشراك الأمة فى هذا الجهاد يستلزم أن يكون تمويله منها. وتنظيم عملية التمويل هذه وكذلك عمليات الصرف. وأخذ العبر من تجربة الجهاد الأفغانى والتمويل الذى جاءة من مصادر معادية للأسلام (خاصة السعودية وأمريكا وحلفائها والتأثيرات الضارة لذلك).
..ينبغى كذلك تجنب أى صبغة مذهبية أو سياسية تقود إلى عزل هذا التحرك الجهادى الأممى أو حصره فى فئة مذهبية أو عرقية أو وطنية خاصة.
..الجماعات الجهادية بعقليتها القطرية سوف تعرب، أو هى أعربت بالفعل، عن عدم قناعتها، وربما تشككها، في إمكان إيجاد تحرك عالمى، ترى أنه أوسع من قدرات الحركة الإسلامية، كما أنه غير واضح المعالم. وقيادات تلك الحركات سوف تتوجس من دوافع هيمنه (بن لادن) على مجمل الحركة الجهادية والمسير بها فى طريق المجهول.
كان واضحاً أن إيجاد صيغة تفاهم أو توفيق بين ماهو (أممى) وما هو (قطرى)

ستكون مهمة شاقة أمام قيادة المشروع الجهادى الجديد (بن لادن).
..تحرك إسلامى (أممى) يحتاج إلى إدارة لامركزية، وبرنامج عمل واسع يشمل فئات شتى مختلفه القدرات.. وعلى قيادة المشروع طرح أساليب العمل وتبنى إستراتيجية مرنه وإطلاق العنان لمبادرات الشعوب والجماعات.
وباختصار فإنه مشروع أمة وليس مشروع تنظيم أو جماعة. كما انه أوسع بكثير من مجرد مواجهه عسكرية أو سلسلة عمليات. وإن كان للعمل العسكرى مكانة حيوية فيه.
فى إطار هذا التصور وطالما أن بن لادن صاحب المشروع، فسيكون بشكل تلقائى هو قائده. لذا **إقترح علية البعض عدة مقترحات منها:**
عدم الإرتباط بتنظيم معين وإلا إنحصر العمل بعد فترة إلى مجرد مواجهة بين ذلك التنظيم وبين الولايات المتحدة. كما أن نظرة الأوساط الإسلامية خارج هذا التنظيم ستكون سلبية أو محافظة وقد لاتعطى التفاعل المطلوب. وعليه فإما أن يقوم بحل تنظيم القاعدة، أو الإستقالة من قيادته والتعامل معه على قدم المساواة مع أى تنظيم إسلامى آخر، أى بدون الإنغماس فى قيادة مباشرة للتنظيم.
وبديلاً عن القاعدة يستعيض بن لادن بمجلس "لإدارة المواجهه" يؤدى مهام سياسية وثقافية وإقتصادية، ولايشارك مباشرة فى إدارة أى مجهود عسكرى. تاركاً ذلك لجهاز عسكرى مستقل له قيادة خاصة.
..لم تكن حركة طالبان قد إستولت بعد على جلال آباد أو كابول، ومشروع مثل ذلك سوف يؤثر فى صميم أمن البلاد، وهو أمر يخص قيادتها، فإذا إستقر الأمر لحركة طالبان فلابد من إجراء تعديلات فى البرنامج بحيث لايتصادم أو يضر بمصالح البلاد، ولابد أن تتوافق مسيرة البرنامج وتطورة بالتفاهم مع القيادة الجديدة.
أما إذا إستمرت البلاد فى حالة التمزق الراهنة مع وجود بن لادن وجماعة (إدارة المشروع الجديد) خارج مناطق السيطرة فالحرية المتاحة لهم أوسع، مع الحذر من أن يستدرج بن لادن إلى صيغة المواجهة التى ترحب بها واشنطن، وهى صيغة رجل ضد العالم، بما يتيح لأمريكا القيام بالدور التاريخى المزيف لرجل الشرطة (الشريف) الذى يطارد مجرماً خارج عن القانون.
..كما يجب الحذر من حصر التحرك فى العمليات العسكرية. فالنشاطات الجماهرية السلمية أو نصف السلمية هى أشد فاعلية على المدى المتوسط والبعيد.

****

لم يستطع بن لادن السيطرة على نفسه. والدور الذى تقمصه هو دور المخلص الذى جاء شاهراً سيفه لانقاذ الحرمين الشريفين، وتلقين الأمريكان درساً.
هناك عدة عوامل ساعدت على تلبسه ذلك الدور منذ الحقبة السوفيتية. وكان لبعض علماء السعودية دور فى إقناعه بأنه كذلك.
ومنذ لقاءاته الأولى مع الإعلام الدولى سعى بكل قوته لجعل المعركة شخصية بينه وبين الولايات المتحدة. أى أنه رمى نفسه وبكل القوة الممكنة لديه إلى حيث يريده عدوه أن يكون.
كان فصل العمل العسكرى عن العمل (السياسى والدعوى) مسألة حيوية، لأن ظهور بن لادن كقائد عسكرى لعمليات ضد الولايات المتحدة زعيمة العالم كله ، سوف يحرج الحكومة الأفغانية، ولاتستطيع أى حكومة فى العالم أن تتحمل مسئوليه ذلك،

وسيكون وجماعته (القاعدة) فى حصار خانق فى وقت قريب وربما لاتستطيع حركة طالبان تحمل الأمر كله .

أما ظهوره كصاحب دعوة ومحرض على تحرير المقدسات فإنه يفيده سياسياً ويجعل إمكانيه المناورة لديه أوسع.

ورأى البعض أن دعوة بن لادن للجهاد ضد الأمريكان لتحرير الحرمين الشريفين وتوسيع دعوته لتشمل تحرير المقدسات الإسلامية. ثم دعوته للقتال ضمن أساليب أخرى لتحقيق ذلك سيجعله بسرعه الشخصية الأولى فى العالم، ولدى المسلمين خاصة كقائد وزعيم- وهذا يتطلب منه التصرف بطريقه مخالفة لما إعتاد عليه منذ سنوات، كزعيم تنظيم يدار بطريقة فردية بحته وتمويل شخصي، أى ما يشبه الشركة الخاصة العاملة فى مجال المقاولات الجهادية، متأثراً فى ذلك بمهنته كمقاول إنشاءات (لكنه هذه المرة مقاول هدم كما علق بعض الظرفاء من حوله).

ثم طرحت مسألة بناء المؤسسات، أو أجهزة العمل، التى يديرها مختصون ينفذون سياسات عامة وليس مجرد (موظفون) أو (أتباع) ينفذون (أوامر يومية أو لحظية). باختصار لابد من القول وداعاً للقيادة المطلقة للفرد. وكذلك التمويل الأوحد للفرد، والقول وداعاً حتى لفهوم "التنظيم" أو"الجماعة"، لصالح مفهوم الأمة، والعمل لها عبر (مؤسسة أممية) غير حزبية وغير مذهبية.

## كلام فى الإعلام:

ما سبق ذكرة فى أحاديث فوق قمم (تورابورا) وجلساتها نصف المغلقة، كانت مجرد (كلام فى الهوا) لم يلزم بن لادن بشئ، كما ظهرمن سجل أعماله فى السنوات التالية. فقط إلتزام منها بما توافق مع (مزاجياته) فى فترات زمنية محدودة وعابرة. وظل بشكل عام يعمل بنفس طريقته التى إعتادها على رأس فريق موظفيه المسمى (تنظيم القاعدة). والتعديلات إن حدثت كانت طفيفة. وعالج بأسلوبه القديم أحداث ومواقف جديدة، بل ومذهلة.

ولم يدرك بن لادن عمق التغيرات التى حدثت فى العالم بظهور "النظام العالمى الجديد" الذى أعلنه (الإمبراطور بوش) الأول عام 1990. وأن الذى تغير ليس مجرد التنظيم السياسى والإقتصادى والثقافى للعالم بل أن الهواء المحيط بالكرة الأرضية والماء فى أعماقها قد طالة التغيير..

كان الإعلام أحد أهم المقاتل التى أودت بمشروع بن لادن.

لقد تعامل برعونه مع أخطر أسلحة العصر الحديث..وهو الإعلام.

(أجمعت أراء من حضروا الحرب الأخيرة فى أفغانستان أن دور الإعلام كان أكبر من دور الأسلحة الحديثة فى إسقاط حركة طالبان وتنظيم القاعدة).

### مثل هذه الأفكار قيلت يومها عن الإعلام:

ضرورة أن يمتلك هذا المشروع وسائله الإعلامية الخاصة، المكتوب منها والمسموع، وحتى المرئى. وعدم الإعتماد التام على وسائل الإعلام (الحديث) التى يمتلكها العدو، وإن كانت أقوى وأوسع إنتشاراً. وهى وإن إهتمت بالمشروع والقائمين عليه من باب الإثارة والتهويل، يبقى هدفها فقط توسيع قاعدة العداء للحركة، وتخويف العالم منها، وتكتيل جبهه معادية لها، تشمل قطاعاً إسلامياً ينفى عنها (الشرعية الدينية) ويدينها بالتطرف.

كما أن الإعلام الخارجي وإن تظاهر بالموضوعيه إلا أنه يمتلك العديد من الوسائل لتشويه (الرأى الآخر) أو إضعافه أو حرفه عن المقصود منه، وذلك باستخدام مصطلحات خاصة، والتعليقات المضادة، واستخدام الصورة وحتى الموسيقى التأثيرية.

...تبنى سياسة إعلامية تبتعد عن إبراز دور الفرد، ذلك المنزلق الخطير الذى يدفع إليه العدو دوماً, لعزل الأمة عن المعركة، وتحويل تلك المواجهة المصيرية إلى مجرد صراع بين (شخص شرير) ودولة عظمى ترعى العالم وتحافظ عليه، وعلى (مثله العليا). ونهاية مثل هذا الصراع معروفة فالفرد ومعه التنظيم إذا إنعزل عن أمته وفشل فى الإلتحام معها وتحريكها معه فى قضيته فإن مصيرة هو الفناء والهزيمة حتماً.

وحذر بعضهم بن لادن صراحة بقولهم: (لاتجعلها معركة بن لادن مع النظام الدولى الجديد). وأثبتت الأحداث التالية إنه كان مصراً على جعلها كذلك.

*****

## فى تورابورا أيضاً..أسئلة غير تقليدية..

فوق جبال تورابورا فى خريف عام 1996 دار الحديث هكذا :

..إن بيان (إعلان الجهاد على الأمريكيين المحتلين لبلاد الحرمين) يدعو إلى شيء خطير والأمر لن يكون نزهه بل ، الأمر يتعلق بمواجهة ليس لها نظير من قبل، حول موضوع لم يسبق طرحه بهذا الشكل.

فالمعركة فى جوهرها دينية، وقد كشفوا بأنفسهم هذا الأمر حتى قبل أن ينتبـه إليـه معظم المسلمين، وحتى قبل أن يخمد دخان معاركنا ضد الـسوفييت والتـى فتحـت للأمريكان طريقاً واسعاً ممهداً للإستفراد بقمة العالم والإستبداد به شـعوباً وثـروات، وقبل ذلك وبعده، أدياناً وثقافات..

ومن هذه الناحية فإن سيطرتهم على مكه والمدينه أتاح لهم إذلال المسلمين دينياً كمـا أذلوهم من قبل سياسياً وإقتصادياً وهم قد بدأوا، وسيزداد ذلك بـوتيرة متـسارعة، فرض رؤيتهم وتفسيراتهم وحتي فتاويهم الإسلامية. فنحن على أعتاب صياغة جديدة للإسلام تنبع مباشرة من البيت الأبيض، وإن شئناً الدقة فإنها صياغة يهودية للإسلام. وقد تختلف وتتنوع العمائم والمسابح ولكن مرجعية المسلمين سوف تستقر فى أيـدى حاخامات اليهود.

ونحن نشاهد منذ فترة بودار تهويد مراكز الفتوى الدينية فى عواصم كانت إسـلامية وعريقة. فنجد (مشايخ الإسلام) هناك (يرغمون الإسلام) على إستنكار مـا يـستنكره اليهود والنصارى .. ويلقنون العامة إسلاماً جديداً هو الإستسلام بعينه.. ولكـن لإلـه جديد يحكم العالم بالحديد والنار، بالخديعة والكذب.. والدولار!!

جزيرة العرب إلى جانب الحرمين الشريفين تعنى لأمريكـا ثـروة الـنفط. ويقـول الأمريكان {إن القرن العشرين كان أمريكياً لأن النفط (فى العالم) كان أمريكيـاً وأن القرن الحادى والعشرين سيظل كذلك}.

أى أنهم سيواصلون تشديد قبضتهم على النفط. ومكانة أمريكا الدولية تعتمـد أساسـاً على هذا الوضع، وسحب النفط من يد أمريكا أو بيعه فى السوق العالميـة بأسـعاره الحقيقية، فذلك يعنى تغيير خريطة العالم كلها وهبوط أمريكا (والغرب) إلـى أسـفل سافلين.

وسوف تستعمل أمريكا كل قواها وبلاحدود، يغريها فى ذلك الضعف المادى المذرى على جانبنا الاسلامى، وتفكك صفوفنا، وكثرة المتعاونين مع العدو من بيننا.
فى الغالب، سوف تتمادى أمريكا فى ردة فعلها حتى ولو لم تكن مهددة بدرجة كبيـرة من جانبنا. وهناك إحتمالات أطلت بقرنها عبـر تـصريحات شـبه رسـمية ومـن شخصيات ذات خطر من الجانب الأمريكى واليهـودى. علـى سـبيل المثـال مـن الإجراءات التى يطالبون بها، وقد يضعونها موضع التنفيذ فى أى وقت بدافع الإنتقام:
..الإستيلاء على مناطق النفط فى السعودية (وربما باقى دول الخليج أيضاً)وتهجير العرب منها مع تعويضهم بألفى دولار وسيارة بيك آب لكل أسرة وهو إقتراح لـسفير أمريكى سابق خدم بلاده فى السعودية فى بداية السبعينات.
إنه إقتراح إستيطانى على النمط الإسرائيلى.

**وهنا طرحت عدة أسئلة لها ما يبررها:**

...ماذا لو قررت إسرائيل تنفيذ مخططها بهدم المسجد الأقصى (وكانت الحفريات تحت المسجد على أشدها) ثم أقاموا الهيكل اليهودى مكانه؟..
..ثم ماذا لو تقدموا بجيوشهم صوب المدينة المنورة (لإستعادة حقوقهم المغتـصبة هناك) ؟.
من سيقف فى وجههم أو يمنعهم؟.. الجميع يعرف قصة الحكـام العـرب وجيوشـهم وأجهزة أمنهم، وأن ذلك كله محسوب لصالح القوة اليهودية وليس ضدها..
..ماذا لو قرروا بعدها هدم المسجد النبوى الشريف، أسوة بما فعلوه بأولى القبلتـين المسجد الأقصى المبارك؟.
..وماذا لو قررت أمريكا هدم الكعبة المشرفة، تحت أى ذريعة وبأى أسلوب كان، مباشر أو ملتوى. بعمل عسكرى أو بعمل إستخبارى؟.
من سيمنعهم؟ أم من سيردعهم إن هم فعلوا؟.
هل هم آل سعود؟ أم أى آل أخرى فى الجزيرة..؟.
أم أى نظام (إسلامى) فى مشارق الأرض ومغاربها؟ .
أم هى منظمة العالم الإسلامى؟.
أم ياترى تتصدى لهم الأمم المتحدة، ومجلس الأمن؟.

*****

ستتعرض أفغانستان حتماً لإنتقام أمريكى عندما يتضح دورها كقاعدة لتحريك جهـاد إسلامى شامل ضد العدوان الأمريكى الشامل على مقدسات وثروات وبلاد المـسلمين قد يصل هذا الإنتقام ويتدرج من إشعال الحروب الداخلية إلى ضرب بأسـلحة دمـار شامل مروراً بمحاولة فرض نظام قوى تديرة أمريكا لتنظيف أفغانستان لـيس مـن العرب فقط بل من الإرتباط التاريخى الوثيق بين الإسلام والشعب الأفغانى.
أمريكا فى حاجة إلى (فتح) أفغانستان لتصبح ممراً برياً آمناً لها صـوب دول آسـيا الوسطى.
فالنفوذ الأمريكي مازال متوقفاً عند (خط ديورند) الفاصل بين باكستان وأفغانـستان. وهذا النفوذ تواق إلى الإستيلاء على بترول آسيا الوسطى الذى يقارن بترولهـا مـن حيث الحجم مع بترول منطقة الخليج. وهذه الثورة ليست الآن فى أيدى أحد. فروسيا الإتحادية (رجل العالم المريض) نظامها عاجز عن مجرد السيطرة علـى الشيـشان بتعدادها الأقل من المليون. وترغب فى (الشعلقة) بالنظام الأوربـى ولـو " كماسـح

لأحذية الأوربيين".
وأنظمة أسيا الوسطى لا يبقيها على قيد الحياة سوى التهافت الإسلامى فـى المنطقـة وتعثر التجربة الأفغانية وضياعها.
إن الضغط الأمريكى المرتفع منجذب بقوة الإعصار صوب الفراغ فى أسيا الوسطى. وأفغانستان فى الطريق عقبة فى وجه إتمام (عملية طبيعية) يأكل فيها الـذئب القـوى نعجة عرجاء.
**والسؤال هو:** من يحمى الإسلام فى أفغانستان؟ وكيف؟ .
..من يحمى المجاهدين العرب فى ملجأهم الأخير على سطح الأرض؟ وكيف؟ .
..من يحمى دول وثروات وإسلام شعوب آسيا الوسطى التى لم تكد تخـرج مـن تحت همجية الشيطان الأحمر فى موسكو، لتواجه شيطاناً أعتى وهمجية أخبث قادمـة من واء البحار.. من واشنطن وتل أبيب؟.
ومن ناحية إستراتيجية فإن (قلاعنا) الإسلامية ما بين المحيط إلى الخليج قد سـقطت فى الأيادى الأمريكية الإسرائيلية والخيار المتاح الآن هو تحويل العمـق الإسـلامى الممتد ما بين الخليج وحدود الصين إلى قاعدة إرتكاز لهجوم معاكس لفتح تلك القلاع وعلى الأخص- وفى البداية- تحرير المقدسات الإسلامية فى الحجاز وفلسطين.
..**والسؤال هنا**: إذا سقط هذا العمق أيضاً فما هى الفـرص المتاحـة أو المتبقـة لتحرير (القلب) والمقدسات؟ومن يحمى هذا العمق؟ وكيف؟.
ظهر حتى الآن أن أمريكا ضربت الشعب العراقى بأكثر من ثلاثين طنا من القنابـل الملوثة باليورانيوم المنضب.وهو مادة منخفضة الإشعاع ، تضاعف كثيراً مـن قـوة التفجيرات العادية، وتنتشر معها على مساحات واسعة فتسبب أضراراً خطيرة بالبشر والبيئة المحيطة.
وقد أصيب ما يقرب من نصف القوات الأمريكية والبريطانية التى شاركت فى تلـك الحملة، بأمراض (غامضة) أسموها (مرض حرب الخليج)، أمـا تأثيراتهـا الفتاكـة بالشعب المسلم فى العراق فأقل ما عرف عنها حتى الآن أنهـا ضـاعفت إصـابات السرطان بشكل وبائى. إلى جانب تأثيرات كثيرة لم تثبت حتى الآن، وأن ذلك الدمار سوف يستمر لعدة قرون قادمة. ثم كررت أمريكا جريمتها فى البوسـنة واسـتخدمت نفس الذخائر.
وها هي إسرائيل تتعمد الكشف عن قدارتها النووية التى لاتقل بحال عن مئتى قنبلـه مع وسائط لنقلها إلى أى عاصمة عربية، وربما إلى ما هو أبعد من ذلك.
فقد ذكروا قدرتهم على ضرب باكستان التى لديها (برنامجاً) نوويـاً بـشكل علـيهم خطورة ((مع أن من يعرف باكستان بشكل جيد يدرك أنها حتى لو إمتلكت قدرات نوويـة فـإن ذلك لايمكن –ولأسباب سياسية- أن تشكل خطورة على إسرائيل، أو حتى على الهند، فباكـستان فى الأساس مشروع بريطانى وظيفته حفظ موطئ قدم ثابت وقوى للقوى الغربية، كما أنه يمنع أى إنبعاث إسلامى صحيح فى شبه القارة الهندية، وهو أقدر على ذلك من المشروع الهندوسى الحاكم في نيودلهى. وذلك بعد نظر بريطاني ..وخبرة إستعمارية مقدارها أربعه قرون)).
..**والسؤال هنا:** ما الذى يمنع أمريكا من إستخدام قنابلها الملوثـة بـاليورانيوم، أو حتى النووية، ضد أى شعب إسلامى فى أى وقت تشاء؟
لقد فرضوا على العراق حصاراً قتلوا فيه مليون ونصف المليون مسلم (معظمهم مـن الأطفا ل) جوعاً ومرضاً.. وها هى قنابل السرطان الإشعاى ستقتل، ولأجيال، ملايين

أخرى بأمراض بعضها معلوم والآخر لم يخطر على عقل بشر..

**فمن يحمى المسلمين منهم؟..**

..هل هى الأمم المتحدة ومجلس الأمن؟.. أم هم أصدقاء أمريكا من حكام العرب؟..

..ثم ماذا لو قررت إسرائيل إستخدام قنابلها النووية أو الجرثومية أو الكيماوية ضد أى عاصمة عربية أو إسلامية؟.. **فمن يحمى الشعب المسلم**؟.

..هل هى الأنظمة التى جعلت من الإستسلام لإسرائيل خياراً إستراتيجياً؟ أم المجتمع الدولي والأسرة الدولية؟.

..ثم ماذا لو توجهت أمريكا بحصارها القاتل وقنابلها الملوثـة بـاليورانيوم إلـى أفغانستان تحديداً؟.

..بل ما هي ردة الفعل الإسلامية لو ضربت مدناً أفغانية بقنابل نووية صنعت فـى أمريكا أو إسرائيل؟.كان الإستنتاج الذى فرض نفسه فى أعقاب التـساؤلات الـسابقة وأمثالها.. يقول بحتمية إمتلاك سلاح للردع حسب ما يتاح الحصول عليه أو تجهيزه، فى المجالات النووية أو الجرثومية أو الكيماوية. من ناحية فنية ستكون هذه الأسـلحة فى صورة متخلفة للغاية بالمقارنة بما لدى العدو، كما أن قدراتها التدميريـة سـوف ستكون أقل بكثير جداً.ومن المستبعد إمكان الحصول على أسلحة جاهزة التصنيع- فقد فات الوقت على وراثة جزء يسير من الترسانة السوفيتية ففى ذلك الوقـت (1996م) كان قد مضت أربعة سنوات تقريباً وأمريكا بالتعاون مع الإدارات فى روسيا الاتحادية تغلق جميع منافذ التسرب، وتجمع المواد الحساسة من الأسواق وتـستوعب أو تقيـد العلماء والفنيين السابقين فى تلك المجالات والذين أصبحوا عاطلين عن العمل، وكان يمكن أستيعابهم فى بدء مشاريع تصنيع لهذه الأسلحة.كان أمر الإستفادة من (الميراث السوفيتى) صعباً جداً، ولكن ليس بالمستحيل.

كانت كابول وقتها تحت حكم ربانى، وظلت كذلك فى فترة حكم طالبـان وإن بدرجـة أقل، سوقاً ضخمة لبيع المواد المشعة. وتدافعت إليها قوى عديدة منها باكستان وأمريكا ومؤسسات إغاثية دولية!! وتجار مغامرون حتى تحولت إلى واحد فى أكبـر أسـواق الإحتيال. ولكن مواد أصلية عبرت منها صوب دول مجاورة وقوي دولية.

*****

## ومن تورابورا أيضاً:

## آراء غير تقليـدية

ثم تهادت التعليقات مع نسائم الخريف الممزوجة بحفيف أشجار الصنوبر.فاختلط مـا هو إستراتيجى بما هو تكتيكي حول أفاق التسليح الحديث بشكله "البدائى" الممكن.

فمن قائل أن مثل هذه الأسلحة التى يطلق عليها أسلحة دمار شامل إنما هـى أسـلحة ردع مهمتها ضبط سقف الصراع حتى لايتعدى خطوطا حمراء. هـى فـى الغالـب ضمانات الوجود. فالطرف المالك لتلك الأسلحة معه شهادة بقاء ضد عدو قادر على إفنائه فى ظل صراع تقليدى. فيلجأ الضعيف إلى هذا السلاح كى يهدم المعبـد علـى رؤوس الجميع.

أما فى حالة صراع طرفين يمتلكان نفس الأسلحة فالأمر يتعلق بحالة" الردع المتبادل " فكلاهما يحجم عن قتال الآخر، حتى بالأسلحة التقليدية، التى ستقود بشكل طبيعى فى حالة المأزق إلى إستخدام إسلحة الدمار الشامل، التى إذا بدأ أحدهماباسـتخدامها فلـن

ينجو من عقاب قاتل.
وفى النهاية يبقى هذا السلاح مجرد مارد فى قمقم لايجرؤ أحد على إخراجه.
رأى آخر قال بأن أمريكا عندما إستخدمت القنابل النووية مرتين ضد اليابان فى الحرب العالميه الثانية لم تكن تحت أى تهديد من اليابان التى كانت قد هزمت عملياً فى الحرب.

**والإستنتاجات من ذلك هى:**

..أن أمريكا خصم متوحش غير شريف. وأنها تتراجع أمام الخصم القوى ولاترحم خصمها إذا تهاوى بل تقضى عليه قضاء مبرماً.
وهذا ما تقوم به الآن مع المسلمين عامة والعرب منهم خاصة.
وأمريكا أرادت بضرب اليابان إظهار أقصى درجات الوحشية والتصميم على إستخدام أسلحة الدمار الشامل بلا تردد.
فأكسبها ذلك هيبة فى المجال الدولى مازالت مستمرة إلى الأن. فالمصداقية مسألة هامة بالنسبه لمالكى هذه الأسلحة.. إذا لاجدوى من أمتلاكها ووضعها فى أيدى لا تمتلك الإرادة والعزيمة على إستخدامها وقت الضرورة.
لقد إكتسبت أمريكا هذه المصداقية بضربها المتكرر لليابان ولا أحد الآن يشك بأن أمريكا قادرة على تكرار التجربة عندما تريد.
– أن أمريكا بالفعل طورت أسلحة تكتيكية نووية، أى أنها هذبت القدرات التدميرية لهذا السلاح حتى يتسع مجال إستخدامه.
وربما أن هذا النوع من الأسلحة- فى حال توصل المجاهدين إليها سيكون تكتيكيا بحكم بدائيته وضعف قدرته التدميرية.. ولكن أمريكا ستظل تطلق عليه (أسلحة دمار شامل) لمجرد التهويل وتغطية عدوانهم.
وعليه.. يمكن إستخدام هذه القدرات عند الحصول عليها للأسباب التى ذكرت آنفاً..

**وملخصها :**

*هى أسلحة بدائية ذات قدرات تكتيكية وليست استراتيجية.
*أن إستخدامها سيكسب المجاهدين المصداقية وما يترتب عليها من هيبة وتأثير معنوي.
*أن هذه الأسلحة ستزيد كثيراً القدرة القتالية المتوفرة فى أيدى المجاهدين، وكذلك تأثيرهم المعنوى. وهم فى أشد الحاجة إلى ذلك لعلاج ضعف تجهيزاتهم وقله عددهم وعزلتهم المتزايدة عن شعوبهم ((التى تعود فى جزء مهم منها إلى العجز السياسى، والتطرف الفقهى لهذه الحركات وفشلها فى التعامل مع شعوبها أو الإندماج فى قضاياها المعاشية والسياسية وكذلك إفتقارها إلى التجديد الفقهى والزعامات الدينية الكبيرة أو العلماء الكبار)).

**وبالتداعى طرحت أسئلة جديدة.. أهمها:**

..فى حال الحصول على مثل تلك الأسلحة، هل تستخدم ضد العدو المتواجد على أراضى المسلمين، أم ضد العدو فوق أراضيه الأصلية؟.
..هل قوات العدو هى المستهدفة بهذه الأسلحة (إذا تم الحصول عليها) أم أن المدنيين فى بلاده سيكونون أيضاً فى دائرة الإستهداف؟.
تنوعت هنا أيضاً الإجتهادات وتعددت وجهات النظر ثم طرحت المزيد من التساؤلات

مثل:
..أى من تلك الأسلحة أنسب لظروف المجاهدين الحالية؟ (النووى أم الكيميـائى أم الجرثومى)؟
..المعلومات التى تتوفر حول طرق تحضير تلك الأسلحة هل تظل طي الكتمان أم يجرى نشرها بين جماعات المجاهدين فى شتى المناطق؟.
..هل تزود المعارضة غير الإسلامية داخل الدول المعتديـة علينـا بمثـل تلـك المعلومات؟
أو بمعنى آخر هل تزود حركات المقاومة غير الإسلامية والتى تواجه الدول المعتدية علينا بمثل تلك الأمكانات التسليحية؟.
..ثم تساؤل آخر عن إمكانية المزج بين العمل الإستشهادى (سلاح الردع الوحيـد الباقى فى يد المسلمين) وبين تلك الأسلحة (دمار شامل)، مع العلم أن أجراءات الأمن لدى العدو قلصت كثيراً مفعول العمليات الإستشهادية وأن إدخال تلك الأسلحة سيرفع كثيراً قيمة العمل الإستشهادى وتأثيراته فى العدو.

## إشكاليات تورابورا

**قالوا حول الإشكاليات والأسئلة المطروحة فى الجلسات "المواربة" على جبال تورا بورا:**

أن الحصول على الأسلحة الحديثة والتى يطلق عليها فى شكلها المتطـور إصـطلاح "أسلحة دمار شامل" قد أصبح ضرورة لإستعادة شئ من التوازن والمبادرة ضد القوة العظمى التى إجتاحت بلاد المسلمين. وأيضاً حتى لانتـرك لهـم مجـال الإسـتفراد والإبتزاز والإبادة مفتوحاً على مصراعية. أما عن مكان إستخدامها، فمن الـصعب إيجاد جواب قاطع، وإن كان من الأفضل إستخدامها على أرض العـدو، وإن ننقـل معركتنا معه، أو جزء منها على الأقل، إلى هناك. ولكن القواعد العـسكرية للعـدو، والتى تتحصن فى صحارى الجزيرة العربية أو باكستان مثلاً- فيمكن أن تستخدم مثل هذه الأسلحة ضدها. لأن التأثير على المسلمين سيكون ضعيفاً كما أن تلـك القواعـد يصعب كثيراً إصابتها بالأسلحة التقليدية إصابات مؤثرة.

أما عن إصابات المدنيين فى الحرب، فهو أمر أصبح حتمياً منذ الحرب العالميـة الثانية والأسلحة الحديثة التى ظهرت فيها خاصة الطائرات.
بل أصبح المدنيين هدفاً أساسياً لكـونهم جـزءاً لايتجـزأ مـن المجهـور الحربـى وإقتصاديات الحرب. وعدد قتلى تلك الحرب وهم 60 مليون تقريباً كان معظمهم مـن المدنيين الذين إستهدفتهم الجيوش عن سبق إصرار وترصد.
وقنابل أمريكا النووية التى ضربت اليابان، ضربت مـدناً ولـم تـضرب تجمعـات عسكرية.
وفى حرب أفغانستان قتل مليونى مسلم. وفى حرب الخليج الثانية قتل نصف مليـون مسلم. وفى الشيشان والبوسنة وفلسطين قتل مئات الآلاف من المـسلمين، جمـيعهم تقريباً من المدنيين قتلتهم جيوش أوروبية (نصرانية ويهودية)، عن سـبق إصـرار وتعمد.
إنما يثير الغرب هذه الإشكالية أمام المجاهدين لتشويه صورتهم من ناحية ولإبعادهم عن مناطقه الرخوة المؤثرة فى إقتصاده بشكل خاص.
**فى المقابل إحتج آخرون (الحمائم) على وجهه النظر المـذكورة**، ونادوا بضرورة حصر كل معركة فى نطاقها الجغرافى المحدد، فمعركـة فلـسطين حـدودها أرض فلـسطين،

ومعركة جزيرة العرب نطاقها جزيرة العرب، ومعركة أفغانستان حدودها فقط أرض أفغانستان.
والحجة فى ذلك الحفاظ على التعاطف الدولى، وحتى على تعاطف الشعوب التى تحاربنا حكوماتها. لأن ضرب هذه الشعوب سيجعلها طرفاً متشدداً فى الحرب، وتؤيد الإجراءات العسكرية المتطرفة التى قد تقوم بها حكومتها.
الطرف الآخر (الصقور) قاوم هذا المنطق بدعوى ألا فائدة من ذلك (الرأى العام) سواء العالمى أو الأمريكي أو غيره. لأن هذه الشعوب متعصبة ضد الإسلام والمسلمين، والدليل هو ما نراه الآن من تصرفات الرئيس الأمريكى كلنتون، فكلما هبطت شعبيته بادر بتوجيه ضربه جوية أو تهديد عنيف للعراق فترفع شعبيته بأكثر مما كان يتمنى.
ونرى فى إسرائيل أنها كلما وجهت ضربات عسكرية للفلسطينيين أو العرب زاد التأييد الشعبى فى الغرب لها، وانهالت عليها الأموال.
وإذا كان هناك قلة فى الغرب يمكنها رؤية الأمور بشكل منطقى وتتعاطف - أحياناً - مع المسلمين فذلك إستثناء لايمكن الركون إليه.
قالت الحمائم: وماذا لو رد العدو على ضربات المجاهدين "بأسلحة الدمار الشامل المزيفة" بضربات معاكسة من أسلحة الدمار الشامل (الحقيقية) ضد المدنيين؟
فرد الصقور: ومن قال أنهم لا يفعلون ذلك الآن؟..
فلننظر إلى تأثيرات أسلحة الدمار الشامل ما هى.. إنها هلاك للأفراد وتدمير للمنشآت، وتلوث للبيئة (بالإشعاعات مثلاً).. ولننظر إلى ما حدث في العراق.
عدد من قتلتهم أمريكا (وبريطانيا) حتى الآن مليونى إنسان، وذلك أكثر مما يمكن أن تحدثه أربعه قنابل من طراز قنبلة هيروشيما النووية. أما عن تدمير المنشآت الذى حدث فى العراق فيحتاج إلى أضعاف هذا الرقم من القنابل النووية. أما عن التلوث فإن القنابل الأمريكية (القذرة) نثرت مواد مشعة فوق مساحات واسعة جداً من العراق تحتاج إلى عشرات القرون حتى ينفذ تأثيرها الأشعاعى المميت.
والمناطق الملوثة إشعاعياً فى العراق أضعاف مساحة مدينتى هيروشيما ونجازاكى فى اليابان.
فنحن أمام مجرد (تحوير) حديث فى أساليب الإبادة الجماعية التى تتبعها أمريكا (وإسرائيل والغرب) ضد المسلمين.
هذا وقد دخل الإقتصاد (الحصار الإقتصادى) كعنصر جديد فى الإبادة الجماعية. كما دخلت قنابل جديد ذكية وقوية وفعالة ومشعة،تعطى نفس النتائج وأشد، من القنابل النووية القديمة فى الحرب العالمية الثانية.
# على كل حال الكلام مع نسائم الخريف.. لم يسفر عن شئ محدد ولم يكن منتظراً أن يحدث ذلك.. ففى عالم اليوم.. وعند المجاهدين كما عند الطواغيت لاينبع القرار من الحوار بين العقول بل ينبع القرار من حيث يأتى الدولار.
تقول أمريكا بأن أخطر ما يهدد العالم الآن هو امتلاك (الإرهابيين) لأسلحة (الدمار الشامل).
وهذا نوع من الخلط والتهويل عبر تهويمات المصطلحات المخربة لعقول البشر.فالمجاهدون المسلمون، ليسوا بأى حال أرهابيون. وهم لم يحصلوا أو يصنعوا هذا النوع من الأسلحة حتى الآن .

كما أن المعارف والتقنيه المتوفرة لديهم، أو التى يمكن توفيرها لسنوات طويله قادمة، لاتؤهلهم سوى لصنع (أشياء بدائية)تشبه فقط ما لدى الغرب من أسلحة (دمار شامل). ولكن لايمكن مقارنة السلاحين من حيث التطور والفعالية.

ويمكن أن نقرب تلك الصورة بمحاولة راعى إبل إستخدام ما حوله من أحجار وأغصان في مضاهاة بناء عملاق مثل (مبنى التجارة العالمية) فى مدينة نيويورك ... ناهيك عن أن راعى الإبل عندنا لاهو يريد المضاهاة مستخدماً ما تحت يديه من وسائل بدائية، ولاهو يريد السعى لإمتلاك وسائل البناء الأصلية.

**هذا وقد أثبتت الغزوة الأمريكية الأخيرة لأفغانستان والإنحدار السريع (لحركة طالبان) و(تنظيم القاعدة) أن المواجهه المطلوبة إسلامياً فى وجه أمريكا (وإسرائيل) أكبر بكثير من إمكانات القوة الإسلامية الفاعلة والعاملة على الساحة الإسلامية كلها.

وأن الحركة الإسلامية مهزومة فى مجالات الفكر والتنظيم والحركة قبل أن تبدأ معركتها ضد (الطاغوت الأمريكى) أو (الشيطان الأكبر).

وأن التخلف المادى (التسليحى والإقتصادى) المريع يمكن تلافيه، والعمل فى ظله ولكن الشئ المستحيل هو دخول معركة بقوة إسلامية ذات أرضية فكرية مهتزة وعقلية متخلفة غير مستوعبة لعصرها ولا مستلزمات الصراع فيه.

وهذه مسئولية الأمة جمعاء.. وبلا إستثناء.

فالجهاد قضيه أكبر وأخطر من أن تترك للجماعات الجهادية وحدها. لأن الجهاد أوسع وأخطر من مجرد (إشتباك مسلح). وأن العقليات المحدودة فكراً، فى نواحى الدين كما فى جميع النواحى الأخرى وعلى قمتها العمل السياسى، لايمكنها المضى بعيداً فى صراع مع أمريكا التى تمثل عصارة الشياطين ، فكراً وعملاً.. وحرباً.

## **فى تورابورا.. بن لادن له رأى آخر**

لم يكن بن لادن فى حقيقة الأمر موافقاً على هذا "الهراء".

وكان يعتقد أن "أمريكا" أضعف بكثير مما يتصور بعض من حوله من الصقور أو حمائم.

وصرح بذلك فى عدة جلسات موسعة. ودليله فى ذلك ما حدث للأمريكان فى بيروت عندما أدى نسف مقر قوات المارينز إلى هروبهم من لبنان، ثم أكد ذلك بحادث آخر وهو إشتباكات "مقدشيو" فى الصومال التى أدت إلى فرار القوات الأمريكية بطريقة متسرعة ومخزية.

ثم حادث ثالث فى اليمن، أقل شهرة من الحادثين السابقين- عندما إتصل تلفونياً (بطرس غالى) سكرتير عام الأمم المتحدة بالرئيس اليمنى (على عبد ا صالح) يخبره بأن القوات الأمريكية فى طريقها إلى عدن لتجعلها قاعدة إمداد خلفى لعمليات (إعادة الأمل) فى الصومال ..فأسقط فى يد الرئيس اليمنى ولم يكن أمامه من خيار آخر سوى الترحيب بالضيف الإجبارى القادم إلى عدن.. ولكن تفجيراً حدث فى أحد فنادق عدن كان مهيئاً لإستقبال الأمريكان ويبدو أن وفداً أمريكيا كان هناك لتهيئة مراسم الإستقبال، وجعل الفندق مركزاً أمريكياً.

كما أن تفجيراً آخر حدث فى المدينة، فألغت أمريكا برنامجها فى عدن..

وينقل بن لادن عن شهود عيان كانوا مع الرئيس اليمنى أنه قال ما معناه أنه لولا التفجيرات التى نفذها الشباب لما كان فى مقدور حكومته أن تفعل شيئاً لمنع أمريكا من وضع يدها على عدن.

ويبدو أن بعض المعجبين من أبناء المملكة، أكدوا له أوهامه عـن تهافـت أمريكـا وخلاصة خبرتهم من واقع زياراتهم، أن البلاد ساقطة ولن تتحمل منه سوى ضربات قليلة.

وفى الحقيقة أنهم أكدوا له متعمدين، على ما يبدو، ما يحب سماعه، وما أكـده هـو أمامهم مراراً من أن أمريكا لن تتحمل ضربتين أو ثلاث من الضربات القويـة.. ثـم تنسحب من بلاد الحرمين.

كان كلاماً مفرحاً جداً، أو مبشراً على حسب تعبيره المحبب، لكن عدداً محدوداً مـن الصقور ذوى الوجوه العابسة والظن السيئ عارضوا ذلك التصور على طول الخط..

**ومن الحجج التي ساقوها في هذا الصدد :**

أ- أن هذا التصور من الأساس خطأ. بل خطير لكونه يدعو إلى التراخـى وضـعف الإستعداد، بما لا يتناسب مع معركة خطيرة تكاد تكون معركة وجود مع قوة عظمى (أو الأعظم فى العالم) .ومن المفروض إعطاء المعركة حجمها والإستعداد لها حسب خطورتها وتعبئة (المجاهدين) وجماهير المسلمين لمعركة طويلة أوحتى طويله جـداً وجسيمة التضحيات. ولابد من الإعداد لأسوأ إحتمالات المعركـة، لامجـرد أحـلام وردوية وتمنيات على غير أساس.

**ب** _ هذا التصور الوردي سيقودنا حتما إلى هزيمة.. لأن تهيئتنا المادية والمعنويـة ستكون لمعركة سهلة قصيرة، فأستعداداتنا المادية ستكون قاصرة، ونفـسنا سـيكون قصيراً جداً (وهذا ما حدث بالفعل).

**ج** - أن الأمثله المضروبة والإستنتاج منها بهذا الشكل أمر مضلل لأن أمريكـا ( أو أى دولة تدير شئونها بطريقه عقلانية) تعطى كل معركة ما تستحقه مـن المجهـود العسكري. ويسمون ذلك بمبدأ الإقتصاد فى المجهود. ورجال الدولة مـن الـسياسيين يستخدمون القوى العسكرية المتاحة لهم بالقدر الذى يحقق مصالحهم لا أكثر ولا أقل.

وفى بيروت تخطت التكلفة المدفوعة من دماء القوات حجم المصالح السياسية لأمريكا فى لبنان كما أن إسرائيل لم تكن بحاجة إلى كل هذه التضحيات الأمريكية.

نفس الشئ فى الصومال.. كانت مصالح أمريكا هناك غير واضحة أو إستعراضـية فقط لإظهار القوة على المسرح العالمى، أو أنها مصالح لاتستحق أكثـر مـا قدمتـه أمريكا فعلاً عندما فقدت عدة عشرات من جنودها هناك.

وإذا تخطينا مثال ما قامت به أمريكا من مجهود شامل فى الحرب العالمية الثانية وما دفعته من أرواح وأموال وانتقلنا إلى ما حدث فى فيتنام وما أبدته من تصميم ودفعتـه من دماء وأموال. لتبين لنا صحة أن الدول تدفع تضحيات فى الحروب، علـى قـدر مصالحها المتوخاة من تلك الحرب.

ولنا أن نقدر مصالح أمريكا فى (المملكة) أو جزيرة العـرب سـواء علـى الناحيـة الإقتصادية أوالدينية والسياسية لعلمنا مدى المقاومة الأمريكية المتوقعة، وأنها قد تقبل بخوض حرب لاهوادة فيها، وبأشد مما فعلت فى الحرب العالمية الثانيـة، أو حـرب فيتنام، لأن مصالحها هنا أكبر وأخطر وتتصل عضويا مع مـصالح اليهـود، القـوة الحاكمة الحقيقية فى الولايات المتحدة.

******************

يمتلك بن لادن سجايا حاكم عربى حقيقى، أو أنه مشروع ملك للحجاز.

وأهم سجاياه "الملكية" أنه يقبل أى رأى وكل وجهه نظر تؤيد ما قرره هو بالفعل.

وتعلم أتباعه الكبار تلك الميزة، وتيقنوا أن لافائدة من السير فى عكس الطريق. ففـي أعقاب المناقشات الساخنه ذات النتائج المعروفة سلفاً، يبتسم أحدهم بيأس قـائلاً فـى ختام السجال: "أنت الأمير"، ثم يطيع ما يصدر إليه من أوامر وهو يعلم يقينـاً أنهـا خطأ..

بالنسبة لمقترحات "أسلحة الدمار الشامل" لم يكن بن لادن موافقاً على الموضوع من أساسه، وكان واضحاً من تكراره لنظرية أن الولايات المتحدة لن تتحمـل من يده ضربتين أو ثلاث [هذا ما حدث بالفعل ولكن بشكل معاكس لما كان يتـصوره بـن لادن.. فأمريكا لم تتحمل أكثر من ثلاث ضربات ثم أجهزت على "القاعد" ومعها "طالبان"].

ولكن لم يستطع أن يصرح علنا برفضه للفكرة.. ربما بدافع تهذيبه الشديد مع مـن حوله وعزوفه عن إحباطهم أو الإساءة إليهم.

سبب آخر هو أن ذراعة الأيمن، أبو حفص المصرى "وزير الدفاع" والرجل الثـانى فى "القاعدة" كان على رأس جناح الصقور، ومؤيداً لمبدأ الحصول على أمكانيـات جديدة، خاصة أسلحة "الدمار الشامل"، ولكنه لم يحزم أمـرة بالنـسبة لأسـتراتيجية إستخدام ذلك السلاح، مؤجلاً ذلك إلى ما بعد أن يتحقق أمر الحصول عليه حتـى لا يكون الكلام مجرد "لغو فارغ".

واستخدم بن لادن مع وزير دفاعه ومن إلتفوا حوله من صـقور التنظـيم، أسـلوبه المفضل بإستعمال "شعرة معاوية" الشهيرة، يرخيها ثم يجذبها مرات عديدة حتى يتبخر حماس الطرف المقابل وينصرف إلى إهتمامات أخرى .

إضافه عبقرية أخرى أضافها بن لادن، بأن ترك المجال لتسريبات حول الموضـوع أكثر مما تسمح به حساسيته وسريته. ربما أراد من ذلك رفع معنويـات أتباعـه أو إجتذاب شباب جدد يرون عنده ما لا يخطر على عقل أى تنظيم آخر منافس. وربمـا أيضاً أراد التهويش على العدو وأخافته وحتى يضع خطاً أحمراً لروحه العدوانية.

..تولى أبو حفص ملف أسلحة الدمار الشامل وعمل بكل ما عهد عنه مـن عنـاد وتصميم.. وحقق أحيانا خطوات إلى الأمام.. ولكن (شعره معاوية) التي تمسكها أنامل بن لادن الرشيقه إنتصرت فى النهاية.. ونجحت فى جعل (أبو حفـص) ومـشروعه يراوحان مكانهما، فلا هو أنجز شيئاً يذكر.. ولا هو كف عن المحاولة.

وقد أثبتت التحريات الأمريكية فى أفغانستان بعد إحتلالها أن لاشيئ كان هناك بالنسبة لهذا النوع من الأسلحة ..والأمر لم يتعد كمية ضخمة من الرغاوي الأعلامية، أثارها الإعلام الأمريكى نفسه، ونفخ فيها بن لادن على قدر إستطاعته.. ولكن الفقاعة، رغم ضخمتها المهولة إنفجرت فى النهاية.

****************

## الشيشان .. على خطى الدمار الشامل

كان بحوزة القاعدة فى مكتبتها الخاصة فى الخرطوم كتاباً بالانجليزية يعطى إرشادات كافية لتصنيع القنبلة الإشعاعية "القذرة". ولما علموا بأن المواد المشعة المطلوبة ربما كانت متوافرة فى "كابول" أختفى الكتاب فى ظروف غامضة. والغالب أنهم كانوا من أنصار إحتكار المعرفة من أجل إحراز التفوق على المنافسين.

وفى كابول كان بحوزة سلطات طالبان كمية لابأس بها مـن العبـوات الإشـعاعية المضبوطة مع مهربين قادمين من بلاد ما وراء النهر، خاصة طاجكستان، وشـحنات أخرى كانت من مخلفات السوفييت فى أفغانستان، بعضها كان للإستخدامات الطبيـة،

وبعضها غير مفهوم الإستخدام.
كان مسئولى الطالبان فى كابول يضربون جداراً كثيفاً من السرية حـول أسـرارهم النووية. ويفضلون دوماً منح ثقتهم للباكستانيين، ولم يكن العرب موضع ثقتهم معظـم الوقت.
وقد دفع باكستانيون أموالاً قليلة، ولكنهم حصلوا على أكثر من قيمتها مـن شـحنات مشعة ، يعرفون هم وحدهم قيمتها، وربما ساعدتهم فى مشروعهم النووى الذى ظهر بعد ذلك بعدة سنوات.
ما تبقى لدى الطالبان من شحنات وسمحوا للعرب بفحصها كانت مزيفـة، ومجـرد مشاريع إحتيال. لقد بدأت سلطات طالبان فى التعاون مع العرب فى مجال البحث عن المواد المشعة.. ولكن بعد أن جفت أسواق كابول تماماً!!
# فى عام 1996 إنتهت الحملة الروسية الأولى على الشيشان بهزيمة واضحة للقوات الروسية وتم توقيع إتفاقية بين الطرفين فيها قدر كبير من الغموض. ولكن الشيـشان فقدت قيادتها الفذة المتمثلة فى الجنرال (جوهر داوديف) وخلفته قيادة ضعيفة، وبـرز تنازع وبؤر للصراع.
وللأسف كان "خطاب" الشاب السعودي أحد هذه البؤر ومن حوله عـدد مـن القـادة الميدانيين.
خطاب (الذى أغتيل فى مارس 2002) كان مدعوماً بقوة من أحـد أجنحـه علمـاء السعودية، الذين أمدوه بالأموال والشباب.
ونجح خطاب فى تكوين قوة إقتصادية إستثمارية فى دول خليجية. وسيطر تماماً على التحرك العربى فى الشياشان. وكان له جهاز إعلامه الخاص الذى يربطـه بالعـالم الخارجى.
بإختصار كان وضعه فى الشيشان وحتى بداية الحملة الروسية الثانية على الشيـشان فى عام 1999 أقوى من وضع بن لادن فى أفغانستان.
وقد بدأت الإتصالات بين الطرفين، خطاب وبن لادن، وكل منهما يحاول جذب الآخر إلى خطته. وكان بن لادن يرى أن إنضمام خطاب إليه فى برنـامج{ الجهـاد ضـد الأمريكان المحتلين لبلاد الحرمين الشريفين} فرضاً دينياً لأن "خطاب" ينتمـى إلـى الحجاز كما أن خطاب كان مجرد (مجاهد مبتدئ) فى جلال آباد فى عام 1988 بينمـا بن لادن كان (قائداً عاماً) لقوات العرب هناك، ولم يظهر خطاب إلا بعد أن غادر بن لادن ساحة جلال آباد وتم إحتجازه فى السعودية .
ولكن خطاب كان يرى أنه على قاب قوسين أو أدنى من تحرير بـلاد جديـدة مـن سيطرة الروس، وأن لديه برنامج شامل لتحرير أسيا الوسطى (!) وبعـض منـاطق القوقاز خاصة جمهورية (داغسان) التى نجح فى تقوية جناح السلفية وأصحاب العقيدة الصحيحة هناك (وكان يخطط معهم لإستيلاء سريع على الجمهورية!!).
كان الحوار مستمراً بين الجناحين السعوديين فى الشيشان وأفغانـستان، ولكـن بـلا طائل.
جناح الصقور فى أفغانستان أرسل في عام1998 رسالة تحذير إلى خطاب فحواهـا مايلى:
أن تاريخ الروس فى الشيشان يثبت أن أسلوبهم فى تلك البلاد يقوم علـى الحمـلات المتتابعة، وأنهم كلما هزموا فى واحدة أعدوا للأخرى بعد وقت قصير معتمدين فـى

ذلك على تفوق مواردهم البشرية والمادية. وبالتالى عليكم فى الشيشان فى الإسـتعداد لحملة روسية قادمة حتماً، يستفيدون فيها من أخطائهم فى الحملة السابقة.
- إن الشعب الشيشانى معزول جغرافيا عن باقى الشعوب الإسلامية خاصة تلك التى يمكنها مد يد العون - وأن المساعدات اللفظية من العرب معلوم تفاهتها وإنتهازيتها.
كذلك حركة المتطوعين العرب إلى هناك، هى حركة موقوته، وتتم تحت الملاحظـة الأمريكية، خاصة فى نقطة الإرتكاز الرئيسية فى إذربيجان. وكـذلك الحركـة فـى السعودية والخليج بالنسبه للأفراد والأموال. وأن لأمريكا مصلحة فى إخراج الـروس والضغط عليهم بواسطة المتطوعين حتى يحصلوا، منفردين إن أمكـن، علـى نفـط القوقاز وبحر الخزر.
إذا فاز الروس فى جولتهم القادمة ضد الشيشان فسوف يتعرض الشعب الشيشانى إلى إبادة جماعية، على النحو الذى قام به الصرب الأرثوذكس فـى يوغوسـلافيا ضـد المسلمين.
وأن تعداد الشعب الشيشانى (750 الف فقط) لا يمكنهم من الصمود فـى وجـه هـذه السياسة، وسيتم إخضاعهم بشكل تام للروس بعد تخفيض تعدادهم إلى أقـصى حـد ممكن بالقتل والتشريد القسرى.
إن إمتلاك (أسلحة دمار شامل) هو ضمانة وجود حيوية للشعب الشيـشانى المهـدد بالإبادة.
ومجاهدى الشيشان هم الأقدر في مجال الحصول على هذه الأسلحة جاهزة التـصنيع من الترسانة السوفييتية، التى مازال كثير منها متناثرا، أو الإستعانة بخبراء سـابقين عملوا فى الحقبة السوفيتية ويعانون الآن من البطالة.
وميزة المجاهدين الشيشان أنهم بحكم القانون يعتبرون مواطنون روس ، ومن المعلوم أن المافيا الشيشانية يمكنها الحصول على أى شئ فى روسيا.
# تلقى خطاب رسالة (صقور أفغانستان) بكل الإستهانه الممكنة. فقد كانت خطـة جاهزة لبرنامج شامل للمنطقة التى يرى أنها ساقطة بين يديه لامحالة.. وفـى وقـت قصير.!!
وكان فى وقت سابق قد رد بكل الجفاء الممكن على عروض بن لادن الـدخول فـى برنامج الجهاد ضد الأمريكان.
لم يلبث الروس أن شنوا حملة عـسكرية ضـخمة وكاسـحة وجيـدة الإعـداد(فـي ديـسمبر1999) رداً على غزو فاشل لداغستان قام به خطاب بصحبة عدد محدود مـن القادة الشيشان مخالفين بذلك رغبة وأوامر الحكومة الشيشانية.
سقطت حكومة المجاهدين الشيشان فى جروزنى وطورد المجاهدون بلا هـوادة فـى الجبال، واقتلعت القوات الروسية معظم السكان المدنيين وألقـت بهـم فـى الـدول المجاورة خاصة جورجيا.
جاء على جناح السرعة وفد من المجاهدين الشيشان يطلب النجدة المعونة من حكومة أفغانستان ومن عربها.
وسأل أحد الوفود بلهفة بعد أن شرح هول حملة الإبادة هناك، سأل عن أى نوع متوفر من أسلحة الدمار الشامل حتى يستخدمونه ضد الروس لوقف سحقهم لشعب الشيشان.
ولكن قيادة العرب فى أفغانستان كان لديهم برنامج مشابه لبرنامج خطاب، أى هزيمة أمريكا فى معركة سهلة وسريعة لا تحتاج إلى ضمانات بقاء، أو أسلحة دمار شامل.

وبعد حوالى عامين ضاعت أفغانستان كما ضـاعت الشيـشان.. وفـشلت الخطـط الطموحة للقيادات الجهادية السعودية، فى تحقيق إنتصارات سهلة وسريعة على الدول العظمى فى مسارح عمليات خارج بلادهم.

******** ********* ***********

## السير على الألغام: خطوات صوب الحرب

### خطوة أولى نحو الحرب: السياسة إسلام وكفر؟

لم تنزعج أمريكا من ظهور حركة طالبان، فقد كانت الحركة تحمل كل سمات (الحركة الإسلامية) المخلصة والمتحمسة التى يمكن السيطرة عليها عن بعد.

فهناك ثلاث طرق تسكلها الدول،والقوى المعادية، كى تؤثر على تحرك إسلامى معين.

الطريق الأول: عن طريق النهج الفكرى، أو المذهب. فكما أن هناك مناهج أو مذاهب ذات إمكانية على مواجهة أعداء الإسلام فى الداخل والخارج، هناك مذاهب أخرى، لاترى أعداء للإسلام سوى إخوانها وجيرانها من المسلمين، فتوجه ضدهم كل طاقاتها.

فكما أن النوع الأول نجح تاريحياً فى مقارعة المستعمرين وإقامة أنظمة أو مجتمعات إسلامية أو تسعى نحو الإسلام.

فإن التيار الثانى نجح فى إشعال الفتن بين المسلمين وكان عوناً أى عون للمستعمر كى يتحكم فى بلاد المسلمين وتحت شعار الإسلام.. وفى جزيرة العرب ما يكفى من الأمثلة.. (وما كان للقوات الأمريكية أن تستقر على مرمى حجر من الكعبة والمسجد النبوى لولا وجود، مذهب دينى ملائم- يساند هذا التواجد ويقنع به المسلمين).

الطريقة الثانية: هم علماء المذهب.. فإن كان المذهب ذو إمكانية وحيوية على مواجهة الإسلام فى الداخل والخارج..فإن العلماء أصحاب التأثير والفتوى قد لايكونون على المستوى المطلوب، وتتغلب عليهم الأهواء والمصالح، أو حتى الضعف العلمى أو الخوف على النفس، فينحرفون بالناس على عكس مايأمر به الدين ويشير المذهب.

**الطريق الثالث**: أصحاب القرار والسلطان، فإذا وصلت الحركة بنفسها إلى الحكم (كما حدث لحركة طالبان) أو تحالفت مع أصحاب النفوذ فى مشاركة بين السيف والفتوى (كما حدث فى السعودية). فإن أصحاب القرار والسلطان، يمكن لقوى خارجية متسلطة أن ترغمهم على "التعقل" والتراجع التدريجى عن شعاراتهم والعودة إلى الصفوف الداجنة مع غيرهم من الأنظمه "المعتدلة". هذا الإرغام قد يكون بالوعد والوعيد وقد يصل إلى وسائل أعنف مثل الحصار والإغتيال والتخريب.. والحرب!!.

كان **(الطريق الثانى)** تكمن فيه نقطه ضعف حركة طالبان.. إختصاراً.. كانت المرجعية الدينية لقيادة حركة طالبان موجودة فى كراتشى الباكستانية وليس قندهار مقر الإمارة.

وكما هو مألوف جداً.. فقد كانت المرجعية المذكورة تحت سيطرة السلطات الباكستانية خاصة جهازها سئ السمعة( آى.إس.آى) .

لقد إحتفظ الجهاز المذكور بصلات عميقة جداً بالجماعات الجهادية فى كشمير وباكستان، حتى لا يكاد يخلو أى مكتب لهذه الجماعات من مندوب أو أكثر لذلك الجهاز.

ودرجت تلك الجماعات على الإدعاء بإنها قد (إخترقت!!) جهاز الإستخبارات الباكستانى وجندت عدداً من ضباطه (المؤمنين!!).
وبالمثل معظم كبار العلماء من شتى الفرق المتصارعة فيما بينها، يدعون وجود مريدين من ضباط الجهاز المذكر يترددون على "الشيخ الكبير" يتحاورون معه سراً وعلناً ويلتمسون منه البركة والدعاء.
بعض ضباط الإستخبارات هؤلاء أعفو اللحى ويصرح علناً بمعارضة الحكومة القائمة، وأنهم تركوا الخدمة فى الجهاز التاريخى. ولكن عن طريق هؤلاء الضباط وغيرهم تتم السيطرة على (الحركة الدينية) فى باكستان وأفغانستان معاً (خاصة القطاع البشتونى فى أفغانستان).
وعلى نمط علماء البنتاجون فى السعودية وهم المؤسسة الدينية الرسمية هناك، يوجد فى باكستان علماء (الإستخبارات العسكرية) وهم تيار واسع وعريض، حكومى وشعبى وجهادى، بما يتناسب مع المجتمع الباكستانى المفتوح والمنوع (أو بالأحرى الممزق).
كان هناك القلق الأمريكى (المشروع) من التطبيق الفورى لأحكام الشريعة الإسلامية فى المناطق التى سيطرت عليها حركة طالبان. وهو الأمر الذى أدى إلى الإنتشار السريع للحركة بعد أن فتحت لها القبائل أراضيها طواعية، وكان ذلك بمثابة إستفتاء على التطبيق العملى للإسلام فى بلاد قاتلت الشيوعية والسوفيت مدة عشرين عاماً تحت راية الجهاد.
كان الأمر مزعجاً لأمريكا. ولكن "الخبرة التاريخية"فى جزيرة العرب تثبت لهم أن الإطاحة ببعض الأيدى والرؤوس لبعض أعداء الحكام، أو لأناس لاضرورة لهم، قد تشكل فى مجتمع إسلامى (محافظ) ستاراً جيداً لنظام موالى حتى النخاع لليهود والقوى الإستعمارية.
والأمر نفسه يمكن تكرارة فى أفغانستان مادامت المرجعية الدينية للنظام الجديد تحت السيطرة وإن بواسطة جهاز إستخبارات صديق ومخلص للغرب المسيحى.
ولكن أمريكا أخطأت، وكذلك جهاز الإستخبارات الباكستاني، فى إدراك مقدار الإخلاص والصلابة التى تتمتع بها قيادة حركة طالبان، المغايرة للشخصيات الإنتهازية الملوثة لقادة الأحزاب الجهادية سابقاً.
ولكن أمير حركة طالبان الملا محمد عمر،{ والذى فقد عينه اليمنى فى القتال ضد السوفييت}. ومعه مجلس شورى الحركة، والمكون من خمسة عشر شخصاً، أثنا عشر منهم أصيبوا فى نفس الحرب إصابات جسيمة وفقدوا أعضاء من أجسادهم.
كان ذلك الفريق أكثر جدية فى موضوع تطبيق الشريعة فى أفغانستان، وفى كافة المجالات وليس فقط فى مجال الحدود والعقوبات.
وكان وصول بن لادن أو عودته إلى أفغانستان للمرة الثانية فى مايو عام 1996 المحك الأكبر لذلك التوجه والإبتلاء الأعظم للحركة، التى تواجه معارضة مسلحة مدعومة إقليمياً ودولياً.
السفير السعودى فى إسلام آباد، كان أمريكياً أكثر من الرئيس كلينتون. فما أن إستولت حركة طالبان على مدينة جلال آباد وقبل أن يستقر الوالى الجديد على مكتبه، حتى كان السفير السعودى يطالبه، بإسم الولايات المتحدة الأمريكية تسليم أسامة بن لادن!!.

تم تحويل الطلب والسفير إلى قندهار فالأمر من صلاحيات الملا محمد عمر " أمير المؤمنين".

أكد السفير للأمير أنه يطالب بتسليم بن لادن للولايات المتحدة الأمريكية. وفهم منه الأمير أن بن لادن لم يعد مواطناً سعودياً بعد أن أسقطت عنه الجنسية السعودية، كما أنه غير متهم بأى جريمة محددة ضد الولايات المتحدة.

فلم يخفى الأمير إمتعاضه واحتقاره للسيد السفير، وأصبح من يومها يكرهه بشكل شخصى، لكونه على حد قول الأمير يعمل كسفير لأمريكا وليس السعودية، وقالها له بشكل مباشر وبالصراحة القندهارية الساطعة: **"لن أسلم مسلماً لكافر!!".**

لا شك أن هذه الجملة حددت بشكل نهائى مصير العلاقة بين الولايات المتحدة وحركة طالبان، بل أنها الجملة التى بسببها تقرر أن الحرب حتمية وأن امريكا لن تتنازل عن إسقاط حكم طالبان حتى لو أدى الأمر إلى تدخلها المباشر.

ولقد حذر بعض (المتطرفين) العرب قيادة حركة طالبان، وقالوا لهم وقتها: إنكم بذلك قد أعلنتم الحرب على الولايات المتحدة من ناحية المبدأ.. أما التوقيت والسناريو.. فعند الأمريكان.

وزادوا شرحهم بالقول: إن الغرب الصليبى قرر منذ أكثر من مئتى سنه إستبعاد الإسلام من مجال السياسة الدولية.فلا يستخدم المسلمون ، ناهيك أن يطبقوا عملياً، مصطلحاتهم الدينية (خاصة الإسلام والكفر) فى تصنيف الدول والتعامل معها ولا يهم بعد ذلك الإستبعاد، إن سالموا أو حاربوا.. فالمهم ألا يكون المسلمون مسلمين فعلاً فى نشاطهم التطبيقى للسياستهم العالمية.

وقد تكتل الغرب الصليبى فى تحالفات ودخل حروباً عسكرية وثقافية وسياسية مع المسلمين حتى نجح تماماً فى ذلك.فانتقل بعدها إلى إستبعاد المصطلحات الإسلامية (نطقاً وتطبيقاً) فى مجال السياسة الداخلية لبلاد المسلمين. فنجح نجاحاً لايقل عن سابقة.. وهو الآن ينتقل إلى مجال الضمير المسلم.. حتى لايصبح المسلم حتى بينه وبين نفسه وداخل جدران بيته- مسلماً حقاً.

لم يستوعب مسئولى طالبان معظم تلك "الفلسفات" وهزوا أكتافهم قائلين "توكلنا على ا .. سنطبق الإسلام قبلت أمريكا أو حاربت".

...لم تستسلم أمريكا لمقولة الملا عمر... وأرسلت وفوداً عجز "الطالبان" عن حصرها... حتى إستغاثوا طالبين من بن لادن ألا ينطق حرفاً فى الإعلام.. لأن وقت الإمارة فى قندهار ضائع فى معظمه فى مقابلة وفود- من شتى البلدان- وفى شتى الصور والألوان كلها تتكلم حول موضوع واحد لاغير: تسليم بن لادن لأمريكا.. كانت الإمارة فى قندهار مذهولة مما يحدث.. كيف يتحرك كل هؤلاء لموضوع لاعلاقة لهم به البته.. وفقط لإرضاء أمريكا؟!!

لقد بدأت حركة طالبان تتحسس صورة العالم، وتأثير أمريكا فيه من خلال معضله بن لادن..وكانوا فى حالة صدمة.. ليس فقط من هول كمية الوفود وتنوعها.. ولكن لأن تحرك الدول "الإسلامية" كان أكثر إلحاحاً من الدول "الكافرة".

**..كان ضغط أمريكا فى موضوع تسليم بن لادن منصرفاً فى معظمه من أجل تحطيم هذه القاعدة التى ماتت ويريد أمير المؤمنين فى قندهار إحيائها مرة أخرى. موضوع أن هناك دولاً "مسلمة" ودولاً أخرى "كافرة" وأن هناك "أحكاماً شرعية" وليس "قوانين دولية" تحكم العلاقة بين الطرفين.**

وإلا فإن بن لادن لم يكن قد عكر صفو أمريكا بأى شئ حتى ذلك التاريخ

# الخطوة الثانية نحو الحرب:
## العرب يقطعون نفط آسيا الوسطى

كانت نسائم الخريف المنعشة تهب على جلال آباد فى ذلك المساء من شهر نوفمبر عام1996. وما كاد قرص الشمس يهبط خاف سلاسل الجبال الشاهقة، حتى هبطت طائرة هيلوكوبتر عسكرية قادمة من قندهار فى مهمة خاصة.
لقد كاف الملا محمد عمر أحد مستشارية المقربين، أن يذهب سرا، لمقابلة بن لادن، والموضوع هو: إستشارة بترولية!!.
بعد بروتوكولات الإستقبال والتحية وتناول جماعى لطعام العشاء والصلاة، جلس مندوب الإمارة مع بن لادن وكبار مساعدية، وعدد قليل جداً من الضيوف العرب- الذين تصادف أنهم من جناح الصقور(**كان الكاتب من شهود ذلك اللقاء**) .
الجلسة كانت سرية بالطبع، لذا فمندوب الإمارة بعد أن إستوثق من الحاضرين، بدأ الحديث بصوت منخفض. وملخص ما قاله، أن وزير الداخلية السابق (فى حكومة بى نظير بوتو) نصير ا بابر، يتوسط لدى الإمارة فى قندهار نيابة عن شركة نفط أمريكية بخصوص مشروع ضخم يتكلف عدة مليارات من الدولارات، ويهدف إلى مد أنبوبين أحدهما للنفط والآخر للغاز، يمتدان من حدود تركمانستان ويعبران الأرض الأفغانية إلى باكستان ليصلا إلى شواطئها البحرية. ويستخدم الأنبوبان لنقل ثروات النفط والغاز الهائلة من دول أسيا الوسطى "وبحر الخزر" إلى الأسواق العالمية.
فى المقابل يعرض (السمسار) وزير الداخلية السابق على الإمارة فى قندهار، المكاسب التالية:

1 - مبلغ مقطوع (!!) مقدارة خمسة عشر مليون دولار (!!).
2 - الغاز المجانى للقرى الواقعة إلى عمق خمسة كيلومترات على جانبى أنبوب الغاز (!) ،والغاز المجانى لمدينة كابول.. (!).
3- بناء معهد لتدريب الفنيين العاملين فى بناء وصيانة خطوط الأنابيب.

بن لادن ذو معرفة موسوعية فى موضوع النفط.. ولاشك أن الإمارة فى قندهار وصلتها وجهات نظره عن دور أمريكا،بواسطة آل سعود، فى نهب ثروة النفط، ليس في السعودية ودول الخليج فقط بل فى العالم أجمع. ثم لديه ذخيرة لاتنفذ من الأرقام والإحصاءات والمقارنات الطريفة. والغريب أن عدداً منهم إستوعب، على الأقل، الخطوط العامة لأفكار بن لادن.
لذا إعتبرته "الإمارة" مرجعاً فى الموضوع وأرسل "الأمير" إليه مستشاراً من أقرب رجاله، لإستطلاع رأيه فى المشروع.
كعادته المهذبة والحريصة، يترك بن لادن لغيره أن يبدأ فى طرح وجهات النظر وينتظر هو حتى النهاية لتكون كلمته هي فصل الخطاب فترك التعليق الأول لأحد الصقور.. الذى بدأ بالبسملة.. وثنى بوصف الوزير الباكستانى باللص المحتال، ظهرت الدهشه على وجه الضيف القندهارى ولكن المتهور العربى واصل كلامه قائلا

1- أنه لاتوجد فى العالم كله إتفاقيه تقول بمبلغ مقطوع تأخذه الدولة التى يمر بها خط أنابيب للنفط أو الغاز. بل أن هناك مبلغاً عن كل "متر مكعب" أو "طن" يمر من تلك الأنابيب. وبالتالى فإن أى مبلغ مقطوع، سواء كان خمسة عشر مليون أوحتى خمسمائة مليون، هو سرقه وإحتيال لا أقل.

2- أن إمداد القرى على جانبى خط الأنابيب بالغاز المجانى لاتعنى شيئا من الناحية الإقتصادية، لأنه نظراً لفقر القرى وتخلفها فإن إستخدامها للغاز سيكون نادراً أو منعدماً.

ولكنها عملياً ستصبح مجندة لدى الشركة الأمريكية كميلشيات لحماية خط الأنبايب، وسيتحول ولاؤها إلي الشركة وليس للحكومة الأفغانية.

3- وعن كابول العاصمة المهددة والتى لم يعد بها مشروعاً صناعياً قائماً على الأرض والتى مازالت الحرب تدور علي أطرافها، وقد تهدمت معظم أحيائها السكنية الهامة والمكدسة بالسكان، فإن إمدادها بالغاز لا يعنى شيئاً من الناحية الإقتصادية، وسيقتصر إستخدام الغاز.. على التدفئة فى الشتاء، وهو أمر تافه تتكفل به حالياً السدود القريبة من العاصمة، والتى لاينقص سوى تزويدها ببعض الأسلاك لنقل الكهرباء إلى المدينة، وبأسعار شبه مجانية.

4- أما معهد إعداد الفنيين الذى يتكلم عنه (الوزير)، فليس سوى معهد لإعداد الجواسيس العاملين لصالح الشركة الأمريكية. وهو أمر معروف فى جميع المعاهد المشابهة التى أقامتها تلك الشركات فى أنحاء العالم.

والنتيجة هى أن مشروع الأنابيب سيمر من أفغانستان مجاناً وبدون أن يحصل الشعب أو الحكومة على شئ. وبذلك سيوفر الوزير (المحتال) علي الشركة الأمريكية وعلى المدى الطويل مليارات كثيرة من الدولارات، لاشك أن سيأخذ عددا منها.

شعر الضيف الأفغانى بالذعر وإتسعت حدقتاه، منتظراً بفارغ الصبر كلمة بن لادن لتنقذه من ذلك الكابوس.

بدأ بن لادن الحديث بلهجته الهادئة، وبتسلسل هادئ طويل وجذاب إلى أن وصل فى نهاية المطاف إلى نفس النتائج السابقة.

ثم قدم إقتراحات أهمها ألا توقع الإمارة أى إتفاق مع أى شركة كانت إلا بعد الإطلاع على إتفاقات مماثلة لدى دول أخرى.

ولم يظهر المشروع إلى حيز التنفيذ حتى سقوط حركة طالبان.

ولكن.. لا شركات النفط الامريكية، ولا حكومتها فى واشنطن كانت ستوافق على وضع الملايين فى يد حكومة أفغانية تتعامل بقوانين الإسلام والكفر.

ثم لاشركات النفط الأمريكية ولا حكومتها فى واشنطن على إستعداد، كمجرد تصور، أن تتنازل عن وضع يدها مباشرة على نفط آسيا الوسطى، وعلى نمط ما يحدث فى جزيرة العرب من المنبع فى حقول النفط- وحتى المصب فى المياة الدافئة، ثم النقل والتوزيع فى الأسواق العالمية. فذلك من وجهة نظرهم هو الضمان الأكبر لبقاء أمريكا على قمة العالم (وفوق صدره أيضاً) فى القرن الواحد والعشرين، الذى يوشك على البزوغ بعد سنوات قليلة. لقد قالوها منذ البداية (أن القرن العشرين كان أمريكياً لأن النفط كان أمريكا، وأن القرن الواحد والعشرين سيظل أمريكياً) بالطبع لأن النفط سيستمر فى يد أمريكا. ولايمكن لأى سياسى أو (نفطي أمريكى) أن يفكر فى بترول العالم فى القرن الحادى والعشرين بدون أن يضع يداً وعيناً على جزيرة العرب، ويضع يداً وعيناً أخرى على آسيا الوسطى.

..نصيحة بن لادن (للإمارة الإسلامية) فى قندهار أدت إلى فشل مشروع الإحتيال والإستغفال الذى قام به (نصير ا بابر) الذى إدعى الإعلام الأمريكى أنه مؤسس حركة طالبان(!).

وفشلت لاحقاً كل المحاولات الأمريكية لإتمام أى صفقة مجحفة مع (حركة طالبان) التى أرسلت مندوبيها إلى الخارج، فاطلعوا على الإتفاقات المشابهة، وأصروا على المعاملة بالمثل.
فإذا وافقت أمريكا على ذلك فإنها تكون قد مولت بغزارة نظاماً إسلامياً معادياً لها.. وأن هى رفضت ظل بترول أسيا الوسطى بعيداً عن يدها.. وربما تلقفه أخرون.

**( ويؤكد بريجنيسكي أنه لو كانت نجحت المفاوضات التي بدأتها امريكا مع طالبان عام 1998 حول نقل الغاز والبترول من تركمانستان عبر أفغانستان وباكستان الي الغرب فربما كان تغيرتاريخ العالم كله لكن ما حدث كان أمراً آخر ) .**

( ص 194 من كتاب بن لادن وطالبان – مصدر سابق).

والحل؟ لابد إذن من إزاحة حركة طالبان.. ولو بالحرب.
إن نصيحة بن لادن لحركة طالبان فى نوفمبر 1996م كانت بلا شك أكثر إضراراً بالإقتصاد الأمريكى من عملية سبتمر 2001م وكانت تلك النصيحة وما ترتب عليها من إبقاء أسيا الوسطى ونفطها بعيداً عن متناول اليد الأمريكية لعدة سنوات- كانت واحدة من الخطوات الأساسية التى دفعت أمريكا نحو شن الحرب على أفغانستان وإسقاط حركة طالبان.

**{ ننقل الفقرة التالية عن كتاب أولي حروب القرن للدكتور محمد القبيسي ، بتصرف بسيط:( في عام 1996نشرت وسائل إعلام أمريكية أن شركة يونوكول للنفط عرضت علي حكومة طالبان مد خط أنابيب عبر أفغانستان ، وأن قادة حركة طالبان ذهبوا إلي تكساس حيث كان جورج بوش محافظاً ، وأن مديري الشركة إستضافوا الوفد الأفغاني وعرضوا عليهم صفقة تساوي 15في المائة من أرباح الشركة في حال نقل الغاز عبر الأنبوب المقترح ) ."إنتهي"**

**<u>تعليق</u> * الخبر المذكور غير صحيح في الأساس فهذه الزيارة لم تحدث . والهدف من الخبر التشويش دولياً علي سمعة الحركة ، والوقيعة إقليمياً بينها وبين جارتها إيران ،التي توجست شراً من نظام طالبان الذي تصورته أداة أمريكية لنزع المزايا الأقتصادية والإستراتيجية التي تتاح لإيران من مرور نفط وغاز آسيا الوسطي عبر أراضيها . كما تخوفت من إستغلال أمريكي للحماس الديني لدي حركة طالبان وتحويله نحو الفتنة الطائفية بين السنة والشيعة التي قد تتحول إلي حرب جنونية قد تطال إيران نفسها .**

**.. نسبة الأرباح المذكورة ربما كانت صحيحة ، ولكنها لم تعرض علي حركة طالبان بل عرضت علي نصير ا بابر وزير الداخلية الباكستاني الذي تفاوض مع حركة طالبان وعرض عليها مبلغاً مقطوعاً قدره 15 مليون دولار . وبذلك وفر الوزير الباكستاني لنفسه عمولة هائلة ودائمة مقدارها 15 في المائة من أرباح الشركة !! . أي أن الوسيط سيحصل علي العائد كله تقريبا !! .**

**.. مستشار الشركة الأمريكية في تلك المفاوضات كان هو نفس حامد كرزاى الرئيس الحالي لأفغانستان . لذا ينظر إليه أفغانياً ودولياً علي أنه ممثل مصالح شركات النفط الأمريكية في أفغانستان .**

**.. كان كرزاى موضوعاً تحت عناية المخابرات الأمريكية منذ أوصى ( وليم كسبي) مدير تلك الوكالة بنقل المذكور وإخوانه وعائلته إلي الولايات المتحدة بعد أن إنسحب السوفييت من أفغانستان . وقد شارك كرزاى في الحملة الأمريكية علي بلاده بأن جند المرتزقة ودفع الأموال لقادة عصابات قطع الطرق للعمل في إطار الحملة العسكرية علي قندهار تحديداً . . لذا ينظر إليه أفغانياً ودولياً علي أنه رجل المخابرات الأمريكية الأول والأشهر في أفغانستان والمنطقة }.**

## **الخطوة الثالثة: وقف زراعة الأفيون**

ثلاث نقلات علي الساحة الأفغانية أشعلت الحرب :

1 .. تطبيق الشريعة أرسي **مبدأ الحرب** بين أمريكا وأفغانستان .

2 ..ثم جاء المأزق النفطى ورفض مبدأ الإستغفال خطوة تالية حددت **حتمية الحرب**.

3 ..وأخيراً قرار "الأمارة" فى قندهار بالوقف النهائى لزراعة الأفيون ثم التنفيذ الفورى الناجز للقرار حدد **توقيت الحرب** وبدقة مذهلة.

# كانت الحرب أمريكياً ذات منطلق دينى (لوقف تطبيق الشريعة الإسلامية فى أفغانستان) وذات محركين إقتصاديين أولهما (من حيث الظهور) النفط. وثانيها (وهو الأسرع والأقوى حسماً) كان الأفيون.

والغريب أن موفد الملا عمر إلى بن لادن فى تلك الليلة من خريف ( جلال آباد) قد طرح تساؤلاً حائراً، عندما أغلق بن لادن والصقور من حوله أبواب أمل لاح "للإمارة" بأن كنزاً مقداره خمسة عشر مليون دولار قد وقع بين أيديهم.. وقال الرجل: وماذا نفعل؟ ليس لدينا موارد لبناء البلد.

فى هذه المرة أيضاً تصدر "المتهور" العربى للفتوى قائلاً:

-إبنوا بلدكم بعائدات الأفيون!!.

أصيب المجلس بالسكتة القلبية لعدة ثوان..

لمعت العيون وفغرت الأفواه، وأسرع بن لادن بعد أن أفاق- محاولا لملمة الفضحية. وبصرف النظر عن الإضطراب والإحراج ومشاعر الغضب التى تلبست بعض الجالسين.. فإن هذه الجلسة وبدون وعى الجالسين فيها قد لامست المحركين الأساسيين للحرب الأمريكية القادمة: النفط والأفيون.

الضيف القادم من قندهار لم يكن الموضوع فى حد ذاته جديداً عليه، أو على أى أفغانى آخر.

ولكنه صدم من يأتى هذا العرض الجرئ من جانب العرب المعروفين بالتزمت والتحريم لكل شئ تقريباً.. فإذا كانت السجائر محرمة لديهم.. فما بالك بالأفيون !!.

# لكن الحوار الذى تورط فيه الحاضرون كان مبنياً على وقائع عملية معروفة وشائعة.. فحادثة القائد الجهادى الشهير (نسيم أخوندزادة) هي من أشهر علامات مشكلة الأفيون، والتناقض بشأنها بين الأفغان و أمريكا.

فالرجل المذكور عالم دين وقائد جهادى، وقت السوفييت، سيطر على معظم ولاية هلمند أكبر ولايات أفغانستان فى إنتاج الأفيون.

فقرر الرجل وقف زراعة الأفيون فيها وإستخدم الحزم لفرض ذلك، رغم القتال الدائر ضد الحكومة الشيوعية.. وفى بداية التسعينات رفع الغرب عقيرته فى وجه المجاهدين متهماً إياهم بتشجيع زراعة الأفيون، وهو العلم الأحمر الذى يرفعه ضد من لايرغب فى رؤيتهم على سلم السلطة فى أفغانستان.

فى نفس الوقت أغلقت أمريكا صمام الإمدادات القادمة للمجاهدين الأفغان، فأصبح وضعهم خطيراً إزاء الإمدادات السوفيتية الكثيفة لحكومة كابول خاصة من أجيال الأسلحة الحديثة.

وجد "الملا نسيم" نفسه أمام خيار من إثنين فإما أن يوقف الجهاد ويستسلم للحكومة

الشيوعية، أو يسمح بزراعة الافيون ويواصل المقاومة. فأصدر فتواه بإباحة زراعة الأفيون وإستخدام جزء من عائداته فى تمويل الجهاد.. فثارت الثائرة الأمريكية، ليس لإباحة زراعتة فهذا ما يؤيدونه دائما، ولكن من خطورة المعادلة نفسها، وإحتمالات عديدة أحدها إستقلال المجاهدين الأفغان مالياً وبالتالى إستغنائهم عن أمريكا ومحورها السرطاني الممتد من الرياض وحتى إسلام آباد.

فى النهاية صممت أمريكا عملية إغتياله، بعد أن استدرجه قادة أفغان إلى بيشاور كى يشارك فى حكومتهم المؤقته هناك نائباً لوزير الدفاع.

ومازال الإنقسام موجوداً بين علماء الأفغان بشأن الأفيون. والرأي الراجع عندهم هو إباحة زراعته نظراً لإستخداماته الطبية، فهو يسمى عندهم (ترياق)، مع تحريم تعاطيه أو تحويله إلى مسحوق الهيروين.

وهكذا كان الموضوع فى صورته (الواقعية) واضحاً تماماً، على مستوى الشارع الأفغانى وقياداته.

ولكن قضية المخدرات مرت بعدة منحنيات حتى وصلت إلى أن تكون السبب المباشر فى تحديد توقيت الحرب بل ما هو أكثر إذ حددت مسارح العمليات ونوع الحل السياسى المطلوب. كما سنرى لاحقاً.

فى تلك الليله الخريف عام 1996 إمتعض بن لادن من طرح موضوع المخدرات غير المهذب فى جلسة عالية المستوى، وأمام ضيف خاص من الإمارة على هذا المستوى. إنفضت الجلسة فى وقت متأخر، وغادر الضيف الخاص، وباقى الضيوف، تاركين قرية عرب خيل، فى ظلام موحش.

ولكن بعد عدة أشهر كانت قرية عرب خيل هدفاً لهجوم عسكرى كبير تم تدبيره وتمويله من داخل الحدود الباكستانية. ومن حسن الحظ أن حركة طالبان أحبطت الهجوم فى مراحله المبكرة.. لكن العرب هجروا قريتهم واستدعاهم الملا عمر إلى منطقة أكثر أمناً وتحت عنايته المباشرة.. فى قندهار.( أنظر فقرة: كماشة حول عرب خيل).

***************

## الفشل الأكبر للملا عمر:
## إغلاق فم بن لادن

العديد من الوزراء توافدوا على المقر الشتوى "لابن لادن" فى قرية "عرب خيل".

كان الوزراء وكلهم من الشباب، يأتون من كابول إلى جلال آباد للمجاملة، وأحياناً للمشاروة مع بن لادن، فى بعض الشئون الفنية لوزاراتهم، خاصة فى الزراعة والكهرباء والإنشاءات. كانوا على خلفية بخبراته القريبة من تلك المجالات وربما راودهم الأمل أن يرمى بثقله فى بناء "الإمارة الاسلامية" الأفغانية، كما فعل سابقاً فى السودان.

لم يبخل الرجل بنصائحه ولكنه كان على قاب قوسين من الإفلاس المالى، كانت الزيارات فى مجملها بتوجيه من الملا عمر الذى أراد إبلاغ بن لادن رسالة مفادها "سوف نعتبرك واحداً منا .. ولكن لاتتكلم فى وسائل الإعلام". ولكن بن لادن أثبت قولاً وعملاً أنه مستعد للتضحية بأفغانستان والملا عمر" ولا يتوقف عن الكلام.

تعدد ظهور بن لادن فى الإعلام الدولى، فبدأ بحديث مع صحيفة (الإندبندنت) البريطانية، والتى زاره فى جلال آباد مندوبها الأشهر روبرت فسك، الذى أجري مع بن لادن فى جلال آباد حديثاً أثار ضجة كبيرة كانت هى الأولى بعد وصوله من

الخرطوم.
ثم دخلت محطات التلفزيون البريطاني و الأمريكى على الخط، ثم صحافة لندن العربية، حين حاوره فى (تورابورا) عبد البارى عطوان عن جريدة القدس العربى.. وحصل من بن لادن على أول كشف له عن دور القاعدة فى القتال ضد القوات الأمريكية فى الصومال عام 1994.( **حضر الكاتب القاءات الصحفية لبن لادن مع (روبرت فسك) ثم عبد البارى عطوان وكان يسكن وقتها مدينة جلال آباد ).**
تصاعد الضجيج الإعلامى عالمياً حول بن لادن إلى أقصى حد، وهو من جانبه تيقظت فيه كل الحواس من أجل"الكلام". ولم تجد نفعاً، صحيات الرجاء والإستغاثة والتحذير التى أطلقها الملا عمر بنفسه، ثم رئيس وزرائه.. ثم وزير خارجيته. وذلك بالتتابع وفى خلال الشهرين الأخيرين من عام1996 . وكانت أقدام حركة طالبان لم تثبت بعد على أرض كابول المتصدعة.
فى تلك الفترة ظهرت نواة معارضة لإبن لادن داخل حركة طالبان.
وكانت حركة طالبان فى حالة توسع ونجاح فى أفغانستان والتواجد العربى الناشئ بدأ يجذب أنظار الحركة الإسلامية فى العالم بعد الأحاديث الجريئة والمثيرة "لإبن لادن" مع الإعلام الدولى.
الجناح المعارض داخل صفوف طالبان كان على رأسه وأهم رموزه "ملا محمد حسن" وهو عضو قوى فى مجلس شورى حركة طالبان، وتولى وزارة الخارجية لفترة، وكان يرى بأن بن لادن أصبح هو الذى يحدد السياسة الخارجية للإمارة، فتواجده فى البلاد ونشاطه الإعلامى قد أثار ردود أفعال أمريكية وباكستانية وسعودية.. ثم بالتأثير الأمريكي تحركت أوروبا والأمم المتحدة. حتى لم يعد فى إمكان "الإمارة" أو وزارة الخارجية ضبط أيقاع العلاقات الخارجية خارج تلك الدوامة التى أثارها ذلك الرجل.
فى رأى ذلك الجناح من الصقور أن بن لادن يجب أن يعاقب (أو أن يطرد) لرفضه مراراً طاعة توجيهات"أمير المؤمنين" بالإمتناع عن إجراء المقابلات الإعلامية.
الملا محمد حسن كان الأكثر جرأة فى تيار الصقور حين عبر صراحة فى مجالسه بأن هؤلاء العرب "الوهابيون" لاداعى لهم، فهم خصوم (لنا) فى الأساس، فهناك خصومة مذهبية لاحل لها بين الوهابية والصوفية، ثم أن هؤلاء كانوا يدعمون سياف وحكمتيار وقت الجهاد، فهم من الإخوان المسلمين أعداء طالبان، ثم أن العرب قاتلوا مع حكمتيار ضد حركة طالبان، وقتلوا منهم الكثيرين، ثم يتساءل عن السبب فى تحمل (مصائبهم).
ومن هنا نشأت إتهامات تشكك فى بن لادن بأنه (مبعوث من أمريكا) لإيجاد ذريعة لضرب حركة طالبان (!!).وكانت تلك نظرية تآمريه موجودة بالفعل بين صفوف طالبان لتفسير ظاهرة بن لادن التى داهمت حركتهم على غير إنتظار فحددت مصيرها.
فى صفوف العرب كان للمعاضة أسباب أخرى، فقال الصقور أن بيان بن لادن (أعلان الجهاد على الأمريكيين) جاء قبل سيطرة حركة طالبان على العاصمة كابول والذى جعلها حكومة (رسمية) للبلاد.الأمر الذى يستدعى إدخال تعديلات جوهرية. فهناك الآن حكومة (شرعية) لابد من الخضوع لسلطانها وأوامرها .وبرامج مثل (إعلان الجهاد) لابد أن يتم بالمشاورة مع حاكم البلاد (أمير المؤمنين) وطبقاً

لتصوراته، أو بالأحرى قدرته على الإحتمال.
وإذا لم يتم هذا التنسيق فسيحدث الصدام عاجلاً أو آجلاً بين بن لادن والعرب معه وبين (الإمارة).. والعرب مجرد ضيوف وهم الطرف الأضعف.فإما أنهم سيرغمون على مغادرة البلاد او أن يصمت بن لادن، وربما توقفت جميع نشاطاته الأخرى (خاصة معسكرات التدريب).
وحدث إجماع عربى فى العامين الأخيرين، قبل خروجهم الأخير من أفغانستان، بأن عليهم، وعلى ابن لادن بشكل خاص، الإنتباه إلى أن أفغانستان هى آخر جزء على وجه الأرض يقبل بإقامتهم بشكل طبيعى وبدون أن يكونوا مهددين خارجياً أو داخلياً.
ولم يكن ثمه خلاف بينهم على أن تقدير أمور الدوله وإدارتها هو من صلاحيات ومسئوليات الملا عمر أمير المؤمنين ، وأنه ليس من حق بن لادن الخروج عن هذه السلطة أو عصيانها أو تكوين (دولة موازية) داخل أفغانستان.
كان بن لادن يوافق ظاهريا على ذلك. ولكنه برهن على أنه الشخص الوحيد فى أفغانستان الذى يرى لنفسه الحق وأن عنده القدرة أن يفعل ما يريد.. فتمكن بذلك من قيادة الركب الإسلامى فى أفغانستان.. إلى الهاوية.(1)
***************

**(1) ( فإذا لم يكن للأفراد من الثقافة ما يمكنهم من فهم أغراض الحركة ووسائلها ، فإنهم يتبعون القيادة حسبما سارت وأينما توجهت ، وسرعان ما يختلط " موضوع " الدعوة بشخصية القائد وسرعان ما يفتتن القائد بما يفيض علية من الولاء الذي قد يصل إلي حد القداسة ، وسرعان ما ينصرف عن تعليم الأتباع ما يجب أن يعرفوه من شئون الحركة ومناهجها ووسائلها ، وحينئذ تتخذ الحركة صورة من صور" العقيدة " التي تستكن في العقل الباطن ، تتحرك بدافع من الشعور يجاوز الفكر المنطقي ، ويغفل عن الأسباب والعواقب ، وحين تصل الحركة إلي هذا الطور تكون قد وصلت إلي أخطر مرحلة من حياتها العامة ، هي مرحلة المغامرة أو المقامرة فإما تقوم بعمل يرفعها درجات أو ينزل بها إلي سفلي الدركات . ومهما كان الأمر ، فلن يمكن أن تحقق مثل هذه الدعوة نجاحاً ذا بال أو أن تعمر طويلا أذا افتقدت قائدها أو تخلي عنها من يقوم عليها .)**
د . محمود أبو السعود – مقال مشكلة المدلولات والقيادة – كتاب الحركة الاسلامية : رؤية مستقبلية – أوراق في النقد الذاتي . ص. 368.
**********************************

## لقاء القمة

## بين القحطانى.. وأمير المؤمنين

في شتاء1996.. بعد أسابيع قليلة من إعلان "الجهاد ضد الأمريكيين" أصبح بن لادن أشهر وأهم شخصية فى باكستان.. والشعب الذى وقف بحماس خلف صدام حسين ضد الأمريكان فى "حرب تحرير الكويت" عاد بحماس أشد ليقف خلف بن لادن ولكن هذه المرة خلف رجل مجاهد وشعارات إسلامية خالصة.
الجماعات الباكستانية الجهادية التى شاركت فى حرب أفغانستان، ضد السوفييت ،كلهم يعرف بن لادن منذ تلك الأيام، وتعاون أكثرهم معه بشكل أو آخر فى أمور الجهاد.
ولما أصبحت ورقته السياسة رابحة داخلياً تسابقت شخصيات وتجمعات إسلامية باكستانية علي الإستفادة منه.
كان من المفترض أن يستوعب بن لادن ذلك الزخم الهائل كله ثم يستفيد منذ فعلياً فى تحركة، ولكنه إكتفى سعيداً بالهتافات والملصقات المصورة التى (طبعها) فانتشرت

هناك. ولم يستطع جدياً تحريك قضيته الإسلامية (الجديدة) الخاصة بتحرير المقدسات من أيدى (اليهود والنصارى).
ثم سارعت القوى الإسلامية فى باكستان إلى إستقطاب بن لادن إلى مشروعها السياسى أى عكس ما كان مفترضاً أن يندمجوا هم فى برنامجه. وقد نجح التيار السلفى الباكستانى فى ان يستحوز على معظم (بن لادن) إن لم يكن كله.
الملا محمد عمر فى أول لقاء له مع بن لادن حذرة من (غوغائية) العمل الإسلامي فى باكستان وقال له (إنهم فى باكستان لا يعرفون سوى هتافات: يعيش ويسقط، ولم يفيدهم ذلك فى إقامة قوانين الإسلام رغم أن دولتهم قامت بإسم الإسلام منذ نصف قرن. ولكننا طبقنا قوانين الإسلام فى الأراضى التى سيطرنا عليها.. وبمجرد دخولنا إليها).
ثم شرح الملا عمر نظريتة الخاصة حول الإعلام، معتبراً أنه لافائدة فيه. وأشار إلى تجربة حركة طالبان، وكيف أنها بدون دعاية أو إعلام إستطاعت إسقاط منظمات (الفساد) فى كابول، رغم إمكاناتها الدعائية وإمكانات أصدقائها، الذين ساندوها من خارج أفغانستان.
ثم وجه نصيحته لضيفه العربي، ألا يتعلق بالإعلام وأن يركز على قدرته على فرض الحقائق على الأرض، فهذا فى نظره المعيار الوحيد. وأشار إلى أن الإعلام عمل غير أخلاقى فاعتماده الأساسى هو الكذب وكذلك التصوير الذى هو عمل محرم عند علمائهم المعتبرين. وإن كان هناك آخرون يعارضونهم فى ذلك. ***( كان الكاتب من شهود ذاك اللقاء ).***
عمل بن لادن باستمرار بعكس ما أشار به الملا عمر.
**<u>فالنقطة الأولى</u>** حول غثائية العمل الإسلامى فى باكستان، كانت بالإجمال صحيحة، وبرهنت الأحداث السابقة واللاحقة على ذلك، فلم تستطيع تلك الحركة أن تدافع لاعن بن لادن ولا عن الملا عمر رغم ضوضاء الهتافات والمؤتمرات الحاشدة.
**<u>والنقطة الثانية</u>** عن الإعلام فيها جزء صحيح لا شك فيه، أما عن عدم جدوى الإعلام فإن حركة طالبان قبل غيرها تعترف الآن بأن جزءاً مهما من هزيمتها أمام أمريكا كانت بفعل الإعلام الأمريكى.
**<u>النقطة الثالثة</u>** والأهم التى تطرق إليها الملا عمر فى مقابلته الأولى مع بن لادن كانت حول المقدسات الإسلامية المحتلة. ولابد من الإشارة هنا إلى أن بن لادن شرح وجهه نظرة بتفصيل وعاطفة جياشه أثرت فى الملا عمر كما أثرت قبل فى كل مسئولى طالبان.
قال الملا عمر: نحن نعرف أن الأمريكان لابد أن يتركوا جزيرة العرب وأن اليهود لابد أن يتركوا فلسطين، ونحن أيضاً مسلمون ومجاهدون مثلكم، ولا نقل عنكم غيرة على الإسلام، ونحن لسنا جبناء فقد قاتلنا ضد الروس وقدمنا الشهداء والمعوقون حتى هزمناهم وسوف نأتى معكم لتحرير المقدسات فهذا واجبنا.
ولكن وضعي الآن هو هكذا (وهنا قام الملا عمر من مجلسه بقامته النخيلة الفارعة، وقد ثنى ركبتيه).. لا أنا منتصب القامة، ولا أنا جالس. فانتظروا حتى يستقر أمرنا فى أفغانستان وتنتهى هذه الحرب الداخلية وسترون أننا سنكون فى مقدمة الصفوف نحو تحرير المقدسات **( كان الكاتب من شهود ذلك اللقاء).**
إذن كان الملا محمد عمر يطلب مجرد مهلة حتى يندمج بحركته مع برنامج بن لادن،

ولكن الأخير لم يعتد على ذلك فى حياته، فهو دائماً يبدأ مشروعه وعلى الآخرين أن يضبطوا حركتهم على إيقاع تحركه هو.

ومنذ معارك جلال آباد، ورغم أنها لم تكن ناجحة تماماً إلا أن العديد ممن حوله قد شاهدوا له رؤى فى منامهم أنه هو (القحطانى) الذى أشارت إليه بعض الأحاديث النبوية، بأنه (أى بن لادن) سيقود جيشاً من عدن إلى الكعبة حيث يقابل المهدى هناك.وتعددت أمثال تلك الرؤى على فترة زمنية ممتدة وكلها تشير إلى أنه ( مبعوث العناية الإلهية) بشكل ما. كانت نسخة مكررة من تجربة (جهيمان) وجماعته عندما إستولى على الكعبة فى أواخر عام 1979م. وإنتهت تجربته هناك بفجيعة، وتدخل دولى قادته القوات الخاصة الفرنسية التى إقتحمت مع القوات الخاصة الاردنية الحرم المكى وأبادوا (جهيمان) وجماعته.

والغريب أن أوجه التشابه موجودة بين جهيمان و (بن لادن) أو بين المهدى (المفترض) والقحطانى الذى سوف يسوق الناس بعصاه (حسب الروايات)، فكلاهما إستدعى قمعه تدخلاً دولياً، فرنسياً فى الحالة الأولى، وأمريكياً فى الحالة الثانية ولكن لم تغب عنه فرنسا،أو حتى الأردن التى حضرت فى الحالتين (!).

فى ذلك "اللقاء التاريخى" الأول بين العملاقين أو بين "القحطانى" وأكبر ضحاياه أمير المؤمنين- الملا محمد عمر، حاول الأول الحصول على نوع من "التنفيس" الرسمى لبعض نشاطاته- خاصة الإعلامى منها. فقد كان فى غاية الضيق من الضغط المتواصل عليه من مسئولى الإمارة من أجل إلتزام الصمت. وقدم بن لادن عروضاً عملية وذكية ولكنه جوبه برفض مهذب يتوافق مع شخصية الملا عمر الهادئة والحازمة.

إقترح بن لادن أن تترك له الأمارة فرصة الكلام مع الإعلام الدولى على أن يضع إلى جانب الدعوة لقضية تحرير المقدسات قضية أخرى هى شرعية الإمارة الإسلامية. ودعوة التجار للإستثمار فيها.

بعد جلسة إستمرت ساعتين، وجه "أمير المؤمنين" رجاء لضيفه المعزز المكرم أن يلتزم بأوامر "الإمارة الإسلامية" ويتوقف عن الإتصال بالإعلام الدولى، وفى الثوانى الأخيرة وفى كلمات الوداع قال أمير المؤمنين لضيفه:( لاتحزن فأنت مجاهد وهذا هو بلادك، أنت فيه على الرحب والسعة، تفعل فيه ما تشاء).

وبناء على هذه الفقرة الأخيرة تصرف بن لادن على أساس أنه حصل على تفويض مفتوح من أمير المؤمنين كى يفعل ما يشاء، أى أن يجرى أى لقاء يريد مع الإعلام الغربى!! وحاول إقناع نفسه ومن معه بذلك .. ولكنه أقنع نفسه فقط.. وهذا عنده يكفى وزيادة!!

##################################

## **كماشة حول (عرب خيل)**

تعرض الوضع الأمنى للعرب لمخاطر شديدة فى جلال آباد فى الفترة ما بين ديسمبر 1996 وإبريل 1997وإنتهي الأمر بهروب مثير للعرب و عائلاتهم، فى قافلة من الباصات والسيارات نقلت ما مجموعة مئة فرد ما بين رجل وإمرأة وطفل هم كل ما كانوا مع بن لادن حتى ذلك الوقت. وتحركت القافلة إلى كابول، ومن هناك تحركوا برا وجوا صوب قندهار ليبدأوا هناك صفحة حافلة ومثيرة إنتهت بالحرب

الأمريكية عليهم- وعلى نظام طالبان- ثم الخروج الأخير أو النهائى "للعرب الأفغان" من كل أفغانستان.
وبدأت المخاطر على العرب من جبل السراج قبل أن تأتى من الحدود الباكستانية.
..تقع قرية "جبل السراج" أسفل جبال صلدة شاهقة على مدخل ممر سالانج الذى يربط كابول بشمال البلاد ويعتبر واحداً من أهم الشرايين التى تربط جنوب البلاد بشمالها وصولاً إلى دول آسيا الوسطى.
لذا قال عنه (ألكسندر ليبيد) مستشار الأمن القومى للرئيس الروسى (بوريس يلتسن): إن الدفاع عن أسيا الوسطى، يقصد ضد المد الاسلامى وحركة طالبان، يبدأ من ممر سالانج. وهو مبدأ حافظت عليه روسيا بعناد عن طريق أحمد شاه مسعود الذى أمدته بمعظم إحتياجاته العسكرية والمالية لتحقيق هذا الدفاع.
ونجح مسعود فى مهمته تماماً وساعده فى ذلك بشكل رئيسى ليس الدعم الروسى (والإقليمى والدولى) ولكن الأخطاء القاتلة لحركة طالبان عسكرياً وسياسياً، والنفوذ الضار لباكستان فى عقل وأعصاب تلك الحركة.
دخلت قوات طالبان إلى العاصمة كابول فى 27 أكتوبر 1996م.
بعد قتال متقطع فى طريق (شمالى) الممتد بين كابول وقرية جبل السراج، وهو طريق زراعى كثيف السكان، أغلبهم من الطاجيك . وصل الطلبة إلى القرية، وحاولوا المواصلة عبر الممر صوب شمال البلاد.
كما حاولوا التقدم صوب وادى بانشير نفسه فلم يصادفهم التوفيق كما أن موسم تهاطل الثلوج بدأ، فتوقفوا وشرعوا فى الإعداد لفترة كمون شتوى على مدخل ممر سالانج.
لكن القائد المتمرس أحمد شاه مسعود، تقدم من بانشير وصعد قمم جبل السراج ففرت قوات طالبان تاركين مدخل سالانج، فواصل الضغط عليهم ودفعهم إلى الخلف، ثم تحرك من مزار شريف، حليفه الأوزبكى عبد الرشيد دوستم، بقوات كثيفه جداً مدعومة بأليات بلغت سبعمئة مدرعة ودبابة، مع مساندة جوية إرتكزت على دعم فنى وبشرى من أوزباكستان وطاجكستان.
تقدم الزحف بطيئا على محورين نحو كابول:
الأول طريق شمالى المزدحم بالقرى الموالية فى معظمها لحكومة ربانى.وصل الزحف إلى ثلثى ذلك الطريق ثم توقف بعد مقاومة عنيفة من طالبان.
الثانى طريق إلتفافى فى عبر صحراء (ده سبز) وتوقف الزحف فيه عند مضيق جبلى تشبثت به قوات طالبان.
ثم حاولت قوات مسعود ودوستم التقدم من مدخل بانشير عبر قرى (تاجاب) و(نجراب) الذى يصل بهم إلى بحيرة سد (نغلو) فيقطعون طريق كابل جلال آباد من منتصفه تقريباً.
وحققت قوات التحالف تقدماً إلى أن أوقفتهم قوات طالبان عند قرية (تاجاب).
كانت قوات عبد الرشيد دوستم تشكل العمود الفقرى للحملة على كابول.
..لقد تنبه بن لادن ومن معه أن قوات (جلم جم) التى دقت عظامهم على أعتاب جلال آباد فى صيف 1989، تقف الآن على مسيرة خمسة ساعات (بالسيارات) من قريتهم الوليدة (عرب خيل)، فى جلال آباد.
لم يكن فى مقدور العرب حشد أكثر من 40 مقاتل فقط لاغير وبأسلحة خفيفة، قد لا تتوفر لجميع هؤلاء الأفراد.

فهم إذا إنتظروا قوات (جلم جم) حتى تصل إلى منطقة سكناهم( نجم الجهاد)، فلن يستطيعوا الصمود أمامهم سوى لدقائق وبعدها سوف يقتل جميع الرجال وتؤسر النساء والأطفال بأيدي وحوش (جلم جم) المشهورين.والأجابة كانت بحتمية أن يدافع العرب عن نسائهم وأطفالهم إبتداء" من الخطوط الأولى فى الجبهة فى كابول.
ذهبت جهود العرب سدى.. فقد جابهتهم شكوك القيادات العسكرية لطالبان فى أن العرب موالون لسياف وحكمتيار وأنهم أعداء عقائديون يكفرون الصوفيه، ويؤيدون الأخوان المسلمين و (المودودية) الباكستانية.
صورة الهجمات على كابول بقوات الشمال الأفغانية، إذا أضفنا إليها هجوماً كان يجرى الإعداد له فى محور جلال آباد على يد قوات أفغانية من تلك التى فرت أمام زحف طالبان على جلال آباد، يقودها إبن حاجى قدير الوالى السابق للمقاطعة، كان المفترض أن تخترق تلك القوات الحدود وتتوجه صوب مدينة جلال آباد، وتحديداً الضاحية الجنوبية (نجم الجهاد) وبشكل أكثر تحديداً قرية عرب خيل حيث مركز بن لادن والمجموعة المتواضعة التى تعيش داخل أسوار القرية الطينية.
هذه الصورة تقترب كثيراً مما حدث فى الحرب الأمريكية الأخيرة.
ولكن فى الحملة المذكورة فى شتاء 96-1997 كان الوضع الأفغانى الداخلى غاية فى التماسك فإنددحرت حملة دوستم وتحالف الشمال على كابول فى غضون أسابيع قليلة وبالتحديد الأسبوع الثانى من يناير 1997 وذلك على يد العالم و القائد العسكرى القدير، جلال الدين حقانى ومعه بقايا قواته التى قاتل بها معاركه الأخيرة الظافرة ضد القوات الشيوعية فى الأعوام الثلاث الأخيرة من الحرب ضد الشيوعية (من 1989 إلى 1992).
فاندحرت قوات دوستم تاركة جميع الآليات والأعتدة ومواد الإعاشة، وحجمها يدل عن أن هدف الحملة كان يتعدى بكثير إسقاط كابول، ولا يقل بحال من الوصول إلى جلال آباد وحتى المدخل الدولى فى تورخم أى بالضبط إعادة الوضع إلى ما كان عليه قبل إقتحام طالبان لجلال آباد أو وصول بن لادن إليها في يونية 1996.
هزيمة دوستم السريعة.. والمريعة، في كابول، تمت قبل أن تكون قوات عبد القدير جاهزة للهجوم على جلال آباد.ولكنها أصبحت جاهزة فى أواخر مارس 1997 أى بعد هزيمة دوستم بحوالى شهرين (!!) فلما قامت بالهجوم كان القضاء عليها ميسوراً، وحتى قبل أن تصل إلى جلال آباد بمسافة طويلة. فقد كانت كمائن طالبان جاهزة فى الممرات السرية التى تنوى القوة عبورها بين الجبال.
قبل موعد الهجوم المفترض على جلال آباد وصل مندوبون أمنيون من حركة طالبان إلى قرية عرب خيل وطلبوا من بن لادن إخلاء القرية على وجه السرعة ومغادرة جلال آباد كلها مع جميع من معه من العرب قبل ظهر الغد. ثم أخبروه بأمرالهجوم وبأنهم إتخذوا جميع الإحتياطات اللازمة لإحباطه، ومع ذلك صارحوه بأنهم لايضمنون كيف تسير الأمور فربما يسؤ الوضع فى المدينة لدرجة تهدد حياته وحياة من معه.
ثار شباب القاعدة وصمموا على الدفاع عن (عرب خيل) وتلقين المعتدين درسا.ولكن بن لادن أصر على إخلاء القرية والتوجه صوب قندهار عبر كابول حيث توجد مجموعة منازل على حافة مطار قندهار تصلح كمقر جديد "لعرب خيل" وكان مساعدوه قد عاينوها قبلاً مع رجال "الإمارة".تذمر البعض ولكن قرار بن لادن كان

صائباً.. فرغم أن الهجوم لم يحدث فإن المنطقة كانت خطيرة وقريبة من الحدود..
وطرق التقرب اليها كثيرة ويصعب إغلاقها، والقرية مكدسة (بالثقوب) الطينية المليئة بالأطفال والنساء، وأى قذيفة لمتسلل سوف توقع الكثير من القتلى.
وهكذا تم الهروب الثانى من جلال آباد.. ولكن بدون ضحايا.. وبنجاح إداري.

**الهروب الأول ، كان في صيف 1989 عندما تمكنت قوات دوستم من دفع بن لادن ومن معه بعيدا عن حواف جلال أباد ، حتى الحدود الدولية فى تورخم والهروب الثالث والأخير كان في معركة تورابورا2001**

---

## طوفان الدم فى صيف ساخن
## مايو 97م :مجازر فى مزار شريف..
## وهزائم فى جبل السراج

كان لدي الملا محمد عمر الكثير من النويا الطيبة والآمال العظيمة لكنه وحركة طالبان أخفقوا في تحويلها إلى سياسات فعالة.
عالمهم الذى نشأوا فيه كان نقياً مجاهداً.. ومحدوداً. وعندما سقط الحكم فى أيديهم بدون توقع من جانبهم أن يحدث ذلك، حاولوا فرض هذا التصور المحدود والنقى على عالم متسع معقد.. وفاسد أيضاً.وحتى تصوراتهم كانت أضيق من أن تتسع للواقع الأفغانى نفسه،الذى وإن كان متخلفاً ومسحوقاً، مع تنوع عرقي ومذهبى، إلا أن التدخل الخارجى، خاصة من دول الجوار وبإلحاح، أوجد حرباً بالوكالة، عن تلك القوى الإقليمية والدولية.
ورغم أن الحركة قامت بصورة (فوق قبلية) فهى تمثل طلاب العلوم الشرعية من جميع القبائل والعرقيات. وعينت حكام المناطق من غير أبناء القبائل المحلية، وحققوا نجاحاً كبيراً بهذه السياسة.
ولكنهم فى تعاملهم مع مناطق الشمال الناطقة، بالفارسية أو "الفرسوان" كما يطلقون عليهم، سقطوا فى الفخ الذى نصبته لهم حكومة ربانى ورجلها القوى أحمد شاه مسعود. وكان الفخ هو تصوير زحف طالبان نحو مناطق الشمال بأنه زحف "بشتونى" وأن حركة طالبان بشتونية- بدليل أن قياداتها الرئيسية كلهم بشتون.
وتوافق إعلام مسعود مع إعلام الدول المحيطة مع الإعلام الدولي، فى الدق المستمر على هذا الوتر.. حتى صار كأنه حقيقه واقعية لاجدال عليها.. وحتى أن قطاعاً لايستهان به من شباب حركة طالبان نفسها صار يتصرف على هذا الأساس.. أى أنهم فى حرب ضد "الفرسوان"!! .
ولكن ظل قادة الإمارة محافظين على حيادهم ونزاهتهم إزاء تلك القضية والتعامل معها من منطلقات إسلامية،مع أنهم لم يبلوروا سياسة واضحة فعالة، ولم يمتلكوا عناصر إدارية سياسية تستطيع أن تتعامل مع سكان تلك المناطق في شمال ووسط البلاد، ثم الأهم.. أنهم لم يمنحوا ثقه كافية لعناصر حتى من داخل حركة طالبان، كى تتولي مسؤليات كبيرة فى مناطقها تلك.
وزاد الطين بله.. إتجاه الإستئثار بالسلطة من جانب الحرس الحديدى لحركة طالبان أى المؤسسين الذين خاضعوا المعارك الأولى، وساهموا مباشرة فى العمليات العسكرية إلى أن تمت لهم السيطرة على كابول.
لقد سيطر هؤلاء على جميع المناصب الحساسة (تقريبا) كما كان لهم تأثير كبير بحكم تواجدهم فى مجلس الشوى، على إتخاذ القرارات الرئيسية فى البلاد.

كان من نتيجة ذلك أن شخصيات هامة قدمت للحركة خدمات ضخمة، لم تنل أى نصيب فى عملية إتخاذ القرار أو تولى الصلاحيات التنفيذية الحقيقية. فتم تهميش قطاع خطير من أصحاب الخبرات المختلفة رغم أن توجهاتهم متطابقة مع أهداف الحركة.
ليس هذا فقط ، بل أيضا تم تهميش قبائل "بشتونية" بأكملها بنفس المنطق. فأصحاب القرار من الحرس الحديدى حازوا الثقة كلها والإعتمادية كلها لقبائلهم. وكان ذلك ضاراً جداً لهذه القبائل نفسها. فقد تحملت العبء الأكبر من الخسائر البشرية فى جميع معارك طالبان من نشأتها وحتى سقوطها.
وقد تعرضت مع قوات طالبان لعدة مجازر حقيقية راح ضحيتها عشرات الآلاف من شباب تلك القبائل (ربما وصل عدد القتلى من مقاتلى الحركة والقبائل التى تحت إمرتها إلى حوالى ثلاثين ألف قتيل على أقل تقدير طوال فترة وجودها على المسرح الأفغانى).
تعود الخسائر الباهظة فى الأرواح فى أوساط مقاتلى الحركة، سواء من أعضائها أو من أبناء القبائل موضع ثقتها، تعود إلى الإستئثار بالسلطة والثقة الزائدة فى النفس.
وهو ما يمثل الروح القبلية والقتالية لحركة طالبان والمناطق موضع ثقتها، فى ولايات قندهار وهلمند وأرزجان وزابل، وهي مناطق متصلة جغرافياً وقبلياً، وينتمى إليها أفراد الحرس الحديدى وجيل الرواد وقائد الحركة الملا محمد عمر.
وتتميز قبائل تلك المناطق وقادتها العسكريون بشجاعة فائقة تصل كثيراً إلى درجة الطيش والتهور، وهذا منطقى بالنسبة لسكان المناطق المفتوحة، أو المسطحة، فهى إما مناطق في معظمها صحراوية، أو زراعية واسعة.
فى حروبهم يعتمدون على الهجمات الكاسحة المذهلة ولكنهم لا يجيدون الدفاع، ولم يتعرفوا عليه جيداً لأن تضاريس أراضيهم لاتساعدهم عليه.
**( تأثير تضاريس الأرض على أساليب القتال من دفاع وهجوم ، وأن الجبال تساعد على الدفاع والسهول تساعد على الهجوم ، أشار إليها ( كلاوزفتز) فى كتابه فن الحرب) .**
فقواتهم إما أن تهاجم أو أن تنسحب، أو حتى تهرب إذا فقدت المبادرة أو فشلت فى هجومها.
وقد برهنت معارك "طالبان" على صحة هذه القاعدة على الإجمال. إلا فى الحالات القليلة التى تولى العمل فيها قيادات من خارج الولايات الأربع البشتونية المذكورة.
هذا التركيب غير المتوازن فى تفكير القيادات العسكرية ونفسية القوات كان أحد نقاط الضعف الرئيسى فى حركة طالبان، وكلفها أنهاراً من الدماء، كان يمكن إختزالها إلى مجرد قطرات فقط لو تم الإعتماد على قوات وقيادات من خارج المنطقة الموثوقة.
** ممر سالانج من الأسرار العظمى لفترة حكم طالبان وسوف نعود لاحقاً لفك أسرار ذلك الطلسم.
كان الطلبه مصممون على الوصول إلى شمال البلاد وتوحيدها تحت نظام مركزى يحكم بالشريعة. وكان أمامهم طريقان للوصول إلى الشمال.. الأول عبر محافظة (باميان) ذات الأغلبية الشيعية وعرقية الهزارة، وهذا الطريق جبلى وطويل وينتهى قرب المدخل الشمالى للممر سالانج.لكن باميان محافظة يسيطر عليها منظمات شيعية معادية لنظام طالبان الجديد.
الطريق الأخر بدأوا السير فيه من مدينة هيرات غرب البلاد ويسير فى محازاة الحدود الشمالية، فى طرق قديمة غير معبدة تصل إلى مدينة مزار شريف أهم مدن

الشمال، ومستودع قوة (عبد الرشيد دوستم) القائد الشيوعى لميليشيات الأوزبك المسماة (جام جم). إستخدمت قوات طالبان هذا الطريق فى زحفها نحو الشمال، ووصلت إلى مشارف مزار شريف. حيث كان دوستم ورجاله عقبه كأداء أمام إستكمال الطالبان زحفهم نحو قندز وطالقان أهم مراكز أحمد شاه مسعود حليف دوستم والرجل الأول فى النظام المنهار للرئيس ربانى.فى ذلك الوقت ظهر إلى العلن خلاف شديد بين عبد الرشيد دوستم ومساعده الأول الجنرال عبد الملك.. وإتصل الأخير بحركة طالبان طالباً منهم عقد صفقة معه مقابل تسهيل دخولهم إلى مزار شريف.

إنقسمت الأراء داخل مجلس شوري حركة طالبان إلى فريقين، الأول يرى عدم الوثوق بجنرال شيوعى أو التعامل معه ناهيك عن عقد صفقه، وذلك من منطلق شرعى بحت.

وكان على رأس هذا الفريق الملا عمر (أمير المؤمنين)..والفريق الثانى يرى أن مصلحة المسلمين وحقن دمائهم وتحقيق مصالح البلاد،تستوجب التجاوز عن هذه النقطه والقبول بالصفقه ودخول المدينه التى سيخضع الشمال كله بعدها.

وكان على رأس ذلك الفريق وزير الخارجية آنذاك (الملا غوث). وكما قال أحد حكماء السوء بأن الخطيئة أجمل من أن تقاوم.. لذا إنتصر الفريق الثانى.

فتحت مزار شريف أبوابها أمام شباب حركة طالبان فإندفعوا إليها من كل صوب، طائرات النقل العسكرية المتوفرة لدى الحركة عملت بكامل طاقتها فى نقل مقاتلى طالبان إلى مزار شريف وعلى مدار الساعة.

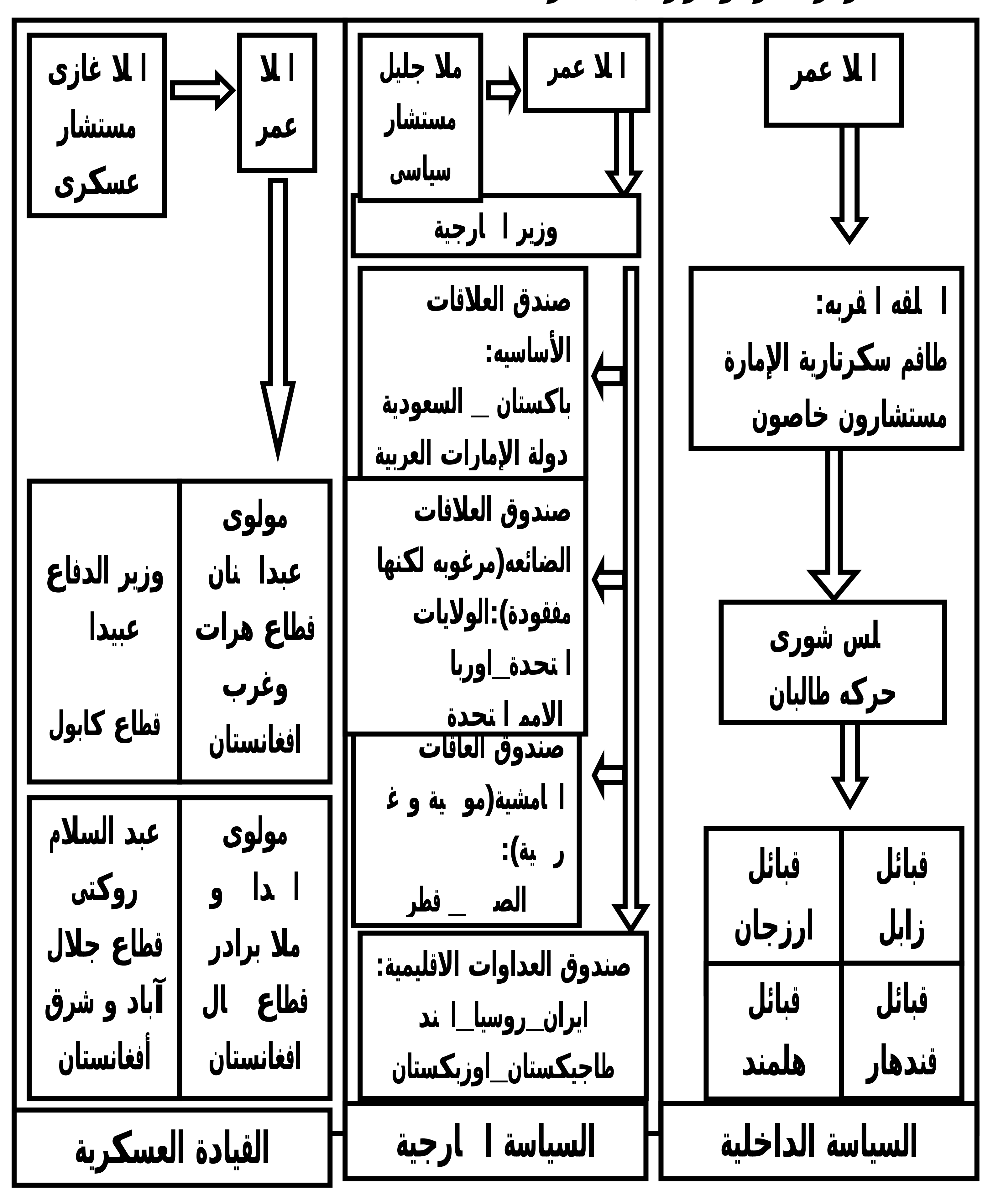
وكل سيارة قادرة على التحرك إلى هناك، حملت فوق طاقتها من المسلحين وسارت عبر أى طريق يمكنها عبوره.

وبسرعة تكدست المدينة بآلاف من الشباب المسلحين، الذين أسكرتهم نشوة النصر السهل الذى ليس له دلاله سوى أن الحرب كلها على وشك أن تنتهى وتتوحد البلاد، وتحكم الشريعة، ويعم السلام، وسريعاً ما تلتئم الجراح وتتحقق الأحلام المستحيلة. كان تجمع قوات طالبان فى مزار شريف (كرنفاليا). وكانت المناسبة وظروفها تشجع على ذلك. ناهيك عن الطبيعه غير العسكرية لشباب القبائل الذين لم يتلقوا أى تدريب مسبق وأكثرهم بالكاد يستطيع إستخدام بندقية بشكل مناسب.

هل كانت مؤامرة رتبها عبد الملك منذ البداية؟ أم أنه خلاف طرأ بينه وبين قيادات طالبان الذين وصلوا إلى مزار شريف؟

يصعب الجزم بشئ من ذلك ولكن المؤكد هو أن (طالبان) تعرضوا لمجزرة بشعة، وبكل ما تحمله الكلمة من معنى.. لقد إنطبقت عليهم سيول النيران من كل جانب وفى كل مكان وحوصروا فى مجموعات صغيرة أو كبيرة بلا أمل فى نجاة.. والذى إستسلم منهم قتل فى الحال والذى قاوم.. قتل أيضاً عندما نفذت ذخائره أو أقعدته وتم التمثيل بالجثث وتعذيب الجرحى قبل قتلهم، وسبحت المدينة فى بحر من الجراح دماء عشرة آلاف قتيل، أو أكثر قليلاً..كان ذلك الأسلوب- إستئصال الخصم- جديداً فى القتال الداخلى بين الأفغان. فالإحتفاظ بالأسرى ثم إستبدالهم فى وقت لاحق هو الأسلوب المتبع.

مراكز الأدارة والقرار فى قندهار:



وكان الإستنتاج المنطقى هو: أن هناك قوة غير أفغانية، أى (خارجية)، تدفع الموقف بين العرقيات والمذاهب إلى نقطة اللاعودة.. حتى يبقى شلال الدم متدفقا وإلى أن تتحقق غايات لاتخدم بحال مصالح الفرقاء المتصارعين فى الداخل.

كانت الجثث الممزقة بالآلاف هى الحقيقه الثانية والوحيدة، أما من فعل ماذا؟

فالإشاعات المغرضة تتولى الإجابة، إذا غاب الشهود الموثوقون، إلا إذا نطق القتلى.. أما القتله فلن يعترف أحدهم بجرمه إلا إذا أمن القصاص، وهو أمر غير ممكن فى مجتمع قبلى يسير خلف الدم لمسيرة مئات السنين.

تكلمت الإشاعات عن عمليات قتل جماعى لأسباب عرقية بحته، أو..مذهبية بحته !!

وتكلمت حتى عن المحظور الأكبر فى المجتمع الأفغانى، وهو إغتصاب النساء..

وهى الجريمة الأبشع من القتل أو الكفر لدى الأفغان.. هذه الجريمة أرتكبت بالجملة وفى الأسواق العامة. ومواقف الباصات ضد نساء الطرف العرقى المهزوم.. ممن يعيش فى المنطقة بشكل دائم من عشرات السنين !!!

وشائعات العدوان على أعراض النساء، طعنت المهزومون فى قلوبهم وآلمتهم أكثر مما آلمهم منظر أشلاء أبنائهم المتناثرة فى طرقات مزار شريف، والمكدسه فى الميادين بكل التحقير والإهانة.

وتكتموا قدر الإمكان على الفضيحة، ولكن تداولوها سراً بعيداً عن أعين الغرباء..

وتواعدوا على الثأر السريع، وبأشد البطش.. وتم لهم ذلك بعد عام تقريباً فى نفس المدينة التى إكتست مرة أخرى بالدماء والأشلاء.. ثم وضعت كميات هائلة من اللحم البشرى فى شاحنات وقذفت فى نهر جيجون.. ليشهد التاريخ (بسالة الإنتقام!!) بين أبناء الدين الواحد والوطن الواحد!!.

فى الإنتقام المعاكس (فى صيف 1998) لم تكن النساء من ضحاياه، ولكن "الأعراف الدبلوماسية" والسجايا المقدسة لدى الأفغان فى حسن الضيافة، كانت الضحية.

فعندما إقتحم "المنقمون"مبنى القنصلية الإيرانية فى المدينة قتلوا بعد فترة إنتظار قصيرة أحد عشر دبلوماسياً.

شهود قالوا إن فترة الإنتظار القصيرة دارت أثناءها إتصالات تلفونية جاءت فيها أوامر بقتل الدبلوماسيين- وأن هذه الأوامر كانت.. من إسلام أباد!!.

إنها القوى الإقليمية المتصارعة بأيدى الأفغان، تتبادل اللكمات .. من تحت الحزام، وشهوة الإنتقام لدى الأفغان جاهزة دوماً لتخطى حاجز المعقول.. ولاننسى الدعاء الهندوسى القديم: "أيتها الآلهه أنقذينى من أنياب الافاعى، ومخالب النمور، وإنتقام الأفغان"..

لابد من الإشارة هنا إلى أن عدة مئات من المتطوعين الباكستانيين كانوا من ضحايا مجزرة مزار شريف الأولى (مايو 1997م) ،وإن عدة عشرات منهم كانوا ضمن قوات الإنتقام المعاكس..ومن المفترض أن بعضهم كانوا مع مقتحمى القنصلية الإيرانية ومنفذى حكم الإغتيال فى الدبلوماسيين .

ورغم أن المتطوعين الباكستانيين جميعاً قادمين من منابع دينية جهادية إلا أن التواجد الإستخبارى فى أوساطهم كان مزعجاً وموضع شكوى حتى من جانب مسئولى طالبان.

## **مقتـل عقـــل الثـــورة**

أكبر خسائر حركة طالبان فى كوادرها القيادية طوال تاريخها القصير كان فقدانها

لمولوى (إحسان ا إحسان) الذى لم يقتل مباشرة فى تلك المجزرة ( فى مايو 97م).
حيث تمكن من الإنسحاب مع حرسة الخاص ومرافقيه تاركاً المدينة متوجهاً صوب ولاية بغلان المجاورة، ولكن القافلة وقعت فى كمين نفذه قائد مناوئ لحركة طالبان، ونتيجة الكمين كانت مقتل جميع أفراد القافلة،ما عدا مولوى عبد الغنى الشقيق الأصغر لمولوى إحسان ا ، الذى تمكن من الإنسحاب وحيداً وجريحاً كى يروى قصة الكمين ( **في لقاء شخصى مع الكاتب في مدينة هيرات حيث كان مولوى عبد الغنى يشغل منصباً عسكرياً )**. وينفى بنفسه إشاعة خرجت من المدينة المنكوبة، تصب المزيد من البترول على نيران الحقد المحتدمة، قالت الإشاعة أن الشيعة إقتادوا مولوى إحسان ا إلى قبر القائد الشيعى عبد العلى مزارى وذبحوه بالسكين فوق القبر!!.
ويتهم حزب وحدت الشيعى طالبان بأنهم قتلوا قائده مزارى بعد أن إعتقلوه قرب كابول عام1995م، وهو إتهام تنفيه وقائع موثوقة لشهود عيان... ولكنها الأيدى والألسن التى تصنع الفتنة إذا لم تجدها.. أما إذا وجدتها فإنها تصب عليها مواد الإشتعال من أمثال تلك الشائعات.
# مولوى إحسان ا كان يمثل الفكر الناضج لحركة طالبان.. ويبدو أنه كان الوحيد الذى يمتلك تلك القدرة.
وإذا أنتزعت تلك المقدرة من الحركة وبقيت فيها الإندفاعة القتالية، والإعتماد على الفتاوى المستوردة من علماء الإستخبارات الباكستانية ، عادت الحركة الأفغانية لتصبح مثل أخواتها العربيات تماماً:
نزعة قتالية جامحة، وفتاوى إستخبارية مستوردة، والنتيجة .. كارثة لاغير.
فارق جوهري بين الحالتين وهو كون تجربة طالبان تتم على أرض أصحابها وفى وسطهم الإجتماعى القبلى المتماسك معهم بشدة، وتعاملت الحركة بنفس المدرسة الدينية التاريخية، ولم تنفرد بمذهب شاذ ومنفر. الخطأ كان فى عملية إستخلاص الأحكام (والفتاوى) من المذهب ، فكانت تلك العملية
الخطيرة موكولة إلى أيدى خارجية، أحسنوا الظن بها أكثر مما تستحق.
وهنا تلتقى حركة طالبان الأفغانية مرة أخرى مع أخواتها الحركات الجهادية العربية، فى إفتقاد العالم القائد، أو حتى ضمن صفوف القيادة. وبغياب العالم تحولت "الفُتيا" إلى لعبة صبيان أو بضاعة تستورد من علماء "البنتاجون" والإستخبارات.
.. كان مولوى إحسان ا خطيباً من الطراز الأول، وكان على رأس أحد الحملات العسكرية الرئيسية التى تحركت من قندهار، وعبرت ولايات عديدة حتى وصلت إلى محافظة باكتيا. وكان لخطابات إحسان ا تأثيراً عجيباً فى رجال القبائل فكلمهم بحديث الإسلام وبقوة لا إستفزاز فيها،.. ورحمة لاضعف فيها.
وأفهمهم أن تطبق أحكام الشريعة لن يستثنى منه أحد، وأن أى قبيلة ستحاول حماية أحد أفرادها سوف تتعرض للحرب إلى أن تسلم المطلوبين فيها.
ونصح الناس بتسوية خلافاتهم فوراً، وإعادة الحقوق إلى أصحابها لأن أى قضية سترفع إليه للحكم فسوف يحكم وينفذ حكم الشرع فيها، فالسارق ستقطع يده، والقاتل سيقتل.
والعجيب أن تسويات كثيرة حدثت فى غضون أيام قلائل، وكان لا يتصور أحد إمكان حلها، بل الذى يحدث عادة أنها تتضاعف بعمليات الإنتقام والثأر.
ثم أن حركة طالبان لم تعد فى حاجة إلى قوات أمن كبيرة فى المناطق الجديدة.

فى مدينة "خوست" على سبيل المثال إحتفظت حركة طالبان فى بداية عهدها بخمسة عشر عنصراً لحفظ الأمن فى المدينة وما حولها.. بينما كانت القوات الشيوعية التى كانت تسيطر على المنطقة تستخدم خمسة عشر ألفاً من عناصر الجيش والميلشيا لإداء نفس المهمة.

فى ربيع 1995 وفى خوست أيضاً التى وصلها مولوى إحسان ا على رأس قوات طالبان بعد أن إستدعته قبائل باكتيا لحكم الإقليم . حدث أول لقاء بين مسئول كبير من حركة طالبان ومسئولى معسكرات العرب فى خوست. وكان هؤلاء من المتعاطفين مع حركة طالبان والمتابعين لمعاركها وفتوحاتها وحاولوا مراراً تقديم العون لها. ولكن الشكوك أدت إلى رفض عرضهم تدريب قوات خاصة لحركة طالبان..وإستمر الرفض خلال السنوات التالية، رغم تكرار العرب ، بما فيهم بن لادن، عروض التدريب لقوات طالبان.

بلا شك أن حركة طالبان أخطأت خطأ فادحاً برفضها هذا المشروع. فقد كان أفرادها سيئى التدريب دوماً، وأقل بكثير من مستوى معارضيهم فى تحالف الشمال خاصة قوات أحمد شاه مسعود.

علاقات دافئة وثيقة ربطت مولوى إحسان ا مع (صقور خوست) الذين عانوا قبل وصوله من إضطهاد عصابات حكمتيار، وهجمات لصوص قبليون، وجواسيس باكستان وتحرشاتهم الإستفزازية عبر معسكرات تدريب تابعة للجماعه الإسلامية الباكستانية كانت تديرها المخابرات بشكل شبه علنى.

بعد عودة بن لادن من السودان إلى جلال آباد قام مولوى إحسان ا بزيارته فى (عرب خيل) وتركت الزيارة أثارها الإيجابية فى الطرفين .

وأطروحات بن لادن لم تكن مفاجئة لإحسان ا ذو الإطلاع الواسع على أحوال المسلمين وأوضاع السياسة الدولية، بل كان يمكنه شرحها والدفاع عنها أفضل من بن لادن نفسه، على الأقل فى أوساط القبائل والأوساط الدينية التقليدية المعادية لخلفيات بن لادن السلفية والإخوانية.

لم يكن إذن غريباً أن يغْتال إحسان ا فى وقت مبكر، لقد أغتيل أدبياً داخل حركة طالبان نفسها قبل أن تغتاله رصاصات قاتل مجهول فى جبال ولاية باغلان الأفغانية.

..باكستان تمكنت من إغتيال إحسان ا أدبياً داخل حركة طالبان بإجبارة على الإعتزال عملياً لأى مسئولية مؤثرة داخل الحركة أو داخل أفغانستان، لعدة أشهرهى الأخيرة فى حياته، قضاها الثائر الأفغانى داخل غرفة ضيقة للغاية، داخل القصر الجمهورى غارقاً فى قراءاته.. وكتابة موضوعات فكرية ودينية. والمنصب الشكلى الذى كان يشغله هو محافظ البنك المركزى للدولة!!، والبنك مغلق ولايمارس أى نشاط ذى صلة بإسمة، فكل الأموال ورصيد الدولة من الذهب حملة وزير الدفاع السابق أحمد شاه مسعود، وإختزنها عنده فى مغارات بنشير( أمانة غير قابلة للرد)!. كان يعيش مشاعر وجدانية مرهفة فى شهور حياته الأخيرة.

زارة بن لادن مرات قليلة فى غرفته المنزوية الضيقه، حتى أن أفراد حرس بن لادن بقى معظمهم خارجها، فالغرفة لاتكفى سوى لأربعة أو خمسة متلاصقين جلوساً على أرض مغطاة بمفارش متهالكة.

كان إحسان ا يكلمهم بعربيه سليمة تماماً وينظرات عينيه الحادة العميقة.. عن دور الهجرة فى حياة الإسلام وكيف أنه يغبطهم لأن ا إصطفاهم، أى العرب الأفغان،

بميزتى الهجرة والجهاد معاً.. ثم يتذكر أمامهم أحداث السيرة وكأنه عاد تواً من ذلك الزمان.. فكانوا يبكون ويبكى معهم حتى يخرجون من الغرفة الضيقة الباردة وقد غطى أبدانهم العرق وغسلت وجوههم الدموع.

**(حضر الكاتب إثنين من تلك اللقاءات . كما ربطته صداقة مع إحسان ا عند وصوله لأول مرة إلى خوست التى كان الكاتب مقيماً فى جبالها آنذاك فى عام 1995م).**

كان قد عاد منذ وقت غير بعيد من رحلة إلى باكستان، ألقى فيها عدة كلمات فى مدرسة الحقانية الدينية فى مدينة (أكورة ختك) جنوب بيشاور.

وتكلم عن فلسطين وفرضية الجهاد لتحريرها، ثم عن أرض جزيرة العرب وضرورة إخراج جيوش المشركين منها. ثم تناول البرنامج النووى الباكستانى وموقف أمريكا المعارض له وقال إن من حق جميع المسلمين إمتلاك السلاح النووى وأى سلاح آخر يكون فى حوزة إسرائيل وأمريكا. بل أن ذلك فرض على المسلمين حتى لا يصبحوا تحت رحمة أسلحة الكافرين.

كانت كلماته قوية جداً.. وبشكل كبير إنتشرت فى صحف إسلام آباد، وكانت ردة الفعل الأمريكية فورية وعنيفة فأرسلوا مندوبيين إلى باكستان للتفتيش عما تعنيه خطابات الزعيم الأفغانى، ومن يقف وراءها.. وماذا خاف لهجته النووية؟؟.

وصل فوراً جلاوزة نظام إسلام آباد فى سيارات ضخمة مهيبة هبط منها كمية من قساة القلوب كى يرهبوا إحسان ا بالإستجوابات حول ما جاء فى خطابه، ورد فعل أمريكا عليها، والحرج الذى تسبب فيه للحكومة الباكستانية، ثم يطلبون منه الركوب معهم إلى إسلام آباد لمقابلة وزير الخارجية.

رفض إحسان ا مغادرة مدرسة (الحقانية) وقال بحزم لرجال الحكومة أنه ليس بحاجة لوزير الخارجية. فإن كان الوزير بحاجة إلى إحسان ا فليأتى هو إليه.

كانت نهاية متوترة لجلسة طويلة شاقة، وكان واضحاً أن الأمر لم ينته ولكنه بدأ.

العقلاء نصحوا إحسان ا أن يغادر فوراً إلى أفغانستان قبل أن يأتى صباح الغد وتأتى الحكومة لإعتقاله بالقوة. وهو أمر سيؤدى إلى إراقة الدماء، فطلاب المدرسة وأهالى المنطقة سيقاومون ذلك.

نفذ إحسان ا النصحية ، ولكن ضغط باكستان وتحت السياط الأمريكية لاحقته إلى أفغانستان، ونصحوا الإمارة في قندهار أن تهدئ ثائرة أمريكا وحلفائها ويكفى عليها مشكلة بن لادن والأفضل هو أن يوضع إحسان ا فى الظل حتى تهدأ العاصفة.

وهكذا وصل إحسان ا إلى وظيفه في بنك خالى من النقود. وغرفة فى القصر الجمهورى في إتساع زنزانة إنفرادية.

وفى الحقيقة أنه هو الذى إختارها لنفسه واستمر يعيش فيها مع أوراقه وكتبه، إلى أن ضمه قبر أضيق منها بكثير.

فقدان حركة طالبان لشخصية وإمكانات مولوى إحسان ا أصاب الحركة بخسائر لم تستطع تعويضها، فى قدراتها الفكرية والسياسية والحركية.

حتى أنه يمكن القول أن تركيبه الحركة قد تغيرت وكان فقدانه فى حقيقة الأمر هو أخطر خسائر الحركة فى مدة حياتها القصيرة.. لقد إستطاعت الحركة أن تستعيد مزار شريف وأن تنتقم لقتلاها.. ولكنها أبدا لم تستطيع تعويض خسارتها لتلك الشخصية النادرة.. لقد كان إحسان ا خطيب الحركة وعقلها الناضج..

ومرة أخرى:

لقد وقعت حركة طالبان فى نفس الخطأ الذى وقعت فيه أخواتها الحركات الجهادية العربية عندما وضعت البندقية فى مكانة متقدمة كثيراً عن العقل.. بل وضعت البندقية كبديل عن العقل.. فإنتهى بها الأمر إلى ما إنتهى إليه.

**********************

## **الإبراهيمى فى دشت ليلى:**

فى مزار شريف تمكنت مجموعة من قوات طالبان الدفاع عن المطار، وتأمين رحلات جوية لنقل جثث القتلى بواسطة طائرات النقل العسكرية.. إلى مطار قندهار مباشرة، لأن معظم المقاتلين هم من أبناء قبائل المنطقة وما حولها.
لقد أنجزوا بصمودهم عملاً هائلاً فى ظروف إنهيار شامل، فقد نقلوا إلى قندهار حوالى ثلاثة آلاف جثة!! ( وأكثر من ذلك بكثير فى روايات أخرى).
يقول شاهد عيان كان من كوادر الحركة فى قندهار أن الجثث نقلت فوراً من مطار قندهار إلى صحراء على الطرف الشمالى الشرقى من المدينة، تدعى (دشت ليلى) أى صحراء ليلى.
كان منظراً تقشعر منه أبدان حتى أولئك الذى خاضوا المعارك واعتادوا على مناظر القتلى.. ثلاثة آلاف جثة ممدة على رمال الصحراء، لايعرف أحد من هم ولا من أى المناطق، والعديد منهم فقد ملامحة، أو حتى ضاعت رأسة.. فلا يمكن التعرف عليهم سوى أن يتعرف أحد أقربائهم على الملابس التى يرتدونها.
لم تكن هناك قبور جاهزة لإستقبالهم وتم إخطار الأهالى فى القرى والصحارى بأن يحضروا إلى دشت ليلى للتعرف على جثث قتلاهم.
مئات الرجال إستأجرتهم الإمارة على عجل لحفر القبور..
ولم يكن ممكناً الإحتفاظ بالجثث هكذا فى حرارة الجو سوى لفترة قصيرة، هى فترة حفر القبور لا أكثر.
غطت الأجواء الكئيبة السوداء دشت ليلى، وآلاف الجثث يمر الناس خلالها بحثاً عن أبنائهم والحفارون يجهزون القبور..وهناك من يرسم بالجير الأبيض ملامح مقبرة شاسعة ستكون مستقبلاً من أهم ملامح دشت ليلى بل من أهم ملامح قندهار، ومحركاً أكبر لأنهار قادمة لامحالة من أحقاد الإنتقام.
فى تلك الأثناء وصل إلى قندهار الأخضر الإبراهيمى ممثل السكرتير العام للأمم المتحدة والمختص بمشكلة أفغانستان.
كان الوقت عصراً عندما إستلم (أمير المؤمنين) إشارة لاسلكية تفيد بأن الإبراهيمى وصل فى مهمة عاجلة.. وعلى الفور أمرهم الملا محمد عمر (بإقتياده) إلى حيث جثث القتل فى دشت ليلى.. فالمباحثات سوف يجريها معه هناك!!
كان المنظر مهولا بالنسبه للدبلوماسى الجزائرى السابق.
وحديث الملا عمر معه كان عاصفاً ومن قلب محترق.. ولكن موظفى الأمم المتحدة الكبار لايمكن أن توقظ مشاعرهم الميته آلام الشعوب أو أن يستيقظ فيهم حساً آدمياً.
وجه الملا عمر هجوماً كاسحاً على موقف الأمم المتحدة من أفغانستان خاصة والمسلمين عامة.. وخضوعها فى ذلك لإرادة الأمريكان، وتشويه تلك المؤسسة عن عمد وإصرار لصورة حركة طالبان وإنحيازها لأعدائها.
وسأله الملا عمر عما ينوى فعله إزاء مايراه من قتلى مشوهين ثم أشار إلى كومه من

الأسلحة طالباً منه أن يقرأ عليها الأسماء المنقوشة للدول الصانعه لهذه الأسلحة.. قائلاً: "بهذه الأسلحة قتل أبناؤنا هؤلاء، فماذا ستفعلون لوقف تدخل هذه الدول فى شئوننا وقتل أبنائنا ؟".
بعد فترة إستقال الإبراهيمى من منصبه الخاص بأفغانستان.. ولكن أمريكا إستدعته بعد نجاح غزوها كى يمهد لتوطيد أركان نظامها الجديد فى كابول.
وقد بذل الإبراهمى كل جهده وخبرته فى المجال الأفغانى.. لخدمة أمريكا ومشروعها.
وربما طمعاً فى جائزة نوبل للسلام.

---

## **هزيمة فى جبـل السـراج..**

كانت طلقات الرصاص تضع اللمسات الأخيرة فى مجزرة مزار شريف حين دفع أحمد شاه مسعود مجموعة صغيرة من رجاله من وادى (بنشير) إلى قمم مطلة على قرية جبل السراج وعلى الفور هرب القادة العسكريون الفاشلون من حركة طالبان.
وإذا كان هناك من ميزة عسكرية للقائد أحمد شاه مسعود فهى السرعة الفائقة فى إنتهاز الفرص وإختراق الثغرات.. فبإستخدام قوات صغيرة ومدربة، يمكنه إحداث الكثير جداً من الفوضى والإرتباك فى صفوف خصومة.
فما بالك إذا كان الخصوم فى سذاجة قوات طالبان عديمة الخبرة.
تقهقرت قوات طالبان من جبل السراج إلى مقر قديم لفرقة عسكرية سوفيتية إلى الغرب من الطريق العام.. وهو مقر متسع ملئ بالمعدات العسكرية القديمة ويقع تحت أعتاب سلسلة جبلية منيعة، ويفصله عن جبل السراج نهر صغير سريع التدفق يعبره جسر قديم.
هناك عيب كبير فى مقاتلى القبائل،كان معروفاً منذ وقت الجهاد ضد السوفييت، فهؤلاء المقاتلون إذا استقروا فى خط دفاعى لفترة من الزمن، ثم تعرضوا لهجوم أرغمهم على التراجع عن خطوطهم، أو فروا هم طواعية عن هذه الخطوط، فإن محطتهم التالية هى قريتهم.. أينما كانت، حتى ولو خلف الخطوط الدولية فى دولة مجاورة.
مثل باقى القادة الميدانيين القدماء، كان الملا محمد عمر يعرف تلك "الميزة" فى مقاتليه، خاصة من مناطق قندهار وما حولها، فأرسل صيحات الإستغاثة والإستنفار لاسلكياً إلى قادة الولايات القريبة من كابول، خاصة جلال آباد وباكتيا التى تحرك منها على الفور المئات ثم الآلاف من المقاتلين.
وكان "أمير المؤمنين" فى حالة بالغة من التوتر وعدم الثقه جعلته يتخطى المحذور ويرسل مندوباً خاصاً هو مستشارة السياسى الأول (الملا جليل) إلى بن لادن فى قرية (عرب خيل الجديدة) على حافة مطار قندهار كى يستنفر كل ما عنده من عرب للدفاع عن كابول.
كانت فرصة تاريخية يدرك بن لادن أهميتها، ووضع فى ذهنه فوراً المدى الذى يريد أن يدفع إليه الأمور حتى يخدم مخططه من خلال تلك الحاجة المفاجئة إلى خدماته.
لقد تصور أن "الإمارة" من الآن فصاعداً لن تجرؤ على الحجر على تصرفاته- كما أن إنطلاقته العظمى فى أفغانستان، ستكون من .. جبل السراج.
ولكن التطورات الميدانية تمت على غير ما كان يتوقع بن لادن.كان يتصور أن يقود هو فتحاً عربياً لقرية جبل السراج.والذى حدث ميدانياً هو إنهيار شبه تام لقوات

طالبان وتقدم كاسح لقوات مسعود صوب كابول.. وقتل عدد من جماعة بن لادن الذين شاركوا فى القتال، وأسر وفقد عدد آخر.وعندما أصبح جيش مسعود قاب قوسين أو أدنى من العاصمة كان الذى صدهم عنها، أو كان السبب الرئيسى فى صدهم عنها، شاباً صعيدياً كان ماراً من هناك بفعل الصدفة المتلبسة بالشهامة

**(لا شك أن إسم همام الصعيدي سيظل محفوراً فى الذاكرة العسكرية لمدينة كابول) .**

وهو واحد من "العائدين إلى أفغانستان" من الجماعة الإسلامية المصرية، وعددهم وقتها قد يصل إلى خمسة أفراد على أحسن تقدير.

فى الأزمة الحالية لم يكن قد طرأ تغير يذكر فى تعداد العرب مع بن لادن.

لكن موسم الصيف حمل معه أعداداً قليلة من "السياح الجهاديين" من اليمن والسعودية، الذين إجتذبهم إلى أفغانستان التصريحات المدوية لابن لادن والأضواء المبهره التى سلطها عليه الإعلام الدولى. كما عاد إلى أفغانستان مرة أخرى أعداداً من تنظيمات جهادية عدة تحت وطأة المطاردات الدولية.أما المجموعات الباكستانية فقد كانوا عدة آلاف فى أفغانستان إنضم منهم عدة عشرات إلى بن لادن فى مشروعة بالجبهة شمال كابول، ولم يكن لهذا التعاون مردوداً عملياً يذكر لأسباب إدارية ولوجستية.. وحتى نفسية!.

فى ظهر اليوم التالى لإستلام الإستنفار كانت مجموعة من كوادر القاعدة برئاسة (أبو حفص المصرى) وزير دفاع التنظيم- قد وصلوا إلى كابول لدراسة الموقف، وتقدير ما يمكنهم عمله، كان ضمن الوفد عدد من راقبوا عن قرب مجريات الحرب السابقة على أعتاب كابول ضد دوستم والقوات المتحالفة معه فى ديسمبر الماضى.

وقد شاهد هؤلاء قبلاً العمل الفنى المنظم الذى قاده حقانى ودحر به الحملة المعادية وغنم جميع معداتها، وبخسائر قليله بشرياً وإستهلاك محدود فى الذخائر.. كان أداء إحترافياً من الطراز الأول.

وكان سهلاً على هؤلاء المراقبين العرب معرفه الفروقات بين الحملتين، وأن يضعوا أصابعهم بسرعة ودقه على مواضع الخلل وأن يتنبأوا خلال ساعات من تجوالهم فى المواقع العسكرية أن الوضع على شفا كارثة، ودقوا أجراس الإنذار فى كل مكان.. ثم حدد وفد القاعدة دوراً لقدراته المحدودة، وحاول الدفع فى طريق الإصلاح وتدارك الكارثة قبل وقوعها.

وصل من جلال آباد إلى كابول آلاف الرجال، وبصحبتهم كل المعدات الثقيلة التى إستطاعوا تحريكها، من مدفعيه ودبابات وراجمات صواريخ (بى ام 41) وهى مزودة بصواريخ مداها 30 كيلومتر.. إزدحام المواقع العسكرية كان فوق الوصف، وكانت الفوضى كذلك.

أما أوقات رماية المدفعية فكانت أوقاتاً مميتة لمن يشاهدها..

فإن كان المشاهد محباً لطالبان،مات كمداً.و إن كان كارهاً لهم مات من الضحك البعض فقط ضحك من شدة الغيظ من باب شر البلية ما يضحك .

فمن النادر أن يتكرر شئ من ذلک فى تاريخ الحروب.

---

**( كان الكاتب من بين المحظوظين الذين شاهدوا ذلك العرض النادر )**

---

عشرات من قطع المدفعية والراجمات متناثرة على جانبى الطريق الأسفلتى وإلى جانب البيوت الطينية، وكل مجموعة تعمل كما يترأى لها، وتختار الهدف الذى يعجبها، وليس لكل ذلك قيادة مركزية.

---

حتي قائد الجبهة نفسه (مولوى عبد الكبير) لايسيطر إلا علي عدد محدود من قطع المدفعية يديرهاأصدقاء له.تنسيق الرماية بين موقعين فقط يحتاج إلى مفاوضات طويلة لا تكلل غالباً بالنجاح..ولكن لسبب ما فإن أحد الهاونات الصغيرة ما أن يطلق قذيفة على العدوحتى تتابع المدافع الصديقة الرماية معه.. و تنطلق كل المدافع والراجمات بشكل جنونى، وكل منها لا يعرف لماذا يرمى، ولا على أى شئ يرمى..ولا أحد يدرى متى تتوقف هذه الرمايات.

كانت الذخائر الثقيله لدى طالبان شحيحة، وإذا إستمر وضع كهذا عدة أيام فقد لا يبقى فى كابول ذخائرلأسلحة ثقيلة. لكن بعد مجهود مكثف تم تضبيط الفوضى المدفعية نسبياً ولكن بقيت فوضى القيادة.. من أعلى مستوياتها إلى أدناها.. من وزير الدفاع ونوابة ومساعدوة من المدرسة العسكرية القندهارية، والذين كان وضعهم فى تلك المناصب خطأً مصيرياً، دفعت حركة طالبان وأفغانستان ثمنه غالياً.ثم يهبط وباء الفوضى وعدم الكفاءة حتى يصل إلى قادة المجموعات الصغيرة الذين تراخت أو تلاشت روابطهم مع سلسلة القيادة من فوقهم.

واتخذوا منفردين قراراتهم العسكرية العامة. وبما أن حالة الفوضى أضعفت معنوياتهم لذا أصبح لديهم قراراً واحداً ينتظرون أقرب فرصة لتنفيذه.. وهو الإنسحاب.. أو بالأحرى الهروب من خط الجبهة إلى .. البيت.. هكذا ضربة واحدة وهذا ما حدث بعد وقت ليس بالطويل.

القرارات الكسيحة هي نتائج طبيعى للقيادة العاجزة.. وكثيراً ما يقترب العجز من درجة الخيانة.

والجاهل قد يحدث فى نفسه وأهله من الضرر مالا يستطيع العدو أن يفعله و قرارات وزارة الدفاع فى كابول كانت خير مصداق لذلك.

فأول قراراتها لمواجهة الهجمة الجديدة على كابول، لم تكن تلبية لمتطلبات عسكرية بل كانت فى الأساس تنفيساً عن مشاعر الحسد والتعالى القبلى.

فبعد أن إستطاع جلال الدين حقانى مع بقايا قواته القديمة ذات الخبرة تدمير الغزوة السابقة على كابول، وفشل أحمد شاه مسعود ومساعدة الجنرال فهيم، فى محاولاتهم كسر قوات حقانى ووقف تقدمها،عندها شعرت القيادات العاجزة فى وزارة الدفاع بإنكشاف أمرها وسطوع نجم عسكرى من خارج دائرة الحرس الحديدي لحركة طالبان، ومن خارج نطاق القبائل المميزة من حول قندهار عملوا على الفور فى تحجيمه.. لخطورة محاولة تحطيمه.

---

وبينما المعارك ضد دوستم والثنائى مسعود وفهيم فى أيامها الأخيرة ( فى يناير 97م) صدر قرار من الإمارة فى قندهار بتعيين "حقانى" وزيراً للحدود و شئون القبائل!! .

تلك الوزارة كانت قديماً من وزارات السيادة فى الدولة الأفغانية، ولكنها الآن، لامعنى لها مثل كثير من الوزارات التى لاعمل يدور فيها أكثر من إحتساء الشاى والثرثرة.

فليس هناك ميزانيات محددة لأى وزارة كانت- وكل الطاقات هى خلف إنهاء الحرب الداخلية، فالوزارات التى تعمل هى المتعلقة بهذه المهمة تحديداً، أى وزارات الدفاع والأمن والداخلية.

وهى أيضاً ليست محددة الميزانيات ولا الكوادر الوظيفية.

بعد الهزيمة الشنيعة لحملة "تحالف الشمال" وقادتها الكبار على يد حقانى، كان الجميع يتصور أن تضعه الإمارة على رأس وزارة الدفاع فى كابول. ولكن "مركبات النقص"

التى تحكمت فى الحرس الحديدى، أى الإستئثار الشديد بالسلطة بدافع الأنانية البحتة، حتى على حساب مصالح البلاد، كان عاملاً مهماً يساعد على تآكل حركة طالبان بل ومن أسباب طول أمد الحرب الأهلية، والتى أمدت الغزو الأمريكيى بأهم مقومات النجاح ألا وهى القوات الأرضية من جنود تحالف الشمال، الذى كان يمكن تفكيكه بسهولة وخلال عدة اشهر من إندحار حملة دوستم، على كابول( في يناير 1997) .

عندما وصل حقانى ورجاله إلى جبل السراج ،كان دوستم وكبار قادة الحملة قد فروا من المنطقة براً وجواً تاركين جنودهم فوق القمم الثلجية حيث قتل كثير منهم حين ضلوا بين جبال الثلج.

وكان جهابذه وزارة الدفاع قد وصلوا هم أيضاً إلى هناك بل أن وفدا من الأمم المتحدة كان من أوائل من وصلوا إلى جبل السراج!! . **(كان الكاتب شاهد عيان على زيارة مراقب عسكرى للأمم المتحدة ومرافقيه لقرية جبل السراج ، شاهدهم عائدين من القرية ولم يكن أى من قادة الحملة قد وصل إلى هناك بما فيهم حقانى نفسه( !) وكان مفهوما أن تلك الزيارة واجتماعات الوفد مع وزير دفاع طالبان ومساعديه، وراء تكبيل الحملة العسكرية عند قرية جبل السراج ، ووقف إندفاعها نحو الطرف الآخر من ممر سالانج ومطاردة قوات دستم ومسعود التى كانت فى حالة إنهيار كامل. كان ذلك فى الأسبوع الأول من يناير1997.**

**وفى اغسطس 1998 قام متطوع باكستانى بقتل المراقب العسكرى للأمم المتحدة فى كابول وهو ضابط إيطالى وقيل وقتها أن مافعله كان إنتقاماً للقصف الأمريكى لمعسكرات خوست للعرب والباكستانيين . وهذا إحتمال معقول جداً بالنسبة للحالة النفسية السائدة وقتها، ولكن ذلك لا يمنع أن تكبيل الأمم المتحدة لإندفاع طالبان عبر سالانج حافزاً آخر ..كما لايستبعد إحتمال أن يكون توريطاً باكستانيا للطالبان مع الأمم المتحدة ) .**

هناك أقترح حقانى على وزير الدفاع ونائبه أن تواصل قواته مطاردة القوات المنسحبة إلى المدخل الشمالى من الممر.. فى ولاية بغلان والسيطرة على الممر ومداخله.

فرفضوا.. فقال لهم أن لا أقل من أن تصل القوات إلى أعلى نقطة فى الممر والإستحكام بها، فتكون فى موضع دفاعى متميز يسهل لها الهجوم إلى أسفل صوب المدخل الشمالى فى أى وقت تشاء.. فرفضا أيضاً.

وتمسكاً بألا تتحرك القوات أبعد من قرية جبل السراج أو فوقها بقليل.. وهو موضع لايعطى أى مزايا دفاعية عن الموقع (جبل السراج) كما أنهما جعلا قوات العدو تفلت من المطاردة .. بل وتركوا لها ميزة السيطرة على أعلى نقاط الممر الجبلى المنيع!!. السر الأكبر وراء كل ذلك ظهر فى وقت متأخر وبالصدفة البحتة. لكونه واحد من أعلى أسرار الدولة ويحتفظ به عدد قليل من كبار رجالها فى طيات صدورهم.

---

## <u>فيتوا أمريكى.. على ممر سالانج</u>

وضعت أمريكا خطاً أحمر على عبور (طالبان) ممر سالانج.. وبالأحرى سلسلة جبال الهندكوش، ويتوافق ذلك مع الرؤية الروسية التى عبر عنها "ألكسندر لبيد" كما سبق ذكره.

..من خطواتها العاصفة فى عمرها القصير يتضح أن حركة طالبان أو "الإمارة الإسلامية الأفغانية" حاولت الإلتفاف على الحظر الدولى بل على سلسلة جبال الهندكوش والوصول إلى الشمال الأفغانى إنطلاقاً من ولاية هيرات فى الغرب.. ثم تجرأت أكثر وإقتحمت قواتها ولاية باميان وسط البلاد، حتى وصلوا إلى الخاف بقليل

من المدخل الشمالى لممر سالانج.
لقد تجرأت حركة طالبان وتخطت الخط الأحمر المار من فوق جبال هندوكوش، وسيطروا على مدينة مزار شريف فى عام 1997.. لذا كان العقاب بشعاً وإستئصالياً وفقدوا عشرة آلاف شاب دفعة واحدة قتلوا غيلة ومزقت جثتهم.. تحت عين وبصر الأمم المتحدة!! التى لم تنطق بكلمة.. فقد أخطأ القتلى بعبوردهم خطاً أحمراً وضعته أمريكا فوق الخريطة الأفغانية، وتجاوزوا سقفاً حددته أمريكا لحربهم الأهلية.. غير أن حركة طالبان تعدت الخط الأحمر حين إستولت على مزار شريف مرة أخرى عام 1998.. فجاء العقاب الأمريكى عام 2001 على شكل مجازر بشعه وبأحدث الأسلحة الأمريكية، وبأحط أسلحة الحقد لتحالف الشمال، فذبح من حركة طالبان فى شمال أفغانستان ثلاثة عشر ألف شاب على الأقل. (هذا غير المقاتلين العرب والأزبك والباكستانيين الذين فقدوا عدة آلاف هم أيضاً).
..مرة أخيرة برزت جبال الهندكوش خطاً أحمراً "ملزماً لحركة طالبان فقط" فى الأيام الأولي للغزوة الأمريكية.. فقد أوصل تحالف الشمال رسالة غير مباشرة إلى حركة الطالبان تقول لهم أتركوا لنا الشمال وعودوا إلى الجنوب من الهندكوش ودافعوا عن أراضيكم هناك ! وكأنهم يتكلمون عن بلدين وشعبين مختلفين !! .
بل أن موقفهم من قضية تطبيق الشريعة الإسلامية كان لايختلف كثيراً عن موقف (جون جرانج) وحركة التمرد الوثنية فى جنوب السودان من قضية تطبيق الشريعة فى السودان.
# الإلتزام السرى من جانب حركة طالبان بعدم إقتحام ممر سالانج من طرف المدخل الجنوبى فى جبل السراج أدى إلى وجود شرخ عميق فى موقفهم الإستراتيجى على المستويين السياسى والعسكرى.
وكان طبيعى أن يسعى مسعود إلى الحصول على عدة كيلومترات داخل المزارع الكثيفة شمال كابول، كنطاق دفاعى عن أقدام الهندكوش ومداخله الإستراتيجية فى جبل السراج وجلبهار.
هذا النطاق الدفاعى كان يتمدد وينكمش، ولكنه بإستمرار كان يهدد كابل فى الصميم، بفعل براعة أحمد شاه مسعود العسكرية السياسية وموالاة الوسط السكانى وملاءمة طبيعة الأرض المزروعة بكثافة والتى تشكل منطقة مثالية لحرب العصابات.
وجود التحالف الشمالى فى المناطق الزراعية فى شمال كابول (أو وادى شمالى كما يطلقون عليه) جعله سياسياً، وبدعم دولى كبير، يبدو خطراً أساسياً لنظام الحكم. رغم أن نظام طالبان سيطر فى عامه الأخير على أكثر من 90% من أراضى البلاد، وكان على وشك إنهاء التواجد العسكرى لتحالف الشمال بنهاية عام 2001 م.
من أهم القرارات الكسيحة لوزارة الدفاع فى كابول لمواجهة الحملة الجديدة على كابول (فى صيف 1997م) هو تقسيم مسرح العمليات فى (وادى شمالى) إلى قطاعين مستقلين تماماً.. الأول يشمل الطريق الرئيسى القديم الذى يخترق المناطق الزراعية مارا بالمدن الهامة فى الأقليم مثل قرة باغ، وشاريكار وصولاً إلى جبل السراج. وذلك هو القطاع الأهم.
والثانى يشمل الطريق الجديد والذى يخترق صحراء "ده سبز" الجرداء وصولاُ إلى قاعدة باجرام ثم المناطق الزراعية الكثيفة وصولاً إلى مدينة جلبهار"مدخل وادى بنشير.

القطاع الأول الرئيسي، وضعوا قيادته فى يد مولوى (عبد الكبير) ورغم أنه من ولاية باكتيا إلا أنه أحد كبار حركة طالبان..ولاصلة له بالعمل العسكرى.
ولكنه تولى منصباً كبيراً كمسؤل عن مجموعة ولايات شرق أفغانستان إلى جانب توليه مباشرة ولاية ننجرهار (وعاصمتها جلال آباد).
القطاع الثانى، الثانوى، أعطوا قيادته لجلال الدين حقانى!!.
لم يحدث أى تنسيق بين القطاعين المذكورين، وهو أمر لايمكن تصور حدوثه فى أى من المعارك الكثيرة التى شهدها هذا الوادى الأخصب فى أفغانستان لكثرة ما شرب من دماء منذ بداية الخليقة.
القطاع الأول شحنه عبد الكبير برجال أحضرهم من جلال آباد، ورغم تسليحهم الكثيف، إلا أنهم لم يفكروا يوماً فى القتال.. فلا إنضباط ولا روح قتالية لديهم.
فى القطاع الثانى صادف حقانى صعوبة في تجميع رجاله للقتال مرة أخرى فى كابول بعد الإهانات والإتهامات والتشنيعات التى أطلقها عليهم رجال طالبان ، الذين بدافع الغيرة ولتقليل إنجازهم القتالى الهائل ، قالوا عنه أنهم لصوص، نهبوا بيوتاً فى كابول، بل أن أحد الحواجز الأمنية قتل واحداً من رجال حقانى بدعوى أنه كان يحمل قطعة سجاد مسروقة من أحد البيوت!! .
وكانت حركة طالبان قد منعت المقاتلين من الحصول على الغنائم من معاركهم كلها.. بدعوى أن الحكومة تزودهم بجميع إحتياجاتهم .
ولم يكن ذلك مقنعاً للمقاتلين القبائليين، الذين قاتلوا عقوداً والغنائم تمثل لهم حافزاً إقتصادياً ومعنوياً هاماً، كما أن علماء الدين لم يقل أحدهم يوماً أنها محظورة كما تقول حركة طالبان الدينية.
ولم يمنع رجال القبائل من باكتيا وغيرها من التمرد على حركة طالبان سوى خشيتهم أن يكون ذلك تمرداً على أحكام الشريعة الإسلامية التى تطبقها الحركة فى كل المجالات (سوى غنائم القتال).
وقال أحد كبار علماء تلك القبائل ملخصاً موقفهم من طالبان:
(نحن وحكم طالبان مثل رجل يرتدى ثوباً صوفياً ثقيلاً فى يوم قائظ فإن هو خلعة ظل عارياً أمام الناس، وإن صبر على إرتدائه أذاب شحمه وسلخ جلده). **"فى حديث خاص مع جلال الدين حقانى فى كابول".**
بعد تولى زمام القيادة فى قطاعه الجديد، صادف حقانى نجاحاً وتخطى مطار بجرام وطهر العديد من القرى.. وأصبح يهدد جلبهار وكانت مشكلتة هى حماية مجنباته من الهجمات الصغيرة المفاجئة لرجال مسعود، وصعوبة مطاردتهم فى ذلك الموسم الذى أينعت فيه مزارع العنب الواسعة، التى شكلت مخابئ جيدة للمهاجمين.
وكانت المنطقة مجهولة لمعظم رجال حقانى، وكان يحتاج إلى وقت حتى يتعرف رجاله على مسالكها، ولكن مقاتلى قندهار لم يمهلوه، فأرسلوا خمسئة مقاتل إلى جبهته، عملوا بشكل مستقل، وبترتيب مع وزير الدفاع رأساً، فأصبح حقانى لايسيطر على قطاعة، وأحس ورجاله أنهم غير مرغوب فيهم!!.
وما هى إلا أيام، حتى إنهار قطاع " عبد الكبير" مثل جبل من الجليد، نتيجة لعمليات محدودة من رجال مسعود عند مدينة شاريكار،فإنسحب آلاف من رجال جلال آباد عائدين فوراً إلى قراهم، وفى مقدمتهم "القيادات العسكرية".

خسرت قوات طالبان( 70كم) من عمق خطوطها شمال كابول خلال ساعات، وتراجعت الجبهة الأخرى إلى مضيق إستراتيجى فى صحراء دة سبز أغلقه رجال حقانى وتمسكوا به، بعد ان فقدوا حوالى (40كم)من الأرض فى قفزة واحدة!! فسقطت قاعدة باجرام فى أيدى رجال مسعود.

إحتفظ حقانى بقوة من رجاله يقودها أخواه إبراهيم وخليل إستمرت فى مواقعها إلى أن سقطت كابول عام 2001م فى أيدى تحالف الشمال. وخلال تلك الفترة لم يقترب حقانى من العمل العسكرى ..حتى بعد القرار الشكلى الذى أصدرته الإمارة بعد بدء الغزو الأمريكى بتوليته القيادة العسكرية لثلاث ولايات هى باكتيا وباكتيكا وغزنى.

كان القرار شكلياً ومتأخراً جداً وغير كاف فى آن واحد .

ولكن القرار دل على أن "الإمارة" فى قندهار كانت تدرك الثقل الحقيقى والإمكانات العسكرية الكبيرة لهذا القائد، وأنهم تجاهلوه عن عمد لصالح " الحرس الحديدي" الذى تولي وزارة الدفاع كغنيمة حرب .

..وصل بن لادن إلى كابول فى هذه الأجواء المضطربة والمشوشة، وكانت السحب السوداء تتجمع فوق العاصمة، وحكامها الجدد يفكرون فى الفرار منها قبل تفكيرهم فى الدفاع عنها.

قبل وصوله بوقت قصير.. تمكن إثنان من كوادر القاعدة من وقف إنهيار الجزء الشمالى من الجبهة تحت وطأة مناوشة صغيرة قامت بها مجموعة مكونة من خمسة أفراد فقط من جماعة مسعود. وأدت المناورة إلى فرار مالا يقل عن خمسمائة من مقاتلى جلال آباد، معهم شتى أنواع الأسلحة بما فيها خمسة دبابات قفزوا منها وفروا مترجلين صوب كابول!!

بمبادرة من المصريان( أبو خلاد، وأبو خالد) رافقهما إثنان أو ثلاثة من الأفغان شاركوا تحت ضغط الخجل، وضغط السباب الغاضب من أبو خلاد. نجح الهجوم المعاكس الذى طارد أفراد الكمين نحو قرية فى عمق مزارع المنطقة، ثم طهرها بعد عدة ساعات.

وكان منظر الجبهة مهيناً ومخزياً إلى أبعد مدى، وهى تفر تحت نيران أسلحة خفيفة من خمسة أفراد !!.

كان هناك مرضاً غامضاً يفترس الروح القتالية للأفغان أو (مؤامرة) صامتة تديرها الإستخبارات الباكستانية عبر عناصرها المندسة فى مقاتلى (جلال آباد) وغيرهم.. فى جبهة تعج بالفوضى والأسلحة، والقادة الفاسدون من كل صنف ولون.

***

وصل بن لادن متحمساً منتشياً واثقاً بالفوز، ووضع نفسه فى دور النجم الأول، وبدأ يدير حوالى أربعين عربياً وأكثر من مئتى باكستانى مساندين، إدارة مباشرة لا تترك مجالاُ لأى من مساعديه كى يمد يد العون له.

حتى أن وزير دفاعه، أبو حفص المصرى، شعر بالغضب والخطأ الذى يضيفه بن لادن لموقف ملئ بالأخطاء المأساوية، وحشد عسكرى ردئ يهدد بالإنهيار وآيل للسقوط فى كل لحظة .. فاعتذر بهدوء غاضب كعادته عندما يتعدى الزعيم على صلاحياته وذهب إلى خوست، ولكنه عاد قبل الإنهيار بقليل تحت إلحاح زعيمه بن لادن.

فشاركه الهزيمة .. وكان بن لادن محظوظاً اذا إستطاع الإنسحاب سالماً إلى قندهار،

بعد أن وصلت قوات أحمد شاه مسعود إلى مسافة قريبة جداً من مركزه الخلفى فى قرية (مرادبك).
.. الجبال تساعد على الدفاع وتطبع مقاتليها على أساليبه حتى أن الكمين الجبلى يصبح الوسيلة الأغلب والأيسر لتصفية قوات الخصم.
أما المناطق المفتوحة فإن الهجوم يصبح هو الخيار الأساسى وربما الأوحد، ليس من أجل هزيمة العدو بل وحتى لمجرد الدفاع عن النفس، وهنا تكون الغارة هى الأسلوب الأمثل والأغلب.
والمقارنة بين أساليب القبائل الأفغانية توضح بجلاء هذه القاعدة.
فقبائل باكتيا وباكتيكا فى جنوب الشرق حيث وعورة الجبال اذا قورنت طرق قتالها مع القبائل الصحراوية فى هلمند وقندهار تتضح هذه الفروقات الجوهرية فى أسالبب القتال وحتى طرق القيادة.
بعد معركته المظفرة ضد محاولة دوستم غزو كابول طلب حقانى بناء خط دفاعى حولها يعتمد على الجبال المحيطة بأطرافها والمتحكمة فى طرق الإقتراب منها..
وهى قاعدة أزلية فى الدفاع عن كابول منذ عصر الإنسان الأول وحتى عصر الإحتلال السوفيتى.
لكن قيادة وزارة الدفاع فضلت الإبقاء على مجرد نقاط أمنية مع مواقع عسكرية على الطرقات الرئيسة خاصة فى طرف قوات مسعود لمجرد إثبات السيادة على هذه المناطق وفى حال الهجوم تنتقل تلك المواقع بما فيها ومن فيها إلى الأمام. وفى حال الهزيمة تعدو إلى الخلف... إلى حيث يتيسر لكل فرد منها أن يصل.
فى الأزمة الجديدة وشبح الهزيمة والفشل يخيم على تلك القوات الكثيفة التى إنحشرت فى وادى شمالى بلا قيادة أو خطة.. مع إستعداد دائم ومرهف للهرب السريع مع أول بادرة خطر، بدأت تظهر من جديد فكرة بناء خط دفاعى إلى الطرف الشمالى، على الأقل بهدف إستقبال القوات المنهزمة أو لجعلها تمر إلى حيث تريد، ومنع قوات مسعود من ملاحقتها والإستيلاء على كابول.
بعد فشل المشاركة النشطة على خط المواجهة الأول، إقتنع بن لادن بضرورة الإهتمام بموضوع خط الدفاع الخلفى وكان المتطوعون الباكستانيون المشاركون معه يطلبون بذلك أيضاً.
فأرسل بن لادن سبعة من العرب إلى المضيق الجبلى فى طريق صحراء (دة سبز) الشهير بطريق بجرام، وكان رجال حقانى متحصنين هناك فعلاً منذ أشهر. ثم أرسل "بن لادن" أربعة من العرب إلى جبل قريب من قرية "مراد بك" حيث مقر قيادتة..
وتعهدت المجموعة الباكستانية المتعاونه معه بإرسال 16 من عناصرها إلى نفس الجبل لتكوين ركيزة للدفاع إستعداداً للكارثة المقبلة.
عملياً وصل إلى الجبل المذكور "صعيدى" واحد من الجماعة الإسلامية المصرية، حرس الجبل بمفردة ليلة كاملة. ثم شارك مع أربعة من العرب فى منع قوات مسعود من المرور من أمام الجبل إلى كابول التى أصبحت على بعد 15كم فقط ولا يحميها أحد.
وقد نجح العرب الخمسة فى مهمتم كما نجح زملاؤهم فى الأشهر التالية فى منع قوات مسعود من الإستيلاء على نفس الجبل من عدة حملات قوية.. من هنا نشر مسعود وحلفاؤه فى الخارج شائعة وجود عدة آلاف من العرب يدافعون عن كابول (!)

ووجدوا فى ذلك ستاراً لفشلهم العسكرى وستاراً على بطولة العرب القلائل المتواجدين فى خط الدفاع عن كابول. وفى الحقيقة أن المقاتلين العرب بشكل عام يصعب إيجاد نظير لهم فى البسالة والإقدام.. وتلك حقيقة لا يمارى فيها أحد.. ولكن ضعف القيادة عند العرب وغياب إستراتيجية عمل لديهم، وتطرفهم الفقهى أضاع تلك المزايا الفريدة وجعل معاركهم عقيمة النتائج.

إنهارت الجبهة، وتقدمت قوات مسعود إلى قرب مراد بك حيث أوقف زحفهم (بطل الصعيد) من الجماعة الإسلامية المصرية- مع أربعة من شباب القاعدة.

كما ولم تستطع قوات مسعود إختراق مضيق (ده سبز) على طريق بجرام حيث صدهم رجال حقانى والعرب معهم.. فى النهاية كانت خسائر العرب فى الخط الأول.. القريب من جبل السراج.. سبعة من القتلى وسبعة عشر ما بين أسير ومفقود !! وقد فوجئ هؤلاء بإنسحاب قوات طالبان (جلال آباد) من خلفهم.. بينما قوات مسعود تقطع عليهم طريق العودة ثم تهاجمهم من عدة جهات . تكبدت القاعدة جزءاً من الخسائر وقاسمها الضيوف العرب (من اليمن والسعودية) جزءاً آخر.

-----------------------------------

## <u>الفصل الثالث</u>

## <u>من جبل السراج إلى نيروبى ودار السلام</u>

عاد بن لادن وشباب القاعدة إلى قريتهم (عرب خيل ) قرب مطار قندهار وقد عمهم الإحباط والتوتر لمقتل عدد من الكوادر وفقدان عدد آخر ، بقى مصيرهم مجهولاً لأشهر. وزاد شعورهم بالضياع، هشاشة وضع طالبان وسهولة إنهيارهم عسكرياً فى أى وقت كما حدث أمام أعينهم فى كابول.

فبدأ بن لادن منذ عودته إلى قندهار فى التفكير جدياً فى إيجاد بديل عن أفغانستان رافق ذلك إحتجاجات من كوادر هامة داخل القاعدة على تركيز بن لادن المفرط على موضوع الإعلام ،التلفزيونى خاصة، وجعله هما أوحداً لمشروعه الخطير الخاص بإعلان الجهاد على الأمريكان المحتلين لجزيرة العرب.

وأن قيادته هى الوحيدة تقريباً لتنظيم القاعدة كله.فالإمكانات المادية والبشرية تتوجه وتتحرك معه أينما سار وحيثما وجه إهتمامه ونشاطه الشخصى.. وإنتقدوا طريقه قيادته فى كابول وإزاحته لجميع كوادر التنظيم وتولى قيادة كل شئ بنفسه وتوجيه كل الأوامر فى شتى الإتجاهات.

توجهت الأنظار مرة أخرى إلى شواطئ شرق أفريقيا كبديل محتمل لأفغانستان التى بدت مهتزة بعد معركة كابول.ثم خاطرة أخرى.. فطالما أن تلك المناطق قد تم إستطلاعها فى أعقاب حرب الصومال للبحث عن أهداف أمريكية قابلة للضرب فى إطار برنامج تم التراجع عنه سريعاً أثناء فترة التواجد فى السودان.. فلماذا لايعاد إحياء ذلك المشروع مرة أخرى بعد أن تم إعلان الجهاد؟؟.خاصة وأن إستطلاع الشاطئ الشرقى لأفريقيا قام به المدرب الأشهر (حيدرة) ذلك الضابط المصرى سابقاً والعريف فى الجيش الأمريكى وقتها . كل ما فى الأمر أن عدد ممن شاركوا فى الإستطلاع الأول سيتولون مهمة إعادة الإستطلاع والعمل طبقاً

لما تمليه ظروف الموقع وبدون التوجيه المباشر لزعيم القاعدة بن لادن. لقد حصلوا على تفويض للعمل بالمبادرة الميدانية فى إطار رؤية متفق عليها.. كان الملا محمد عمر ممتناً لدور العرب فى معركة كابول. وصدهم زحف مسعود، عند قرية مراد بيك،وكان الرجل رقيقاً ومجاملاً إلى أقصى حد. وقام بزيارة قرية (عرب خيل) جنوب مطار قندهار عدة مرات. جالساً مع بن لادن ومن حوله بلا أى تكلف، منتقلاً معهم فى أحاديث تلقائية تناولت مجالات شتى، بعضها يتعلق بسياسات الدولة (الإمارة الإسلامية) ومشاكلها وطموحاتها المستقبلية. لقد أضاع بن لادن فرصته التاريخية فى تلك الأيام عندما أخطأ فى تفسير شخصية الملا عمر وزياراته والمواضيع التى يتطرق إليها أثناء جلسات السمر البسيطة معه فى قرية عرب خيل.

-----

الملا عمر كما ظهر من مجمل تصرفاته مع العرب حتى يوم حكمه الأخير، كان يطمح فى توظيف الحالة العربية فى أفغانستان لتقوية المجتمع الأفغانى وبث حيوية جديدة فى أوصاله التى أنهكتها الحروب، وأثرت فيها الأيدلوجيات التي تصارعت مع الإسلام فوق أرضة لأكثر من نصف قرن. بل كان يطمح فى تعريب أفغانستان كما صرح عدد من كبار حركة طالبان – خاصة مولوى إحسان ا ، بل وحتى عدد من علماء أفغانستان منذ عهد الجهاد ضد السوفييت. كان يرى أن اللغة العربية هى حصن أكيد للإسلام خاصة فى أفغانستان وأن توطين "العرب الأفغان" أى هؤلاء الذين جاهدوا فى أفغانستان سوف يربط تلك البلاد مع باقي شعوب العرب.
وكان يرى أن بن لادن والعرب من حوله والذين سيأتون مستقبلاً للإستيطان فى أفغانستان بحكم ظروف الإضطهاد والملاحقة، يمتلكون علوماً وخبرات يفتقد إليها الأفغان وسوف تساعد فى بناء "الإمارة الإسلامية".
الزيارات البسيطة والجلسات غير المتكلفة كان جوهرها عرضاً بالمشاركة يقدمه "أمير المؤمنين" لزعيم العرب بن لادن.

-----

ولكن من النادر جداً ان لم يكن مستحيلاً وبحكم خبرة التاريخ أن يتمكن (الإيمان المتواضع )من قيادة( الثروة المنتشية بالغرور)، حتى ولو كان كلاهما على أرضية دينية واحدة.
فالمال لا يرى لنفسه مكاناً غير الصدارة والقيادة، حتى وأن إنعدمت فى صاحب المال قدرات ومواهب الإمارة.
ومن السخرية أن بن لادن وقتها كان لايملك مالاً وجففت منابعه تماماً. وبدأ يقترض من بعض مشايخ باكستان، كى يطعم سكان قريه "عرب خيل"، التى هى كل ما تبقى من تنظيمه الإسطورى "القاعدة"!!. ولكن الإعلام الدولى قرر أن بن لادن ملياردير (!) وأنه أهم وأخطر رجل فى العالم (!!) وأنه العدو الأول للولايات المتحدة الأمريكية (!) وأن تنظيم القاعدة منتشر بالآلاف فى جميع ثقوب

العالم (!).
كان بن لادن ومن معه يضحكون من تلك الترهات، ولكن لم يلبثون أن أخذوا يتصرفون على هذا الأساس !! فضربهم الغرور والتعالى والثقة الزائدة بالنفس، وإستصغار شأن الآخرين، أو إحتقارهم أحياناً. وكانوا عن ثقة يعتقدون بأن الحركة الإسلامية أجمع يجب أن تنضوى تحت لوائهم.لأنهم أخيراً قد عثروا على الطريق الصحيح والزعامة التاريخية التى هزت العالم. وبدأت الرؤى والأحلام التى تؤيد ذلك تتوافد.. الجديد منها والقديم.. وجميعها ترفع من شأن بن لادن أو ( القحطانى) كما تقول بعض الرؤى والبشائر.. وكلها تؤكد هزيمة العدو وقدوم النصر تحت راية بن لادن.
وعلى الأرض كانت القليل جداً من العلائم تشير إلى صحة الأحلام.
بل أن "مرجفين"و"متخادلين" وهم قليلون بكل أسف، دقوا مبكراً أجراس الإنذار ووضعوا الأصابع على أشارات فى حجم الجبال على أن المسيرة ذاخرة بالأخطاء والتجاوزات، وأن الخطر وشيك وماحق على كل أفغانستان ومن عليها من مسلمين، عرباً وأفغاناً.
فليس من المبالغة إذن أن نقول بأن "الإعلام الدولى" قد أفسد بن لادن والقاعدة ووضعهم على طريق الإنحدار والهزيمة وألبسهم الغرور والإهمال حتى قبل أن يطلقوا طلقه واحدة فى مسيرة الدعوة إلى "جهاد الأمريكيين المحتلين لجزيرة العرب".
وسوف نرى لاحقاً كيف أن "الإعلام الدولى" ذاته قد هزم حركة طالبان وأفقدها الرغبة ومن ثم القدرة على القتال بينما هى مازالت تسيطر على ثلاثة أرباع البلاد بما فيها العاصمة كابول.
المهم أن بن لادن، وقد فهم عرض الملا، رفضه بكل صلافة "الملياردير" المجاهد والمهذب. فقد كان ببساطة وبشهادة "الإعلام الدولى" أهم وأكبر من الملا عمر الذى يحمل لقب "أمير المؤمنين" وهو لقب كان بن لادن فى كل تصرفاته صغيرها وكبيرها بل وحتى فى نبرات صوته يرى أنه الأحق والأجدر بحمله.
كان بن لادن دائم الثناء على الملا عمر وكان الرجل مستحقاً لذلك بلا أدنى شك، ولكن بن لادن لم يقرن أبداً الثناء بالطاعة خاصة إذا تعلق الأمر ببرامجة وخططه. وكان يصرح فى جلساته الخاصة أن (الإخوة الطالبان جزاهم ا خيراً لا يدركون أبعاد الواقع ولا مصالح المسلمين خارج أفغانستان.. ونحن أقدر منهم على ذلك). وبالتالى ضرب عرض الحائط بأوامر (أمير المؤمنين) ومصالح أفغانستان بل ذبحها وقدمها قرباناً "لمصالح الأمة الإسلامية" التى لم يتحقق منها شئ رغماً عن ذلك..شعر "أمير المؤمنين" وهو الرجل اللماح ، أن جموح بن لادن وفتنه الناس به بفعل سحر "الإعلام الدولى" سوف يؤدى فى النهاية إلى مالا يحمد عقباه. وهو منذ اليوم الأول قد إستبعد نهائياً إستخدام لغة القهر مع بن لادن وعرب أفغانستان وظل صامداً على قراره هذا حتى اليوم الأخير من حكمه.
وبناء على مشورة من أحد مساعدية ومن أحد علماء باكستان قرر الملا أن المصاهرة قد تحل المشاكل السياسية المستعصية فهذا ما يحدث عادة فى المجتمع القبلى وحتى بين الدول وإلى عهد قريب.
فذهب أحد الوسطاء إلى بن لادن يسأله عن إمكان تزويج أحدى بناته لأمير

المؤمنين، لكن الرجل إعتذر بأن بناته مازلن صغيرات السن.
ومع ذلك ذاع الخبر فى صحف باكستان بأن الزواج قد تم فعلاً وأن تلك المصاهرة هى السبب الحقيقى لموقف الملا عمر الداعم لبن لادن فى مواجهة الضغوط الخارجية القاسية.
لكن هناك قاعدة مشهورة جداً ، لاينقصها إلا أن تصبح قانوناً مكتوباً.. تقول القاعدة بأن من حق السعوى أن يتزوج أى إمرأة على سطح الأرض، ولكن لا يمكن أن يتزوج من المرأة السعودية إلا رجل سعودى.
ولكن رجلاً متديناً مجاهداً مثل بن لادن لا يطرح هذه الصورة الفظة ولكنه يقول بدماثة أنه قرر ألا يزوج بناته إلا من شباب المدينة المنورة.
وما هى إلا عدة أشهر حتى زوج بن لادن ما تبقى من بناته لشباب من مجاهدى المدينة المنورة.. وهكذا أغلق بشكل مؤكد باب المصاهرة بين أمير المؤمنين (الأفغانى) وأمير "العرب الأفغان".
ويمكن أن تتعدد الأحكام الشرعية والسياسية فى موقف بن لادن من مصاهرة الملا عمر ولكن قليلون جداً من العرب شعروا بالأسف لعدم إتمام تلك المصاهرة.

بدأت الحياة تدب تدريجياً فى أوصال "عرب خيل" بوصول دماء عربية جديدة إلي أفغانستان ..الطيور المهاجرة من التنظيمات الجهادية شرعت فى العودة الجبرية إلى أفغانستان. أكثرهم أفلت بمعجزة من ملاحقات أمنية وتشرد فى بلاد ا بجوازات مزورة عبر مطارات ملغمة بأجهزة الأمن الدولية والعربية.
جماعة الجهاد المصرية وصلت بكامل هيئتها وما تبقى من قواتها الضاربة المكونه من زعيمها الدكتور أيمن الظواهرى وتسعة من كوادر الجماعة.
الجماعة الإسلامية المصرية أهدت أفغانستان خمسة من فلذات أكبادها، والباقى إحتفظت به المعتقلات المصرية والمنافى الأوروبية.
الجماعة الليبية المقاتله جاءت إلى باكستان لتراقب عن كثب ما يحدث فى أفغانستان وقد راودتها شكوك وثارات لديها أسئلة عما يجرى على الساحتين العربية والأفغانية.
من المغرب العربى، أو( المغرب العصبى) كما يتندر المصريون، توافد أفراد هائمون وشظايا تنظيمات تهدمت يحملون أحلاماً بإنبعاث جديد، وساقتهم الآلام والأحلام إلى أفغانستان.. لعل وعسى.. وكانوا كغيرهم متوجسين ولديهم أسئلة أكثر من الإجابات المتاحة.
عرب من أوروبا، أصحاب أسر جديدة من زيجات مختلطة، حلقت بهم أجنحة الأمل بدولة إسلامية ومجتمع يسودة الخلق الإسلامى النبيل.
وصل هؤلاء وتجمع أكثرهم فى جلال أباد. التى إختاروها لتكون موطنا يحققون عليه أحلام المدينة الإسلامية الفاضلة.
أكثر هؤلاء لم يكونوا فى تنظيمات إسلامية ولم تشغلهم تلك الفكرة كثيراً.
شباب من اليمن والجزيرة جاءوا خصيصاً من أجل بن لادن.. بعضهم يعرفه وارتبط به سابقاً.. وبعضهم جاء بدافع الفضول.. وأخرون لإستطلاع الأوضاع الجديدة فى أفغانستان حتى يقرر من خلفهم خطواته التالية.. ومن خلف هؤلاء إما "شيوخ"أو تنظيمات إسلامية متباينة التوجيهات.. أو أجهزة دولة شغوفة بالنظر من

خلال النوافذ أو شقوق الحيطان .
وكان لدى بن لادن ذلك الأمل المشروع بالوحدة الإسلامية الشاملة ، ولكن وفق تصورة الخاص، ذلك التصور الذى الذى يضع بن لادن محوراً للأمل ويجعله قطب الرحى من ذلك الحلم العظيم.
وطالما الأمر هكذا وطبقاً لسوابق التاريخ فإن هذا الحلم العظيم لم يتحقق أبداً ويبدو أنه من الصعب أن يدرك هؤلاء "الملهمون" أن الأمة لايمكن إختزالها فى فرد وأن الفرد حتى وأن كان مبعوثاً من السماء، لا يمكنه أن يأخذ مكان الأمة، أو يكون بديلاً عنها.
الذين تحدثوا معه عن موضوع "العمل المشترك" أو " التنسيق" أو حتى " الوحدة الإندماجية" تساءلوا عن موضوع الشورى وكان موقفه الذى لا يتزعزع بأنها "غير ملزمة للأمير".
ثم إختزل السنة النبوية والتاريخ الإسلامى كله فى قرار حروب الردة وكيف أنه كان قراراً فردياً ومخالفاً لآراء كل أهل الشورى، الذين تبينوا فيما بعد صوابية القرار وبعد النظر فيه. فلما طرح المحاورون مواقف أخرى كان رأى الشورى فيها هو النافذ، لم يجدهم ذلك نفعاً.
حتى أن الظرفاء علقوا على موقفه من الشورى قائلين {لقد أضاع المسلمون أوقاتاً طويلة وكتبوا البحوث الطوال حول موضوع الشورى وهل هى بالنسبة للأمير "معلمة" أم "ملزمة" حتى جاء بن لادن وأثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن الشورى ملهاش لازمة}. وكانت نكته سوداء لأن الدماء سالت أنهاراً من أفغانستان بسبب قرار لم يستشر بن لادن فيه أحد ، لا من العرب ولا من الأفغان.

## **إتحاد قندهار( 23فبراير 1998)**

..بعد عدة أشهر من معركة جبل السراج (المؤسفة) صدر بيان "يبشر" المسلمين بإتحاد عدة منظمات جهادية مع القاعدة بهدف الجهاد المشترك ضد الأمريكان.
القريبون من الأوضاع تساءلوا عن جدوى هذا البيان الذى لا توجد أى فرصة لخروجه من الأوراق التى كتب عليها إلى حيز التنفيذ !. وكان رد قيادات القاعدة عجيباً حين قالوا بأن هذا البيان لرفع الروح المعنوية للمسلمين!!.
أكثر من وضعت أسماؤهم على البيان لم يكونوا مقتنعين ولكنهم أخذوا "بسيف الحياء" ثم بعد ذلك بسنوات أخذوا بسيف الإنتقام الأمريكى. لمجرد وضع أسمائهم على تلك الورقة التى لم ترفع معنويات أحد بل أضرت بالكثرين.
إثر هذا البيان المعنوى أقدم بن لادن على خطوة معنوية أخرى بأن عقد مؤتمراً صحفياً موسعاً فى معسكر "جهاد وال" فى جبال خوست.
ولأول مرة يقدم بن لادن نائبان له جلسا على يمينه ويسارة وهما الدكتور أيمن الظواهرى أمير تنظيم الجهاد المصرى ثم أبو حفص المصرى القائد العسكرى للقاعدة.
أثار المؤتمر الصحفى ضجة عالمية طبقاً لما درج عليه الإعلام الدولى من سياسة جعلت بن لادن فى الصدارة المطلقة.
كما أثار المؤتمر جنون حركة طالبان خاصة الجناح المعارض لإبن لادن وقصته كلها.

وبدأت الفتنه تتململ فى كابول وقندهار، ووجد الملا عمر نفسه شبه وحيد، ومتهم بالضعف والتقصير أمام أتباعه.
أعداؤه أثاروا الشبهات حول قضية من يحكم أفغانستان؟
هل هو بن لادن أم الملا عمر؟ ..وصل التساؤل حد الإسفاف حين قالت بعض أجهزة الإعلام بأن الملا عمر شخصية وهمية لاوجود لها ولم يشاهدها أحد.. وأن بن لادن هوالحاكم الحقيقى لأفغانستان من خاف شخصية وهمية تدعى الملا عمر!! .
.. أمريكا تعمدت تهميش الملا عمر والإيحاء بأنه غير هام أو مؤثر ثم ركزت الأضواء وافتعلت الأهمية كلها "لإبن لادن" . وفى الحقيقه أن هذه الصورة معكوسة تماماً.
لأن دور الفعل والتأثير العملى للملا عمر فوق المسرح الأفغانى وإحتمالات هذا الدور فى المنطقة سواء فى جنوب أو وسط آسيا كان بالغ الخطورة وكان تأثيره متناميا فى الداخل حتى أنه حصر دور تحالف الشمال فى خمسة في المائة فقط من الأرض . وكان جاهزاً ومؤهلاً للإجهاز عليه تماماً لولا أن دهمته حرب (أمريكا/ بن لادن) وقضت على نظامه الإسلامي.
لقد صنعت أمريكا كعادتها عدواً لا أقدام له ولا أجنحة ثم ضخمته على شاشات العرض ثم قضت عليه لتصنع أسطورة عظمتها المزيفة.
وأخفت شخصية عدوها الحقيقى بل أنكرت وجوده أصلاً ومن خلال القضاء على الوهم ( بن لادن) قضت على الحقيقة (الملا عمر).. فهل هى عبقرية الذكاء الشيطانى أم غباء الغفلة الإسلامية؟؟.
..كانت شمس الشتاء تشرق لامعة فوق معسكر الفاروق والصالة الكبيرة فى مبنى الإدارة بالمعسكر، المشيد بأناقة من الطوب الأحمر ، يجرى إعدادها لإستقبال الصحفيين الذين توزعوا على الغرف الطينية بالمعسكر إنتظاراً لإنعقاد المؤتمر.. أما بن لادن فكان فوق التلال تحت أحد الأشجار التى تكسو المنطقة، وقد إستغرق مع أحد أصدقائه القدماء، فى نقاش هادئ، لكنه حار جداً. **(لقاء خاص بين بن لادن والكاتب ، وكان يسكن مدينة خوست وقتها ، واستدعاه بن لادن لحضور المؤتمر ).**
تساءل الصديق القديم إذا كان ما يفعله بن لادن صحيحاً، مع أنه يعصى الملا عمر الذى هو حاكم شرعى تجب طاعته؟. فأجاب بن لادن أنه إذ لم يفعل ذلك فلن ينتبه المسلمون لحقيقة ضياع المقدسات ووجوب جهاد أمريكا لأخراج جيوشها من جزيرة العرب.. وأن ما يفعله هو من الجهاد المتعين الذى لا يجوز للإمام منعه.ثم أضاف بأن الملا عمر وحركة طالبان قد إستفادوا من نشاطه الإعلامى، كما أن حمايتهم له ولمن معه من العرب، قد أكسبهم إعجاب المسلمين ومصداقية لدى الشعوب العربية، وهو مالم يكن موجوداً قبل ذلك، حيث كانت حركة طالبان موضع شك المسلمين نتيجة لدعايات العدو.
قال الصديق: إن ما تفعله الآن سوف يتسبب فى الإحراج للملا عمر أمام شعبه وحركته.
وسيصيب الطالبان بالتمزق بين مؤيد لك ومعارض، وسوف تزداد الضغوط الدولية على حكومة طالبان التى ما زالت ضعيفة، بينما ستزداد المعونات والتأييد العسكرى والسياسي لجبهة الشمال المحاربة للإمارة الإسلامية .كل هذا يستدعى السير البطيئ والحكيم فى برنامجك. حتى تستقرأوضاع الإمارة.. وبعدها سوف تلقى منها

المساعدة وقد وعدك بذلك الملا عمر فى مناسبات عدة.ثم إنه صاحب الصلاحية فى وضع برنامج بلاده وحركته.. وعليك أن تطيع قراره بصفتك من رعايا هذه الإمارة أو أحد ضيوفها على الأقل.
ثم تساءل الصديق: هل إذا تبادلت المواقع أنت والملا عمر. وعقد هو ذلك المؤتمر الصحفى رغماً عن أوامرك الصريحة والمتكررة فهل كنت تقبل؟.
فضحك وقال بكل الصدق الذي هو أحد سجاياه الحميدة:
لا.. ما كنت أقبل منه ذلك.
قال الصديق وبكل الصراحة التى أكسبته عداوة كثيرين:
أما أنا فلو كنت فى موقع أمير المؤمنين ورغم الصداقة القديمة التى ربطتنا فى الجهاد فإننى كنت سأضعك فى السجن!! .
ضحك بن لادن.. ولكن بألم.. ثم بإصراره الهادئ العنيد مضى إلى مؤتمره الصحفى.. وقال ما شاء أن يقول.

"الملا غوث الدين" وزير الخارجية السابق، وكان معارضاً لابن لادن، تم تحديد إقامته فى بيته قرب قندهار لمسئوليته عن مأساه مزار شريف وحل محله "الملا محمد حسن" وهو رأس الصقور المعادين لابن لادن خاصة و"للعرب الأفغان" بشكل عام. ومن منطلق مذهبى عقائدي. وكان رجلاً صريحاً فظاً لا يخفى مشاعرة .. ولكنه أضطر إلى كتمانها حتى أوشك على الإنفجارنتيجة لضغوط أمير المؤمنين.. الذى أمره بشكل قطعى ألا يثير موضوع بن لادن معه أو فى أوساط حركة طالبان.. لأن موقفه غير مقبول لدى الإمارة.
كان الوزير يغلى كالمرجل فى كابول وكان عمله الوحيد تقريباً هو الجلوس فى مقر وزارته وتلقى الوفود من كل لون وجنس تحمل كلها شكاوى وإقتراحات ومشاريع وتحذيرات وإنذارات وجميعها يدور حول بن لادن.. فقط لا غير.

---

أصبح الجناح المعارض أو المعادى لتواجد بن لادن هو جناح الأكثرية الصامتة المغلوبة على أمرها بسلطان الأمارة.
ومع هذا لم يحاول بن لادن تهدئة الموقف بل دفعه نحو التصعيد والتحدى.. فعقد فى نفس المنطقة وبعد مدة قصيرة جداً لقاء متلفزاً مع قناه أمريكية وحاول كعادة المتخلفين العرب إبراز كل مظاهر القوة المتاحة.. من شباب ملثمين ومسلحين يطلقون النيران بغزارة.. بدعوة إرعاب العدو.. ولكن العدو..وهنا المفاجأة كان غاية السعادة. فالصحفى وفريق التصوير سجل كل مظاهر تلك "القوة"!! وعرضها بأمانه على شاشة قناته الفضائية.. بل مضيفاً إليها أبعاداً هائلة مخيفة، ولكن وهمية، عن ذلك العدو الجبار المتعصب القوى (ولكنه لم يذكر أيا من صفاته الحقيقية).
كان بن لادن يعدو بأقصى طاقته نحو الفخ الإعلامى السياسى الذى نصبه له عدوه ويخسر فى سبيل ذلك أهم حلفائة..الملا محمد عمر وحركة طالبان.
..كان بن لادن قد بعث أحد كوادرة على رأس فريق عمل إلى شرق

أفريقياً فى مهمة "بحث وتدمير ".. وغير الشاب المصرى قائد المجموعة، لم يكن أحد يدرى بما فيهم بن لادن نفسه، متى وماذا وكيف وأين يمكن أن يحدث أى شئ.

وبدلاً من أن يجتهد بن لادن فى تقوية صفوفه وتحالفاته لإستقبال ردة فعل العدو والتغلب عليها.. إجتهد فى توتير علاقته مع حركة طالبان وإضعافها..

وفى بلورة المعارضة العربية له داخل أفغانستان لما أسموه تعريض إستقرارهم وأمنهم للخطر لأن توتراته مع طالبان تنعكس تلقائياً على كل العرب فى البلاد سواء كانو معه فى القاعدة أم لا.

فاجتهدت العديد من الأجنحة العربية وحتى من المستقلين فى إفهام طالبان أنهم وابن لادن ليسوا شيئاً واحداً وأنهم، غير موافقين على عصيانه لأوامر الإمارة وإستمراره فى الصخب الإعلامى الضار بمصالحها.

إنفرجت أسارير أعداء بن لادن داخل حركة طالبان وسعوا حثيثاً لإبراز الأجنحة العربية الأخرى وحتى البحث عن زعامة منافسة لابن لادن.. بحيث يخفت وتخف غطرسته.

- ظلت التوترات في الصفوف تزداد وتقل فى نوابات مثل حمى الملاريا.. حتى داهمت الجميع أحداث سبتمر .. وعندها وقف العرب خلف بن لادن فى صف واحد.. ولأن الوقت كان قد فات على مثل تلك الوحدة الإجبارية، فقد كانت وجهه ذلك الصف المتحد هى إلى خارج أفغانستان.. فى خروج أخير قد لا يشهد عودة بعدها.. إلا ماشاء ا .

## الرياض تناطح قندهار:
## (تركى.. مع ملا عمر)

شهر يوليو من ذلك العام( 1998م) كان ساخناً على غير العادة، و صحراء قندهار كأنها تحترق. فيخرج البخار من الرمال جاعلاً الرؤية متموجة، فيلمع السراب على حوافها.. راسماً ظلاً مائياً لا وجود له.

قرية "عرب خيل" فى الصحراء هامدة مهدودة داخل سورها الطيني الكبير.

أكثر بيوتها مازالت خالية مهدمة من آثار الحرب السوفيتية،.. و الأسر القليلة بداخلها أصلحت ما يمكن إصلاحه واستقرت داخل البيوت الأسمنيتيه ذات الطراز السوفيتي الكئيب. فى النهار يصبح البيت كأنه جوف مشتعل لتنور يطهى الخبز.

لا أحد قادر على النوم.. أو الحركة.. والأطفال يبكون.. أو ينامون فى شبه إغماء، وبعضهم كان يصاب بالأنهيار من شدة الحرارة **( أقام الكاتب مع أسرته فى تلك القرية منذ أول إنشائها وغادرها في ديسمبر 1997م تاركاً فيها حفنة من الأحفاد أى الجيل الثالث من المطاريد ) .**

كان بالقرية مئة إنسان.. رجل وإمراة وطفل.. هم كل جيش "أسامة بن لادن" الذى رسم له الإعلام الأمريكى صورة المارد الجبار صاحب الجيش الجرار.. مئة إنسان بالتمام والكمال هم كل تنظيم القاعدة المهول مع كامل أطفالهم ونسائهم، كانوا غافلين فى ذلك النهار.. ولكن هناك من لا يغفل عنهم .

كان ا الذى يرعى الجميع برحمته..وكانت أمريكا التى تحمل كل الشر لجميع البشر، خاصة عرب أفغانستان، ورمزهم ذائع الصيت أسامة بن لادن الذى إحتل مكان الإتحاد السوفيتى الرهيب، كقرين مصارع للغرب وحضارته.. وقيادته الأمريكية.

إذا تململ أبليس ضجت الشياطين فى خدمته.. وإذا غضبت أمريكا على مسلم كانت السعودية أول الأيدى الممتدة للبطش به.
فى ذلك الجو القائظ هبطت طائرة سعودية ضخمة من طراز بوينج، وعلى متنها مدير الإستخبارات السعودية (تركى الفيصل) وحرسه الخاص، ومعه السفير السعودى لدى أفغانستان ( محمد العمرى ) والمقيم فى إسلام آباد لأسباب أمنية مفهومة.
كان الأمير السعودى يهدف من زيارته إلى شئ واحد لاغير: إستلام بن لادن ومن معه وإصطحابهم على نفس الطائرة إلى المملكة السعودية!!.
(حجم الطائرة كان يدل على معرفة السلطات السعودية بالعدد الحقيقى لتنظيم القاعدة أى تعداد سكان قريه عرب خيل).
(تركى) كان عصبياً ومتعجلاً، وظن أنه قادر فى دقائق على إنهاء المشكلة وإستلام "البضاعة". فبدأ بالإستكبار السعودى المعتاد خاصة إذا تعاملوا مع خدمهم الأسيويين.
إنتهت مراسم الترحيب الإبتدائية وتراص الوفد السعودى مقابل مسئولى الإمارة يتوسطهم "أمير المؤمنين" وامتدت سفرة بلاستيكية بين الجانبين وقد تراصت عليها أطباق العنب وأكواب الشاى، ثم دخل (تركى) مباشرة إلى صلب الموضوع وطالب "الملا محمد عمر" أن يسلمه بن لادن ومن معه طبقاً للوعد السابق بينهما!!.
وفى الوقع لم يكن هناك وعد من أى نوع، ولكن كان هناك طرحاً من جانب الإمارة بإحالة موضوع بن لادن إلى لجنه من العلماء، ينتمون إلى عدة دول إسلامية ثم تقوم اللجنة بتقرير ما ينبغى عمله إزاء تلك القضية طبقاً للشرع الإسلامى.
أعاد الملا عمر على أسماع الأمير السعودى ما تم الإتفاق عليه فعلاً.. ولكن السفير تدخل لصالح ولى نعمته مؤيداً أكذوبة الوعد بالتسليم.
فالتفت "الملا عمر" إلى تركى الفيصل قائلاً: ألم أطلب منك ألا تحضر معك هذا الخبيث إلى أفغانستان!!.
(وكان الملا ونتيجة دبلوماسية الوقاحة التى يتبعها معه السفير السعودى قد أمر بطرده وعدم السماح له بدخول أفغانستان مرة أخرى، وطلب من تركى الفيصل ألا يصطحبه إلى قندهار).
تجاهل تركى الفيصل وضعيه الملا عمر كحاكم للبلاد (تماماً كما تجاهلها مواطنه بن لادن) واستمر تركى فى الإلحاح والصراخ طالباً التعجيل بتسليم بن لادن مدعياً ألا وقت لديه لهذه المماحكات. وفى الحقيقة أنه لم يكن يمتلك وقتاً كثيراً لأن الأمير عبد ا ، ولى العهد كان منتظراً فى المغرب لنتائج رحلة تركى الفيصل إلى قندهار وكان متأكداً أنه سيظفر بما يريد ويحضر بن لادن مكبلاً ومعه عصابته من سكان عرب خيل (حسب معلومات وصلت إلى بن لادن).
وكان عبدا متوجهاً بعدها إلى واشنطن آملاً أن يقدم رأس بن لادن هدية للرئيس كلينتون كعربون إخلاص يؤهله ليصبح ملكاً على السعودية بديلاً عن أخيه فهد الذى فقد الوعى ويستخدمه أشقاؤه كمجرد ستار لهم كملوك فعليين للملكة الزاحفة بشيخوختها نحو السقوط.
شعر تركى الفيصل أن الأمر لايسير بالسرعة المطلوبة وأن الملا عمر يتصرف كأمير حقيقى للبلاد،ويصر على أنه لم يعد بشئ، وليس فى نيته تسليم بن لادن بالشكل الذى يطالب به مديرالإستخبارات.

نفذ صبر تركى الفيصل، وضرب سفره الطعام التى أمامه بقبضة يده صائحاً بغضب أنه لابد أن يتسلم بن لادن الآن متهماً "أمير المؤمنين" بالكذب والمراوغة .
تكهرب الجو وتناثر الطعام على ملابس الحاضرين، وأوشك الحراس الأفغان أن ينقضوا على المتعجرف السعودى وتلقينه درساً على الطريقة القندهارية . لكن الملا عمر أشار لهم أن يتوقفوا..وإنسحب هو من الجلسة مسرعاً وذهب للوضوء حتى يطفئ نيران غضبه.. ثم عاد عندما إستعاد هدوئه. ليكرر موقفه ويطرح تساؤلات نابعة من الفطرة الصافية لمجاهد من قندهار، قال الملا متسائلاً :

***- لماذا لم تعودوا رجالاً مثل أجدادكم الذين حملوا الإسلام إلينا؟***
***- لماذا تسلم بن لادن لأمريكا هل أنت وزير سعودى أم وزير أمريكى؟.***
***- لماذا تسلم مسلماً لكافر؟.. هل أنت بي غيرت ؟ -( وتعنى ديوث بالأفغانى).***

لم يكن مجدياً الإستمرار طويلاً فى مثل ذلك الحوار العقيم وقد تمسك كل طرف بمواقفه، فانصرف الأمير السعودي غاضباً.
وعاد بطائرته البوينج فارغة وقد أفلت منه الصيد الثمين. كما أفلتت من ولى العهد الأمين فرصة تقديم رأس بن لادن على طبق من ذهب، هدية لبغايا بنى إسرائيل فى البيت الأبيض*.

***{ كان الرئيس الأمريكي وقتها( بيل كلنتون ) داعراً من الطراز الأول . وله العديد من الفضائح الأخلاقية إرتكبها حتي داخل مكتبه في البيت الأبيض مع نساء يهوديات . وقد إفتضح أمره في بعضها ، وتسترت أجهزة حكمه علي أكثرها } .**

## الصدمة السعودية الثانية للملا عمر:

الملا عمر كان على موعد مع صدمة أخرى مع ضيفه السعودى فى "عرب خيل" الذى كان في قرارة نفسه لا يشعر بأهلية "أمير المؤمنين" لأن يكون أميراً عليه، أو لأن يضع سياسات الدولة أو أن يدرك .. مجرد إدراك مصالح المسلمين.
السعودية التى تعتبر أهم الدول التى تعترف بنظام حكم طالبان تتوعد الآن ليس فقط بسحب الإعتراف ولكن بطرد جميع الأفغان من أراضيها وبعدم الإعتراف بجواز السفر الصادر من سلطات طالبان. وبمعنى آخر أن الإمارة الإسلامية الأفغانية لن تستطيع مساعدة رعاياها فى إداء فريضة الحج، وهذه مشكلة دينية للإمارة الإسلامية وليست فقط مشكلة سياسية.
وقد يتحول الأمر إلى أزمة داخلية مستعصية تجعل مصداقية الإمارة أمام القبائل فى مهب الريح. فقد لايقتنع الكثير من رجال القبائل أن حماية بن لادن تستحق التوقف عن أداء الحج الذى هو أحد الأركان الخمسة للاسلام.
وكما هددوا فعلاً، فقد تصل المسألة إلى أن تضع السعودية قبائل الأفغان أمام خيار من إثنين: أما إن ترغموا حكومة الملا عمر على تسليم بن لادن. وأما أن تتوقفوا عن أداء فريضة الحج "عندنا".
الملا عمر بنفسه مقتنع بضرورة إخراج القوات الأمريكية من جزيرة العرب، ولكنه، متأكد أنه لن يستطيع أن يفعل ذلك بالنيابة عن الشعب السعودى وشعوب الجزيرة الذين تعايشوا مع هذا الإحتلال وتواءموا معه شرعاً وعقلاً.

ولا يستطيع الملا عمر على الجانب الآخر أن يقنع رجال القبائل بأن يضحوا بخمس دينهم فى مقابل حماية بن لادن الذى يطالب بشئ لم يطالب به علماء بلاده ولم يطالب به معظم علماء المسلمين.
الحل المتاح أمام الملا عمر، الذى لم يكن أمامه الكثير من الخيارات، وحتى لا يضطر فى لحظة ما أن يضحى بأسامة بن لادن ويقذفه خارج القارب الأفغاني المتهالك، إلى جوف الأمواج الأمريكية السعودية الهادرة.. كان إقناع بن لادن بالتزام الهدؤ حتى تستقر أفغانستان بنظامها الجديد وبعدها يستطيع هو (الملا عمر) أن يساند بن لادن وقضيته بشكل أفضل مما يستطيعه الآن .
بعد الزيارة الإستفزازية العاصفة لمدير الإستخبارات السعودية، أيقن كبار مستشارى الملا عمر أن لا حل سوى إستخدام لغة الحزم مع بن لادن، فإما إن يصمت نهائياً بالقوة الإدارية وإما أن يخرج من البلاد إلى أى مكان يريد.
لم يحبذ الملا استخدام لغة التهديد والإجبار مع بن لادن وكان وحيداً فى ذلك الرأى.. فقرر الذهاب شخصياً إلى بن لادن فى قرية عرب خيل، وإن يرجوه بشكل أخوى أن يلتزم الهدؤ حتى يستطيع الملا عمر الخروج بسلام من العواصف العاتية التى تحيط بالإمارة، وبعدها سيكون لكل حادث حديث ، حيث أن الإمارة مقتنعه بطرح بن لادن حول ضرورة إبعاد القوات الأمريكية عن جزيرة العرب، وحول ضرورة تحرير فلسطين والمسجد الأقصى من الإحتلال اليهودى.
*عندما أرسل الملا عمر أحد رجاله إلى بن لادن يخبرة فيها أن أمير المؤمنين قادم لزيارته عصر ذلك اليوم.كان بن لادن قد إستلم إشارة متفق عليها من مجموعته الضاربة على الساحل الإفريقى الشرقى، بأن كل شئ جاهز وأن الضربة وشيكة، وبدون أى تفصيلات أخرى !!.
إذن كان ترميم العلاقات مع الإمارة تأتى فى صدارة الأولويات من أجل إمتصاص ضربة إنتقامية لاشك فيها.
وصل الملا عمر مع عدد من كبار مستشاريه، ومن بينهم الشاب الذى تولى لاحقاً منصب وزير الخارجية، (مولوى وكيل أحمد متوكل) وبرفقتهم عدد محدود من الحراس.
فى ظل عريش خاف أحد بيوت القرية دار الحديث الذى حضرة أيضاً عدد محدود من كبار أركان القاعدة، وبدأ الملا يشرح أسباب ونتائج زيارة الأمير السعودى، والمصاعب والأخطار التى تواجهها الإمارة ، وفى الأخير رجاء شخصى حار بوقف النشاط الإعلامى حتى يقضى ا أمراً كان مفعولاً. وكان الملا عمر لا يتوقع رداً آخر سوى القبول. إن لم يكن تقديراً لظروف الإمارة فعلى الأقل إحتراماً لمجيئه شخصياً وتقديم الطلب فى صورة رجاء وقد كان قادراً على فرضه إدارياً. وبدون أن يغادر مقرة فى الإمارة.
..بهدؤ بدأ بن لادن فى سرد تفاصيل دعوته وشرعيتها شارحاً أدلته فى أنها من "الجهاد المتعين" التى لا يملك الإمام حق إيقافه، وأنه (بن لادن) لن يوقف جهاده فى هذا السبيل مهما كلفه الأمر، وطلب بأن تعرض هذه الخصومة بينه وبين أمير المؤمنين، حول هذا الموضوع، أمام لجنه قضائية من العلماء لتحكم فيه.. ثم ترقرقت عيناه بالدموع وتحشرج صوته وهو يقول: إذا كان قد صعب عليكم حمايتنا على أرضكم، فإننا نترك لديكم النساء والأطفال ونخرج نحن للجهاد من مكان آخر.

كانت الجملة الأخيرة لطمة ثانية وقاسية فى وجه الملا لأنها إتهام صريح له ولمن معه بالجبن والنكوص عن الجهاد.
إنصرف الملا عمر ومن معه عائدين إلى المدينة وقد أصيبت العلاقة بين الطرفين بشرخ لم تشف منه أبداً. وسادت القطيعة التامة بينهما أشهراً طويلة، ولم تهدأ خلالها الوساطات الخيرة فى ترميم بعض الخيوط المقطوعة.. حتى نجحوا فى إصلاح شئ منها.. وظل الجزء الأكبر من العلاقة والود القديم والثقة مهدماً مثل أطلال قرية أفغانية دمرتها الطائرات.
..لم تلبث أن دوت الإنفجارات في نيروبى ودار السلام لتعلن بداية الحرب الساخنة بين (بن لادن) والولايات المتحدة الأمريكية. كان بن لادن قد مهد جيداً الأرضية الإعلامية لتلك الحرب ورسم حدودها بدقة بأنه "شخصياً" يحارب الولايات المتحدة ونظامها الدولى. ووضع بيديه المسلمين والعالم أمام شاشات التلفزيون يترقبون أحداث ذلك المسلسل المدهش الذى طال إنتظاره. وطال بث الدعايات المثيرة حول أحداثه المتوقعة.
سياسياً.. لم يكن من حاجة لإعداد شئ طالما هو شخصياً جاهز. لذا لم يبالى بإضعاف علاقته مع حركة طالبان، وتوجبه كل الإهانات والتحقير للملا عمر، الذى وقف مدافعاً عنه متحملاً كافة المخاطر فى سبيل ذلك، حتى فقد كل شئ فى نهاية المطاف.
كما لم يبذل الجهد اللازم لتوحيد أو تنظيم العرب الأفغان، جماعاتهم وأفرادهم المستقلين، لتكوين كتله عربية متجانسة، أن لم تكن موحدة، حتى تتحمل المطارق القادمة سريعاً فوق الرؤوس خاصة رؤوس العرب.
بسرعة إصطفت مواقف العرب إزاء ما حدث فى أفريقيا بين دفتى التطرف.. ما بين موافق جملة وتفصيلاً على ما حدث وما بين معترض كلياً على المعركة من أصلها.
وبشكل عام كانت عمليات أفريقيا ثم ردود الفعل الأمريكية عليها فى صالح بن لادن وتنظيم القاعدة. سواء بين العرب خارج وداخل أفغانستان، أو بين الأفغان أنفسهم. بل أن ردود فعل العملية داخل حركة طالبان كانت إيجابية بشكل عام ولكن موقفهم لم يتغير جذرياً.

*****

## صواريخ فوق خوست:أمريكا تقصف المعسكرات"20 أغسطس1998م"

يصعب أحياناً وضع حد فاصل بين المصادفة والترتيب المتعمد.
لأنه فى اليوم الذى تساقطت فيه الصواريخ الأمريكية على معسكرات بن لادن فى خوست، وكان يوم خميس، كان مقرراً حتى قبل وقوع تفجيرات أفريقيا أن يجرى فيه عقد قرآن أحد الشباب العرب، وأن يحضره بن لادن وجمع كبير من أفراد القاعدة وغيرهم. وكان بن لادن قد جهز لزوجاته غرفاً للمعيشة.. فى أحضان الجبال القريبة من معسكر (جهاد وال) ،كان ينوى البقاء فى تلك المنطقة عدة أشهر يباشر فيها برنامجاً لتنشيط المعسكرات، ولإستيعاب شباب جدد من اليمن والجزيرة.
لقد نالت الغرف الأربع صاروخاً لكل غرفة. وكذلك جميع غرف المعسكرات الأخري بما فى ذلك المساجد ودورات المياة .. كان الكرم الأمريكى زائداً كما هى العادة.
ولكن هل كانت الضربة مقررة سلفاً سواء حدثت تفجيرات إفريقيا أم لم تحدث؟.. هذا إحتمال لا يمكن إستبعادة لأن حرب اكتوبر 2001م على أفغانستان كانت متوقعة فى نفس التوقيت ونفس السيناريو إجمالاً، حتى قبل أن تحدث تفجيرات واشنطن

ونيويورك، ولسبب مختلف تماماً . الذى يقوى إحتمال أن الضربة الأمريكية للمعسكرات فى أغسطس 1998م كانت مقرره سلفاً.. أنها شملت قاعدة جاور التابعة لجلال الدين حقانى .. الذى لا شأن له من بعيد أو قريب بضربة أفريقيا أو نشاطات بن لادن إجمالاً.. ولكن حقانى كان مقرراً له حضور حفل القرآن المفترض،أو أن يكون الإحتفال كله فى جاور ثم ينتقل إلى معسكر( جهاد وال) .. وطبيعى أن يحضر الإحتفال شباب المعسكرات الباكستانية (معسكر سلمان الفارسي) الواقع فيما بين معسكرات بن لادن وبين قاعدة جاور التابعة لحقانى.

وكانت الجماعة التى ينتمى إليها المجاهدون الباكستانيون قد وضعت إسمها وإسم قائدها فى بيان توحيد عدة جماعات لمواجهة الأمريكية وهو البيان الشكلى الذى صدر من قندهار (لرفع معنويات الأمة الإسلامية).

وذلك سبب كاف من وجهة النظر الأمريكية، لقتل هؤلاء المجاهدين وتدمير معسكراتهم، التى لم تكن بحال يخفى تواجدها منذ سنوات عن علم الأجهزة الأمريكية. ولكون تلك المعسكرات ذاخرة بعناصر الإستخبارات الباكستانية وتعمل تحت إشرافها بشكل غير مباشر.

عدة صواريخ كروز أطلقتها أمريكا صوب قندهار، فى نفس الوقت الذى أصيبت فيه معسكرات خوست. ولكن تلك الصواريخ سقطت فى الصحراء داخل أفغانستان، وبعضها سقط داخل الأراضى الباكستانية ولا أحد يدرى المكان الذى كانت تستهدفه تلك الصواريخ.. هل هى قرية عرب خيل بأطفالها ونسائها؟ (بن لادن ومعظم الشباب كانوا قد غادروها فى أعقاب تفجيرات أفريقيا).

وربما كان المستهدف مقر إقامة الملا عمر أو مكتب عمله الذى كان يعمل فيه وقت الغارة التى حدثت فى حدود العاشرة ليلاً.

على كل الأحوال سقطت الصواريخ فى الطريق لسبب مجهول وأعتقد كثيرون أنها كرامة "للإمارة الإسلامية"، ولمقرها قندهار.

..لقد أستشهد فى الغارة عدد من العرب أكثرهم وفدوا حديثاً للتدريب فى أفغانستان مع واحد فقط من الكوادر القديمة لجماعة الجهاد المصرية،وكان يعانى من إصابات حرب بالغة أصيب بها فى حرب جلال آباد عام 1989م.

وكان يمكن تفادى أكثر إصابات العرب فى المعسكرات، لولا التهاون المعتاد فى الإجراءات الأمنية، مع المراقبة الدقيقة جداً التى قامت بها الاستخبارات الباكستانية لتلك المعسكرات القريبة من حدودها، وتزويدها للأمريكان بأحدث التغييرات فى نظام العمل والمبيت والإداريات فى المعسكر وظهر ذلك جليا فى توجيه الصواريخ لخيام نصبت حديثاً ، قبل القصف بمدة قصيرة لإستيعاب عدد من المتدربين الجدد وكانت أكثر الإصابات فى سكان تلك الخيام التى نصبت خلافاً للإجراءات الأمنية المتبعة حتى فى أوقات الإسترخاء، والتى أهمل العرب العمل بها فى ذروة التأهب لضربة أمريكية، كان الجميع يجزم بأن المعسكرات هى هدفها الأول.

ومع ذلك إستمرت دورات التدريب، ونصبت خيام بيضاء جديدة لإستيعاب المتدربين الجدد ربما، لتقديمهم لقمة سائغة لصواريخ كروز الجائعة، والتى خصتهم بموجتين متتابعتين من القصف الصاروخي. فلم يتبقى من بينهم أحياء.

لقد راقب عملية القصف ومن مسافات قريبة عناصر مشتركة من الإستخبارات الباكستانية والأمريكية، من فوق الجبال المشرفة على المعسكرات المعنية، خاصة المعسكرات العربية.

**(أفاد بذلك قيادات كبيرة من أهل المنطقة . وأفادوا بتحركات أوسع قامت بها عناصر عسكرية باكستانية برفقة مدنيين أمريكيين تمت قبل العملية بساعات) .**

..نظراً لكثافتهم العددية وتجمعاتهم الليلية للمسامرة، كانت خسائر المعسكرات الباكستانية (سلمان الفارسي) أشد.. بل أضعاف خسائر العرب، أما قاعدة جاور التى هى سلسلة مغارات عميقة ومتصل من داخلها، ويحرسها أقل من عشرة حراس من كبار السن، يقضون ليلهم نياماً داخل المغارات، فلم يصب منهم أحد بخدش. وتعتبر جاور بمساحتها الضيقة أكثر الأماكن فى أفغانستان على الإطلاق التى تعرضت للقصف الجوى السوفيتى العنيف خاصة أثناء الحملة العسكرية الكبرى عليها فى إبريل 1986 ..لذا لم تترك الصواريخ الأمريكية سوى مجرد خدوش على السطح فكانت مجرد إنذار بأن الدور الأمريكى قد جاء، وعلى الأفغان أن يستعدوا.. وليس أفضل من "جاور" الأسطورة لتلقى الإنذار الأمريكى.

..إكتسب العرب تأييداً وتعاطفاً كبيراً من سكان مدينة خوست وما حولها.. وشعر الأفغان وأفراد طالبان أنهم قد أهينوا، لأن أمريكا تجرأت على ضرب ضيوفهم على أرضهم، وبدون فرصة للأفغان أو العرب للدفاع أو الثأر.

لذا رحبت حركة طالبان وبتأييد شعبى، تعويض العرب ومنحهم مزايا إضافية على الأرض الأفغانية، فاكتسب العرب حقاً بحمل السلاح فى الأماكن المدنية. وهو حق حظرته حركة طالبان على جميع الأفغان باستثناء أفرادها.

كما أن العرب من جهتهم تعسفوا أحياناً فى إستخدام تلك الميزة بما أثار حسد وغيرة وأحياناً حقد قطاعات من الأفغان الذين شعروا فى عنجهية العرب الإستفزازية عدوانا على إستقلالهم.

..إذن ردة الفعل الأمريكية على تفجيرات أفريقيا، بقصفها معسكرات خوست العربى منها والباكستانى والأفغانى، قد أوجد مناخاُ مواتياً للغاية لتجذير وضع المجاهدين العرب فى داخل المجتمع الأفغانى، والإمارة الإسلامية الفتية.

ولكن العرب من جهتهم لم يكن لديهم لا الرؤية الواضحة، ولا القيادة المتفق عليها كى يتقدموا للإستفادة الجدية من فرصة تاريخية أتيحت لهم، فى ظروف دولية غاية الصعوبة تجعلهم فى أشد الحاجة إلى ذلك المجال الحيوى الذى تفتح أمامهم فجأة ليصبحوا قوة فعلية على أرض صلبة ذات تاريخ عريق، وموقع جغرافي يوفر مزايا إستراتيجية وسياسية غير عادية.

لكن الواقع العالمى المعقد والخطير، والذى جعل من تصفية "الحالة العربية فى أفغانستان" أولوية مطلقة واجهة التجمع العربى بفهم مسطح، وتنافس شخصى وحزبى هزيل.

كان نقل المعسكرات من خوست ضرورة لامفر منها بعد عملية القصف الصاروخى لها. وبناء على طلب الإمارة كان لابد من إخلاء خوست من جميع المعسكرات العربية والباكستانية.

فطرحت من جديد بين العرب، مسألة التدريب والمعسكرات والمطالبة بتطويرها وتحديد فلسفة جديدة لها.

وشن "الصقور" هجوماً على ما أسموه "فوضى المعسكرات ومظهرية التدريب" وكرروا القول أن هذه المهزلة "العسكرية" المستمرة منذ عام 1988 ينبغى إستبدالها بما يناسب مرحلة جديدة من التحديات الجدية.
ثم تطرقوا إلى تهديدات أمريكية صدرت وقتها تنادى بإستخدام أسلحة الدمار الشامل لضرب مراكز وتجمعات "الإرهابيين" العرب فى أفغانستان.. وتساءلوا عما إذا كان بن لادن قد إستعد للرد المعاكس فى حال ما إذا أخذت هذه الدعاوى طريقها إلى التنفيذ؟.
وكان "الصقور" منذ المنتديات نصف المغلقة على مرتفعات "تورابورا" قد طالبوا بعدم بدء أى مواجهة تقليدية مع الولايات المتحدة قبل حيازة إمكانية الرد على أى حماقة ترتكبها أمريكا ضد أفغانستان بواسطة أسلحة الدمار الشامل.
بل طالبوا وقتها ليس فقط بحيازة تلك الأسلحة بل أيضاًبتخزينها فوق الأراضى الأمريكية لإستخدامها فى الرد السريع والمباشر على أى تهور أمريكى ضد أفغانستان، أو أى شعوب أو مقدسات إسلامية مثل الكعبة والمسجد الأقصى والمسجد النبوى.
واجه "زعيم القاعدة" مطالب الصقور بأساليب الساسة العرب التى تمتص مطالب الجماهير ثم تبردها تدريجياً ثم تفرغها من محتوها.. ثم تسير فى إتجاه مخالف تماماً. ولما كان وزير دفاعه (أبو حفص المصرى) أقوى شخصيات الصقور داخل القاعدة قد أدرك تكتيكات المماطلة والإلتفاف والتوريط التى يتبعها بن لادن، لإرغام من معه ومن ليس معه، على المسير إلى حيث يريد هو بالكيفية التى يحددها بنفسه وليس أى جناح، صقوراً كانوا أم حمائم أو حتى "صيصان".
لذا حاول الإستقالة من موقعه عدة مرات . وهو ( أى أبو حفص) واحد من الثلاثة المؤسسين الحقيقين للقاعدة، أحدهم بن لادن والثانى هو أبو عبيدة البنشيرى والذى لقى حتفه فى بحيرة أفريقية (( وكان فى مهمة حددها لنفسه بالإتفاق مع أبو حفص، هى الحصول على مواد أساسية لتصنيع السلاح النووى أو بالأصح القنبلة القذرة وكان أبو عبيدة وقتها قد إستقال عملياً من جميع مهامه فى القاعدة)).
..تعدد معسكرات التدريب وتنوع مصادر تمويلها وغموض معظم تلك المصادر، كان موضع إنتقاد الصقور والإصلاحيين معاً. والإنتقاد كان موجها إلى ضعف مستوى التدريب والثغرات الأمنية في هذا العدد الكبير من المعسكرات الذى تجاوز أحياناً عشرة معسكرات.. مع هلامية الهدف من إنشاءها.. حيث تختبئ كلها تحت شعار فضفاض غير محدد وهو إعداد الأمة للجهاد".
واحتج المعارضون بأن ذلك الشعار من السهل أن ينقلب عملياً إلى "الإضرار بالأمة" بل وتحطيم آمالها ومستقبلها، على غرار ما أحدثه معسكر "خلدن" من تدريب الجناح التكفيرى الجزائرى الذى أهلك الحرث والنسل، وانتكس بإسلام الجزائر. بل أن نفس المعسكر ولد عدة نظائر أخرى ، فكان مصنعاً لتفريخ وتدريب جماعات على نفس النمط. حتى فى المناطق التى عافاها ا من ذلك الوباء.. فشهدت أفغانستان إنتاج وتدريب تيارات تكفيرية جهادية مسلحة من طاجيكستان إلى الصين الشعبية!!!!
{والغريب أن أفغانستان شهدت مجهودات مماثلة على الجانب الباكستانى حين أشرفت المخابرات الباكستانية على إنشاء معسكرات تدريب لجماعات باكستانية توصف رسمياً فى بلادها على أنها منظمات إرهابية (!!) وكان البرنامج الأساسى لتلك الجماعات هو قمع الأقلية الشيعية فى باكستان

وإغتيال زعامائها ورموزها.. وهناك معسكرات باكستانية أخرى مهمتها تطهير باكستان من (الصوفية المبتدعة).. و(البريلوية المنحرفة).. وهكذا .. وجميع تلك المعسكرات تعمل منذ سقوط النظام الشيوعى فى أفغانستان تحت مظلة الجهاد فى كشمير. وعند وصول حركة طالبان إلى الحكم، قدمت المتطوعين إليها وكانوا فى معظمهم طابوراً خامساً للمخابرات الباكستانية ورطوا حركة طالبان فى مشاكل عويصة داخلياً وخارجياً بممارسات قتل جماعى ضد أقليات عرقية ودينية ولم تستطع حركة طالبان التخلص من تلك الورطة التى كانت ضمن عوامل الإطاحة بنظام الإمارة الإسلامية}.

كان الهدف الأساسى من إنشاء المعسكرات هو إجتذاب إفراد جدد للتنظيمات المشرفة على المعسكر. لذا تمسك كل تنظيم بمعسكره، أو معسكراته، فانضمام أفراد جدد ، ومعظمهم من اليمن والجزيرة، يعنى وصول تبرعات جديدة وقدرة أتصال مع الخارج. (فقد تحولت أفغانستان إلى ما يشبه السجن بعد إجراءات الحصار والمراقبة الأمنية الدولية).

وبعد أن كانت التنظيمات الجهادية مصرة على طابعها القطرى، وتعترض على الطابع الدولى لتحرك بن لادن وتنتقده بشده، وترى أن التركيز على أمريكا قد أضاع الهدف الأصلى للحركة الجهادية أى إسقاط الطواغيت العرب. وهو أمر مازال معظمهم يظن أنه يمكن أن يتم بمعزل عن أمريكا أى مع بقائها محايدة، ما لم يتم إستفزازها كما يفعل بن لادن الآن.

ولكن عندما حوصروا فى أفغانسان إستيقظت النزعة البرجماتية الكامنة، وبدأ تجنيد السعوديين الوافدين، تحت لافته الجهاد العالمى، وهو الشعار الذى لا يمتلك أياً منهم، أى تصور لكيفية تحقيقة خارج كونه دعوة لتدويل (أو عولمة !!) التبرعات.. بمعنى عدم جعلها محصورة فى القاعدة وبن لادن فقط.

من مظاهر الإنتهازية في تدويل الجهاد القطرى العربى كان تجنيد عناصر حركة طالبان داخل تنظيمات جهادية عربية سعت إلى نشر" العقيدة الصحيحة" و"الفهم العميق للواقع الاسلامى"، فى عناصر الصف الثانى من طالبان،كى يفسح كل تنظيم لنفسه مجالات النفوذ أفغانياً بشكل مستقل خارج إطار (بن لادن والقاعدة).. ولو أتيح الوقت الكافى لظهرت بالفعل إنشقاقات داخل حركة طالبان بعدد الأحزاب العربية الجهادية وربما ظهرت عدة دويلات طلابية عربية.

وقد شعر الملا عمر بما يحدث وكان أكثر ما يخشاه هو محور بن لادن الذى بدأ يتعامل بتعال عليه شخصياً وعلى الإمارة كلها، بإعتباره الأهم والأشهر دولياً.

وظهر بين مسئولى حركة طالبان نظرية إضعاف تحرك بن لادن بتحريك عربى آخر منافس على نمط ما تعلموه من باكستان فى حقبة الحرب السوفييتيه، حين ضربت زعماء الأفغان ببعضهم ببعض طبقاً للقاعدة البريطانية القديمة (فرق تسد)!

ولكن "القاعدة" إستطاعت إحباط محاولات المنافس الذى كانت الإمارة تنوى المراهنة عليه .

وخلال الأشهر القليلة التى سبقت (جحيم سبتمبر) كان بن لادن متفرداً تماماً بالساحة الأفغانية، ودخل معظم العرب تحت سطوته إقتناعاً أو إذعانا..وإن لم يخضعوا له أبداً تنظيمياً.

تلك التفاعلات شغلت الحيز الزمنى الواقع ما بين ردة الفعل الأمريكية على تفجيرات أفريقيا وردة فعلها على تفجيرات سبتمبر الصاعقة.

وكانت تلك الحقبة مليئة بالتفاعلات العربية والتى كانت فى إجمالها سلبية، فأضرت بمصالح العرب فى أفغانستان كما أضرت بمصالح أفغانستان وشعبها. وأوقعتهم فريسه للإحتلال الأمريكي.
وإن ظل للأفغان فرصة لإعادة عملهم الجهادى الدؤوب مرة أخرى ولكن فى أصعب ظروف مرت بهم فى تاريخهم الحديث كله. فإن عرب أفغانستان لم يعد لديهم أدنى فرصة أو أمل فى بدء الجهاد مرة أخرى فى بلادهم التى لا يستطيعون العودة إليها إلا أسرى كى تستقبلهم المعتقلات وأعواد المشانق.
ولكن أمريكا مازالت فى حاجة إلى وجود الأسطورة كى تلهب بها ظهور العالم، وتخترق جميع المحرمات والقوانين. وتفرض الأجندة التوارتية على بنى آدم عامة، والمسلمين منهم خاصة.
..فيما بين التفجيرات الأفريقية ( للقاعدة) والأمريكية (فى خوست) كان الوقت كافياً لعرب أفغانستان كى يفعلوا الكثير.. ولكنهم لم يفعلوا شئ يذكر، بل تقهقروا بوضعم وبالوضع الأفغانى صوب الكارثة.
وبن لادن بدأ المعركة قبل الإستعداد الكافى لها، وبتصور غاية السذاجة والبدائية، والضربات الإثنين أو الثلاثة لم تنتظم ضمن رؤية إستراتيجية بل عصفت بها مبادرات شبابية غاية الشجاعة والإبداع.. لكن الزعيم الذى وقع فى فخ الإعلام ترك العنان للإبهار العملياتى، ولم يدقق كثيراً فى الإبعاد السياسية لعمله. وظن أن الذى يحرك البيت الأبيض والآلة العسكرية الأمريكية. هو نفسه عبد الرشيد دوستم الذى قاتله فى صحراء جلال آباد عام 1989م.. ونسى أنه حتى ذلك الهمجى البدائى (دوستم) قد هزمة فى جلال آباد ودفعه حتى بوابة تورخم الحدودية.
لقد هزم بن لادن مرة أخرى فى جلال آباد عندما واجه الهمجية الأمريكية المسلحة بتكنولوجيا حرب النجوم، وهو الأمر الذى لم تشملة حسابات بن لادن، ولكن الضحية الكبرى لهذه الحرب الذى صنعها بن لادن كان أمير المؤمنين الملا محمد عمر ونظام الامارة الإسلامية الذى كان تجسيداً لجهاد دام لأكثر من قرن بين الأفغان والحضارة الصليبية.
*********

## معارك وجواسيس

بعد المعركة الناجحة التى أوقف فيها " فتى الصعيد" زحف قوات أحمد شاه مسعود صوب كابول عند جبل "مراد بك"، حاول مسعود بعد عدة أسابيع فى حملة غاية العنف أن يخلع العرب من ذلك الجبل . وذلك إذا حدث حسب تقديرات مسعود كما ذكرها بنفسه، كان كفيلاً بانهيار خط دفاع طالبان كله وسقوط كابول. لكن العرب خيبوا آمال مسعود وصدوا الهجوم، وفقدت القاعدة واحداً من أفضل كوادرها وهو شاب تونسى أدار معسكرات خوست لعدة سنوات.
ثم هجوم آخر حدث بعد أشهر تم صده بعد أن أوشك على النجاح، وكان للعرب الدور الأكبر فى ذلك تحت قيادة شاب عراقى من القاعدة، قتل قائد الهجوم فى إشتباك شبه متلاحم تم فى الظلام فوق جبل مرادبك.
إذا أضفنا إلى تلك الهزات العنيفة على خط المواجهة شمال كابول والتى برز العرب فيها كعادتهم أبطالاً قادرين على صد الهجمات الكبيرة لقوات متفوقة ومدربة يقودها قائد (تاريخى) مثل مسعود.

إذا أضفنا لذلك سقوط عدة جواسيس عرب أرسلتهم الأجهزة الأمريكية لإختراق صفوف العرب، خاصة القاعدة، وأن ذلك العمل ساهمت فيه عدة أجهزة أمنية عربية فى الأردن والامارات وغيرها، لأدركنا خطورة المسألة الأمنية، وضرورة أن يتمحور المجهود العربى حولها. على الأقل لأن الإمارة الإسلامية لا تمتلك أجهزة دولة، وليست بقادرة على التحكم بشكل كاف فى المسائل الأمنية والدفاعية.
وأن على العرب حماية أنفسهم وأسرهم بواسطة تشكيلات عسكرية وأمنية، قادرة على تغطية إحتياجاتهم مع المشاركة العسكرية الفعالة مع قوات الإمارة .
هذا بالطبع يستدعى بلورة قيادة عربية وأجهزة عربية فاعلة.. تتوسع لتشمل مجالات الإقتصاد والتعليم والثقافة والتكافل الإجتماعى للأقلية العربية المتنامية داخل الإمارة.
كان المطلوب عربياً تشكيل إدارة ذاتية لشئونهم الداخلية ثم المساهمة فى بناء الإمارة الإسلامية والدفاع عنها. لكن عرب أفغانستان كغيرهم من العرب قادرين دوماً على التجزئة وليس على الإلتئام. ولدى الملتزمين العرب أيدلوجيتهم الخاصة التى تحض على التناحر والتنابذ بالأوصاف وتجعله شريعة وعقيدة سلفية صحيحة.
كان العرب، الحزبيون منهم خاصة، يرغبون فى **الإستفادة وليس المشاركة..**
الإستفادة من شهرة بن لادن وأمواله.. الإستفادة من الإمارة الإسلامية وما توفرة من أرض وملاذ آمن وإمكانات تدريب، ثم المباهاة بعد ذلك على باقى المسلمين لأنهم يقيمون على أرض إسلامية بينما الآخرون لا يستمتعون بذلك، وأن على هؤلاء الآخرين أن يتبرعوا ويساندوا هؤلاء المضحين بأنفسهم فى أفغانسان وأن ينظروا إليهم بالتبجيل والإعزاز.
كانوا يرون نجم بن لادن فى صعود وأمواله وأتباعة فى تزايد، وأن المنافسة معه شبه مستحيلة، وحتى الإمارة الإسلامية أدركت ذلك ، لأن بن لادن أضحى أشهر وأهم من كل أفغانستان وحركة طالبان، وحتى من "أمير المؤمنين" "الملا عمر".
ولكن العرب خافوا من هيمنة بن لادن عليهم وسيطرته على برامجهم.. خافوا الهيمنة وأرادوا الإستفادة، فانتهت علاقتهم مع بن لادن إلى مأساة.. فقد سحبهم خلفة أو ساقهم أمامة إلى الهاوية التى إتسعت للجميع.
وخافوا من الذوبان فى "الإمارة الاسلامية".. خافوا منها على سلامة عقائدهم لأنها إمارة مليئة (بالشركيات).. وخافو منها على برامجهم.. فالإمارة على ما يبدو غير مستعدة لإرسال الجيوش لفتح بلاد العرب.. ومسئولى الإمارة ليسوا على مستوى إدارك مصالح المسلمين كما تدركها العقول العربية المبهرة.. إنهم، أى عرب التنظيمات، يريدون "الإستفادة" فقط.. معسكرات جوازات سفر.. أموال.. أى شئ وكل شئ.. لأستكمال برامج فشلت فى بلاد المنشأ العربى.. وتريد النجاح عند المصب الأفغانى.. والنتيجة أن جف النهر ثم إحترق من المنبع وحتى المصب.
طالب عرب مستقلون بإنشاء كتيبة عربية للدفاع عن كابول.. لكن المشروع كان يتقدم ويتراجع نتيجة ألاعيب المنافسة ورغبة بعض العرب إزاحة بن لادن ووراثة مكانته.
ومع ذلك فإن مساهمات بن لادن فى دعم القوة العربية المدافعة عن كابول كان الإسهام العربى الأكبر.. وكان كعاته كريماً بإمكاناته، ولكن ما بذله لم يكن كافياً أو مستمراً. وحتى العناصر القتالية العربية المتوافرة كانت غير كافية لتكوين قوة ذات حجم يذكر.
على كل الأحوال لم يمتلك عرب أفغانستان أى تشكيل عسكرى منظم أو حتى وسيلة

إستنفار وحشد عند الطوارئ..
وبالمثل لم يكن لديهم جهاز أمنى موحد، لذا كان الجواسيس (عرباً وغير عرب) يسرحون ويمرحون، خاصة فى أجواء التنافس على تجنيد عناصر جديدة من أجل (الجهاد العالمى) الذى أصبح موضه المنظمات الجهادية الوطنية سابقاً.
"الإمارة الإسلامية"لم يكن لديها أى جهاز حكومى أمنى أو عسكرى يمكنه العمل ولو بصورة بدائية، والموجود من تلك الأجهزة كان يدار بشكل قبائلى يندر وجوده فى عالم اليوم.
..لم يفكر العرب لساعة واحدة أنهم سوف يستوطنون أفغانستان وحتى فى عودتهم الثانية إليها، ومع كل الأعاصير الدولية ضدهم، كانوا يظنون أنهم فى أفغانستان لمجرد الإستفادة والعودة القريبة لاستئناف برامجهم ضد الطواغيت العرب.
.. كانت الإمكانات البشرية وحتى المالية المتوفرة لدى العرب فى عودتهم الثانية، كافية لإقامة "مستوطنه" عربية متطورة وقوية تؤثر إيجابياً فى الوسط الأفغانى المتعاطف إجمالاً مع المجاهدين العرب.
ولكن بناء مدرسة لأبناء العرب، إحتاج إلى أشهر عديدة من النقاشات الحارة مع بن لادن، ومع ذلك لم يوافق سوى على برامج تحفيظ القرآن للأطفال العرب. والمدرسة العربية الوحيدة فى أفغانستان أنشأتها "الجماعة الليبية المقاتلة" فى كابول. ولم تكن هناك عيادة عربية واحدة لعلاج العرب أو غير العرب، ولم يكن هناك مشروع إقتصادى عربى واحد لتشغيل العاطلين والفقراء من أصحاب العائلات، سوى مشروعين أحدهما تجارى فى الإحجار الكريمة والثانى زراعى فى صحراء قندهار،قامت بهما القاعدة وكلاهما فشل بجدارة لأن زعيم قندهار، وعلى منوال الملوك والرؤساء العرب- أصر على أن يكون هو شخصياً التاجر العربى الأول والمزارع العربى الأول.
وقد لاقى نفس المصير فى كل عمل عسكرى أشرف عليه بشكل مباشر، لإصراره على أن يكون هو الجنرال العربى الأول. رغم أنه يمتلك عدداً من الكفاءات العربية النادرة فيمن حوله من كوادر القاعدة وغيرها.
*****

## فرسان البحر فى عدن.. يضربون المدمرة (كول)

المعترضون على تفجيرات أفريقيا لاموا القاعدة على الخسائر المرتفعة بين الأبرياء الأفارقة..وبالغ أحدهم حين قال: ما هى إلا عمليات قليلة حتى تتمكن القاعدة من تحرير أفريقياً.. من الأفارقة!!.
لكن محامى الدفاع عن القاعدة قال: على الأقل يعرف عدونا الآن أن سياسته الخاصة بتحصين أهدافه الحساسة بين أكداس المدنين وجعلهم دروعاً بشرية لن تعوق عمليات المجاهدين.. وحتى يتخذ دروعاً أمنية حقيقية وليس بشرية.. فإن ذلك سوف يكلفة الكثير جداً.
كان الرد وجيهاً.. ولكن المجادلات الفقهية لم تتوقف حول أحكام (التترس) أى إتخاذ العدو أهدافاً بشرية (خاصة إسلامية) تحمية وقت لحرب. وكالعادة أنتزعت الفتاوى إنتزاعاً من بين أوراق الكتب القديمة.
مضى عام 1999م. بدون أن تكرر القاعدة ضرباتها.. حتى تساءل البعض فى كابول عما إذا كانت ضربة كل عدة سنوات سوف تمكن القاعدة من طرد الأمريكان

المحتلين لجزيرة العرب؟.
وحسب مصادر القاعدة ظهر أن العملية التى كانت مقررة فى العام المذكور قد تأجلت لاسباب فنية، إلى أن تم تنفيذها بنجاح ساحق فى (12 أكتوبر عام 2000م). عندما أغرق (فرسان عدن) المدمرة الأمريكية (إس إس كول) أثناء توقفها للتزود بالوقود فى الميناء.
قالوا وقتها بأن المجموعة اليمنية المكلفة بالعملية حاولت فى العام السابق ضرب مدمرة أمريكية فى الميناء لكن قاربهم غرق بحمولته الثقيلة من المتفجرات فاضطروا للإنتظارحتى سنحت لهم فرصة أخرى.
كانت الضربة قوية ومهينة جداً للمؤسسة العسكرية الأمريكية.**{ تتجنب أمريكا الحديث عن فضيحتها تلك إلا بشكل عابر بل تحاول طمسها بالتركيز على ضربات القاعدة التى طالت مدنيين}.**
والأخطر من كل شئ أنها فى قلب منطقة الصراع وليست خارجها. حتى أن تفجيرات أفريقيا إعتبرها البعض هروباً من الساحة الحقيقة للمعركة.. وإستمراراً فى سياسة (تصدير الجهاد إلى الخارج)..
ولكن ضربه عدن وضعت دائرة حمراء حول باب المندب، بل وطرق الملاحة حول جزيرة العرب، أى أنبوب الناقلات العملاقة التى تنهب النفط العربى المجانى وتنزحه صوب الولايات المتحدة والقلاع الصناعية فى العالم، لحساب الخزينة الأمريكية أولاً وأخيراً.
"وتصادف" توقيت العملية مع ذروة إشتعال إنتفاضة الأقصى فى فلسطين، وذروة الإنفعال العربى والإسلامى معها وبدأت كأنها مشاركة من "القاعدة" فى الإنتقاضة.
وكان ذلك لو صح نقله خطيرة وخروجاً محرجاً عن سيناريو الصراع " فى الشرق الاوسط" ونحو "أسلمة" المعركة الفلسطينية وتدويل الضربات وفتح الصراع مع أمريكا وإسرائيل بطول وعرض العالم الإسلامي، وهى كارثة إستراتيجية تهدد بقلب الطاولة على رؤوس إدارة نادى القمار الدولى، أو النظام العالمى الجديد.
فمن قواعد اللعبة الأساسية أن يبدأ الصراع وينتهى بالنسبة لأى قضية إسلامية داخل الحدود القطرية، والتى لا تصلح بحال لإحراز نجاح فى أى من تلك القضايا.. خاصة قضية المقدسات الإسلامية فى فلسطين وجزيرة العرب، أو قضية النفط المنهوب أمريكيا وأوروبياً، أو قضايا ذات حيوية إاستراتيجية مثل الحصار العسكرى المضروب حول جزيرة العرب وحول الساحة العربية بشكل عام.. أو مثل التهديد العسكرى التقليدى وغير التقليدى الذى تمثله الترسانه اليهودية "الأمريكية" على الأمن العربى والإسلامى ..وهكذا، حتى قضية الصراع بين الشعوب العربية والإسلامية مع طواغيتها الحاكمة لا يمكن النظر إليها إلا بمنظار (الأزمات الدولية) حيث أن تلك الأنظمة هى مجرد إمتداد للخارج( الصليبي _ اليهودي) وتمثيل أمنى لمصالحة الحيوية فى تلك البلدان..
..فإلى جانب الجمود الفقهى المتعصب كانت الحركة الجهادية السلفية التى بدأت من مصر وانتهت فى أفغانستان.. كانت حركة جامدة سياسياً، معزولة إجتماعياً على المستوى الداخلى فى بلادنها.. وعلى المستوى الإسلامى العام، كما ظهر جلياً فى معركتها الأخيرة على الأرض الأفغانية ضد الولايات المتحدة الأمريكية.. والتى كانت تقريباً حرباً من طرف واحد.. فأمريكا تضرب والعرب ينسحبون والأفغان على

أحسن الأحوال يتفرجون أو يشمتون، فيما عدا قلة مخلصة كانت تساعد فى ترحيل العرب وقلة أخرى حملت السلاح إلى جانب القوات الأمريكية.
فتحت عملية (فرسان عدن) أفاقا سياسية عسكرية لم يسبق لها مثيل فى الصراع الإسلامى مع الحملة الصليبية اليهودية. لكن زعامة القاعدة لم تحسن قراءة معنى ما قام به فرسانها فى عدن.
فالأمي فى حاجة لمن يقرأ له رسائله.. وكانت أمريكا هى التى قرأت وفهمت وتصرفت.. وتركت للمسلمين الإنفعال والهتاف.. والحديث إلى الفضائيات حول العنتريات الفارغة..
بضرب المدمرة الأمريكية فى ميناء عدن دخلت القاعدة وبن لادن البؤرة المركزية للصراع الدينى والحضارى فى العالم **(بذلت أمريكا جهودا جبارة كلفتها كثيرا كي لا تغرق المدمرة فى ميناء عدن ، وما يعينه هذا من سقوط الهيبة الأمريكيةولكنها عمليا كانت منتهيةتماما)** .
وأصبح فجأة للجهاد الفلسطينى ذراعاً فولاذياً قوية تغطى العالم أجمع ،أو هكذا كانت الصورة التى أرادت أمريكا رسمها للقاعدة.
والجهاد السلفى الذى ظل لأكثر من عقدين من الزمان بضاعة للتصدير.. ومورداً لكائنات التحميل المخلصة، التى تحمل الأثقال الأمريكية عبر جبال العالم من أفغانستان إلى الشيشان إلى البوسنة وغيرها.. هاهو الجهاد السلفى يضع يده على النقاط الحساسه ويتعامل على (ما يبدو) بوعى واضح مع القضايا الحيوية لأمته والعالم.
ولكن كما سنرى تداركت أمريكا ومكتبها الإسلامى المكون من حكام وعلماء إفتاء وقبل كل ذلك أجهزة واعية ومدربة ذات خبرة طويلة على ترويض وتحريك السلفية بشتى فروعها من التكفيرى إلى الجهادى إلى المتوحدين بقصور الحكام.
وفى الأخير أضاعت القاعدة وزعامتها فرصة أخرى نادرة كانت قادرة على شق مسار جديد للأمة الإسلامية المنهكة.

## الملا عمر لإبن لادن: إضربوا إسرائيل

كان تصور الملا عمر أن أمريكا لن يكون لديها المبرر الكافى لضرب أفغانستان،إذا كانت الضربات العسكرية "للقاعدة" موجهة ضد أهداف إسرائيلية بحتة.
..هذا التصور قابل للشك، ولكن الملا عمر كان مستعداً لتحمل تبعات ضربات "القاعدة" ضد أهداف إسرائيلية وكان يرى أن "حركة طالبان" والشعب الأفغاني سيقفون إلى جانبه إذا تعرض لعدوان أمريكى نتيجة لذلك.
كانت إنتفاضة فلسطين وقتها تشعل حماس الأفغان عموماً وحركة طالبان خصوصاً.. حتى أن كبار مسئوليها تخطوا المحاظير الفقهية لجماعة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر" وكانوا يتسللون إلى المكتب الإعلامى للقاعدة فى قندهار لمشاهدة الأفلام التسجيلية لأحداث إنتفاضة الأقصى. وكانوا بالطبع يراعون أقصى درجات السرية حتى لاتطالهم عصى رجال جماعة الأمر بالمعروف التى لاتجامل أحداً ولو كان "أمير المؤمنين" نفسه. لذا كان يأمر رجاله بأخذ الحيطة أثناء عملياتهم السرية فى مشاهدة تلك الأفلام..
عملية عدن أعطت وضعية بن لادن فى أفغانستان دفعة واضحة إلى الامام سواء على

المستوى الأفغانى أو العربى.
فقد ضعفت معنوياً الحركات المناوئة له. والأهم هو التفويض الذى منح له من الملا عمر بضرب الأهداف الإسرائيلية.. وإن ظل الحظر الإعلامى قائماً بل كان ضرورياً حتى لا يكون ذريعة فى يد أمريكا لفرض مزيد من العقوبات الدولية التى تعانى منها أفغانستان إقتصادياً وسياسياً.
الأغلبية الساحقة من أصحاب الرأى بين العرب طالبوا بن لادن الإلتزام بحدود التفويض الممنوح له بالنسبة للعمل الخارجى لدعم الفلسطينيين. وأظهر بعضهم الحدة فى تذكيره بذلك خاصة فى الشهور القليلة قبل "عاصفه الطائرات" .. وكان زعيم القاعدة قد أطلق علناً كل الإشارات الضرورية، التى يفهم منها حتى البلهاء، أنه بصدد توجيه ضربة موجعة إلى الولايات المتحدة تحديدا، وسرب نواياه تلك لوفود خليجية وشخصيات هامة هناك.
وكاد أن يبوح بسره لمراسل الفضائية السعودية ( إم.بي. سي).
وإشتهر بين العرب قوله فى أحد مجالسه الخاصة، مشيراً إلى حركة طالبان والأفغان (لأدخلنهم حرباً هى خير لهم من الدنيا وما فيها).
النقطة الهامة هنا هى أن الرجل لم يكن مستعداً لأن يدخل ساحة الجهاد الفلسطينية وفقاً لمعايير قدراته الحقيقية.. بل أصر على إعتبار وحيد.. هو قيمته الإعلامية.. والتى لم تكن تعبر بحال عن قدرة موازية على الأرض.
لم يتعامل مع المعادلة الفلسطينية الجهادى منها والسياسي، ولم يكن مستعداً لذلك بحكم المانع السلفى العقائدي.. الذى يضع كل ذلك خارج إطار العقيدة الصحيحة..
فالواقع الفلسطينى المكون من فسيفساء عجيبة منها الإسلامى ومنها الوطنى.. وفيها السنى والشيعى، وفيها دول كثيرة، ودول جوار مثل لبنان وسوريا..وقوى إسلامية مثل إيران..وفيها حماس والجهاد ومنظمة التحرير وحزب ا لبنان.
وحتى التنوع داخل المعسكر الإسلامى لم يكن موضع ترحيب أو إرتياح من زعيم القاعدة الذى لم يتصور أو يحاول التفكير فى جعل إيران مثلاً من قائمة الأصدقاء، وبالمثل حزب ا لبنان..ناهيك عن سوريا !!.
فهنا تبرز تناقضات السنه والشيعة لدى العقلية السلفية بصفتها أهم وأخطر من تنافضات المسلمين مع المعسكر الأمريكى اليهودى.
العناصر الفلسطينية التى تسربت إلى أفغانستان بعد عملية ميناء عدن، والتى تصورت ما يتصورة أى عاقل وقتها من أن إلتحاماً إستراتيجياً قد تحقق على الأرض بين القوة الجهادية العربية فى أفغانستان ورمزها وقائدها بن لادن وبين الحركة الجهادية الفلسطينة.
لكن هؤلاء وجدوا موقف زعيم القاعدة منهم مماثلاً لموقفه من التنظيمات العربية فى أفغانستان. أى أن المطلوب منهم هى البيعيه والسمع الطاعة له كأمير مطلق الصلاحية بلا شورى ولا خطة معروفة.. ثم أنه فوق أي مساءلة.( وذلك هو شرطه، للتعاون والتمويل).
لكن الساحة الفلسيطينية المتطورة فكرا وتنظيماً وممارسة لم تقبل هذا الإستبداد البدائي ولو من شخصية لها بريق إعلامى يعمى الأبصار والبصائر.
وكما ذكرنا سابقاً.. دخل بن لادن معركة جديدة فى كل شئ بتحالفات سياسية قديمة، لايكفى أن نقول بأن الزمن قد عفى عليها..بل واقعاً أنها أصبحت ضارة وخطيرة.

فلا يعقل أن باكستان والسعودية هما الحليفتان الإستراتيجيتان فى مرحلة (الجهاد على الأمريكان المحتلين لجزيرة العرب).. ولا يكفى أن يقول قائل بأن التحالف كان مع قوى إسلامية رغم أن لها إرتباط لايمكن نكرانه مع حكومتها.. فذلك بالتأكيد خداع للنفس أثبتت الأحداث أنه خداع إجرامى.. وأكثر من مجرد جهل.

نفس تحالفات زعيم القاعدة كانت هى تحالفات زعيم طالبان وكلاهما لم يكن مستعداً ولا قادراً على إعادة بحث ملف التحالفات الخارجية، فى ظل الصراع القائم والمفروض على أفغانستان.

وحتى عندما برزت المواجهه مع أمريكا كأولوية تتحدى الحالة الإسلامية فى أفغانستان لم يتحرك العمل السياسى لمواكبه ذلك التطور، وظل جامداً علي حاله.

ولكن تفجير عدن كان إشارة خطر كبرى لدى أمريكا خوفاً من تغيير التحالفات فى المنطقة، وأن يشمل المحور المعادى لها قوى تمتد من فلسطين وحتى أفغانستان مروراً بإيران الجار القوي لأفغانستان ومحور سياسة العداء لأمريكا، والتى يجعلها النظام هناك طاقته السياسية الدافعة داخلياً وخارجياً. ذلك الإحتمال يرعب لا شك الأحصنة الأمريكية فى المنطقة وبالذات السعودية وباكستان.

## هيا إلي الفتنة !!

..بعكس التحرك الرادع السريع الذى قابل به كلنتون تفجيرات أفريقيا، فأنه ماطل وتغابى أمام تفجير عدن الذى كان ساطعاً فى دلالته وهوية فاعلية.

ولكنه فى حقيقية الأمر قد بدأ يجرب سياسة جديدة مع الجواد العربى الجامح فى أفغانستان.. أنها سياسة الإحتواء وتحويل مسار السيل العنيف إلى جهة أخرى.. سهلة وميسرة.. وأقرب إلى مزاجيه ذلك الجواد.. وتكوينه الفكرى.. أنها وجهة الفتنة المذهبية .. فكرة قتال الشيعة..

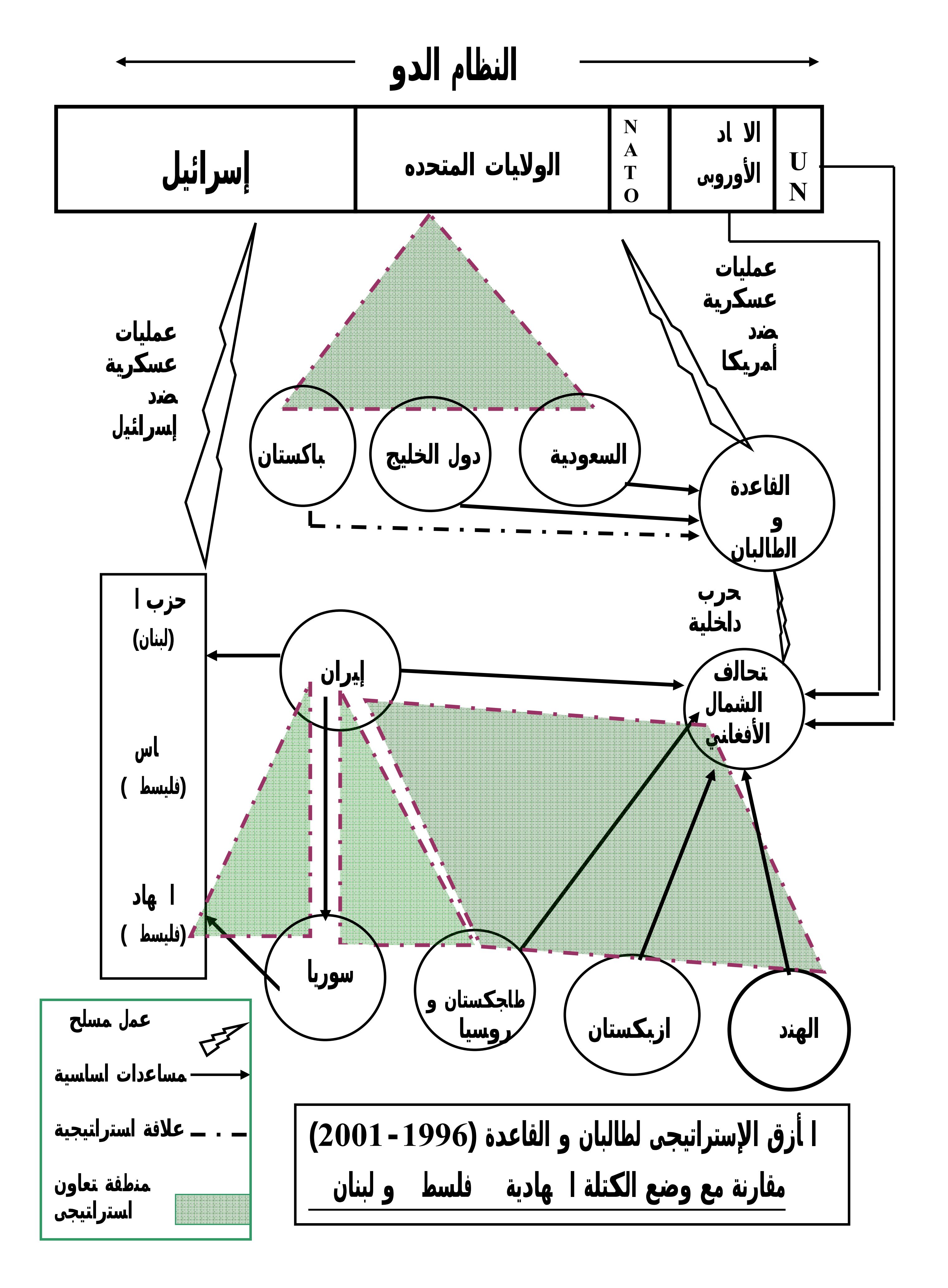
والفتاوى جاهزة منذ قرون، فى المنابع الفقهية للسلفيين.

والعلماء جاهزون ( تحت طلب البنتاجون فى كل الأوقات) وما أسهل جميع الأموال وتحريك الشباب المتحرق للجهاد والشهادة.. وبدلاً عن أمريكا البعيدة جداً.. وإسرائيل صعبة المنال..هناك شيعة قريبون جداً.. فى أفغانستان وإيران(1) .وقد خلقت أجواء التوتر وإغلاق الحدود، والحشود الإيرانية ودعوات الإنتقام داخلها إثر إغتيال دبلوماسييها فى مزار شريف، كل ذلك جعل المناخ مثالياً لتزكية الفتنه ودفع نيرانها قدماً.**{ في الأزمنة الحديثة فإن صناعة الفتن ، إلي جانب عوامل الفتن ، لم تعد عود ثقاب يلقى بالمصادفة أو بالعمد ، علي حطب . بل أن صناعة الفتن تحولت إلي( هندسة )بمعنى الكلمة ..... لقد كان زمن الحرب الباردة جامعة كبرى تعلمت فيها القوي (هندسة) الفتن . وأكثر من ذلك فإن البراعة في الهندسة وصلت أحياناً إلي إعادة هندسة الماضي و تركيب تاريخ المجتماعات بما يوافق مقاصد الأقوياء}** **( عن كتاب عام من الأزمات لمحمد حسنين هيكل ص( 17و18) .**

---

**(1) للتمويل أثر ضاغط على التوجيهات الفكرية والسياسية وتلك قاعدة صحيحة بالنسبة للدول كما للتنظيمات السياسية الإسلامي منها وغير الإسلامي . السلفي منها أو الأخوانى الدولى .**

**وقد دخل " الدوليون " مجال الفتنة الطائفية قبل أن تبحر فيه قوارب السلفية الجهادية . فلننظر إلى ما كتبه الدكتور عبد ا النفيسى عن الإخوان الدوليون فى أواسط ثمانينات القرن العشرين ، حيث يقول: (.. فشكّل التنظيم الدولى للإخوان لجنة أسموها بتسمية تدل على قصور سياسى بين ، وهكذا تشكلت لجنة فتح إيران**




ا أزق الإستراتيجى لطالبان و القاعدة (1996-2001)
مقارنة مع وضع الكتلة ا هادية فلسط و لبنان

**وجعلوا عمان ( الأردن) مقراً لها وعينوا لها رئيساً وأفرزوا لها العناصر ووضعوا لها الميزانية من أموال أعضاء الجماعة الذين يدفعونها ولا يعرفون كيف تصرف ولا في ماذا أنفقت ، فالثقة بالقيادة مطلقة وعمياء ! ومن غريب الأمور أن تكون مهمة هذه اللجنة – بل إحدى مهامها – تحويل الشعوب الإيرانية إلى مذهب أهل السنة ، وكأن هذا الأمر صار من أولويات العمل الإسلامى على أفتراض إمكانيته، ألم يكن من الأولى أن يشكل التنظيم الدولى للإخوان بقيادته التى تفتقر للشرعية والأهلية لجنة لفتح القدس وتحرير الأقصى ؟ لكنه القصور السياسي وسوء تقدير الموقف الذي يجعل صاحبه يتعامل مع الأوهام وكأنها حقيقة ) . ( مقال الإخوان المسلمين في مصر: التجربة والخطأ )- كتاب الحركة الاسلامية : رؤيه مستقبلية ص 249**

---

فتحت السعودية أبوابها مرة أخرى، وبالأحرى جعلتها مواربه أكثر، لعبور الشباب ومندوبو الشيوخ مع الأموال التى نالت بركتهم صوب معسكرات أفغانستان، ومعظمهم توجه إلى بن لادن والبعض توزع علي باقى مراكز القوى العربية من بقايا التنظيمات المحتضرة والبائدة والناشئة إلى آخر مراحل النمو.

عادت مرة أخرى أيام الخير، وفاعلى الخير حاملى حقائب السمسونايت المحشوة (بالبترودولار) وانتعشت المعسكرات ودب النشاط فيها بعد ذبول.

بعض الشباب جاءوا من المملكة..وقالوا أنهم قدموا خصيصاً لقتال الشيعة فى باميان وعندما سألهم أحد البلهاء:ولكن لماذا لا تقاتلون الشيعة عندكم فى المنطقة الشرقية وبعد أن تحرروها تأتون لاستكمال عملكم فى باميان.؟ نظروا إليه بدهشه وإحتقار أبلغ من كل تعليق.( **الشخص نفسه قدم بلاهته فى صورة مشروع غريب قائلا لقد تقاتلنا مع الشيعة أربعة عشر قرنا فلا نحن أبدناهم ولا هم تخلصوا منا .. فلماذا لا نتحد معهم لمدة نصف قرن فقط ، ونتصدى معهم لأمريكا وإسرائيل ثم نعود بعدها لقتال بعضنا البعض بدون سابق إنذار ، فضحك الحاضرون .. وتأمل البعض فى الحكمة البلهاء.. وكانت الأحداث أسرع من الجميع**).

المتحمسون الجدد القادمون براية التوحيد الحق والعقيدة الصحيحة لم يحضروا بالدولارات فقط.. والفتاوى التى تهدر دم الشيعة.. بل أحضروا معهم أيضاً الأحلام والرؤى.. أحدهم جاء برؤية موثقة تجزم بأن إيران سوف تغزو أفغانستان وأن العرب سوف يتصدون لها ويغنمون من قواتها كميات كبيرة من الأسلحة والمعدات.

.. حتى الأحلام أصبحت تصدر من البنتاجون.. لتحويل مجرى الجهاد الإسلامى ورده إلى صدور المسلمين أنفسهم.

والآن ندرك درجة إنحراف (الرؤية الموثقة) مع الواقع الذى حدث بعد ترويجها بعام أو إثنين، وكيف أن الرؤى تم توظيفها ضمن (هندسة الفتنة).

مواربة البوابة السعودية وتسرب الأموال والشباب ونفوذ الشيوخ إلى كابول وقندهار، أبقى على شقة الخلاف بين القاعدة والجماعات الأخرى.. التى وصلها ما يكفى كى تحفاظ على إستقلالها.

وحاول الشيوخ كبح جماح بن لادن وإعادته إلى بيت الطاعة.. وذلك طبقاً لسياسة الإحتواء التى يجربها كلنتون بعد أن جرب وفشل فى سياسات القصف بالصواريخ.الشيوخ هددوا بسحب البساط من تحت أقدام زعيم القاعدة وتحجيمه داخل أفغانستان ذاتها بفتح مضافات ومعسكرات جديدة.. بل هددوا بإحضار "خطاب" نجم الشيشان اللامع إلى أفغانستان الذى يمكنه إستقطاب شباب أفغانستان بحيويته الشابة ومصداقيتة الميدانية.

مع بدايات عام ( 2000م) كانت طلائع شباب الشيشان قد عادت إلى أفغانستان بعد الهزيمة المروعة التى تسبب فيها "خطاب" وأسقط النظام الشيشانى المستقل وأعاد البلاد إلى الإحتلال الروسى.

(ربما كان الشيوخ متعجلين فى نقل تجربة خطاب إلى أفغانستان).كانت تجربة

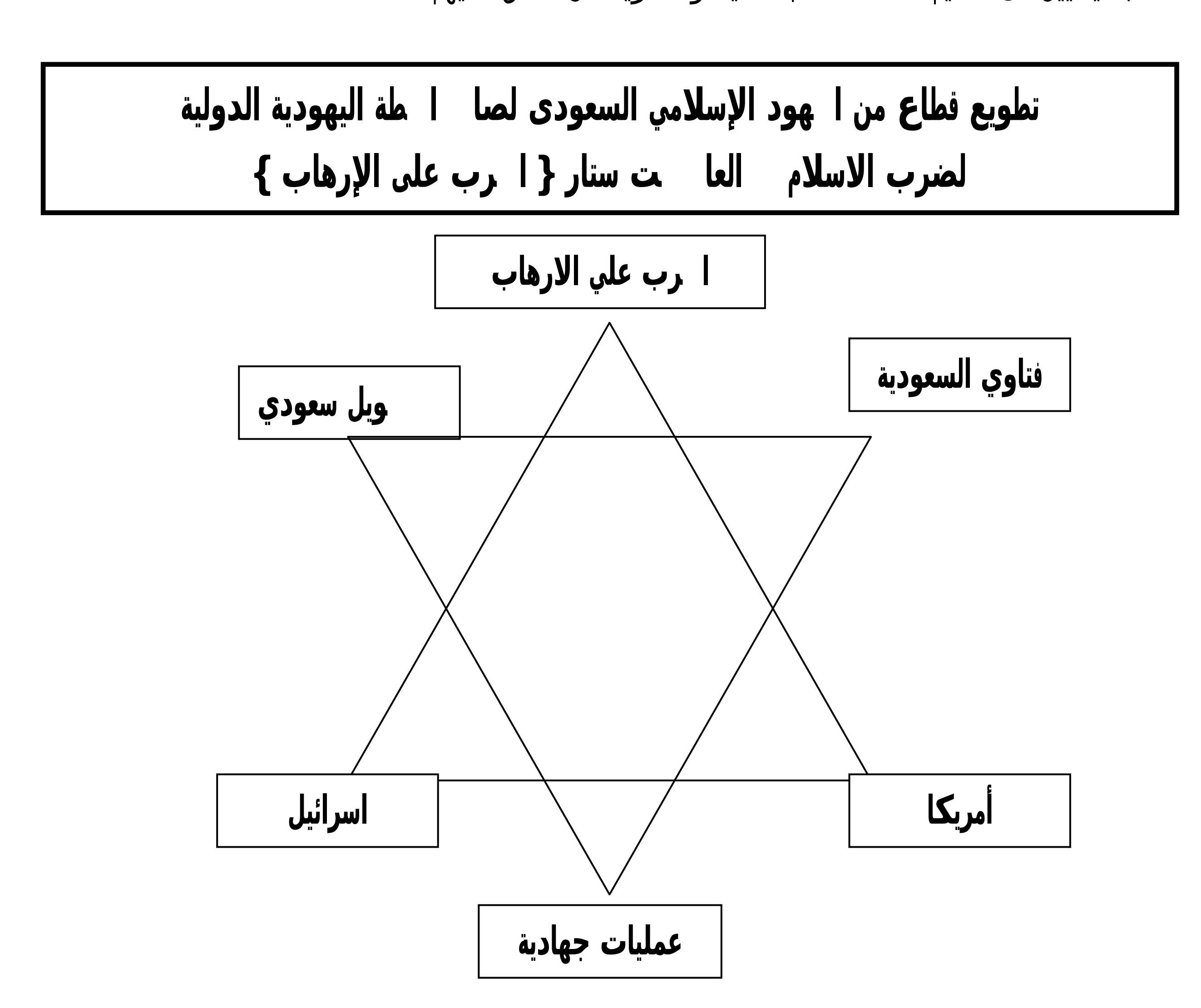
خطاب في الشيشان متطابقة فى نقاطها الأساسية ونتائجها المأساوية مع تجربة بن لادن في أفغانستان وسابقة عليها.حتى أن البعض من العرب قبل عاصفة الطائرات بعدة أشهر حذر بن لادن من تكرار مأساة صاحبة في الشيشان، فيجتمع على المسلمين كارثتان على يد خبيران جهاديان من المدرسة السلفية السعودية.. ومن رعايا المملكة ذاتها. لكن خطاب لم يرجع إلى أفغانستان إما لأنه رفض ذلك أو لأنه لم يتمكن بسبب الظروف القاسية المحيطة به.

بن لادن وصل إلى أوج إزدهارة فى أفغانستان بعد تفجير عدن.. فمعسكر التدريب التابع للقاعدة فى (جرمواك) ، غرب قندهار، إتسع وإزدحم وأعاد الذكريات الذهبية لأيام الثمانينات لمعسكرات (جهادوال) و(الفاروق) فى خوست .. وقد حمل المعسكر الجديد فى (جرمواك) نفس الاسم القديم (الفاروق) الذى نال شهرة بين عشرات الألوف من الشباب على مدى أكثر من عقد من الزمان.كان المعسكر الجديد يقع فى أحضان جبل صخرى صلد يربض فى وسط صحراء واسعة بها القليل من القرى.ولم يكن أحد ليشك فى أن الفاروق الجديد سوف يتعرض حتماً لضربة أمريكية من الجو.. وربما من الأرض أيضاً.لذا أنفق زعيم القاعدة أموالاً طائلة فى تحصين المعسكر وشق الطرق إليه وداخله وبني مواقعه الدفاعية.. وحفر مغارات وخنادق، لحماية المتدربين وتخزين المؤن والذخائر.. ومواقع للدفاع الجوى، وهمية وحقيقية.كانت إجراءات كثيرة ومكلفة.. ولكنها بالقطع ليست كافية لمواجهه الخطر المحتمل.. لذا ألح المتشائمون على تطبيق سياسة التدريب العائم أو (درب وإهرب) .. أى التدريب المتحرك فى مواقع غير دائمة.لكن حجة بن لادن أنه يريد الثبات الذى يؤهل لإستيعاب شباب أكثر واستقبال ضيوف كبار لمعسكرات ضخمة ترفع المعنويات!!.أى بمعنى آخر نفس سياسة الثمانينات بلا تغيير، ولكن مع فارق بسيط فبعد أن كانت المواجهة والحرب ضد نظام شيوعى متهاو فى كابول، أصبحت الآن مع قوة دولية وحيدة ومسيطرة مركزها البيت الأبيض فى واشنطن. إذن الموضوع سهل ولا داعى للتغيير والأساليب التى نجحنا بها فى السابق سننجح بها الآن.. ومن يظن غير ذلك فهو ضعيف الايمان.. أو ..مرجف!!.

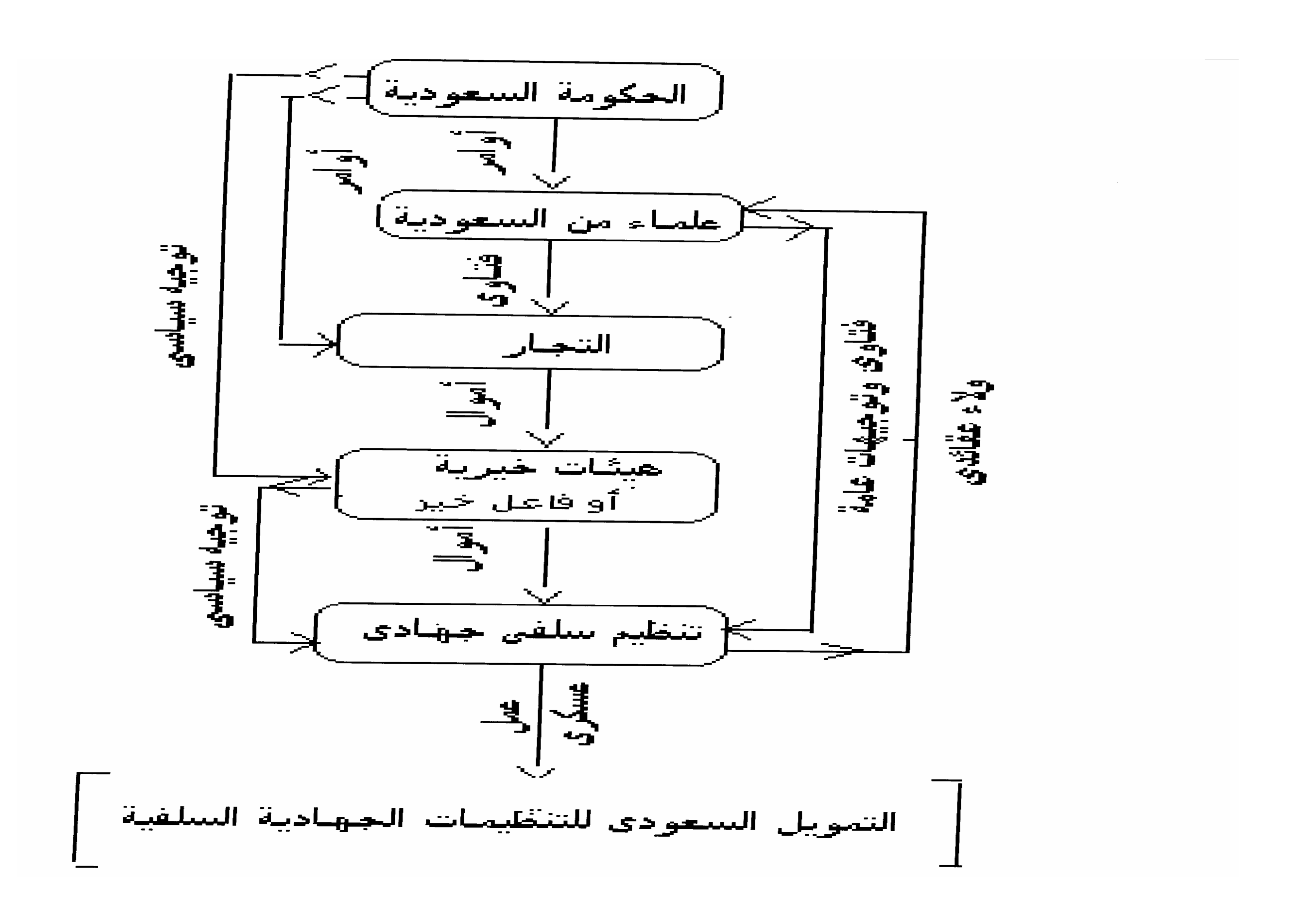
عادت الأجواء القديمة فى السلوكيات والمظاهر.. وتصرف بعض الشباب الجدد كما تصرف أسلافهم فى الثمانينات فى مدينة بيشاور والمدن الحدودية، بالخشونة والصلافة، والتبجح، والإسراف، والدعوة إلى العقيدة الصحيحة، بكل الوسائل التى تخرج الناس من دين ا أفواجاً.. وظهرت الملابس العسكرية الحديثة، وحملوا الأسلحة فى الشوارع والسيارات وحتى فى الطائرات. ونقلوا أجواء القتال إلى داخل المدن التى تعيش، بما فيها كابول، أجواء مدنية بحتة لاتشعر فيها بمظاهر حرب، وهو ما كان يريح السكان ويرضيهم بعد سنوات طوال من قتال طاحن داخل المدن وفى الطرقات. وكانت تلك المظاهر سبباً لإستفزاز السكان ليس "الفرسوان" الذين يقاتلون الطلبة بل وحتى السكان البشتون الذين يستفزهم منظر الأجنبى حتى ولو لم يكن مسلحاً.

ظهرت الآثار المكتومة لكل تلك الأخطار عندما شرع العرب فى الإنسحاب (أوالفرار) أمام زحف قوات تحالف الشمال والضربات الجوية الأمريكية فالأهالى فى معظمهم كانوا معادين.. والكرم الأمريكى جعل من إصطياد العرب وبيعهم عملية أكثر ربحاً من زراعة أو تهريب المخدرات.

**(ظهر فيما بعد أن الأمريكان دفعوا ثلاثين ألف دولار ثمنا لشراء أى عربى أصطاده الأفغان من شوارع المدن أو الفيافي والقفار.. وهذا الثمن يعادل ثمن طن من الأفيون بأسعار عام1999. ويذكر أنهم أشتروا كل ما خلفه العرب من أوراق وكتب ليس هذا فقط بل كل ملابسهم الرجالية والنسائية وملابس الأطفال وقالت مصادر صحفية وقتها أن الغرض هو تحديد الحامض النووى لهؤلاء العرب لمواصلة مطاردتهم أمنيا في المستقبل!!. وربما لأجيال قادمة ، وهو ما يفسر شمول الأطفال وملابسهم!!. لقد كان بيع العرب كأفراد، وبيع مخلفاتهم عملاً تجارياً مربحاً جداً للأفغان في تلك الفترة. الطائرات الأمريكية كانت تزودالجمهور بمنشورات توضح لهم أسعار"الأرهابيين" بالدولار الأمريكى فى الصدارة يأتى سعر العرب يليهم الباكستانيون فالأوزبك وهكذا .نشرات البورصة الجوية تلك خلقت رواجا إقتصاديا وحولت المطاردات إلى تجارة وطنية** ملاحظة أخرى تقول بأن متوسط دخل الفرد الأفغانى وقتها كان مئتين وخمسين دولاراً سنوياً ، وهكذا يكون سعر الأسير العربى يعادل دخل الفرد الأفغانى خلال مئة وعشرين عاماً !! إنه الكرم الأمريكى الذى لم يستطع الشعب المسلم فى أفغانستان أو باكستان مقاومته . وبدون هذا الكرم ما كان يمكن لأمريكا أن تملأ كل هذه الأقفاص الحديدية فى جزيرة جوانتانامو بالأسرى العرب – أو بالقياديين فى تنظيم القاعدة حسب ما يحلو لأمريكا أن تطلق عليهم .




--




.......................................................

## دور الإعلام فى الهزيمة الإسلامية

الخداع والقسوة من أكثر الأساليب شيوعاً فى التعاملات الأمريكية بل هى العمود الأساسى للسياسات.. الساخن منها والبارد .. العسكرى منها أو الأعلامى والإقتصادى والسياسى.

وبغير تلك الاساليب لايمكن لهم ترويض العالم والسيطرة عليه ونهبه وتخريب المكونات الفطرية للانسان.

الخداع والقسوة من ركائز الإعلام الأمريكى.. فذلك الإعلام لايركز الضوء ويسحر عيون وأسماع متابعيه بالأشياء الهامة والأساسية بل بالأشياء الهامشية والفرعية، أو تلك المواضيع الهامة لكن من الزوايا وتحت الأضواء التى تخدم الرؤى والمصالح الأمريكية فقط.

من وسائل الإعلامية الخادعة كان التركيز على الأشخاص الأقل أهمية والمنظمات الأكثر تفككاً وهامشية كأعداء أساسين ولاعبين محوريين على الساحة مناوئة للولايات المتحدة ثم إلقاء التراب وسحب الدخان الملوث حول مصادر الخطر الحقيقى والقيادات المؤثرة.

يساعد على ذلك عدم قدرة الناس عامة والمسلمين خاصة على الوصول إلى حقائق الأشياء حتى ما يتعلق منها بأهم القضايا المصيرية. وأن القدر الضئيل من الحقائق الذى يمكن أن يتسرب "بطرق غير قانونية" أو أشخاص غير مرغوب فيهم ، يمكن

التشويش عليه واحتوائه بسهولة وإبقاء الضحية (المسلمين) فى حالة تخدير كامل.
تنسى الشعوب أحيانا بديهات لا تحتاج الى تفهيم.. من قبيل كون أى جماعة سياسية (أودينية) أو أى قيادة من هذا النوع إذا تم إقتلاعها من تربتها وفقدت وسائل التأثير على الناس فى موطنها الأصلى فإن تلك القيادات والجماعات تصبح هامشية وتنحدر قيمتها إلى ما يقرب من الصفر.
ولكن أمريكا نجحت فى أقناع العالم وحتى المسلمين أنفسهم- بأن عرب أفغانستان يمثلون تجمعاً فاعلاً وخطيراً، وكذلك قياداتهم هناك.
وذلك غير صحيح بالمرة، وإن كان ذلك التجمع فريداً ونادراً فى عالم اليوم. ويحمل عدداً من السجايا الإخلاقية الرفعية مثل روح التضحية والبطولة المتجذرة فيه.. وقوة الحماس للدين.
ولكن هذا كله لا يعنى ما ترمى إليه أمريكا من خطورة الفعل والقدرة على التغيير.
فلم يكن ذلك ممكناً لذلك الوسط لأسباب عديدة منها أسباب ذاتية وأخرى خارجية.

## فمن الأسباب الذاتية:

غياب العلماء الصادقين مع ضعف البنيان الفقهى وتخلفه عن مواجهة الواقع الخارجى المعقد. ثم صدام ذلك البنيان مع الموروث الفقهى التاريخى للشعوب العربية والاسلامية.. وإعتماد الحركة الجهادية على فقه العصر المملوكى، الذى كان مستهجناً وضعيفاً حتى فى عصرة، لمواجهة عصر مخالف تماماً.. وفى بيئة مناهضة تاريخياً لذلك الفقه. كانت تلك سقطة أساسية أدت إلى الوفاة المبكرة للحركة الجهادية الحديثة.. وإلى عزلتها وشططها وتخبطها.. الخ.
فالهزيمة بدأت فقهية.. وذلك طبيعى لحركة إسلامية، يعتبر الفقه هو أداتها لتطبيق الدين على الواقع، فقوة وحيوية التحرك الدينى تنبع من سلامة وقوة مصادره الفقهية.
وإذا عجزت العقلية الدينية عن فهم ومعالجة الواقع، والإجتهاد فقهياً لمواجهة إحتياجاته، فإنها مهزومة لا محالة، ولن تستطيع السير طويلاً.. وهذا ما حدث لمجاهدينا رغم شجاعتهم، وقدرتهم على شن العمليات الإستشهادية الصاعقة.

## من الأسباب الخارجية:

..حالة العنفوان والقوة الهادرة للمعسكر الأمريكي (اليهودى) وممارسته حرباً صليبية شاملة ومتواصلة لدفع الإسلام إلى الخاف على مستويات الحكم والشعائر والمفاهيم.. ناهيك عن فكرة الجهاد نفسها وليس ممارستها فقط.
هذا إضافة حال الأمة التى تشهد تحللاً فى تماسكها. وفوضى فى المفاهيم الإسلامية، وإنعدام المرجعية الدينية، وسقوط المقدسات فى أيدى اليهود، بشكل مباشر أو عبر أنظمة محلية..
ثم إنصراف الأمة عن الجهاد، وترك تلك المهمة الحيوية المقدسة فى أيدى قلة مخلصة قليلة العلم و الكفاءة أو الخبرة.. كثيرة الغرور والتهور، فصار الجهاد فى الأمة، وقفاً على قله، (متخصصة) معزولة تفتقر إلى مهارة المتخصصين، وإنصرفت أهم عقول الأمة وعناصرها المقتدرة عن جماعات وساحات الجهاد..ثم ندرة العلماء المجاهدين، نظراً لسيطرة أعداء الأمة على الجامعات الدينية.. فانخفض المستوى الإيماني و العلمى بها إلى حد خطير.
الحالة الإسلامية العربية فى أفغانستان رغم إخلاصها كانت ضعيفة ومفككة

وغير موحدة الرؤية..وكما ذكرنا فقد سيطرت عليها ثلاث توجهات اساسية.

1 ـ **توجه بن لادن** الداعى إلى (جهاد الأمريكان المحتلين لجزيرة العرب).. ولم ينجح، ولم يحاول جديا، أن يجعله برنامجاً شعبياً يستقطب المسلمين من تجمعات وفئات مختلفة ومتنوعة، فالسلفية التى يرتكز عليها تعارض ذلك بل تعادية.. وطبيعته المتفردة وتقمصه الفطرى لشخصية (المستبد العادل) تمنع ذلك أيضاً.. بل تطالب الجميع بالإنصياع والإتباع بلا قيد أو شرط.. مستنداً على قوة مالية وبريق إعلامى، صنعه عدوة ولم تصنعه حركته الذاتية بمشروعه الأممى الإسلامى.

2_ **توجه المنظمات الجهادية الوطنية** التى ترى مهمتها الأولى هى الجهاد فى أوطانها ضد (الطواغيت) وفى الغالب لمجرد قتلهم.. وأشدهم ثورية يرى أن الوصول إلى الإذاعة وإسماع الناس بيان إعلان الدولة الإسلامية كافياً لتحقيق جنة ا على الأرض.. ولابد مع ذلك من ذبح عدة آلاف من الطواغيت وأصحاب العقائد المنحرفة، والصوفية، وهدم آلاف المقابر.. الخ حتى يعود الإسلام نقياً كما كان فى عصر السلف الصالح. وكل هذه المنظمات (تقريباً) إقتلعت تماماً من تربتها الوطنية.

ولم تتح لها الشعوب.. قبل الطواغيت.. فرصة للتمدد والإنتشار. ربما كان ذلك من حسن حظ المسلمن قبل غيرهم.. وما حدث ويحدث فى الجزائر مثال نموذجى لما يمكن أن تصل إليه الأمور تحت راية المجاهدة السلفية من ذلك النوع.

وإن تكن المجاهدة السلفية على النطاق الدولى والتى قادها بن لادن والقاعدة لم تصل إلى نتائج أسعد حالاً.. بل كانت أشد وطأة على المسلمين كأمه، قبل أن تكون وبالاً على المسلمين داخل وطن محدد مثل الجزائرأو أفغانستان .

إشترك الوطنون مع الأمميين الجهاديين فى سمات كثيرة بل كانا فى الواقع إنشطاراً سياسياً مؤقتاً فى تيار واحد، من أبرز سماته العسكرة الزائدة عن الحد أو المطلقة تقريباً للعمل الجهادى مع إهمال تام للعمل السياسى الصحيح، وغياب الثقافة السياسية، وأعمال الدعوة ( ولماذا الدعوة وقد كفرت الشعوب مع الحكام؟) وإهمال البنيان الأخلاقى والروحى لصالح التدريب العسكرى وممارسة القتال.. حتى صار المجاهد بالنسبة لمن هو خارج جماعته وربما الكثير من أفرادها، مثل غصن شوك يجرح من يلمسه أو يقطع الثياب التى تشتبك به. ولذلك إستثناءات عديدة ولكنها ليست الطابع العام.

3- **ثم توجه المستقلين** ومعظمهم يشكل حالة لجوء دينى إلى أرض يحكمها نظام إسلامى. يحلمون بالمدينة الإسلامية الفاضلة التى تحكمها الشريعة ويسودها الخلق الإسلامى النبيل.

قدم أكثر هؤلاء من جحيم الحضارة الغربية هروباً منها ومن حيوانيه الإنسان هناك وسفالته الأخلاقية.

خاف هؤلاء المسلمون على أنفسهم وذراريهم فقدموا إلى أفغانستان.. وكانوا فى حاجة إلى المزيد من الوقت، لو لم تباغتهم الحملة الأمريكية، لإستيعاب الواقع الأفغانى والعربى، وفهم الهوة التى مازالت كبيرة بين أحلامهم والواقع الجديد، والذى يظل رغماً عن كل شئ أفضل بكثير، وبما لايمكن مقارنته لدى أى مسلم عقائدى، بالواقع فى بلاد الغرب.

ولكن الغرب هاجم هؤلاء بطائراته وصواريخه، وقتل منهم ما قتل، وشرد من شرد،

وأخذ ما استطاع منهم إلى أقفاص جوانتانامو، بتهمة الإرهاب الدولي. وكان ذلك تصرفاً حضارياً لائقاً بالغرب وفطرته الهمجية المتوحشة.
بعض هؤلاء فضل قتل عائلته وقتل نفسه حتى لا يعتقل أويعود مرة أخرى إلى حضارة الغرب..
ذلك التيار (اللاجئون الدينيون) شكلوا الأغلبية الصامتة للعرب فى أفغانستان..
ومعظمهم لم يشارك فى أى حرب سابقاً، ولم يكون رأياً نهائياً حول الكثير من قضايا التيار الجهادى العربى فى أفغانستان، الوطنى منه والأممى.
ومع هذا فإن الحالة الإسلامية فى أفغانستان كانت تحتضن حالة من النبل الإستشهادى الذى يأسر القلوب.. لكونه مناقضاً لطبيعة العالم المادى المنحط أخلاقياً.. ومناقضاً أيضاً للواقع الإسلامى الممزق والمنحدر دوماً نحو الأسوأ .
لذا كان لابد للغرب.. عاجلاً أم آجلاً.. من القضاء بالقوة المسلحة على ذلك التناقض..
وإبادة تلك الشرذمة العربية القليلة، فى أفغانستان من أجل إعادة التجانس إلى العالم .
أما القوى الفاعلة والمؤثرة فوق الأرض والتى أحدثت تغييراً إيجابياً وتسير بشكل عام فى الطريق الصحيح، الذى يشكل خطورة فعلية على مصالح الغرب الحيوية وثقافته الشيطانية المخربة.. فلا يكاد أحد يعرف عنها شيئاً.. أو لايعرف سوى ما تنشره دعايات الغرب من إفتراءات وأكاذيب.
لذا فمعظم المسلمين، وحتي "المثقفين منهم" أو أصحاب العمائم والفتاوى.. كانوا يرون فى حركة طالبان ما تريد أمريكا للناس أن يروا به تلك الحركة.. مجرد تخلف ودموية، ونموذج سئ للإسلام وكأن أمريكا تريد نموذجاً مثالياً لا يعرفه أحد ولا يقدر عليه سواها.. أى نموذج كرزاى مثلاً
( الذى أصبح إسمه عاراً يشمئز منه أى شعب تريد أمريكا تغيير نظامه إلى الأسوأ كشعب العراق أو فلسطين).
وقد ساعدت أخطاء الحركة وقصورها على نجاح ذلك التشويه المتعمد، وإنخداع المسلمين به.
*****
## **السيوف الأوزبكية.. صرامة وجدية**
..لا يكاد أحد من المسلمين خارج أسيا الوسطى أن يعرف شيئاً عن حركة جهادية فعالة ومؤثرة هى (حركة إسلامى أوزبكستان).
وكانت قيادتها وجزء كبير من قوتها المسلحة يعمل ضمن الأرض الأفغانية، وجابه الحملة الأمريكية بأشد مقاومة. ولكن أمريكا فضلت تجاهل ذلك تماماً والإدعاء بأن الشيشان هم الذين يواجهونها رغم أن عدد هؤلاء لم يتجاوز العشرة أفراد.
بينما شارك مالا يقل عن ستمئة أوزبكى مسلح ومنظم (بشكل أفضل من القوات العربية أو قوات الإمارة الإسلامية)، شاركوا فى قتال عنيف ضد القوات الأمريكية فى طالقان وقندز ومزار شريف.
أوتراجعوا فى حالة قتال من كابول إلى ولايات لوجار وباكتيا فقاتلوا بعنف فى زورمات وشاهى كوت، وكانوا هم المحور الأساسى الذى قاتل ضد الأمريكان و (أهل الشمال) فى الحملة التى أسماها الأمريكان على عادتهم الأستعراضية عملية (أناكوندا) التى تكبدوا فيها أشد خسائر بشرية فى حربهم الأفغانية حتى ذلك الوقت.
كل ذلك لفه الظلام الدامس.. كما لف الحركة الأوزبكية نفسها.. وتم التعتيم على

دورها فى بلادها أوزبكستان ودورها السابق والحالى فيما حول أوزبكستان خاصة فى طاجيكستان وقرغيزستان، وكانا فى حاجة إلى قوات أمريكية لحماية أنظمتها بشكل مباشر من أخطار تلك الحركة الجهادية الشابة ذات التنظيم الحديدى، والموقف الفقهى الواضح (القائم على المذهبى الحنفى) الذى إستوطن تلك المناطق منذ قرون.
ورفض (التنظيم) بوضوح وحسم تبني السلفية السعودية التى زحفت بسرعة نحو الحركة من البلاد السعودية مباشرة، أو من التنظيمات العربية فى أفغانستان، حيث تتجاور قيادة الحركة الأوزبكية مع تنظيمات سلفية عربية حاولت إبتلاعها تنظيمياً عبر (سلفنة) الحركة.. فكان الصدام الأوزبكي مع بن لادن والقاعدة..**( كان العديد من أفراد التنظيم الأوزبكي وقيادته من السلفيين .. ولكن المرجعية الفقهية للحركة كانت "حنفية" وكانت الحركة لا تعادي الصوفية أو الشيعة ، ولا السلفيه بالطبع ).**
ذلك الصدام والخصام الذى كان أسوأ إستقبال للحملة الأمريكية التى أعقبته بأشهر قليلة..
"فالقاعدة" لم تكن لتطيق ظهور جهاد إسلامى ذى مرجعية غير سعودية.. ولم يكن بن لادن ليطيق ظهور قيادة شابة منظمة جيداً.. لتسيطر على جزء من العالم قد يخرج عن هيمنته الدولية التى لم تكن قائمة سوى فى خياله الذى سيطر عليه الإعلام الدولى.
والأوزبك العنيدون رفضوا الفقه والمرجعية السعودية، كما رفضوا الغرور والتعالى الذى عاملتهم به القاعدة وبن لادن.. وبايعوا الملا محمد عمر "أميراً للمؤمنين" "ومرجعية سياسية" لحركتهم.
وهو بدورة وثق فى الحركة الأوزبكية وقائدها الشاب "محمد طاهر" وقائده العسكرى "جمعه باى" ذو الخلفية المتينة والصارمة كعسكرى سابق فى الجيش السوفيتى، شارك عن قرب فى الحملة الأفغانية التى أيقظت روحه الإسلامية، وشارك لاحقاً فى جماعة التبليغ التى هذبت من خشونتة العسكرية. ثم شارك المجاهدين الطاجيك بل كان أحد قادتهم العسكريين البارزين والمظفرين حتى أبعدته قيادة حزب النهضة. (بعد إنحرافها إلى المساومات وتقاسم مغانم السلطة مع الحكم الشيوعى الذى قتل آلافاً منهم ومن القطاعات الشعبية التى إتبعتهم فى الجهاد).
كما أبعدت النهضة الطاجيكية محمد طاهر نفسه والذى كان أحد أعضاء مجلس الشورى عندما كانت النهضة حركة إسلامية ترى تحرير وأسلمة أسيا الوسطى كلها بل والقوقاز أيضاً..
..إقتنعت النهضة وسارت فى الطريق.. ونالت ما يكفى قادتها من الفتات، فضمنت الدنيا والآخرة.. وكفى ا المؤمنين، القتال.
ولكن "طاهر جان" و "جمعة باى" أسسا الجماعة الإسلامية الطاجيكية وقررا السير فى طريق الجهاد.. بغير السلفية السعودية، وبغير أموال جزيرة العرب أو حتى وصاية بن لادن وغرور تنظيم القاعدة.. فكان الصدام الذى كانت دلالاته أضخم من وقائعه التى كانت مجرد الرأس الصغير.. لجبل الثلج الضخم.
# كان الملا محمد عمر (أمير المؤمنين) يضع الحركة الإسلامية الأوزبكية وقائدها محمد طاهر فى مكانة عالية، قد لا تدانيها حركة طالبان نفسها والكثير من قياداتها. والسبب هو أن الكثير ممن إلتحقوا واتبعوا حركة طالبان، قد دفعهم إلى ذلك شهوة السلطة وبريق النجاح الذى نالته الحركة.

إضافة إلى أن الحركة الأوزبكية شرعت فى التحرك فى صفوف الأقلية الأوزبكية شمال أفغانستان فسحبت جزءاً هاماً من الأرضية التى يتحرك فوقها (عبدالرشيد دوستم) ويجند ميلشياته. فكانت الحركة تتنفس ضمن فضائها الإجتماعى نفسه تقريباً، وهم أوزبك الشمال الأفغاني الذين هاجروا من بلادهم خوفاً من البطش الروسى ثم السوفيتى.

ذلك المجال الأفغانى فى الشمال وضع الحركة على مرمى حجر من حدود أوزبكستان المشتركة مع أفغانستان، والتى يشكلها نهر جيحون، فكان ذلك مثار رعب للنظام الأوزبكى الذى إندفع أكثر من أى وقت مضى لدعم تحالف الشمال ( أو أهل الشمال كما أطلق عليهم المجاهدون الأوزبك).

تواجد الحركة الأوزبكية خلف نهر جيحون وأمام الحدود الأوزبكية أثار حماس الشعب الأوزبكى، وهو الشعب ذو الطبيعة القتالية الشرسة والقلوب الشاعرية الرقيقة والميل إلى التنظيم الأسبرطى ( وهو ما تأباه الطبيعة الفوضوية لعرب الجهاد).

العشرات من أبناء الأوزبك تسللوا مع أطفالهم وقذفوا أنفسهم إلى نهر جيحون وعبروه إلى حيث أخوانهم مجاهدى الحركة.. بعضهم وصل ينزف دماً من طلقات فى جسده أطلقها حراس الحدود على الشاطئ الأوزبكي ومن فوق القوارب الحراسة السريعة فى نهر جيحون التى تمنع الهجرة نحو أفغانستان.

فى هجرة جماعية كبيرة، عبرت عدة مئات من الأسر الأوزبكية، أراضى طاجيكستان، ثم نهر جيحون، وصولاً إلى أراضى الإمارة الإسلامية فى أفغانستان، ضمن صفقه إقليمية ودولية كانت تستهدف القضاء عليهم وليس ترحيلهم. ولكن عدداً من كبار قادة المجاهدين السابقين المشاركين ضمن النظام الطاجيكي القائم، حموا إخوانهم فى قافلة مدنية مدججة بالسلاح حتى أوصلوهم إلى السفن التى عبرت بهم نحو أفغانستان، أرض الأحلام الإسلامية (التى أجهضها العرب لاحقاً).

هذه القوافل إصطحبها بنفسه "جمعه باى" لذا فإن رفاق السلاح القدماء حموه بأنفسهم فى لفته وفاء نادرة تستحق الإحترام.

وعلى هذه الوتيره من المثاليات الرفيعة، من شجاعة وتضحية وتنظيم، تجمع الأوزبك فى قوة قتالية يحسب لها ألف حساب فى أفغانستان، ضمن تجمع مدنى منضبط ومتكافل لم تكن الأقلية العربية لتحلم بمثله ولو بعد ألف عام.

كان للحركة الأوزبكية عدداً ملموساً من المتطوعين فى صفوف المجاهدين الشيشان وكان لهم بطولات خارقة، لكن لا الإعلام الدولى ولا إعلام المجاهدين العرب هناك أعطاهم أى إهتمام.

الحركة الجهادية الأوزبكية تمكنت من بناء شبكة علاقات قوية ومتشعبة فى الأرض السوفيتية السابقة، وكذلك فى الشيشان وتركيا. ساعد فى ذلك الطبيعة الإجتماعية والذكاء الحاد لزعيمها الشاب ذو الإرادة الأوزبكية الصلبة.

وطور القدرة الأمنية للحركة فاستطاعت إلقاء القبض على العديد فى الجواسيس الذين أرسلهم الروس تارة، أوالحكومة الأوزبكية تارة أخرى، أو الحكومة السعودية تارة ثالثة.

ونظراً لإتساع شبكة العلاقات ومرونه الحركة والإتصال، كان الإستعلام عن أى وافد مجهول الحال لا يستغرق وقتاً طويلاً.

ونظراً لعدم وجود حالة تعدد تنظيمى تدفع إلى التنافس على الأعضاء الجدد، حتى

ولو كانوا مشكوكى الحال، وهو ما يحدث لدى التنظيمات العربية، فإن الوافد إليهم لايجد إلا تنظيماً أوزبكياً واحداً غير متهالك لإكتساب أنصار.. ولديه نفس طويل فى الإنتقاء والتحرى.

قيادة المجاهدين الأوزبك كانت واضحة وصريحة أمام المهاجرين الجدد وأمام كل من يرغب فى الإنضمام إليها من مسلمى آسيا الوسطى، إنها لا ترغم أحداً، ولكنها لن تسمح لأحد بأن ينفصل عنها.. لذا على كل شخص أن يتأنى قبل إتخاذ قراره..

كان ذلك موضع إنتقاد شديد من التنظيمات العربية خاصة القاعدة التى إتهمت محمد طاهر بالفاشية والإرهاب !!.

وأزعجها وأزعج الآخرون قراراً آخر له يقضى بألايستلم أى عضو بالحركة أى هدايا من الخارج حتى يخطر قيادة الحركة، وهى التى تنظر فى قبوله الهدية أو مصادرتها أو إعادتها من حيث أتت.

أباطرة الشريعة العرب دفعوا ببطلان القرار وعدم شرعيته، وقائد الحركة دافع بأنه فى الوقت الذى كانت تقتات فيه الحركة بالقروض فإن أحد مساعديه تسلم (هدية) من أحد العرب مقدارها عدة مئات من الدولارات!! وتساءل هل هذه هدية أم رشوة؟.. أم شراء ذمة؟ .. أم دعوة إلى الإنشقاق عن الحركة؟؟ .**(حديث خاص للكاتب مع محمد طاهر في كابول عام 2000م ).**

وبالفعل كانت الحركة الإسلامية واقعه تحت ضغوط لاتطاق من جانب بعض التنظيمات الجهادية العربية فى أفغانستان خاصة من القاعدة من أجل خلق أنشقاق سلفى يخرج من تحت القبضة الفولاذية (الطاغوتية!!) لمحمد طاهر.. وأن يلتحق ذلك الجناح بالقاعدة تحت إغراءات المال.. والشهرة، ومن هنا نشأت الأزمة التى أودت بروح الأخوة الجهادية بين الأوزبك والعرب.

فقيادة الأوزبك ألقت القبض على إثنين من الجواسيس الروس وإحتجزتهم فى السجن الخاص بها للتحقيق. ولكن هؤلاء فروا والتحقوا بمضافه القاعدة فى كابول طالبين الحماية من طغيان تنظيمهم الأوزبكى الذى يضطهدهم لكونهم "سلفيون!!

فأرسلهم العرب إلى خط الدفاع عن كابول فى سط المقاتلين العرب حتى يهدأ الحال ويوافق التظيم الأوزبكى على نسيانهم .

ولكن تنظيم الأوزبك أصر على إستعادتهم لإتهامهم بالتجسس.. ولم يفلح ذلك مع العرب وظلوا يبسطون عليهم الحماية.

فى أثناء تواجد السجينين الفارين فى مضافة القاعدة للإستراحة عائدين من خط النار، أمر زعيم الأوزبك رجاله بمداهمة المضافة وإعتقال المطلوبين.

وبالفعل نفذ رجال أمن التنظيم الاوزبكى أمر الهجوم وقبضوا على الفارين وأوشك الأمر أن يتحول إلى فتنة دامية. لأن إمير المضافة العربية (وهو يمنى) وكذلك كان معظم من كانوا فى المضافة،إعتبروها مساساً بشريعتهم القبلية،وشهروا السلاح،لولا أن أحد الكوادر المصرية فى القاعدة هدأ مشاعرهم.. وتفادى حمام الدم بصعوبة .

وهدد اليمنيون إذا لم يستعيدوا ضيوفهم أن يقتلوا كل أوزبكى يصادفوه فى كابول!!

خبراء الكوارث العسكرية فى وزارة الدفاع وقفوا إلى جانب العرب نتيجة كراهيتهم للزعيم الأوزبكى الشاب، الذى يحظى بثقة ومكانة لدى "أمير المؤمنين" أكبر مما يحظى وزير الدفاع وبطانته..

أضطرت الإمارة فى قندهار إلى التدخل بشكل عاجل لوقف عجلة الفتنة وللبحث عن

حل وسط.
الزعيم الأوزبكى الشاب ورغم إصراره على صحة موقفه وبأنه يتصرف فى المسائل الأمنية وفقاً لتفويض خاص من أمير المؤمنين ،وهذا صحيح، إلا أنه قدم بسرعة إعتذاراً للشباب العرب فى المضافة.. وللقاعدة وزعيمها.. وطالب بالصلح وعودة المياه إلى مجاريها.
لكن زعيم القاعدة الذى قابل حتى أمير المؤمنين بتعنت متعال وفى غير موضعه حين طلبه للمثول معه أمام محكمة شرعية. كرر نفس الشئ أمام الشاب الأوزبكى رافضاً أى صلح قبل أن تقول محكمة شرعية كلمتها فى القضية!!.
وسطاء كثيرون حاولوا، والشاب الأوزبكى يقدم الإعتذار تلو الإعتذار رغم إستناده إلى تكليف من الإمارة.. ولكن بن لادن ومن خلفه جمهور شباب القاعدة يتعالون فى الرفض والتحقير للزعيم الأوزبكى.

---

ومع هذا قدم التنظيم الأوزبكى الكثير من الدعم والمساعدة للأسر العربية التى كانت تفر مذعورة أمام الهجمة الشمالية والقصف الجوى الأمريكى.. وكانت الإدارة العربية عاجزة قاصرة، بما لا يتناسب مع القوة المالية الكبيرة والإدعاءات العربية العريضة{يستثنى من ذلك إنسحاب الأسر العربيةمن قندهار}بينما أظهرت الأسر المهاجرة الأوزبكية صلابة أكثر وإنضباطاً أشد بكثير مما أظهرته الأسر العربية أثناء تلك الأزمة الدامية..
**__يقول التاريخ:__**
**(دارت الحروب الصليبية (1095_1291) على أرض الشام ومصر ولكن قيادتها السياسية وبطولاتها العسكرية كانت فى الغالب من نصيب الأكراد والترك ( الأوزبك ) . والسيوف الأزوبكية إستعادت مدينة القدس من الصليبيين مرة أخرى بعد صلاح الدين.كما أن تطهير الشام نهائيا من الصليبيين كان إنجازاً أوزبكياً فى الأساس .)**

## __الملا عمر:القيادة للأوزبك__ __(إبريل 2001م)__

بعد أسابيع قليلة من الأزمة العربية الأوزبكية دعا الملا عمر جميع زعماء الجماعات العربية للإجتماع به فى قندهار. ورغم تواجده فى المدينة، أرسل بن لادن وزير دفاعه نيابة عنه. ربما للمحافظة على هيبته فلا يتساوى مع من هم أقل منه مكانه، وأيضاً حتى لا يتورط أثناء الجلسة فى أى اتفاق قد يرغب التملص منه مستقبلاً.. وتلك حيله كان يلجأ إليها قادة الأحزاب الأفغانية قديماً.
بعد أن أخذ أمير المؤمنين العهد على الحاضرين أن يسمعوا ويطيعوا أعلن قراره بأن يكون "جمعة باى" القائد العسكرى للحركة الإسلامية الأوزبكية قائداً لجميع المتطوعين.
وكانت قنبلة صاعقة للعرب، لأنهم توقعوا أن تعطى هذه المسئولية لتنظيم القاعدة، وحتى جمعه باى الذى حضر الجلسة متأخراً ، بدعوة خاصة من الملا عمر ، صدمته المفاجأة وطلب إعفاءه.. ولكن قائد التنظيم الأوزبكى أمره بالقبول وتنفيذ الأمر.
إختلفت تفسيرات العرب للقرار وإعتبره البعض إنحيازاً من جانب الإمارة إلى ناحية الأوزبك وإعتبره آخرون محاولة من الإمارة تقريب القائد العسكرى للأزبك على حساب القائد السياسي. وقال آخرون أن القرار عقوبة لبن لادن على تجاوزاته.

لم يكن كل ذلك صحيحاً.. ولكن الإمارة حاولت السيطرة على قضية المتطوعين الأجانب والتى أعطت العديد من الإيجابيات والعديد من السلبيات. هؤلاء المتطوعون فى غالبهم منتمون إلى منظمات تقيم بشكل كامل ودائم على الأرض الأفغانية فى ظل الإمارة الأسلامية أو أنها تقيم فى باكستان، ولكن تحتفظ بمقار قوية ومعسكرات ومتطوعين يعملون مع الإمارة وتحت قيادتها.

فحركة التطوع الخارجى مع النزوح الجهادى الإسلامى الزاحف صوب الإمارة، تسبب فى مآزق خطيرة للإمارة على المستويات السياسية والعسكرية وإن أكسبت الإمارة العديد من المزايا.

فحركة بن لادن مثلاً ورطت الإمارة فى مواجهة لم تكن فى حسبانها أو ترغب فيها مع الولايات المتحدة الأمريكية والدول الثلاث التى تعترف بالإمارة ونظامها، ومع ذلك أفادت القاعدة حركة طالبان فى عدة مآزق عسكرية.. كما أن حماية الإمارة للعرب وبن لادن أكسبها تعاطفاً شعبياً إسلامياً كانت فى أمس الحاجة إليه أدبياً على الأقل .

ثم هناك أعضاء وقيادات الحركة الجهادية لمسلمى تركستان الشرقية (الصين) ، الذين ورطوا الإمارة فى مأزق لا داعى له، وزاد المأزق السياسى للحركة أن الصين كانت مستعدة لإسناد الإمارة بشكل مباشر أو غير مباشر على شرط تسليم أو طرد أفراد الحركة المذكورة.

ولكن الملا عمر رفض وفضل أن يبقى وحيداً بدون ذلك النصير القوى لأنه رفض "تسليم مسلم لكافر"، أو أن يطرد مسلماً من أرض (الإمارة الإسلامية).

وهو المبدأ الذى تمسك به ودفع ثمنه سلطانه ومملكته.

ثم هناك الحركات الجهادية الباكستانية والكشميرية وكانت أوفر عدداً ولكن تواجد جهاز التجسس الباكستانى بين صفوفها أدى الى توريطات عسكرية وسياسية كانت تهدف الى التحكم فى المسار السياسي للإمارة بالعنف والتوريط . وأثر ذلك فى سياستها الداخلية بضربات عسكرية وتجاوزات على الأقليات العرقية. ثم أثر على سياستها الخارجية بتجاوزات عسكرية على مواطنى الإمارة من الشيعة، وضد عناصر القنصلية الإيرانية فى مزار شريف ومثل نسف معارض إيرانى سنى فى مسجد فى مدينة هيرات ثم إتهام إيران بالحادث.. وهكذا.

ثم هناك قافلة من الجماعات الجهادية متفاوتة الأهمية والحجم من مصر وليبيا وشمال أفريقيا وبلاد الشام.. وخاف كل منها حكومة تطالب وتضغط وتهدد بينما تجهل قيادة حركة طالبان موقع أكثر تلك الدول على الخريطة ويسألون فى كل مرة عن موقع كل واحدة منها بالنسبة للسعودية.. هل هى قريبة أم بعيدة عنها!! فهم يعرفون السعودية فقط بحكم فريضة الحج.

وكأن كل ذلك لا يكفى فأنشأت الإستخبارات الباكستانية "ملاذات آمنة" فى أوساط المتطوعين الباكستانيين لجماعات إجرامية تستخدمها فى إغتيالات داخلية فى باكستان.. تضبط بها مسير الحياة السياسية... وكانت قيادات فى حركة طالبان تتساءل ببراءة عن هؤلاء المتطوعين الباكستانيين، سيئى الخلق والذين لا يؤدون الصلاة إلا بالضغط والخوف من العقوبة!!.

ومع ذلك وفر المتطوعون الباكستانيون مدداً كبيراً من الرجال وكانوا فى معظمهم أصحاب عزيمة وشجاعة.. وأن كان ينقصهم الإنضباط والتدريب.

وكان المتطوعون المسلمون فى صفوف قوات طالبان أكثر ثباتاً فى القتال من غالبية القوات القبلية التى تخدم طبقاً لنظام التجنيد القبلى.وكانوا الأشد حماساً دينياً للإمارة الإسلامية ونظامها. وفى الحالات التى لجأت فيها القوات القبلية إلى الفرار والهزيمة كانت قوات المتطوعين تصاب بأكبر قدر من الخسائر فى الأرواح. لأنها كانت تثبت وتقاتل.. فيتمكن الخصم من حصارها وإبادتها أو أسرها.

فوضى العرب تسببت فى إنهيار أعصاب "ملا محمد حسن" رئيس مجلس شورى كابول وهو منصب يكاد أن يكون رئاسة للوزراء، فأصدر أمراً بإغلاق جميع المضافات ومعسكرات التدريب فى كابول، وتجميع كل العزاب فى معسكر قديم خارج المدينة.. وحتى لايكون القرار خاصاً بالعرب وحدهم فيتسبب فى حساسية قد تؤثر فى علاقته مع الإمارة، جعل الأمر شاملاً لجميع المتطوعين الأجانب. ونزلت قوات الإمارة كى تشرف بطريقة إستفزازية على تنفيذ الأمر بشكل عاجل وفورى. فتعالت الشكاوى من وفود المتظلمين إلى مقر الإمارة فى قندهار. وفى الأخير عاد الأمر إلى ما كان عليه. ولكن العلاج النهائى كان وضع كل قوات المتطوعين تحت قيادة موحدة، للقائد الأوزبكى ذو الخبرة جمعه باى، والذى إتخذ له نائبين الأول طاجيكى من بقايا كوادر حزب النهضة سابقاً- والآخر عربى وهو مسئول القاعدة عن قوات العرب شمال كابول.. ظل يمارس نيابة عن "جمعه باى" نفس مهامه السابقة.

قبل صدور قرار الإمارة بتنظيم قوات المتطوعين كان بن لادن قد وضع ثقلاً كبيراً خلف مشروع تكوين كتيبة العرب من أجل المساندة القتالية المنظمة لقوات الإمارة خاصة فى شمال كابول.

وقد لاقى بن لادن والقاعدة مشاغبة عربية من جانب أحد العرب الطموحين والذى تبنى نفس المشروع وحصل على مساندة من أجنحة داخل حركة طالبان معارضة لإبن لادن. ولكن بن لادن حسم المنافسة لصالحه فى المشروع المذكور. و عندما "ضاعت" قيادة المتطوعين من بين يدى القاعدة، توقف عن شراء المزيد من المعدات والأسلحة .. لكنه سلم جميع ما اشتراه للقائد الجديد و وأمر أتباعه الذين أصابهم الذهول ورفضوا التعاون مع جمعه باى فى البداية أمرهم بالطاعة والتعاون، وقد تم ذلك فعلاً بشكل جيد فساعد ذلك جمعه باى من الإنتهاء سريعاً من إعداد قوات المتطوعين شمال كابول ثم الإنتقال الى طالقان فى شمال أفغانستان لترتيب قوات المتطوعين هناك . حيث كان من المنتظر أن تدور المعركة النهائية من أجل تطهير الشمال تماماً من المعارضة المسلحة في غضون الأشهر القليلة المتبقية من هذا العام 2001م. وقد حشدت الإمارة حوالى15 ألف مقاتل لهذا الغرض وحشد المتطوعون الباكستانيون 800 مقاتل وحشد الأوزبك حوالى 300 مقاتل، وحشد العرب حوالى 150 مقاتل كلهم تقريباً متطوعون جدد قدموا حديثاً إلى أفغانستان ولم يكونوا بعد قد إنضموا إلى "القاعدة" وكان معهم عدد أقل من خمسة من كوادر القاعدة لمساعدة جمعه باى على تنظيم العرب.

وكانت تلك هى القوة التى خاضت الحرب فى شمال أفغانستان عند بداية الحملة الأمريكية.

وجميع القوات المذكورة أعلاه، مع إعداد إضافية وصلت فى الأيام الأخيرة، تضمنت عدة عشرات من العرب دخلوا أفغانستان ونقلتهم وزارة الدفاع مباشرة إلى طالقان، بدون مرورهم على القاعدة أو القيادة الجديدة للمتطوعين المسلمين.

جميع هؤلاء تم القضاء عليهم قتلاً وأسراً وإغتيالاً وبنسبه لا تقل عن90 في المائة للأفغان والباكستانيين، ولا يعرف ناجين من بين العرب حتى الآن.. وربما قد أبيدوا بشكل كامل.

**بن لادن :وجيشه الخاص**

تعيين قيادة أوزبكية للمتطوعين المسلمين عززت النزعة الإنفصالية عن الإمارة لدى بن لادن.. فى البداية إنتشر بين العرب أن زعيم القاعدة يبحث لنفسه ولتنظيمه عن مقراً آخر غير أفغانستان، ربما كان اليمن . وكان ذلك مستحيل عملياً، وإن صح القول فإنه كان مجرد تعبير عن الصدمة وخيبة الأمل فيما قامت به الإمارة.

ولكن من وقتها والتحركات العسكرية للقاعدة فى أفغانستان توضح أن زعيمها يجهز بشكل مستقل لمواجهة ضربة عسكرية أمريكية محتمل وقوعها فى أى وقت.

وقع بن لادن فى خطأ التبسيط المخل فى تصور المعركة القادمة كما وقعت "الإمارة" فى خطأ الإستبعاد الكامل لوقوع تلك المعركة أصلاً.

وهكذا أصبحت الهزيمة ممكنه ناهيك إذا أضفنا الأسباب العديدة والتى ذكرنا بعضاً منها والتى بإجتماعها أصبحت الهزيمة حتمية وليس فقط ممكنه.

لقد تصور بن لادن أن الضربة الأمريكية القادمة ستكون موجهة إليه وإلى القاعدة. وقد وقع بذلك فى فخ التضخيم الإعلامى له.. وقد كان واضح السعادة بذلك. ولكنه أخطأ حين لم يدرك أن الذى تريده أمريكا فعلاً ليس بن لادن والقاعدة فكلاهما قوة هامشية عائمة فى الفضاء وليس لها إمتدادات إجتماعية على التربة العربية وأن الخطورة الحقيقية والتى تريد أمريكا القضاء عليها هو الملا عمر وحركة طالبان.. فتلك هى القوة الإسلامية التى أبعدتهم عن أفغانستان، وتهدد بالإمتداد شمالاً عبر نهر جيحون، وجنوباً صوب باكستان ،حيث نقلت كثير من قبائل الحدود الباكستانية ولاءها الدينى صوب الإمارة الإسلامية فى قندهار.

لم يدرك بن لادن والعرب وكثير من المسلمين الفرق فى التأثير بين قيادة حيوية مندفعة فوق الأرض،وقيادة صنعها الإعلام وتستطيع من غير جذور اجتماعية، أن تحدث تفجيرات هنا وهناك.. الأولى خطر حقيقي يهدد بتبديل الموازين وتحتاج مواجهته إلى جيوش.. والثانية خطر أمنى تحلة أجهزة الأمن من المطارات مع عدد من المخبرين والجواسيس.

فبغير الملا عمر وحركة طالبان لم يكن ممكنناً للقاعدة وزعيمها الإستقرار.. وعندما تهاوت الحركة عسكرياً وإدارياً.. عندها لم يتبقى أمام العرب جميعاً.. سوى الهروب المذعور خارج الجحيم الإفغانى، وفى مقدمة طوابير الهاربين كانت القاعدة وزعيمها.. فأين كان ممكن الخطر الحقيقى على المصالح الأمريكية؟ .

والنتيجة الهامة هنا أنه بعد تعيين "جمعه باى" فى منصبه العسكرى وكان ذلك قبل المعركة الأمريكية بحوالى سته أشهر.. عكف بن لادن على تكوين قوة عسكرية من الأعضاء الجدد فى تنظيم القاعدة. واستخدم قوته تلك كلها فى (تورا بورا)، ولكن تفككت تلك القوة فى معركتها الأولى غير المتكافئة وسيئة الإعداد والإدارة.

بينما قاتلت القاعدة فى قندهار تحت قيادة كوادر القاعدة القدماء معارك دفاعية مقتدرة.. ولكن الوقت كان لسؤ الحظ .. قد فات.

# محاولـــة إغتيـــال فى قندهـــار

لم يكن صعباً على المراقب العادى أن يدرك وقتها أن التركيبة الجديدة فى أفغانستان أصبحت متناقضة لدرجة خطيرة مع النظام الحاكم للعالم، وتشكل مخاطر جمة على الكتل السياسية المحيطة بالبلاد.( **تذكر بشكل خاص المجهودات الباكستانية والإيرانية لإضعاف وإسقاط الإمارة الإسلامية ، فيما ظهر أنه حرب بالوكالة .. باكستان تنخر فى أعصاب حركة طالبان وتفككهامن الداخل ، وإيران تضرب رأس الأمارة بمطرقة تحالف الشمال التى كانت فى صدارة داعميه- وأثناء الحرب شاركت باكستان بقواتـها وفتحت أراضيها للقوات الأمريكية الغازية وفتحت إيران مجالها الجوى (لطائرات النقل العسكرية الأمريكية ) وبعد سقوط الأمارة إبتعدت باكستان عن المجال الأفغانى وغمر الجفاء علاقـتها مع الوضع الجديد . بينما عملت إيران على إستقراره ومد جسور التعاون والتبرع لـه ماليا بسخاء عبر ما يسمى دوليا بمشاريع إعـادة الإعمـار !!.** )

ومع كون قيادة حركة طالبان لم تكن تخطط أو تتوقع كل تلك المشاكل خاصة ما فرضه عليها لجؤ كل تلك الحركات الجهادية إلى أفغانستان ومن كل حدب وصوب.. حتى وجدت الحركة نفسها تواجه العالم كله.

وكانت فى البداية تظن أن معركتها ستكون محصورة ضد بعض القيادات الأفغانية المحلية المرتبطة بعدة دول مجاورة تتلقى منها الدعم.. وكانت حركة طالبان ترى نفسها بالتوكل على ا قادرة على ذلك.

حركة طالبان وقيادتها لم ترتكب من الأخطاء ما يجعل من نواياها وعزمها على تطبيق الإسلام موضع شك.. ولكنها إرتكبت العديد من الخطايا التى تشكك فى قدرتها العملية على إقامة دولة إسلامية أو قيادة ثورة إسلامية فى تلك المنطقة الحساسة من العالم.

من مزايا حركة طالبان كان إتحادها الرائع تحت قيادة رجل واحد، وطاعته بشكل دينى عقائدى، لايخطر فى بال أحدهم مخالفته.وحصل الرجل على تلك الميزة ليس لمكانته العلمية الكبيرة فدرجه (ملا) تعتبر متواضعة للغاية . ولكن جهادة ضد الشيوعية كان مشهوداً والأخطر منه كان ثورته على الفساد الداخلى وعدم تطبيق شرائع الاسلام فى ظل (حكومة المجاهدين!!) فى كابول على عهدى مجددى ثم ربانى. وكانت تلك خطوة مهولة، لم يتوقع هو أن ينجح فيها بل غاب على ظنه أنه سوف يقتل ويشيع باللعنات جزاء خروجه على أولياء الأمور فى كابول.

حمل الملا محمد عمر السلاح ضد قطاع الطرق من عصابات الحشاشين حول قندهار ورفع شعار تطبيق الشريعة والقضاء على المفسدين (كان على رأس هؤلاء المفسدين، جول آغا الذى أعادته القوات الأمريكية، حاكماً لقندهار، بعد سقوط نظام الأمارة الإسلامية) .

لم يطاوع الملا عمر فى ثورته سوى خمسة عشر شاباً من طلاب الشريعة الإسلامية (طالبان). لقد كانت مغامرة رهيبة نكص عنها أبطال الجهاد ضد السوفييت.

وعندما نجحت المغامرة أصبح الملا عمر زعيماً لايمكن منازعته. لقد وضعته قدراته القيادية ومبادرته الجريئة وتواضعه الزائد عن الحد ( وكان ذلك من نقاط ضعفه فى نفس الوقت) وضعه كل ذلك فى الصدارة المطلقة.

إذن لم يكن الملا من صناعة الإعلام، الحزبى منه أو الدولى، بل لم يكن يمتلك ولفترة طويلة أى نوع من الإعلام وعندما إمتلك ما يشبه الإعلام لم يسخره لخدمة نفسه.. وتنظيم (أو تحريك) طالبان كان تجمعاً دينياً تقليدياً ينتظم فيه بدون ترتيب إدارى

مسبق كل من يدرس العلوم الدينية القديمة.
وليس هناك أى شروط سياسية أو عرقية لهذا التجمع المتجانس مذهبياً وثقافياً.. وحتى إجتماعياً ولكونهم فى الأغلب من أبناء العائلات المسحوقه اقتصادياً".
ولكن هناك تنوعات كان يراهن عليها الخارج كى تتحول مستقبلاً إلى انشقاقات..
وكان ذلك غير ممكن فى ظل القيادة التاريخية للملا عمر.
كانت هناك التنوعات الجهادية السابقة وهى ثلاث تيارات رئيسية إنتمى كل منها الى قيادة علمائية مختلفة وقت الجهاد ضد السوفييت.
فهناك المجموعة الاكبر التى عملت تحت قيادة مولوى نبى محمدى زعيم "حركة إنقلاب إسلامى"، ثم هناك من عملوا تحت قيادة "مولوى محمد يونس خالص" زعيم "حزب إسلامى أفغانستان". ثم هناك المجموعة الأفضل تدريباً وتأهيلاً إدارياً وتلك التى خدمت مع مولوى نصر ا منصور، الذى إنشق منذ وقت مبكر عن مولوى محمد نبى محمدى فى عام 1981م ومن هذه المجموعة إبنه "سيف ا منصور" القائد العسكرى البارز فى حركة طالبان، والذى خاض معركة شهيرة ضد القوات الامريكية فى منطقة زورمات.
المهم فى التحليل الأخير، أن حركة طالبان سوف تفقد وحدتها وقيادتها التاريخية، وبالتالى المزايا التى مكنتها من النصر داخلياً فى حال أزيح الملا عمر واختفى من مسرح الأحداث.. ولا يأتى ذلك إلا بقتله.
وهذا يحل من الجذور مشكلة بن لادن والعرب الأفغان بل وأيضاً الحالة الإسلامية فى أفغانستان والتى تهدد بأن تكون ملاذاً إسلامياً آمناً بالمعنى الشامل وليس فقط للمجاهدين المسلمين.
وحتى تاريخ محالة الاغتيال فى (24-8-1999) والتى استهدف الملا محمد عمر كانت الحركة تسير بشكل مؤكد نحو السيطرة الشاملة على أفغانستان وكانت تسحب الأرض الأفغانية، بشكل ثابت ومتواصل من تحت أقدام تحالف الشمال.
..فى العاشرة ليلاً حدث تفجير هائل فى شاحنة مفخخة أمام مقر إقامة الملا محمد عمر. وتسبب ذلك فى أضرار ضخمة بالمنطقة ومنزل الملا عمر نفسه، ومقتل حوالى خمسة عشر من حراسه الشخصيين وبعض أقاربه وأحد أبنائه **(تصادف وجود الكاتب فى قندهار وقت الحادث . وتابع تداعياته فى قندهار ثم كابول) .**
وقدرت مصادر عربية الشحنة المتفجرة بما يعادل ثلاثة أطنان من المتفجرات كانت موضوعة بين براميل نفط قادم من الحدود الإيرانية "بواسطة المهربين".أصحاب الشاحنه المذكورة تظاهروا أن الشاحنه أصابها العطب عندما وصلوا مقابل منزل الملا عمر الواقع على الطريق الرئيسى الذى يصل مدينه هرات فى غرب البلاد بالعاصمة كابول.وظلت الشاحنة فى مكانها عدة ساعات. والطريف أن الملا عمر أثناء عودته من مكتبه الرسمى و الواقع فى سوق مزدحم وسط المدينة، أمر بسحب الشاحنة بعيداً.. وهى المحاولة التى ما أن بدأت حتى تفجرت الشاحنة بواسطة جهاز تحكم عن بعد.
..أهم ملامح تطورات السياسة الأفغانية الخارجية والتى يمكن أن يكون لها علاقة بالتفجير المذكور، هو ما حدث وخلال الأشهر السابقة من نفس العام من تقدم ما فى محاولات ترميم العلاقات المتصدعة بين قندهار وطهران كما أن بكين كانت عازمة على إتخاذ خطوات أكثر جرأة تجاه تطوير علاقاتها مع حركة طالبان، وسيرت خطاً

جوياً بين البلدين. وكلا التحركين من قندهار صوب طهران وبكين كان واضح الدلالة لدى واشنطن بأنه مشروع إنقلاب محتمل، وإن على المدى الطويل، فى إستراتيجية المنطقة.

فإتخذت واشنطن من التفجير فى أفريقياً ذريعة لعزل نظام طالبان عن العالم بواسطة فرض الحصار الدولى الذى قضى على أى شبح لعلاقات ولو عادية لكابول مع طهران وبكين.

السطات الأمنية فى قندهار بدأت منذ اللحظات الأولى عقب الإنفجار فى"مسح البصمات" وتنظيف مسرح العملية من الدلائل التى قد تقود إلى الفاعل الحقيقى، فلم يحدث فحص للحطام أو بحث عن الأدلة.. حسب نظرية (هندسة الفتنة) وبسرعة النار فى الهشيم إنتشرت إشاعة أن إيران تقف وراء الحادث- حتى أن قيادات مهمة فى "القاعدة" تبنت نفس النظرية، رغم أن قيادة أمن قندهار رفضت بعنف وعصبية مشاركة جهاز أمن القاعدة وخبراء المتفجرات بها، أو حتى وصولهم إلى موقع الإنفجار!!.. مدير جهاز الإستخبارات فى حركة طالبان نفسها، والذى وصل جوا إلى قندهار للمشاركة فى التحقيقات لم يجد أى نوع من التحقيقات.. بل أن رئيس أمنيات قندهار عاملة بجفاء وغلاظة، وطلب منه مغادرة قندهار وعدم التدخل فيما لا يعنيه(!!) .. وهو ما حدث فعلاً، فعاد إلى كابول على الفور.

–كانت هناك دلائل لا يمكن التغافل عنها بوجود "مؤامرة" إشتراك فيها جهاز أمن قندهار خاصة قائده العام وهو مشهور بإقامة علاقات تنسيق وتعاون مع جهاز المخابرات الباكستانية.

وقد تم عزله فى وقت لاحق، عقاباً له على هروب إسماعيل خان الزعيم الطاجيكى المشهور والمعادى لطالبان، من سجنه فى قندهار.

**( كان الملا عمر لا يثق فى رجال إستخباراته ويشك فى صدقهم ، ومن أقوله الشهيرة عنهم : أنا لا أقبل لهم شهادة أبداً سوى شهادة لا إله إلا ا   محمد رسول ا  ) .**

تفجير شاحنة قندهار تسبب فى المزيد من التصدع فى العلاقة مع طهران.. وأفقدها ميزة الخطوات القليلة التى تحركتها صوب التحسن.

بينما تكفلت العقوبات التى فرضتها أمريكا على أفغانستان عبر مجلس الأمن الدولى فى إصابه الخط الجوى الذى إفتحته بكين مع كابول بالشلل التام.

وهكذا.. تفجير من هنا، وعقوبة من هناك أصحبت حركة طالبان ونظام الإمارة فى أفغانستان مثل (زوبعة إسلامية) داخل "الفنجال" الأفغانى.

## "وكمـــان هونْكي" !!

لم تمر العلاقه بين حركة طالبان وزعيمها الملا عمر ، بفترة "شهر عسل" ولـو لـساعة واحدة مع جارتهم على حدودهم الغربية –إيران- بـل مـرت بعواصـف وأزمـات متتابعة.

بعضها نتيجة سوء فهم متبادل لتداعيات سريعة وعاصفة، ناتجة عن الـصعود والتقـدم السريع العاصف لحركة طالبان على الأرض الأفغانية وأخطاء كان لا يمكن تفاديهـا لحوادث غير متعمدة.

كما كان هناك أحداثاً أخرى تم "تصنيعها" عن عمد من "طرف ثالث" يهمة توتير العلاقات إلى درجة الصدام إذا أمكن،مثل حوادث قتل العالم الشيعى عبدالعلى مزارى (1994م) ثم إغتيال الدبلوماسيين الإيرانيين فى قنصليتهم فى مزارشريف 1998م.

ثم هناك الظلال التاريخية القاتمة التى تلف علاقة الأفغان – وأهل قندهار تحديداً – مـع إيران.

والمسألة ليست قومية فقط بل طائفية، كجزء من الصراع المشئوم بين السنة والـشيعة. والذى إكتسى حلة دامية تتناسب مع الطبيعة العنيفة للشعب الأفغانى.

**يقول التاريخ:**

(قندهار كانت فى عهد الدولة الصفوية (1502-1736م) جزءاً من تلك الدولة.

وأن أهالى قندهار وهيرات كانوا متذمرين من تلك السيطرة فقـام الـزعيم القنـدهارى ميرويس، من قبيلة "هوتك" بمطالبة البلاط الصفوى فى أصفهان بالتخلى عـن تلـك المناطق الأفغانية لكنه فشل.

فإنتقل إلى بغداد، ومن هناك إلى تركيا ،(ربما بحثاً عن العون والدعم لمشروع ثورة). ثم إنتقل إلى الحجاز لإداء فريضة الحج، وهناك حصل على فتوى من بعض العلماء "بتكفيـر الشيعة" فعاد إلى قندهار، وقام بثورة دامية قتل فيها – غرغين خان – الوالى الصفوى وقتل معه جميع العساكر الصفوية فى قندهار وأحيا إستقلال هذه البلاد مرة أخرى.

وتوفى "ميرويس" فى حدود سنة (1135هجرية) وخلفه فى الحكم إبنه الشاه محمود الـذى إستولى عل أصفهان عاصمة الدولة يومذاك، وقتل السلطان حسين الصفوى). (1)

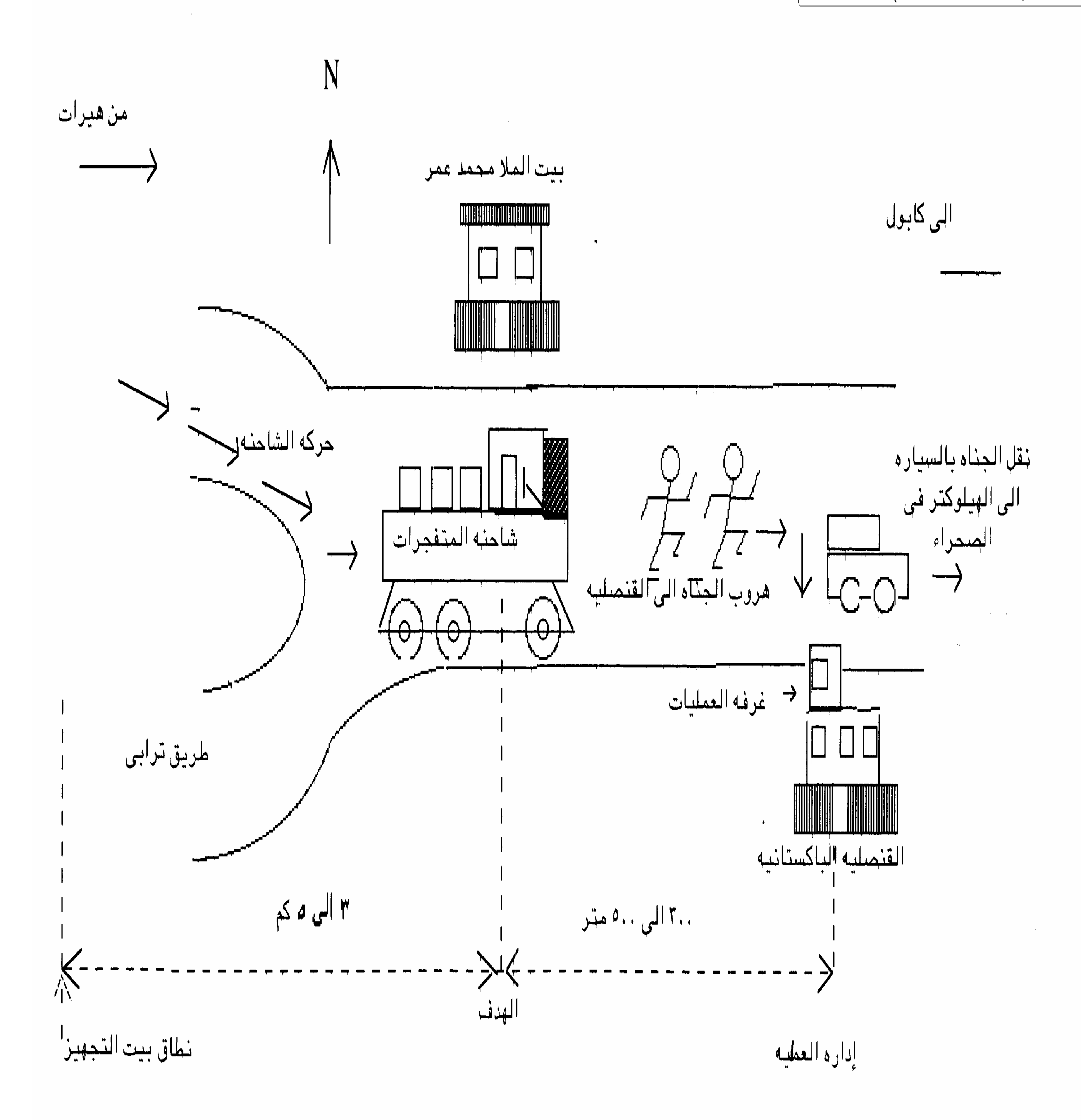
الزعيم ميرويس الهوتكى إستغل فتوى علماء الحجاز فى إبادة الشيعة فى قندهار وأخرج جزءاً منهم خارجها ومن نواحيها (وأزدادت من ذلك اليوم التفرقة الطائفية والتعصب الدينى بين السنة والشيعة يوماً بعد يوم). (2)

ولم تكن من مصادفات التاريخ السعيدة بالنسبة لإيران أن يظهر زعيم قنـدهارى جديـد على رأس حركة دينية من طلاب الشريعة، تغطى أفغانستان مثل العاصفة وتـستولى على معظمها.لم تقف سخرية القدر عند كون "الملا محمـد عمـر" الـزعيم الجديـد قندهارياً فقط.. ولكنه كان أيضاً .. من قبيلة "هوتك"!! ..وكأن صائحاً صرخ: قـالوا قندهارى فسكتنا .. وكمان هوتكى!!.. ذلك لا يمكن إحتماله.

---

**(1-2) كتاب: افغانستان تاريخيها و رجالاتها- الشيخ حين الفاضلى- دار الصفوة بيروت ص 83، ايضاً ص 158 و ص 187 .**

صورة منقولة عن دراسة عربية فى سبتمر 99م, حول محاولة
إغتيال الملا محمد عمر, بواسطة شاحنة مفخخة..وتثبت
الدراسة, ضلوع باكستان فى الحادث.. وتواجد أمريكي.. قريب
جداً يوجه و يشارك, ( من بعد مناسب) .




الملاحظه:إتجاه الحركه كلها موحده من الغرب الى الشرق فى إتجاه الحدود الباكستانيه مروراً القنصليه الباكستانيه، ومنها أديرت العمليه كلها، من الغرفه العلويه.

**الفصل الرابع**

# حرب الأفيون الثالثة

..كانت زراعة الأفيون بنداً رئيسياً فى أجندة الحرب النفسية التى إستمرت الولايات المتحدة فى شنها ضد نظام طالبان منذ عودة بن لادن إلى أفغانستان وحتى سقوط نظام الإمارة الإسلامية.

تضمنت قائمة الحرب النفسية بنوداً أخرى مثل:

1_ رعاية الإرهاب (أى عودة المجاهدين العرب إلى أفغانستان ).

2_ الإعتداء على حقوق الانسان (أى تطبيق الشريعة الاسلامية).

3_الحاجة إلى تشكيل حكومة موسعة فى أفغانستان (أى علمنه النظام وإيصال المتنصرين واليهود الأفغان إلى سدة الحكم).

الأسباب السابقة ،وغيرها، جعلت الحرب حتمية بهدف إسقاط نظام الإمارة الإسلامية بقوة السلاح.

ولكن (قضية المخدرات) هى التى تسببت فى جعل موعد الحرب مؤكداً وفى وقتها الذى حدثت فيه تماماً.. وكان ذلك التوقيت مطروحاً فى قندهار قبل موعد الحرب بعام كامل، أى مع بدء تطبيق قرار الملا عمر بالوقف الكامل لزراعة الافيون فى المناطق التى تسيطر عليها الامارة (95% من مساحة البلاد).

أما الأسباب الأخرى فكانت تجعل الحرب مؤجلة إلى حين إشعار آخر وعلى أمل فى إمكان تحقيق المطالب الأمريكية بمجرد الحصار الإقتصادى والسياسيى والحرب النفسية والضربات العسكرية المحدودة وعمليات الإغتيال المدروسة بعناية ( على نمط عملية شاحنة قندهار).

..أحد التقارير العربية التى رفعت الى الملا محمد عمر فى مقر إمارته فى قندهار قالت بأن قراره الخاص بالوقف النهائى لزراعة المخدرات سوف يحرم الإقتصاد الأمريكيى من دخل مقداره 400 مليار دولار سنوياًوهى خسارة لايمكن لأمريكا السكوت عليها.**(التقرير المذكور كان قد أعده الكاتب، الذى أجرى بحثاً ميدانيا حول زراعة الأفيون فى أفغانستان إستمر عدة اشهر فيما بين عامى 2000م، 2001م وزار معظم المناطق الهامة لزراعة الأفيون فى هلمند وجلال آباد ..وقابل الكثير من المزارعين والتجار الصغار وبعض التجار المتوسطين والكبار ، وجهاز مكافحة المخدرات لدى الطالبان ، ومسئولين أفغان يعملون مع الأمم المتحدة في نفس المجال .. والكثير من تلك اللقاءات مصور بالفيديو .. ومازال بعض هذه الافلام موجودا بحوزته ،وفقد أكثرها فى أحداث الحرب الأمريكية فى أكتوبر 2001).**

الحكومة الأمريكية كما الكثير من المهتمين كانوا لايتوقعون أن يكون قرار الإمارة جدياً، وأنه مجرد مناورة دعائية لكسب التعاطف الدولى وكانت التوقعات كلها لديهم، تشير إلى إستحالة المنع التام لزراعة الأفيون، الذى يشكل الدخل الرئيسى (وربما الأوحد) لمعظم الفلاحين فى البلاد. وفى ظل الحالة الإقتصادية المنهارة فإن حرمانهم من ذلك الدخل سوف يؤدى إلى ثورة وحرب أهلية ضد نظام الإمارة، خاصة وأن أهم مناطق زراعة الأفيون هى أهم مناطق نفوذ حركة طالبان والقبائل المؤيدة لها.. وذلك يعنى ببساطة سقوط نظام الإمارة الإسلامية بإنهيار داخلى لن يكلف أمريكا شيئاً.

وكانت القناعة الأمريكية تامة بصحة هذا التحليل، بدليل أنها لم تعر قرار المنع إهتماماً يذكر. وقد خدعها ذلك التحليل سابقاً عند نجاح الإمارة فى تخفيض نسبة زراعة الأفيون فى الموسم الانتاجى السابق (2000م) وكان قرار التخفيض، جزئياً وبنسبة حددتها الإمارة بثلاثين فى المئة فقط.. وكانت نتائج المحصول مطابقة تماماً لقرار الإمارة.. وظنت أمريكا ،والأمم المتحدة التى تراقب وضع الافيون نيابة عنها فى أفغانستان،أن التخفيض فى الإنتاج كان بسبب حالة الجفاف الذى أصاب البلاد وليس بسبب قرار الإمارة.. لقد رفضت أمريكا والبرنامج الدولى للمخدرات فى أفغانستان تصديق أن للإمارة تلك القدرة على القبائل بحيث تتيح لها التحكم بسهولة فى موضوع بالغ الحساسية والدقة في المجتمع الأفغاني مثل موضوع زراعة الأفيون.
التقرير العربى إلى الإمارة قال بأن أمريكا سوف تفاجأ اذا تم الحظر الشامل على زراعة الأفيون، وأنها لن تتحمل المجازفة بمنع الزراعة موسماً آخر.. وبناء عليه فإنها سوف تتدخل عسكرياً بهدف إتاحة الفرصة لزراعة الأفيون بشكل كامل.. ونظراً لظروف المناخ القاسى صيفاً فإن الهجوم الأمريكى سوف يكون غالباً فيما بين شهرى أكتوبر وديسمبر..(وهو موسم بذر حبوب الأفيون) والهدف من الهجوم سيكون إسقاط نظام الإمارة أو على أقل تقدير إزاحة نفوذها من مناطق الزراعة الأساسي خاصة فى هلمند (50% من الإنتاج) وجلال آباد (25% من الانتاج).
*بدا الأمر مستقراً بالنسبة للإمارة، التى كانت على ثقة من أن وقف زراعة الأفيون سيوقع ضرراً إقتصادياً بالغاً بالإقتصاد الأمريكى.. وكذلك بالإقتصاد الروسى .*
ولكن الإمارة لم تتصور حرباً تنشأ بسبب الأفيون، وبالذات من طرف أمريكا التى تقيم الدنيا ولا تقعدها حول موضوع مكافحة المخدرات.
وحتى عندما تم تذكير مسئولى الإمارة بالحقيقة التاريخية حول شن الحرب مرتين ضد الصين بواسطة بريطانيا لإرغامها على إستهلاك الأفيون البريطانى المزروع فى الهند، ظلوا يعتقدون بأن الزمن مختلف.. وأن الإحتمال ضعيف بنشوب حرب أفيون ثالثة ولكن هذه المرة من أجل زراعته فى أفغانستان.
ولكنهم على أيه حال سمحوا بالحديث حول هذه المعانى فى مجلتهم التى تصدر شهرياً من قندهار بعدة لغات منها العربية.
**(تقول نشرات الأمم المتحدة المختصة أن حجم تجارة المخدرات الدولية هو 400 مليار دولار . وظلت تكرر ذلك فى تسعينات القرن العشرين . لكن أكثر من مسئول كبير فى مجال مكافحة المخدرات فى الإقليم حول أفغانستان أكد للكاتب أن الرقم المذكور هو عوائد أمريكا من أفيون أفغانستان فقط).**

## بن لادن يرفض حرب الأفيون

.. موقف بن لادن إزاء التقرير المذكور حول حرب الأفيون الثالثة وموعدها القادم (أكتوبر - ديسمبر) كان عصبياً بدرجة غير معهودة. واتهم التقرير،وصاحبه طبعاً، بعدم الموضوعية وطالب بعدم ترويج ذلك الكلام بين العرب !!.
كان ذلك فى شهر أكتوبر( 2000م ) وقبل عملية التفجير البحرى فى عدن.
على الأقل كان هناك موضوعاً للإتفاق بين الإمارة وبن لادن وهو إستبعاد الحرب بسبب الأفيون. ثم كان هناك موضوعاً للإتفاق بين أمريكا وبن لادن وهو كون الأخير أهم موضوعات الكون..ومنه وإليه تبدأ وتنتهى موضوعات الحرب والسلام.
{فى أعقاب عاصفة الطائرات فى سبتمبر 2001م، ذكر دبلوماسى باكستانى لإذاعة غربية أن أمريكا كانت قد عرضت فى وقت سابق على باكستان المشاركة معها فى

حرب ضد أفغانستان ولكن باكستان إعتذرت بعدم وجود مبرر لتلك الحرب، فذلك يحرجها داخلياً، وكان الموعد المقترح لها هو أكتوبر عام 2001م}!!.
الذى لا يمكن أن يقوله الدبلوماسى هو أن باكستان قد تضررت بشدة من وقف زراعة الأفيون فى أفغانستان، فالمافيا الباكستانية هى الحلقة الوسطى بين أمريكا والأفيون الأفغانى وصناعة الهيروين فى المنطقة. لذا فالمصالح المالية المشتركة تجمع الدولتين فى حرب أفيون واحدة ولكن السبب الحقيقى للحرب لم يكن ممكناً الإفصاح عنه فى المناخ الأخلاقى المزيف الذى تغطى به أمريكا همجيتها الدولية.
كان لابد لها من غطاء لهذه الحرب.. وتحقق ذلك بسحابات التراب والدخان التى خنقت العالم كنتيجة لعاصفة الطائرات فى سبتمبر 2001م.. وبدأت الحرب وانتهت فى موعدها المتوقع سلفاً وأدت بدقة ما كان مطلوباً منها.. على الأقل المطالب العاجلة أى العودة المكثفة لزراعة الأفيون.
فوصل إنتاج الأفيون فى ظل العام الأول للاحتلال أمريكا الى حوالى خمسة آلاف طن (!!)بعد أن كانت صفراً فى العام الأخير من نظام الإمارة الإسلامية. مع العلم بأن أقصى معدل وصلته الزراعة فى عهد طالبان وقبل قرارات التخفيض ثم الحظر كانت 3600 طن.
ونشير هنا إلى الشريك الأول للولايات المتحدة فى سياستها وحروبها ألا وهو بريطانيا. لقد إنعكست الأدوار فى حرب الأفيون الثالثة عنها فى الحربين ضد الصين (أواسط القرن التاسع عشر) حين كانت بريطانيا فى المقدمة ثم تبعتها أمريكا ودول أوروبية أخرى (تكاد تكون هى دول الأطلسي اليوم) أما حرب الأفيون الثالثة فأمريكا فى المقدمة تليها بريطانيا ثم نفس البرابرة الأوروبين الآخرين.

**(حرب الأفيون الأولى (1840) إنتصرت فيها بريطانيا على الصين واحتلت جزيرة هونج كونج وجعلتها مركزا لتخزين الأفيون القادم من الهند الى الصين .**
**حرب الأفيون الثانيه (1856) إنتصر ( التحالف ) البريطانى الفرنسى على الصين ، التى أرغمت علـى توقـع معاهدة تجعل الأفيون مباح قانوناً فى بلادها . دول أوروبيه كثيرة طالبت الصين بامتيازات مماثلة لما حـصلت عليـه بريطانيا وفرنسا وقدمت الصين لها ما تريد .**
**من هذه الدول – الولايات المتحدة والمانيا وأسبانيا والبرتغال وهولندا) .**

## الأفيون و مركز التجارة العالمي

حجم التجارة الدولية الشرعية هو3 تريليون دولار تقريباً( **فى عام 1993**) .. نفس الإحصاءات تقول عن حجم التجارة غير الشرعية فى العالم، والتى يحتاج دخلها القذر إلى (غسيل) فى مصارف منعدمى الضمير من المرابين المستفيدين من الحركة التجارية الدولية، أنه يزيد عن ثلاث تريليونات دولار، تأتى أساساً من تجارة المخدرات، وبدرجة أقل،تجارات الرقيق الأبيض والأعضاء البشرية والهجرة غير الشرعية وتزييف العملة وغش الأدوية والتزييف التجارى .. ..إلخ.
وفى مقدمة الدول التى تجرى فيها العمليات غير الشرعية لغسيل الأموال.. وهنا المفاجأة للبعض.. هى الولايات المتحدة أولاً.. ثم بريطانيا.. إذن بغير مجازفة كبيرة يمكن القول أنهما أكبر دولتين فى العالم إستفادة من تجارة المخدرات الدولية (وعلى رأسها الأفيون الأفغانى الذى يشكل 75% من الإنتاج الدولى حسب إحصاءات 1998م وأكثر من 90% بعد عام 2001م ).
ويمكن القول أيضاً أن حجم الأموال المغسولة ( 3 تريليون) دولار لايمكن أن يتم بدون

تواطؤ الحكومة الأمريكية وإلا أين هى الأجهزة الأمنية ذات الإمكانات التكنولوجية المتفوقة التى يمكنها رصد ومصادرة عدة (سنتات) كانت فى طريقها لتمويل جماعات إسلامية تمارس الإرهاب!!

وكيف تراقب أجهزة الأمن الامريكية بموافقات دولية حسابات شتى وتصادر أرصدة مشبوهة.. ثم لاتعلن عن إجمالى ما تمت مصادرته منذ عاصفة سبتمبر وكم بلغ حتى الآن ؟.. فلنخمن نحن مع المبالغة ونقول أنها كانت ملياراً (والعياذ با ).. فكيف يستطيعون رصد المليار ولايمكنهم رصد عدة تريليونات تمر فى معظمها عبر بنوكهم؟؟.

**ملاحظة طريفة أخري مصدرها تجار الأفيون فى هلمند:**

يقول خبراء هذه الأسواق أن سعر كيلوجرام من الأفيون وصل الى 300 دولار بعد وقف الزراعة (وكان قبلاً 30 دولاراً فقط) ولكن فى صباح اليوم التالى لعاصفة الطائرات في الحادى عشر من سبتمبر 2001م فقد الافيون الخام 75% من قيمته فوصل إلى أقل من مئة دولار للكيلوجرام الواحد، ثم واصل الإنخفاض حتي عاد إلي الثلاثين دولاراً مرة أخري .

الإستنتاج الطبيعى حتى لغير الأذكياء أن هناك صلة مؤكدة بين مركز التجارة العالمى فى نيويورك والذى كان الضحية الأسياسية لعاصفة الطائرات وبين تجارة الأفيون العالمية.

بل أن تجارة المخدرات العالميةهى مكون أساس للنشاط المالى لذلك المركز المنهار. وأن الأموال المغسولة دولياً هى مكون رئيس لا غنى عنه للدورة المالية التى يرعاها نفس المركز .

إن هذا المركز والقوى المالية اليهودية التى ترعاه وتديره. ربما كانت فى أشد الحاجة إلى عملية كبرى لحرق الوثائق، والمستندات التى قد تؤدى إلى إنهيار الثقة فى نظام التجارة العالمية كلها..ربما كانوا فى حاجة إلى إحراق المركز نفسه.. أى أنهم.. كانوا فى حاجة إلى عاصفة الطائرات التى تحرق المركز التجارى بدلاً من أن تنهار وتحترق آلية التجارة الدولية نفسه التى هى منجم ذهب للمرابين اليهود.

**( إعتبر الدكتور النابلسي في كتابه (( الثلاثاء الأسود)) أن ما أسماه (( كارتل المخدرات)) من بين أصحاب المصلحة في ضربة 11سبتمبر( أنظر ص 365 في الكتاب المذكور) .**

**( قالت مصادر فرنسية أن السلطات الأوروبية صادرت عشرين ألف شيك محولة إلى اسرائيل بقيمة أربعمئة مليار دولار (!!) عائدات تجارة غير مشروعة فى الأسلحة والمخدرات وذلك في عام 2002م و أن شبكة مصارف إسرائيلية حول العالم تقوم بغسل عائدات تجارتها فى المخدرات و الأسلحة).**

ونسأل هنا عن حجم الأموال التى وصلت إلى إسرائيل بالفعل ولم يتمكن أحد من مصادرتها ؟ . وكذلك عن حجم المشاركة الإسرائيلية فى تجارة المخدرات مع العلم أن حصتها فى سوق تجارة السلاح الدولية لا تتعدى المليار دولار . إذن الأربعمئة مليار المذكورة كلها تقريباً من عوائد تجارة المخدرات . وعليه لابد أن تجارة المخدرات الدولية، قد تزيد عن قيمة التجارة الدولية فى جميع البضائع المشروعة . ثم نسأل عن نصيب أمريكا وبريطانيا فى حجم تجارة المخدرات وقواتهما فى

أفغانستان تحتل وتحرس أكبر حقول الأفيون فى العالم . وحتى تكتمل الصورة فقد عينت الأمم المتحدة بريطانيا مشرفة على برنامج مكافحة المخدرات فى أفغانستان ، رغم تاريخها الأسود فى حروب الأفيون ضد الصين .

**ملاحظة ذات معني:** كانت إسرائيل هى أول دولة فى العالم يتم أخطارها بموعد الحرب الأمريكية البريطانية علي أفغانستان قبل وقوعها بساعتين. حسب مصادر أمريكية

## دولارات الأفيون.. لمن؟

أثارت أمريكا فى حربها النفسية ضد نظام الإمارة الإسلامية قضية تشجيع حركة طالبان لزراعة الأفيون، وتمويل نفسها من عوائد تلك الزراعة، لشراء الأسلحة.

واعتمدت أمريكا كالعادة على تواطؤ إعلامى وسياسى دولي وكراهية مستشرية لكل ما يمت للإسلام بصلة.

الأمم المتحدة بدورها أخفت الأرقام الحقيقية من دهاليز الأوراق التى لا يرغب أحد فى الإطلاع عليها.. وحتى لو حاول أحدهم فإنه يصاب بالدوار والملل قبل أن يجدها.. ثم إذا تبقى لديه صبر فعلية أن يحاول فهم معانيها.

تقول الأرقام أنه بمحصول يبلغ 3600طن، حصل المزارع الأفغانى على حوال 90 مليون دولار تقريباً(إحصاء عام 1999م ).

معنى ذلك أن أفغانستان هى أكبر مزرعة مجانية للأفيون فى العالم.

هذا إذا علمنا مثلا أن دولة بورما تحصل على نفس المبلغ مقابل ثلث الكمية من الأفيون الأقل جودة. بمعنى أنها تبيع محصولها الردئ بثلاثة أضعاف سعر الأفيون الأفغانى الأكثر جودة.

وطبقاً للنظام الإسلامى فإن العشر الذى يفترض وصوله إلى خزينة الإمارة من عائدات الأفيون هو 9 ملايين دولار أو أقل ،لأن تكاليف الرى كانت متصاعدة نتيجة الجفاف وإنخفاض منسوب المياه الجوفية والحاجة إلى تعميق الآبار والإنفاق أكثر على وقود المضخات.

ثم هناك مشكلة أخرى جعلت العائد الفعلى أقل من نصف المبلغ المفترض وهو أن (العشر) يدفع تقليدياً (للإمام).. والإمام هنا فى مفهوم القرويين الثابت منذ القدم وبتأثير الملالى الصغار،كان هو إمام مسجد القرية!!.

من هنا ظهرت طبقة ثرية وصاحبة مصلحة فى زراعة الأفيون تمتص معظم "عشر" العائدات وتمنع وصوله إلى الإمارة.. فينفقونه بشكل شخصى، ولا يعاد ضخه إلى الصالح العام عبر بيت المال. لهذا كان هؤلاء "الأئمة" أشد المعارضين لقانون وقف زراعة الأفيون، ولم ينصاعوا إلا بعد مجادلات فقهية تفصيلية ومطولة وبضغط الهيبة الدينية لمنصب أمير المؤمنين.. لقد جادلوه بأن الشرع لم يمنع زراعة الأفيون وهدد بعضهم بالعصيان والتحريض عليه.

كان دفاعهم عن مصالحهم المالية شرساً.. فحالة الرفاه التى وصل إليها بعضهم كانت أكثر مما يتمتع به معظم زارعى الأفيون.

لقد إمتص هؤلاء جزءاً كبيراً من ذلك العشر المتواضع بحيث لم يتبق للإمارة سوى الفتات من الأموال، وأعاصير من التشنيع، وتلويث السمعة، حتى فى الوسط الإسلامى الذى يستمد آراؤه ومواقفه من الإعلام الدولى.

دافع الملا عمر أمام (الملالى) عن قراره متذرعاً بالمصلحة العامة للمسلمين وليس

بمناطق الحلال والحرام.. وشرح لهم واقعاً هم أدرى الناس به، لأنه واقع مزارعى الأفيون الصغار وهم الأغلبية، فقد طحنتهم الديون الربوية وغرقوا فيها.. وأغراهم الثراء السريع الذى لا يأتى وتكلفة الزراعة التى ترتفع بجنون نتيجة الجفاف والتوسع غير المنطقى فى الزراعة، ثم غلاء الأسعار فى مناطق زراعة الأفيون وتكاليف الزواج الجنونية.

كان المزارعون فى نيران لايدرون كيفية الخروج منها أو البديل عنها..فإنتشرت ظاهرة تعاطى الأفيون وحتى الهيروين وكان القدماء يتعالجون بالأفيون ولا يتعاطونه.

كان المنع الكامل لزراعة الأفيون مغامرة كبرى من جانب الملا عمر.

فقد تسبب فى خسائر بالمليارات لأعدائه، ولكنه مواطنوه خسروا عدة ملايين هى كل ما يتعلقون به ليظلوا أحياء.

منذ صدور قرارة فى خريف عام 2000م، بدأت علامات الترنح على الإقتصاد الأمريكى وظهرت بوادر أزمة كبيرة، سارعت وتيرتها عاصفة الطائرات التى هبت بعد ذلك بعام.

[والعجيب أن العجز فى الميزانية الأمريكية لعام 2001م، وهو العام الذى إختفى فيه محصول الأفيون الأفغانى من الأسواق، بعد أن منعت الإمارة زراعته، ذلك العجز كان مقداره ( 417 مليار دولار) أى بقدر العائدات الأمريكية السنوية من أفيون أفغانستان] .

## طعنة... من باكستان

..فى ربيع( 2001م )عند موسم حصاد الأفيون الذى إستبدله المزارعون بما تيسر لهم من محصولات أخرى.. أهمها القمح والفواكه.. ظهرت الفاجعة الإقتصادية فى مناطق كانت بؤرة "الرخاء" فى بلد يعانى من شبه مجاعة. فنقل المحصولات الجديدة إلى أسواق المدن القريبة إستهلك ثلثي ثمن المحصولات.. نتيجة سؤ الطرق أو إنعدامها فمعظم الولاية (هلمند) مازال صحراوياً لا طرق فيه رغم أنها تنتج نصف أفيون البلاد.

والقوة الشرائية فى المدن أضعف من أن تدفع أسعاراً معقولة للمحاصيل الجديدة كما أن إستهلاكها قليل جداً.. لضيق ذات اليد.

الذين أسعفهم الحال فى تصدير القمح والفاكهة إلى أقرب الدول المجاورة وهى باكستان واجهتهم مؤامرة محكمة غزلتها أيدى الدول الغارقة فى مليارات الأفيون والتى ترغب فى تلقين الأفغان وحكومة الإمارة درساً لن تناساه..

لقد تآمروا لأجل مضاعفة خسائر الفلاحين الأفغان.

فباكستان الإسلامية الشقيقة (!!) والتى كانت فى الأعوام السابقة، تمنع بحكم القانون، بيع قمحها إلى جيرانها الجوعى فى أفغانستان.. أغرقت السوق الأفغانى فى هذا الموسم بقمح ردئ ورخيص جداً.. فاقبل الناس الفقراء عليه وبار القمح الأفغانى الأجود.. والأغلى!!.

أما الفاكهة الأفغانية- المحصول الثانى بعد القمح من المحاصيل البديلة للأفيون فكان مصيرها أسوأ.

فى الأعوام السابقة كانت باكستان تستورد الكميات الأكبر من الفواكه الأفغانية لجودتها وإنخفاض سعرها وبالتالى فهى تحقق هامشاً أوسع للربح فى السوق الباكستاني.

ولكن هذا العام.. وحتى يتعلم الأفغان درساً يذكرهم بحتمية زراعة الأفيون وكونها قدراً مصيرياً لشعب لايجد وسيلة أخرى للبقاء على قيد الحياه.. هذا العام ولأول مرة فرضت باكستان رسوماً جمركية وصلت إلى ثمانية أضعاف سعر الفاكهة!!.. ومع هذا كانت تماطل فى دخول الشاحنات المحملة بالفاكهة حتى يتلف ما بها وحتى يتلقى الموظفون الباكستانيون (المشهورون بالنزاهة) المزيد من الرشاوى مع التوسلات.

نذكر هنا أن القمح الباكستانى لم يكن رديئاً فقط ولكنه كان غير صالح للإستخدام وقد رفضت إيران إدخاله إلى أراضيها ضمن صفقه كانت متفق عليها بين البلدين.

فتحول القمح الفاسد إلى أفغانستان، فى إطار حملة لتدمير المحاولة الأفغانية للإعتماد على محصول آخر غير الأفيون.

مسئولين كبار فى وزارة التجارة- بالإمارة الإسلامية ظهر عليهم الثراء فجأة وقال تجار باكستانيون أن هؤلاء الكبار تلقوا عدة ألاف من الدولارات كرشاوى للإشتراك فى المؤامرة على بلادهم.

ولكون هؤلاء الكبار من قبائل قندهار.. فإن إجراءات عقابهم أو حتى التحقيق معهم كانت مترددة جداً وخجولة ولم تلبث أن بدأت الحرب، وهطلت الصواريخ الأمريكية على قندهار قبل أن تتفاعل قضية الفساد.

يخطئ من يظن أن أمريكا دولة بالغة القسوة.. فقد واصلت مساعداتها للفلاحين الأفغان من أجل.. زراعة أفضل للأفيون، وأغزر إنتاجاً!!،رغم أنها لم تقم علاقات دبلوماسية مع طالبان.

ولكن فى كل عام تصل إلى أفغانستان بذور جديد ومحسنة لنبات الافيون..

وبإجماع التجار الكبار كان مصدر البذور هو الولايات المتحدة، ومعامل تابعة لها فى دول من جنوب شرق آسيا.

وهكذا تضع تلك الدولة "الأعظم فى التاريخ" قدراتها العلمية والتكنولوجية لإسعاد العالم وتغييبه عن الوعى.. والذى يستعيد وعيه قليلاً تتكفل "الفضائيات" بطمس معالم تفكيرة.

## الأفيون والسياسة

العجز السياسى لنظام الإمارة الإسلامية سواء كان ذلك العجز ذاتياً أو مفروضاً عليهم بحكم توريط الحركات الإسلامية المهاجرة ..إلا أن ذلك العجز السياسى هو الذى تسبب فى ظهور أزمة الأفيون فى أفغانستان، وتلطيخ سمعة نظامها دولياً.. فالأفيون أو غيره من المخدرات الطبيعية والمصنوعة هي وسيلة قوة فى عالم السياسة والإقتصاد ولا تتحول إلى أزمة إلا فى حالة حدوث خلل فى التفاهم مع النظام الدولى.فلا أحد يسمع إلا نادراً عن مجرد أسماء هؤلاء المستفيدين والمشاركين فى دورة إقتصادية للمخدرات تزيد قيمتها عن ثلاثة تريليون دولار.

وذلك قد يبدو للفرد العادى شيئاً غير منطقى، ولكنه للأسف واقعى تماماً. فالدورة الشيطانية تدور بهدؤ وسلاسة وبعيداً عن الأعين إلا إذا أخطأ أحد اللاعبين أو توجبت عقوبته لأسباب ما.

هناك دول محترمة وغير محترمة، وشخصيات عامة براقة أو خافته.

وأناس فى الظلام أو الظل.. وجبل من الجليد العائم لايظهر سوى أنفه ولكنه إقتصاد قوى وفعال ويؤثر قطعاً وبعمق فى أى نشاط قانونى آخر لبنى البشر.

..حركة طالبان دفعت ثمن موقفها الدينى والسياسى تحت دعوى زراعة المخدرات التى يقل مدخولها للأفغان عن دخل الكثير من لاعبى كرة القدم فى أوروبا.

**(فى عام 2000م ذكرت صحيفة بريطانية أن روسيا وبريطانيا قد طورتا مادة بيولوجية لرشها من الجو على نبات الأفيون فى أفغانستان وتدميره .. والآن بعد أن أصبحت أفغانستان بين أيديهم أين ذهبت هذه المادة ، ولماذا لا تستخدم ؟ ولماذا تحول الأمر إلى العكس وتزايد الإنتاج وارتفعت الأسعار ؟.. بل تشير التقارير أن مافيا المخدرات الروسية تحقق أرباحاً سنوية تزيد عن 250 مليار دولار و تحت سيطرتها ما يزيد عن 400مصرف حول العالم لغسيل أموال المخدرات القذرة و أن جرعات المخدرات الزائدة تقتل 70 ألف روسي سنويا!!!) .**

## الأفيون وحقوق الإنسان:

عندما أوقفت "الإمارة" زراعة الأفيون، لم يسلط الغرب الأضواء على الحدث بل إستقبله بالموسيقى الجنائزية وقالت الأمم المتحدة بنبرة حزينة أنه قرار ينافى حقوق الإنسان (!!) لأنه لم يتم بالتدريج (وسوف) تستخدم فيه القوة!!.. مع العلم أنه لم تطلق طلقه واحدة أو يدخل أحد السجن لإرغامه على تنفيذ القرار.. وكانت صدمة للغرب أن طبق الأفغان القرار الذى دمرهم، وعن طيب خاطر،لمجرد أنه صادر من "أمير المؤمنين" الذى يمثل عقيدتهم الدينية.

وحتى الكتاب السنوى الذى تصدرة المنظمة الدولية حول تطورات برنامج مكافحة المخدرات فى أفغانستان لم يصدر فى عام 2001م حين كان المحصول الأفغانى صفراً تقريباً ما عدا المناطق القليلة التى يسيطر عليها تحالف الشمال".

وقد ضغطت الإمارة على مكتب (السيطرة على المخدرات) التابع للأمم المتحدة، من أجل إصدار الكتاب فى موعده المعتاد، وهو صيف كل عام، والذى سيكون فى هذه المرة وثيقة دولية تبرئ الإمارة وتعلى سمعتها فى العالم. ولكن المنظمة الدولية راوغت بفظاظة، حتى فهم مسئولى الإمارة، أنها لن تصدر هذا الكتاب أبداً، وحذرهم متطرفون عرب من أن ذلك قد يكون من مؤشرات حرب أفيون ثالثة، قد تبدأ مابين أكتوبر وديسمبر. لذا لاتريد أمريكا طبع ذلك التقرير الذى سيكون بمثابة نصر سياسى ودعائي للإمارة فى وقت تريد حصارها سياسياً وتشويه صورتها دعائياً، تمهيداً للحرب القادمة. ولكن مسئولى الإمارة ظنوها مبالغة عربية أخرى، وإستمعوا إليها باسمين. ولم تكن عاصفة الطائرات قد هبت بعد، على البر الأمريكي.

ولكن عندما جاءت الحكومة الأمريكية لأفغانستان والتى يرأسها الأمريكى الأفغانى "حامد كرزاى" وعندما إرتفعت التقديرات لمحصول الأفيون الافغانى لعام (2002م) بما يصل الى خمسة آلاف طن..قالت القائمة الأمريكية الرسمية التى تحتوى أسماء الدول تزرع المخدرات أن أفغانستان لم تعد من بين تلك الدول!!!.

والأمم المتحدة التى تحاول الحفاظ على ماء وجهها والتوازن ما بين حقائق يعرفها الجميع وما بين المطالب والمصالح الأمريكية.. حاولت المنظمة الدولية إمساك العصا من الوسط وقالت أن أفغانستان " فى عام 2002م" ما زالت تنتج نصف الأنتاج العالمى من الأفيون. "فإذا كانت خمسة آلاف طن هى نصف الإنتاج العالمى فلا شك أن مواطنى العالم أصبحوا يزرعون الأفيون فى حدائق البيوت وشرفات لمنازل". ولكن الإحصاءات الرسمية للأمم المتحدة، قالت بأن إنتاج أفغانستان من الأفيون لعام 2002م، هو 3400طن فقط، وإن ظل سعر الكيلو جرام من الأفيون ،على باب المزرعة، هو 340 دولار، أى أنه لم ينخفض عما كان عليه عندما منعت حركة طالبان زراعته، أى عندما وصل حجم ناتج الأفيون فى أفغانستان إلى أدنى مستوى له

فى التاريخ، قدرته الأمم المتحدة ، مع المبالغة، بما يعادل، 180 طن فقط. وهذا يعنى بعملية حسابية بسيطة أن دخل أفغانستان في العام(2002م)، من الأفيون 1190مليون دولار، فى مقابل 90 مليون دولار فقط، فى أفضل مواسم الزراعة، قبل أن تمنعه حركة طالبان، أى أن عائد الأفيون زاد فى العهد الأمريكى أكثر من 13 ضعفاً، عما كان عليه فى أقصى مستوياته السابقة. ذلك كله يشير إلى إندفاعة أمريكية عظمى، لشراء الأفيون الأفغانى، ودفع أسعار معقولة للمزارعين، بما يوفر أرضية شعبية لنظام كرزاي، ويشجع باقى القطاعات الزراعية على بذل المزيد من الجهد فى التوسع فى زراعة الأفيون، وسحب الأرضية من تحت أرجل حركة طالبان، التى تعمل تحت الأرض فى مناطق الجنوب، حيث تزدهر تلك الزراعة، والتى أدت سياسة طالبان إلى تدميرها إقتصادياً عندما منعت زراعة الأفيون بشكل تام.

**(فى مؤتمر برلين للدول المانحه فى أبريل(2004م) كان كرزاى يبتز الدول الأوربية بورقة الأفيون طالبا ثلاثين مليار دولار حتى يتمكن من بناء البلد ومنع زراعة الأفيون – تعليقات خبراء حضروا المؤتمر قالوا أن عائدات أفغانستان من الأفيون وصلت الآن من ثلاثةإلى تسعة مليارات دولار!!! . وأن أفغانستان أصبحت تنتج80 % من أفيون العالم . المهم أن كرزاى** حصل على وعود بدفع **8 مليار دولار من المعونات . هذا والدلائل تشير أن الأفيون الأفغانى فى تصاعد من حيث الكمية والسعر ، بما يدل على توسع كبير فى أسواق الاستهلاك ، وقدرة خرافية على التوزيع) .**

## أمريكا تقرر:
## حرب أفيون .. لا إنتفاضة أفيون

أمريكا تعمل بوجه مكشوف وبلا حياء أو حساب لمصالح الحلفاء والشركاء الصغار، حتى إضطرت لجنه مكافحة المخدرات التابعة للأمم المتحدة إلى إستبعادها وبإجماع الآراء نظراً للعراقيل التى كانت أمريكا تضعها أمام اللجنة المذكورة.
حاولت حكومة "اللإمارة" لعدة سنوات، الحصول على تصريح من الأمم المتحدة بزراعة مساحات محددة بالأفيون ثم بيعه تحت إشراف المنظمة الدولية وبالسعر الدولى لشركات الدواء العالمية ثم إستخدام العائدات لإعمار أفغانستان.ولكن المنظمة الدولية لم ترفض فقط ولكنها نفت وجود أى تصاريح من جانبها فى هذا الصدد. وذلك غير صحيح، فالعديد من الدول تحصل على تلك التصاريح. الهند مثلاً كانت تبيع بهذه الطريقة إلى شركات الدواء بما يزيد على مليارى دولار سنوياً"فى بداية التسعينات"
ولكن الحقيقة التى لايمكن البوح بها هى أن تلك التصاريح (غالباً) هى من قبيل المكافآت أو الرشاوى السياسية لشراء مواقف تلك الدول بل وتوظيفها فى أدوار إقليمية ودولية ضمن رؤية الشيطان الأكبر.
وأمريكا ليست حمقاء إلى درجة أن تضع عدة مليارات فى يد نظام "الإمارة الاسلامية" القائم على تطبيق الشريعة والقائم على حماية الشعب له وليس فقط مساندته.
الحقيقة أن الرواج الذى أوجدته زراعة الأفيون فى أفغانستان كان زائفاً والفوائد فى معظمها ذهبت إلى جيوب قلة من كبار تجار الأفيون ،وليس الصغار منهم..
وهؤلاء عملوا كمصارف ربوية تحت غلالات رقيقة لتفادى الحكم الشرعى فى الربا، فقذفوا بالفلاحين الصغار فى دوامة شيطانية لافكاك منها.. فهم يعملون بأقصى طاقتهم للحصول على عائدات هى نسبياً كبيرة إذا قيست بأى محصول آخر.. لكن المال

يصب فى جيوب الأخرين.
وهكذا كان الفلاح الأفغانى يخوض وحيداً معركة قاسية من أجل البقاء. وقرار "الإمارة" بالوقف النهائي لزراعة الأفيون تسبب في دمار يصعب تخيلة لإقتصاديات فقراء الريف، وتسبب فى ضياع الآلاف بالهجرة أو بالسجن نتيجة العجز عن سداد الديون، كما إضطروا حتى إلى بيع البنات (فى زواج بدون مهر) مقابل شطب جزء من الديون لدى المرابى!!. وكثيرون باعوا أراضيهم وبيوتهم بأبخس الأسعار، وبعضهم تركها وهرب.. والعديد فقدوا عقولهم وهاموا فى الطرقات وعلى أبواب المساجد.
وتكدست المزيد فى الثروات والعقارات فى أيدى وحوش الريف من المرابين.
ومع فشل زراعة المحاصيل البديلة ،القمح والفواكه، بالطريقة التى ذكرناها.. وتآمر باكستان (وأمريكا خلفها)، كان من المستحيل عملياً تجديد وقف زراعة الأفيون لعام آخر (2002م).. وجهز العديد من الفقراء أنفسهم لتحدي الإمارة.. وكذلك الكثير من كبار تجار الأفيون فى الداخل والخارج ..حتى أن بعض التجار أعلن صراحة من خلف الحدود الباكستانية أنهم بصدد شراء الأسلحة وتوزيعها علي الفلاحين للمقاومة "**أكد عدد منهم ذلك فى أحاديث مع الكاتب، مسجلة و مصورة بالفيديو**" .
ولكن "أمير المؤمنين" من جهتة أعلنها قاطعة بأن الحظر سيستمر.. كان هناك صداماً قادماً لامحالة.. ومداه مجهول ولكنه ينذر بالخطر الجسيم.
الإمارة مصممة.. والفلاحون يائسون.. وأمريكا لن تسمح.. وباكستان متضررة.. وروسيا لم يعد يكفيها أفيون الشمال.. الذى تناقص كثيراً مع تناقص الأرض الواقعة فى قبضة التحالف الذى ترعاه وتشارك فى تسليحة.
إذن تحالف الشمال سيكون حتماً حسب ،التوقعات وقتها، ذراعاً عسكرياً أساسياً لإنتفاضة الأفيون المنتظر حدوثها فى موسم "البذار" القادم (أى من اكتوبر حتى ديسمبر 2001م).
ولكون أمريكا لا تستطيع المجازفة بفقدان عائدات الأفيون الأفغانى لعام آخر.. فلربما تمكنت الإمارة من قمع الإنتفاضة المتوقعة وجددت الحظر لعام آخر.. وهو ما لا يمكن أن يتحمله الإقتصاد الأمريكي المترنح. لابد إذن من (عاصفة طائرات)، كعنصر منشط فى كيمياء السياسة الدولية لتحويل "إنتفاضة الأفيون" إلى حرب كاملة شاملة.. إلى حرب أفيون ثالثة.. تُعرض دولياً على أنها حرب ضد الإرهاب.. وتلك فائدة واحدة من سبعمئة فائدة على الأقل جنتها أمريكا من "عاصفة الطائرات" فى سبتمر 2001م.

## الأفيون بين أفغانستان وإيران

فى السياسية الإقليمية كان لقرار الإمارة أثراً عظيماً.. وإن كان سلبياً فى مجملة كما إستعرضنا سابقاً، ولكن المفارقة كانت على الجانب الغربى من الحدود حيث (الجمهورية الإسلامية الإيرانية) التى ناصبت نظام الإمارة عداءاً غير محدود.. وساندت فى المقابل تحالف الشمال عسكرياً وسياسياً وماليا.ولكن قرار وقف زراعة الأفيون كان قراراً سياسياً من الدرجة الأولى، وأخطر مما كان منتظراً، أو يتوقع القادة فى إيران من نظام طالبان الذى صنفوه "أمريكيا" وأحرقوه إعلامياً، حتى صار مجرد ذكرة يثير قرف رجل الشارع فى إيران.

ولكن وقف زراعة الأفيون كان من المفترض أن يضع النظامين فى خانة المصالح الحيوية المشتركة، وإن تستبدل العداوة إلى صداقة، فى واحدة من اللمسات السحرية الشائعة فى عالم السياسة.، ولكن خنادق العدوات العميقة والشكوك المتبادلة كان من المستحيل القفز فوقها هكذا دفعه واحدة، فى ظل تعقيدات دولية. ورأى عام داخلى متوتر ومشحون.

تقول السلطات الإيرانية المختصة أن نصف الأفيون الأفغانى يتوجه إلى الأراضى الإيرانية.جزء منه يستهلك داخلها.. وجزء يعبر صوب أوروبا.. وأن النظام الداخلى للجمهورية مستهدف من الأعداء الخارجيين، والمخدرات أحد وسائل إضعافة.

وأن التصدى لهذا الخطر كلفهم حياة أكثر من ثلاثة آلاف من جنودهم فى حروب مع عصابات التهريب،ومليارات الدولارات تكلفة المكافحة..ومع ذلك فالكميات المستهلكة داخلياً فى تزايد وكذلك ضحايا الأدمان..( 5 .2 مليون مدمن إضافة إلى1.5 ملْيون يتعاطون المخدرات أحيانا، طبقال الإحصاءات رسمية مع 11 مليار دولار تكلفة مكافحة إدمان!!) .

الحل الوسط الممكن كان تقديم مساعدة محدودة "لنظام طالبان" لتثبيت منع زراعة الأفيون وهو القرار الذى إن إستمر، ستكون إيران فى صدارة المستفيدين، بل وأكثر إستفادةً من الأفغان أنفسهم.

وظلت الشكوك عالقة: فماذا لو صحت الدعاية الأمريكية القائلة أن نظام طالبان إختزن آلاف الأطنان من الأفيون، وقام بهذه التمثيلية لمجرد رفع الأسعار وتحقيق أرباح؟!.

ومع ذلك قررت إيران تخصيص عدة مئات من آلاف الدولارات فى تجربة دعم محدودة.. لعل وعسى..!!

وكانت الأمارة فى أشد الحاجة إلى أى نوع من الدعم، وكان ذلك الدعم الضعيف من الجارة اللدود، أكثر مما كانوا يتوقعون.. وفى أشد الشوق إليه، حيث لاشئ لديهم بالمرة لمساعدة منكوبى الأفيون، الذين دمرهم قرار المنع المفاجئ لزراعة مصدر رزقهم الأوحد.

وكانت المحاصيل البديلة ،قمحاً وفاكهة، تملأ أرصفه قندهار.. وتلفت أكثر الفاكهة.. وتمكن الفقراء من شراء كميات كبيرة بأرخص الأسعار.. أما القمح الأفغانى فلا يجد من يشتريه، وقد غطى القمح الفاسد أسود اللون الأرصفة قادماً من باكستان.

وبينما أبعاد الكارثة الإقتصادية تتكشف تدريجياً.. والصيف يزحف بحرارة لاهبة على صحارى هلمند وقندهار التى ضربها الجفاف للعام الرابع.. ونظرة الناس للحاضر والمستقبل يائسة.

كانت الإمارة تبحث عن شئ ما تقدمه لمنكوبى "الزراعة البديلة" الذين فقدوا كل شئ.. بينما الخزائن الخاوية للإمارة غير قادة على تقديم العون.

لم يكن مفتوحاً من أبواب الأمل سوى تلك المساعدات القليلة التى يمكن الحصول عليها من إيران.. وبعد أسابيع من البحث الميدانى، تأكد مسئولوا مكافحة المخدرات فى إيران أن المنع الأفغانى كان حقيقياً ويستحق الدعم.. وأنه يصب فى خانة مصالحهم.

وصلت الدفعة الأولى من المساعدات الإيرانية الزهيدة وتم وضعها فى ساحة القنصلية فى هيرات، وباقى شحنات المساعدة تقف على الحدود أو تتحرك صوبها.. فالوقت كان هاماً لتدارك منكوبى هلمند.

وصلت سيارات ومعدات إتصال وأسمدة وحبوب وبعض ماكينات الزراعة والرى.. والباقى فى الطريق..
ولكن.. هناك من لا يسمح بكل ذلك..
1- فالذين ضربوا المحاصيل البديلة لزارعى الأفيون، أرادوا ضرب أى مساعدة لهؤلاء المزارعين حتى لايتمكنوا من الصمود، وحتى يتحقق لهم أن زراعة الأفيون هى حتمية لا محيص عنها!!.
2-كما أن هناك خطأ أحمراً وضعه هؤلاء على تسرب النفوذ الإيرانى إلى مناطق البشتون.. فما لهم وقد وصل الإيرانيون الى هلمند وقندهار قرة عين البشتون وعمود النظام القائم؟؟.
3-هذا بينما المعادلة السياسية النافذة فى المنطقة تقضى بإبقاء حقول الألغام "والحرب الباردة بين نظامي الحكم فى كل من "الإمارة الإسلامية" و"الجمهورية الإسلامية".
وأن تتحقق على أرض تلك المنطقة أهم تطبيقات ( هندسة الفتنة) المشار إليها فى موضع سابق، وأكثرها نجاحاً على الإطلاق.
*****
من وجهة نظر أمريكية لا بد وبشكل عاجل تنفيذ الإجراءات التالية:
..خنق المزارعين لأحباط سياسة منع زراعة الأفيون.
..ضرب أى محاولة للتقارب بين الإمارة والجمهورية خاصة فى مجال وقف زراعة المخدرات. التى هى نقطة ضعف فى الأمن القومى الإيرانى فالمتوقع أن يزداد هذا التعاون إذا أتيحت له الفرصة وقد يصل إلى ما لا يحمد عقباه بالنسبة لما ترغب فيه أمريكا لهذه المنطقة من العالم.

**<u>الرد كان نموذجياً فى مجال الحروب السرية وتحديد المسارات السياسية (بالدم):</u>**

أ –فى مدينة هيرات الحدودية، عند صلاة الجمعة إنفجرت "دراجة" مفخخة فى مدخل أحد مساجد المدينة فقتلت معارضاً إيرانياً سنياً.
ب _ على الفور تحركت "الجماهير الغاضبة" صوب القنصلية الإيرانية فى المدينة وكانت خالية بالطبع. وتم إتلاف وإحراق المعونات القادمة من إيران لدعم مشروع وقف زراعة الأفيون!!. ثم أوقفت قوات طالبان المتظاهرين وفرضت الهدؤ.
ج - أخرجت سلطات طالبان، المسئولين والموظفين الإيرانيين من المدينة إلى بلادهم حفاظاً على حياتهم.
د - توقف إرسال المعونات الإيرانية وساد التوتر فى العلاقات بين الإمارة والجمهورية مرة أخرى (وهذا هو المطلوب).
*****
لم تعد المياة إلى مجاريها بشكل كامل.. ولم تصل المعونات فى وقتها ولا إلى مستحقيها .. وبعد عدة أشهر إنهار نظام طالبان تحت وطأة حرب الأفيون ولم تتمكن الأمارة أو الجمهورية من تخطى حقول الألغام التى فرضتها الإرادة الدولية على المنطقة لفصل قواها.. والإستفراد بكل منها.
ونجحت القوة الدولية التى تحرس كنوز الأفيون ومصانع الهيروين من فرض إرادتها على شعب افغانستان والعالم أجمع.(1)

***<u>ملاحظة1</u>* رغم التزايد المضطرد فى إنتاج أفغانستان من الأفيون بعد الإحتلال الأمريكى إلا أنها**

**تقابل دوليا بتسامح وسعة صدر ، بشكل مدهش . وحتى أبريل 2004 م إلتزمت إيران لنظام كرزاى بمبلغ 254مليون دولار ( وصل منها فعلاً 100مليون )كمعونة بدون مقابل (!) فى إطار مساعدات ( مليارية ) تقدمها الدول الغنية فى مؤتمرات إعادة إعمار أفغانستان ، تحت ضغوط أمريكية أقرب إلى الإبتزاز .**

**.. وقديما قال " أينشتاين " العالم الشهير ( إن السياسة أصعب من الفيزيا النووية ) .. ولو أنه معنا الآن لعرف أن لغز المخدرات فى العالم أشد تعقيداً من كل الأحاجى السياسية .**

**<u>ملاحظة2</u> لكون أمريكا تطبع العملة الأفغانية حالياً ، فإنها تدفع للمزارع الأفغاني مجرد أوراق ملونة فى مقابل محصول الأفيون الثمين . تماماً كما فعل الأمريكان الأوائل الذين قايضوا الهنود الحمر بالخرز الملون فى مقابل الذهب .**

---

# <u>عاصفــة الأصنــام</u>

فى أوئل شتاء 2001م كانت محافظة باميان موضع أنظار العالم كله ليس لأجل القتال الدائر فيها، فموقف العالم تجاه موت الأفغان معروف، لكن الإهتمام كان منصباً على (تماثيل بوذا) التى أعلنت حكومة الإمارة عن عزمها على تهديمها.. ثم نفذت ذلك بسرعة، رغم ما واجهها من إعتراض دولى عاصف وشامل.. بدءاً من البيت الأبيض وإنتهاء بمنظمة العالم الإسلامى، والحكومات الإسلامية،ومشايخ الإسلام ومفكريه.

الحادث وتفاصيله ودلالاته يحتاج بالفعل إلى كتاب قائم بذاته،، ولكن سنكتفى هنا بإيجاز ما له صله بسياق هذا البحث " **كان الكاتب ضمن طاقم قناة الجزيرة الفضائية ، الذى تابع ذلك الحدث" .**

فالمجتمع الأفغانى على مستوى (رجل الجبل، والشارع والحقل) كان فى البداية لامبالياً بالمسألة، ومندهش لهذه الضجة العظمى حول أحجار لاقيمة لها، بينما مشاكله الحيوية لايهتم بها أحد، مشاكل مثل الجفاف والألغام والحاجة إلى الطرق وإنعدام الخدمات تقريباً خاصة الصحية والتعليم ثم مشاكل الرى والزراعة وقضية الأفيون وإرتهان الريف والإقتصاد لتلك الزراعة.. إلخ.

تصلبت "الإمارة" أمام الضغوط الخارجية العاتية التى إجتاحت العالم حتى ظن الفرد العادى أن إنهيار "أصنام بوذا" قد يؤدى إلى إنهيار عالمى. وأن النظام الدولى يحارب من أجل البقاء فى باميان".

وكلما زادت ضغوط الخارج زاد تصميم الإمارة وتعجيلها وتيرة "الهدم". وأيضاً تزايدات حرارة التأييد الشعبى لحكومة الإمارة وسعادته بالمباراة التى يقف فيها الأفغانى العنيد وحيداً، وتمثلته خير تمثيل فى هذه الحالة حكومة طالبان . وخاصة وأن البعد الدينى للقضية إتضح للعوام بعد وقت قصير.

فأصبح الحماس قومياً ودينياً فى آن واحد.. وأرتفعت وتيرة الحماس حتى بات من يعرف الأفغان جيداً على ثقه من أنهم إن لم يجدوا "المتفجرات اللازمة" فإنهم سوف يهدمون أصنام بوذا المهيبة بأسنانهم وأظافرهم، إنسياقاً وراء عنادهم التقليدى خاصة تجاه تدخل خارجي فى شأن يعنيهم فقط، ثم إنتقاماً من هذا العالم الذى أهملهم وازدراهم واهتم فقط بأحجار الأصنام التى لا يأبه الأفغان بها.. ولا يدين أفغانى واحد بعبادتها.

فى المقابل إنضم تحالف الشمال إلى الحملة الدولية المناصرة للأصنام وركب الموجة، مظهراً "مرونه وحداثة" أكسبته إحتقار الأفغان.

ورصع التحالف المذكور بهذا الموقف سلسلة مواقف عزلته داخلياً، وأبعدته عن (الرأى الإسلامى الملتزم) فى أرجاء العالم.
كان ذلك هو موقفه الأخير، الذى سبق إنضمامة الكامل للجيوش الأمريكية في قتال شعبه.
أمريكا كانت تعرف أن "طالبان"لن يوقفوا محاولة هدم الأصنام، ولكنها إستمرت فى الحملة الإعلامية والنفسية لعدة أهداف أهمها:
**أ - عزل حكومة الإمارة** عن العالم أجمع وتصويرها كخطر يهدد الحضارة الغربية وهذه خطوة أولى لنجاح الحرب الفعلية المقرر حدوثها فى خريف نفس العام.
**ب - عزل (إسلام الإمارة)** عن ***(الإسلام الرسمى والقانونى)*** فى العالم الإسلامى وإظهارطالبان كفئة جاهلة أساءت إلى الإسلام بتطبيقات شاذة . وبهذا لايتعاطف المسلمون مع مناظر الدماء والأشلاء التى من المقرر أن تغطى الأرض الأفغانية فى خريف نفس العام. وهذا ما حدث فى حرب الخليج الأولى عندما نشروا الفتنة بين السنة والشيعة ونجحوا فى عزل الشعب الإيرانى ثم ذبحوا أبناءه ودمروا ثرواته.
**ج - عزل (طالبان)** عن الشعب الأفغانى عندما يرى الشعب أن الإمارة تخالف عموم المسلمين وعلمائهم ذوى المناصب الضخمة الفخمة في بلاد الحرمين والأزهر الشريف بوجه خاص.
**د - تحقيق نصر جديد** فى الحرب الدائرة على العقائد الإسلامية بتأكيد تفوق الثقافة الغربية المفروضة على العقائد الإسلامية الموروثة.
وتأكيد عملية الإحلال المستمر للأولى على حسب الثانية، مع إبقاء إسم الإسلام على الثقافة الجديدة المفروضة، حتى يرسخ فى النهاية إسلام جديد ( حداثى!!) غير ذلك الإسلام القديم الظلامى أو (الإرهابى).
**حققت أمريكا نجاحات لاتنكر فى حملتها تلك إلا فى عدة نقاط هامة:**
**الأولى:** أن (حملة الأصنام) دعمت الموقف الداخلى لحكومة الإمارة وتأييد الشعب لها- على حساب التحالف المناوئ لقوى الشمال الذى كان فى حالة تشبه الإحتضار عسكرياً وسياسياً فى المجال الداخلى تحديداً ،رغم الإسناد الدولى الواسع.
**الثانية:** عززت (حملة الأصنام) مصداقية الإمارة والملا عمر فى أوساط الملتزمين الإسلاميين خارج نطاق الإسلام الحكومى أو الإسلام الحداثى .
ونتيجة لذلك إزدادت فجاة موجة الهجرات الإسلامية الجماعية إلى أفغانستان من مسلمى دول الغرب .. من بريطانيا، وأستراليا، وفرنسا والسويد، وبلجيكا، واليابان، والتى ضمت أسراً من الكويت واليمن والسعودية ثم أسراً من أوروبا وأمريكا، مكونه من زيجات مختلطة بين شباب عرب ونساء أوروبيات.ناهيك عن الهجرات الواسعة للأوزبك وبعض من مسلمى البوسنة.
لقد شعر المسلمون أن (الملا عمر) على رأس نظام (الإمارة الإسلامية) قادر على التحدى وفرض إرادته، رغم شراسة الهجمة الدولية ومعاناه أفغانستان من طول الحروب والحصار الظالم والإهمال المتعمد والفقر المدقع.
ومنذ أزمة الأصنام إلى حرب الأفيون الثالثة فى أكتوبر تضاعف العرب المتواجدين بشكل دائم على الأرض الأفغانية، أما الأوزبك فقد تضاعف عددهم مرتين أو ثلاث خلال تلك الأشهر.
**ثالثاً:** لم يحرز الإسلام الحكومى وشقيقة الحداثى نصراً يذكر على الإسلام الموروث

لأن عوام المسلمين وإن غابت عنهم الأعماق الفقهية لمعضلة الأصنام، إلا أنهم أصطفوا تلقائياً خلف موقف طالبان والإمارة ورموز الإسلام الموروث، كراهية منهم لأمريكا والغرب، وغربان الثقافة الناعقين بتجاويف الكلام.

ولا يعود الفضل فى ذلك إلي قدرة التيار الإسلامى التقليدى على شرح وجهات نظره فهو مازال أعجز من أن يصل إلى عقول العوام بطريقة مناسبة.

فهو لا يكاد يخرج من بين صفحات الكتب القديمة والأسماء الغريبة، حتى يكون الحديث قد فقد سياقه وإنصرف المستمعون إلى شئ أسهل فى التناول والفهم.

تحطيم أصنام (باميان) كان أمنية لدى حركة طالبان عبروا عنها سراً فى جلساتهم حتى قبل الإستيلاء على كابول وكانت ضمن أمانى إسلامية أخرى مثل تحويل اللغة العربية إلى لغة رسمية فى أفغانستان.

أما الأهداف الأكبر فكانت تعلن دوماً بالصوت الأعلى، وأهمها إقامة الشريعة وتحويل البلاد إلى إمارة إسلامية حقيقية من حق كل مسلم العيش فيها بحرية وأمان.

وقد حققوا الكثير من شعارهم الأخير، لم يكن أحد من المسلمين فى حاجة إلى جواز سفر لدخول أفغانستان أو الخروج منها، أو حمل هوية للتجول فيها..

وأضر ذلك بالعرب تحديداً الذين تعودوا على القمع والقبضية البوليسية الغليظة، فحولوا الحرية إلى فوضى.. وأصبحت إسلامية الدولة لا تعنى سوى ممارسة الفوضى والتعالى على أى قوانين، ووصمها بالطاغوتية. وإحترام أهل البلاد لهم قابلوه بالتعالى عليهم.. ولا يتكلم العامى منهم مع العالم الأفغانى إلا لتلقينة دروس العقيدة الصحيحة، وإنتقاد كل شئ وإسداء المئات من النصائح المجانية المليئة بجهل الموضوع محل النصيحة..

الملا محمد عمر لم يحيد عن المبادئ التى وضعها لحكمة منذ جلسته الأول مع وفود العلماء ورؤساء القبائل الذين توافدوا لبيعته (بالإمارة) وكان ذلك قبل فتح كابول أو حتى جلال آباد.

قال لهم وقتها ما معناه.. ***(( إذا بايعتمونى فسوف أحكم بشريعة الإسلام.. وان أستطيع ذلك بمفردى.. فلا بد أن تساعدونى جميعاً على أن أطبق أحكام الشرع على نفسى وعليكم.. فإن قبلتم ذلك قبلت منكم بيعتكم .. وكل ما أملكة هو ذلك الرداء القديم(الباتو )، الذى دخلت به إلى مقر الإمارة.. فإذا لم تقبلوا شرطى هذا فسأحمل ردائى القديم على كتفى وأعود من حيث أتيت ، إلى مسجدي ومدرستى)).***

ولا أشك أنه فى حديثه هذا كانت ترتسم فى مخيلته صورة السلطان محمود الغزنوى الذى حكم فى القرن العاشر الهجرى دولة قوية مركزها أفغانستان. وهو النموذج المكتمل للحاكم الأفغانى المسلم كما يتخيله علماء الأفغان وعوامهم.

فليس غريباً أن يكون الغزنوى هو المثل الأعلى للملا عمر.

وأهم أعمال السلطان الغزنوى التى يتذكرها له الأفغان هى: حمايته للمسلمين فى الهند من بطش الهندوس ثم تحطيمه لأهم أصنام الهندوس رغم كميات الذهب الكبيرة التى عرضوها عليه كى يعفوا عن أصنامهم.

تلك الأعمال هى نفس ما قام به الملا عمر آخر حاكم مسلم حقيقى لأفغانستان مع إختلاف فى التفاصيل والنتائج.

فالملا عمر قد حمى المسلمين، ولكن على أرض أفغانستان، فقد حمى المسلمين العرب والأوروبيين والأوزبك والشيشان والصينيين والأمريكان والإنجليز

والأستراليين والبوسنيين ثم حمى الرمز الأكبر لكل ذلك : أسامة بن لادن . ووضع سلطانه وملكه وحتى حياته دون حياة هؤلاء المسلمين وسلامتهم وحريتهم.
ثم العمل الآخر.. هو تحطيم الأصنام على أرض أفغانستان نفسها فحطم تماثيل باميان الهائلة.. وأنفق فى سبيل ذلك كميات ضخمة من الذخائر العسكرية كان فى أمس الحاجة إليها فى حروبه،وهو الواقع بين فكى الحصار والفاقة.
إذن حماية المسلمين وتحطيم الأصنام، جمعا بين أكبر أسمين فى تاريخ الحكام المسلمين الأفغان.. وحصل كل منهما على نتائج مختلفة..فالسلطان الغزنوى حصل على توطيد حكمه ودولته. بينما فقد الملا عمر (الأمير القندهارى) حكمه ودولته!!.
ولعل الفارق فى الحالتين هو حسن طالع السلطان محمود الغزنوى وأن ا قد عافاه مما إبتلى به الملا عمر من مجاهدين عرب، أصحاب العقيدة الصحيحة، وزعيمهم بن لادن الذى إغتصب سراً إمارة المؤمنين، وتخطى رقاب العباد، وداس على صلاحيات أمير البلاد، فاغتصب منه أهم صلاحيات الإمارة: قرار الحرب.. فأقحم (الإمارة الإسلامية) فى حرب لا تريدها ولم تستعد لها.. ولم تستشر فيها.
فضاعت (الإمارة الإسلامية) وسقطت البلاد فى قاع بئر مظلم لا يدرى إلا ا كيف ومتى تخرج منه.

## عاصفة الإفتاء

عاصفة الأصنام أبرزت مرة أخرى أزمة (الفتوي) فى العالم الإسلامى.
وهى الأزمة التى لا تغيب، ولكن ظهورها عند قيام مجموعة جهادية معينة بعمل عسكرى يصبح ظهوراً مربكا لعوام المسلمين وخواصهم.
وربما كان ذلك مقصوداً من جانب المشرفين على "المسرح الإسلامى"، الذى هو مجرد ركن فى "المسرح الدولى". فتنازع الفتاوى وتناقضها، يربك الأساس العقائدى لفريضه الجهاد، ويصرف عنه جمهور المسلمين، كما أنه يهز قناعات الشباب، الذين هم عماد هذا العمل، فيتم تحييد الجزء الأكبر منهم، وهذا أيضاً مقصود فى حد ذاته.
ولكن ذلك لايمنع وجود أزمة خطيرة مستحكمة فى عملية "الفتوي" فى العالم الإسلامى.
فهناك الشئ ونقيضيه دوماً، والأصوات كلها مرتفعه والأوداج كلها منتفخة.. والحقيقة إما ضائعة أو مطموسة. والأعجب أن الجميع يستخرجون مادتهم من الكتب نفسها، ولا تعجزهم الحيلة فى إيجاد ما يرغبون فيه فى أحد هذه الكتب، فى صفحة ما أو جملة ما.. وربما مجرد حرف جر يثبت ما قرروا هم التوصل إليه قبل فتح الكتب القديمة.ومهارة البحث والتنقيب فى ثنايا كتب الفتاوى التاريخية لاتجاريها بحال مهارة موازية فى تحديد مصالح المسلمين فى وقتنا الراهن، بشتى تعقيداته.
وكما برزت أبحاث الحلال والحرام بالنسبة لتفجيرات أفريقيا برزت مرة أخرى نفس الأبحاث عند تفجير عاصفة الطائرات.وتراشقت فرق الإفتاء بالمراجع القديمة وأرقام الصفحات وأسماء الأقدمين باحثين مثلا عن أحكام "التترس لقياس( عاصفة الطائرات) عليها وقتل المدنيين فيها وهل هو حلال أم حرام .
حتى أهم الأصنام البوذية وأقدمها، والتى دمرتها حركة طالبان وجد المسلمون أنفسهم إزائها تائهون، فهل هى أوثان ملعونة تعبد من دون ا ؟ أم أنها ثقافة بوذية محترمة، مثل ثقافات الأديان الأخرى؟ أم أنها كومة من الحجارة قبيحة المنظر ولا تستحق كل تلك الضجة فى مثل هذه الظروف؟

كل هذا – وأكثر منه – قيل وذاع بين المسلمين. أكثر القائلين كانوا مغرضين وأقل القليل كانوا باحثين عن الحقيقة، والأقل من بين هؤلاء كان مستعداً للعمل بالحقيقة أوتحمل تبعاتها.. مع غياب العلماء المجاهدين، والمجتهدين، كيف يمكن لأمة كهذه أن تستخدم (شوكة الجهاد) للدفاع عن نفسها ودينها، وقد جعله الإرجاف الفقهى مضطرباً وغير مفهوم حلاله من حرامه، فكثر فيه اللغو.. وخاض كل من هب ودب في صميم التشريع والفتوى ؟؟.
لقد زادت "الجرأه" والشجاعة" فى الأمة الإسلامية بحيث نرى عشرات الألوف من الجهابذة يتصدون لتغيير وتطوير أحكام الشريعة وعقائدها كي تتماشى مع "الواقع".. ولا نجد غير أحاد من الناس لديهم القدرة على محاولة تغيير هذا "الواقع" ليصير موافقاً لأحكام الدين والشريعة..
ومن هنا جرى نهر الفتن دافقاً فواراً قبل.. وبعد.. وحول.. أصنام باميان.

## الأصنام: من باميان إلى بابل وبغداد

قال الأمريكيون أن تهديم أصنام باميان كان عدواناً على التراث الإنسانى . ولكن بعد إحتلالهم للعراق قام الجيش الأمريكى بأكبر عملية مبرمجة لتدمير ونهب الآثار العراقية . فمن تخريب متحف بغداد ونهب آلاف القطع النادرة بواسطة عسكريين ورعايا أمريكان ، إلى تخريب متعمد لآثار مدينة بابل التاريخية النادرة والتى إتخذها الجيش الأمريكى مقراً لجنوده ودباباته. فخربت الدبابات المواقع الآثرية وقام الجنود بتعبئة القطع النادرة فى زكائب لإتخاذها متاريس للمواقع العسكرية .
وهنا تكلم العالم بخجل شديد ، بينما صمت مثقفونا العرب ، ومدفعية الإفتاء الحكومى أصابها الشلل لأنها مخصصة فقط ( لمكافحة الإرهاب ) ، والمثقفون المسلمون الذين ضاعت ( حقيقة ) الإسلام فى بلادهم ، لا يشغلهم سوى (صورة ) الإسلام لدى شعوب الغرب . وتدمير أصنام باميان يشوه هذه الصورة ، أما سرقة وتدمير آثار العراق ، بل سرقة نفط وثروات العراق ، بل سرقة العراق كله وإدخاله فى نفق التهويد البطيئ .. كل ذلك لا يستحق التعليق لأنه لا يمس صورةالإسلام وإن دمر كيانه فى العراق وغير العراق .
# الجنود اليهود فى الجيش الأمريكي عند دخولهم مدينة بابل كانوا يتلون تلك الصلاة:
"مبارك أنت ربنا ملك العالم لأنك دمرت بابل المجرمة" و هى صلاة أمر بها الحاخامات.
# معلومات مؤكدة أفادت بأن آلاف القطع الأثرية العراقية النادرة تم تهريبها إلى إسرائيل بواسطة عصابات تهريب دولية منظمة.
# فى أقل من عامين من الإحتلال الأمريكى للعراق أختطفت ألف إمرأة عراقية على الأقل وبيعت فى أسواق الدعارة الدولية .
السؤال هو : هل حماية أصنام باميان أوجب على المسلم من حماية أعراض مسلمات العراق ؟ . يبدوا أن الأمر كذلك وإلا لماذا هذه الثورة الإسلامية العارمة لأجل حماية أصنام باميان ، مقابل صمت الموتى إزاء العدوان على أعراض المسلمات فى العراق ، بل إزاء إختطاف آلاف الأطفال الأفغان وبيعهم فى السوق الدولية للدعارة وتجارة الأعضاء البشرية، حتى أصبحت أفغانستان هى الأولى دوليا فى هذا المجال وليس فقط زراعة الأفيون!! .
# هناك حاليا مشروع دولي يعيد بناء أصنام باميان التي يقدسها ملايين البوذيين فى العالم "ليس فى أفغانستان بوذي واحد" فهل من مشروع دولي يعيد ما دمره السوفييت ثم الأمريكان و حلف الأطلنطي فى أفغانستان و تعويض ضحايا تلك الحروب، و تنظيف البلاد من عشرات ملايين الألغام التي زرعوها؟.وهل نطمع فى مجهود دولى مماثل لما حظي به بوذا باميان، لمسجد بابرى التاريخي الذي دمره الهندوس فى الهند؟، أو للمسجد الأقصى الذى ينخر اليهود الأرض من تحته لتهديمه وبناء هيكلهم مكانه؟.وهل يهتم العالم بحماية الكعبة المشرفة التي يهدد أعضاء محترمون فى الكونجرس الأمريكي بقصفها نووياً، أم أنهم سيعيدون بناءها بعد تنفيذ ذلك التهديد ولكن على طراز أمريكى أكثر حداثة؟.

## إغتيال مسعود.. ومصيدة الشمال

ربما كان الشباب العرب أبطال (عاصفة الطائرات) يلملمون أغراضهم تمهيداً لتنفيذ

مهمتهم، عندما أعلنت وسائل الإعلام في 9-11-2001م. عن (محاولة) لإغتيال الزعيم الأفغانى الأشهر أحمد شاه مسعود القائد العسكرى والسياسى لتحالف الشمال. الضربة كانت قاسية على ذلك التحالف الذى يفتقد إلى التجانس وإلى القيادة، فلولا شخصية مسعود وقدراته (الميكيافيلية) لما برز هذا التحالف إلى الوجود أصلاً.

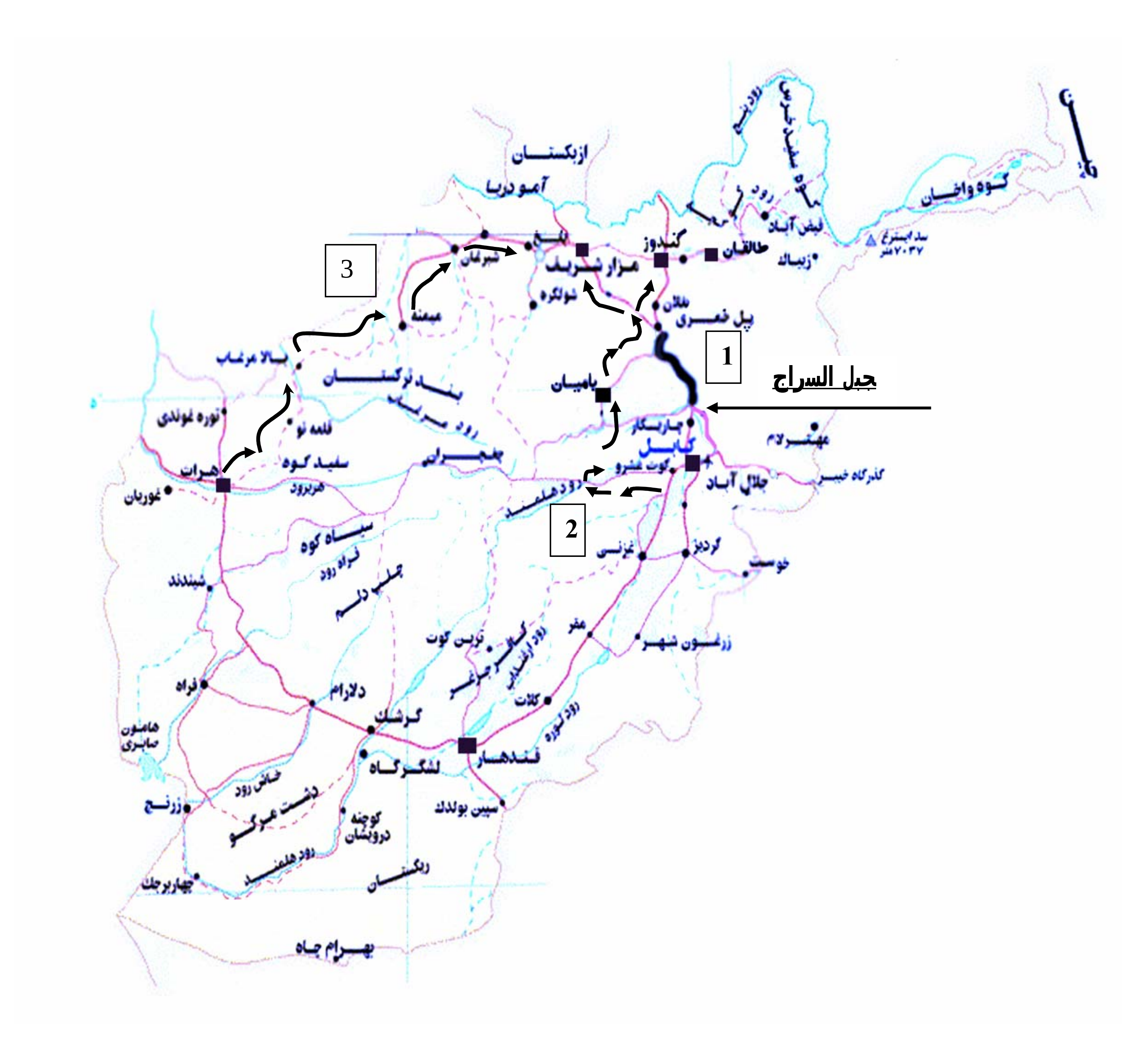
وقد نجح مسعود فى توطيد نفسه داخلياً أو على الأقل داخل الأقلية الطاجيكية، ثم ربط نفسه جيداً بتحالف دولى أهم عناصرة (روسيا الإتحادية) وله منذ عام 1983 على الأقل علاقات غير عادية مع الروس، ثم علاقات حديثة مع الإتحاد الأوربى مهدتها له حليفته فرنسا.

ونشير هنا بين قوسين إلى عدم إرتياح واشنطن لخريطة تحالفات مسعود مع منافسيها الروس والفرنسيين والإيرانيين وذلك مع حاجتها إلى دورة الرئيس فى المبارزة العسكرية مع "طالبان" أى نظام الإمارة الإسلامية، الذى أوشك على إستكمال السيطرة على كامل الأرض الأفغانية.

وفى حال بدء الحرب الأمريكية وكان مسعود على رأس تحالف الشمال فإنه كان سيتعامل بمنطق المشاركة مع الولايات المتحدة مدعوماً فى ذلك من حلفاء لهم وزنهم خاصة الإتحاد الأوروبى وروسيا.

ولم يكن أمام أمريكا سوى الرضوخ لمنطق الشراكة مع زعيم قوى يدير قوات أرضية هى فى أشد الحاجة إليها لأسباب مفهومة، لذا عندما أغتيل مسعود لم تكترث أمريكا كثيرا، وكان ذلك واضحاً فى عدم تركيز الإعلام الدولى على الحدث بالشكل الذى يستحق.

وذلك يدفع إلى إلاعتقاد بأن أمريكا شعرت بالإرتياح لإختفاء مسعود من مسرح الأحداث قبل نشوب حرب أكتوبر الأفغانية. وكان ذلك الإختفاء للزعيم الطاجيكي القوي مساعدة قيمة للحملة الأمريكية ، (وفي الأغلب أنها مساعدة غير مقصودة)




**خطوط إمداد طالبان نحو شمال افغانستان خاصة صوب المدن الأساسية:**

**((مزار شريف_ قندوز_ طالقان)).**

1- **ممر سالانج** (( مغلق )).

2- **طريق باميان** ((الملتف حول سالانج)).

**طريق ((هيرات – مزار شريف)) عبر ولايات شمال غرب البلاد.**

إغتيال مسعود أثار فرح "طالبان" و (الإمارة الإسلامية) وشعروا بالإمتنان لأسامة بن لادن أولاً ولتنظيم القاعدة ثانياً ولمجموع العرب فى أفغانستان ثالثاً، وجدد النظرة القديمة للعرب كأبطال لايشق لهم غبار. وقالها بعض كبار طالبان صراحة بأن مسعود الذى أعيا الأفغان سنوات عديدة، أزاحة العرب فى غمضة عين (بعملية إستشهادية).
لم تعلن القاعدة رسمياً تبنيها للعملية ولكن لم تنفيها عندما سئل عنها كبار قادتها.
وفى مناطق الطالبان عومل العرب معاملة الأبطال، ولكن على الجانب الآخر كان العرب بتلك العملية قد تورطوا بعمق أكبر فى عداء مع الأقلية الطاجيكية عامة وتحالف الشمال بوجه خاص. وقفزوا إلى صدارة قائمة المطلوبين لدى ذلك التحالف متخطين حتى قيادات طالبان نفسها.
فالعرب أنقذوا كابول مرتين على الأقل من السقوط فى أيدى قوات مسعود وبأفراد معدودين وتلك فضيحة للقائد الكبير والتحالف الذى يقوده.. ثم هاهم العرب يغتالون مسعود نفسه فى عملية إستشهادية جريئة وغير متوقعة!!
التحليل النهائى أن العرب هم العقبة الأولى أمام إنتصار تحالف الشمال.. ويجب تصفيتهم أولاً، وهكذا برهنت التحركات العسكرية على الأرض عندما تمكن تحالف الشمال من السيطرة، فإنه لم يقتل العرب فقط..بل عذبهم ومزق جثثهم ورقصت فوقها النساء.. ثم تركت طعاماً للكلاب!! تحت سمع وبصر القوات الأمريكية.
تاريخياً كانت تلك المرة الثانية التى ينفذ المجاهدون العرب إغتيالاً سياسياً لأحد قيادات الأفغان.
الأول كانت عام 1990 ونفذها المصرى عبد ا الرومى الصحفى فى (مجلة الجهاد) العربية ضد القائد السلفى من كونار الشيخ جميل الرحمن.
والثانية ضد القائد الأشهر أحمد شاه مسعود ونفذها شابان من الشمال الأفريقى. قدما أنفسهما للضحية على أنهما صحفيان فى مجال التلفزيون.
# من عجائب الحروب أن يتحول النصر الكبير إلى إستدراج نحو هزيمة أكبر أو العكس، بأن تقود الهزيمة الكبيرة المهزومين إلى الطريق الذى يوصلهم إلى إنتصار أكبر وأشمل.
وليس ذلك كله نادر الحدوث وإن كان عجيباً بالفعل، ويشمل البشر مسلمهم وكافرهم على حد سواء.
وفى حالة إغتيال مسعود قادت الفرحة والأمل قيادة الإمارة الإسلامية إلى الجزم بأنه حان الوقت لحسم قضيه الشمال وإنهاء التمرد المسلح هناك. مستفيدين بسرعة من الغياب المفاجئ لقائد التحالف ومحور حركته أحمد شاه مسعود.
كان الإستنتاج فى ظاهرة صحيحاً.. ولكنه بنى على إفتراض خاطئ وهو إستحالة أن تقوم أمريكا بغزو أفغانستان لمجرد تحرير مزارع الأفيون، أو السيطرة على منابع الأفيون كما يقول بعض العرب المتشائمون.
كما إستبعدوا أيضاً أن تقوم أمريكا بغزو أفغانستان لمجرد عملية يقوم بها بن لادن والقاعدة وظنوا أن أمريكا على أكثر تقدير قد تشن هجمات صاروخية أو حتى جوية محدودة سوف تمر كما مرت عاصفة الصواريخ فوق خوست عام 1998م وحمى ا منها قندهار فسقطت الصواريخ فى الطريق ولم تصل. ((وليس من المستبعد أن

عناصر باكستانية موثوقة لدى الإمارة شجعت تلك التحليلات الخاطئة)).
حركت الإمارة الآلاف من مقاتليها صوب شمال أفغانستان، لتصفية أقوى معاقل المتمردين على أطراف مدينة طالقان.
وتواصل الحشد المكثف براً وجواً، يقوده أكبر القيادات العسكرية لدى الإمارة.
وصل حجم ذلك الحشد فى بعض التقديرات إلى أكثر من خمسة عشر ألفاً من أفضل عناصر حركة طالبان ورجال القبائل من التابعيين الموثوقين لديها.
كانت تلك هى زهرة قوات طالبان.. وقد ضاعت كلها فى الشمال.. وقتل معظمهم .. فى المعارك بقصف الطائرات أو فى الأسر على يد القوات الخاصة الأمريكية .
النظرة المتعمقة كانت تقول بأن الحشد المكثف فى الشمال خاطئ وأنه مهدد بالحصار ثم عمليات إبادة مع توفر الغطاء الجوى، الذى ستوفره أمريكا حتماً فى وقت لاحق.
وكان ذلك رأى المتشائمين العرب، الذين ترفض قيادات الكوارث فى وزارة الدفاع فى كابول مجرد رؤيتهم ناهيك عن الإستماع إليهم.
الحشد العسكرى لطالبان_ وحلفائها_ فى شمال أفغانستان كان أشبه بصخرة معلقة فى الهواء بثلاثة خيوط عنكبوت هى خطوط إمدادها التى تتمتع بثلاثة مزايا فهى:
طويلة ، وضعيفة، ومهددة .

**هذه الخطوط حسب الأهمية:**

1_ الخط الجوى الذى يصل كابول وقندهار بمطارات الشمال فى قندز ومزارشريف.
ويقوم على هذا الجسر الجوى أسطول تافه من الطائرات المتهالكة، التى لم تجرى لها عمليات صيانة منذ عام 1992_ حين إختفت من أفغانستان جميع الطائرات الحديثة، خاصة العسكرية مع قطع غيارها ،وكذلك قطع غيار الدبابات والمدرعات، والمفترض أن وزير الدفاع وقتها (أحمد شاه مسعود) ثم رجل الشمال القوى(عبد الرشيد دوستم) قد نقلا الطائرات العسكرية الحديثه إلى طاجيكستان وأوزبكستان حيث لكل منهما حلفاؤه الحاكمون هناك.
ويمكن تصور حالة المطارات الأفغانية نفسها والخدمات الأرضية التى توفرها وقد دمرت المعدات أو تهالكت وقتلت معظم الكوادر أو فرت خارج البلاد.
كان المقدر أن غارة أمريكية واحدة ستكون أكثر من كافية لإطلاق رصاصة الرحمة على ذلك الحطام المتداعى الذى لم تخجل أمريكا من أن تطلق عليه وصف : (القوة الجوية) لدى طالبان!! .. وأن تشن مئات الغارات عليها وبالصواريخ الموجهة بأشعة الليزر والأقمار الصناعية!!.. ولو أنها قصفت تلك المطارات بالمنجنيق و الأحجار لكان كافياً وزيادة . ..ولكن المهمة لم تكن (إخراج سلاح الجو الطالبانى من الخدمة) بل كان تحطيم الروح المعنوية للأفغان وإقناعهم بالإستسلام التام للإرادة الأمريكية، والإنصياع لكل ما سوف تفرضه عليهم من الآن وإلى حين إشعار آخر!!
.. ثم هناك أسباباً أخرى لتلك القسوة المفرطة، والإستخدام الوحشى للقوة فى غير موضعها.. أسباب نفسيه للفرد الأمريكى.. وأسباب إقتصادية لتدوير عجلة إقتصاد وضع تصميمه الشيطان لتخريب البشرية وفرض الحروب عليها كجزء من الدورة الإقتصادية التى تنشد الإنتعاش عبر الحروب والمغامرات العسكرية .
.. ثم أسباباً إستراتيجية وفق برنامج للعالم يجب فرضه بالقوة المفرطة المتسمة بالقسوة الوحشية مترافقه مع الكذب والخداع عبر رذيلة الإعلام الدولى.

كانت نسبة الإعتماد على الجسر الجوى المذكور ما بين 50 % إلى 70 % من حجم الحركة العسكرية بين الجنوب والشمال بينما نقل القتلى والجرحى يعتمد كلياً على الطائرات نظراً لصعوبة البدائل البرية.
2_ الطريق البرى الواصل بن كابول إلى الشمال عبر ولايات وردك، باميان ثم بغلان ومن هناك يتفرع إلى إتجاهين أحدهما إلى قندز والآخر إلى مزار شريف.
ويعتبر طريقاً إتفافياً حول ممر سالانج ( الأحدث والأقصر والأسهل)، ولكنه مازال واقعاً تحت سيطرة المتمردين الشماليين.
ويطلقون عادة على ذلك الطريق إسم طريق باميان لأنها الحلقة الأصعب جغرافياً والمعادية سياسياً والمختلفة مذهبياً وعرقياً.
فأغلب سكانها من الشيعة، والقوة السياسية الغالبة هو (حزب وحدت) المكون من إتحاد عدة منظمات عسكرية شيعية، تأسست منذ وقت الجهاد ضد السوفييت.
والطريق يمر عبر مناطق وعرة جغرافياً , يمكن لقوات صغيرة السيطرة عليه .
ويعبر الطريق عدداً من الجسور البدائية المؤقته التى تتخطى عدة أنهار غنية بالمياه، وإن كانت الأراضى الزراعية قليلة، والمنطقة غاية فى الفقر رغم طبيعتها الخلابة والثروات الطبيعية الهائلة الراقدة تحت سطحها.
منذ أواخر فصل الشتاء بدأ حزب ( وحدت ) النشاط العسكرى فى باميان.
والحزب داخل فى تحالف الشمال الذى يقوده مسعود. وقد منى الحزب بهزائم كبيرة فى باميان وانحصر نفوذه العسكرى فى مناطق نائية غير مؤثرة، حتى كاد أن ينسى .
سياسياً فقد الحزب العديد من قياداته الكبيرة التى إنفصلت عنه، بعضهم إنضم الى حركة طالبان _ فهمشتهم كطبيعتها الضارة _ فتقاعدوا فى كابول أو هاجروا خارج البلاد.
شيعة باميان كما الأوزبك والطاجيك المؤيدون لجبهة الشمال، ملوا من طول الحرب وأعبائها خاصة وأنهم يخسرون بثبات وستنتهى الحرب كما يرون إلى غير صالحهم فى نهاية المطاف.
ولكن على غير المتوقع نشط حزب وحدت فى باميان، ربما لأن قيادة التحالف تشعر أنها ستخوض معركتها الأخيرة هذا الصيف . وأن قطع الطريق البرى فى باميان قد يحسن فرصها كثيراً فى صد الهجوم وتأجيل الحسم عاماً آخر، هو قطعاً سيكون أفضل لأن المناخ السياسى فى العالم أصبح معادياً بإضطراد لحركة طالبان وحلفائها العرب.
قوات طالبان فى أحوالها الطبيعية مستعدة دوماً لأن تؤخذ على حين غرة.. وقد فعل حزب وحدت مافعله الآخرون قبلاً.. وقتل قرب إحدى القرى خمسة عشر طالبا (حسب بعض الأقوال) فرد الطالبان عليهم رداً قبلياً غاضباً (وقيل أنهم ارتكبوا مجزرة فى حق سكان القرية) وليس ذلك مؤكداً، إن لم يكن غريباً أو مستغرباً، خاصة مع وجود عناصر من (الوهابية السعودية) التى جاءت خصيصاً كما ذكروا بأنفسهم للجهاد ضد الشيعة فى باميان!!.
ومن الطبيعى والحال كذلك أن ينتفض أهل باميان خوفاً على أنفسهم.. والتفوا حول حزب (وحدت).. فإستعرت الحرب وكانت الكفة أرجح لصالح طالبان.. ولكن عمليات حزب (وحدت) لم تفقد زخمها وإستخدموا أساليب حرب العصابات المنهكة بكل براعة، ضد قوات طالبان الشجاعة والتى تفتقر تقليدياً إلى (الحكمة القتالية).. وما أن

بدأت الغزوة الأمريكية حتى كان طريق باميان قد أغلق فى وجه (طالبان)، أو كاد.

**[نخطو خطوة صغيرة فى الزمان لنرى أحدى المفارقات الأفغانية الجديرة بالتأمل.. فقد إنقضت عدة أشهر دامية من الحرب بين طالبان وحزب وحدت الذى يمثل شيعة باميان.. ثم خاضت قوات طالبان حربها فى الشمال بكل شجاعة واستبسال حتى قصم ظهرها الطيران الأمريكى. خاصة عندما بدأ، ولأول مرة، فى إستخدام قنابله الجديدة فى زنه سبعه أطنان (!!)..**

**إنحصر المقاتلون العرب والطالبان في مدينة قندز وقرروا القتال فيها حتى الموت وبرهنوا على تصميمهم هذا.. فاضطرت قوات تحالف الشمال على التفاهم معهم على صفقه، تقضى بإنسحابهم بأسلحتهم الخفيفة، وفتح ممر آمن لهم.**

**هناك إتفاقات عقدت مع قادة من تحالف الشمال من الأوزبك والطاجيك وهناك أتفاق مع أحد قادة حزب (وحدت).**

**ولكن أمريكا تدخلت، وقال وزير دفاعها المتغطرس (رامسفيلد) أن بلاده لن تسمح بأنسحاب مقاتلى طالبان (والقاعدة!!) وأمامهم طريق من أثنين: الموت أو الإستسلام بدون قيد أو شروط.**

**النتيجة كان خيانة الإتفاق والغدر بالعرب والطالبان بعد حجزهم فى قلعة (بانجى) الشهيرة وقصفهم بالطائرات.**

**المجموعه التي نجت هى التى إتفقت مع قادة الشيعة الذين طبقوا الأتفاق وساعدوهم ليس فقط فى عبور باميان، بل عبور سلاسل الجبال وصولاً إلى أرزجان وقندهار،معاقل حركة طالبان!! ].**

..طريق باميان قبل إغلاقه كان يستوعب 40% تقريباً من إجمالى التنقلات العسكرية بين الشمال والجنوب ونسبة 100% تقريباً من الحركة البرية بينهما . (وذلك بالنسبة لحركة طالبان).

3- الطريق الثالث يبدأ من هيرات ويتجه عبر ولايات الشمال وصولاً إلى مزاررشريف.

وهو ليس طريق بالمعنى المفهوم ولكنه مجرد (مدق) ترابى يصلح فقط للجمال والماشية.

وهذا الطريق لايعتمد عادة كطريق إمداد ولا يستخدم إلا فى حالات خاصة.

بعض قوات طالبان التى كانت الى الغرب من مزار شريف أو تمكنت بوسيلة ما الإنتقال إلى غرب المدينة، إنسحبت فى إتجاه هيرات عبر هذا الطريق الشاق الطويل، ولاحقتهم الطائرات الأمريكية ليل نهار وقصفتهم بلا رحمة.

هذا هو الطريق الثالث، بالغ الطول،صحراوي مقفر في غالبه ، تهدده عصابات مناوئه فى بعض مناطقه ، خاصة فى ولاية فارياب ، لذا يصعب إعتباره طريقاً عسكرياً إلا فى حالات نادرة كحالة الإنسحاب المذكورة أعلاه.

## إنفصـام شخصيـة؟..
## أخـونا فى ا : الطـ ـاغوت!!

هل سلفيتنا الجهادية تعانى هى الأخرى من إنفصام فى الشخصية!!

أم أنها تحن (بطبيعتها ) إلى قصور الأمراء والسلاطين؟

أم أن الصياح المتشنج بشعار ( العقيدة الصحيحة ) يخفي وراءه تعطشاً صارخاً للمال والسلطة السياسية ؟

الرموز الجهادية والفقهية العظيمة للحركة الجهادية الكبرى التى أسماها الغرب "الأفغان العرب" .. تلك الرموز مارست الإنفصام فى أبهى صورة.

ومراجعه مواقف رموز ذلك التيار خاصة رمزة الأعظم عبد ا عزام ومن بعده خليفته فى القيادة الزعيم الأشهر أسامة بن لادن. نرى أن التيار

وقياداته أيدوا وباركوا قتل السادات، ثم أيدوا وباركوا زعامة ضياء الحق.
رغم أن الأخير لم يحقق المواصفات التى تتيح له الخروج من دائرة "الطواغيت" المعتمدة لدى "منهج " تلك الزعامات .
الفارق أن ضياء الحق فتح لهم بلاده كى (يرمحوا) فيها كيفما شاءوا ،فقالوا أنه (مسلم صالح) لأنه فتح حدود بلاده للمجاهدين الأفغان بينما أغلق طواغيت العرب حدودهم مع إسرائيل.. وإلا فإن موقف ضياء الحق لا يختلف فى شئ عن موقف برويز مشرف فكلاهما فتح حدود بلاده أمام الأمريكان صوب أفغانستان.
فعندما كانت تلك الأطماع الأمريكية تحتاج إلى كائنات تحميل من النوع الإسلامى الأصيل، فتح ضياء الحق حدوده لعبور تلك الكائنات المسلحة.
وعندما إنتفت الحاجة إليهم أغلقت "بى نظير" الحدود فى وجوهم ثم طاردهم "نوازشريف" فى شوارع بيشاور، ثم وضع "برويز مشرف" قواته لإصطيادهم على الحدود وحتى فى العمق الأفغانى فوق القمم الجليدية خاف تورابورا.
تلك هى باكستان وتلك هى معادلة الحكم فيها منذ قرر الإنجليز إنشاؤها وإلى اليوم.
فلا دخل ولا دور للإسلام فى كل ذلك.
والذين رصعوا خطبهم بصب اللعنات على رجال إستخبارات (الطواغيت) الذى عذبوا الإخوان فى مصر. نراهم يصادقون ويجاورون رجال إستخبارات فى المملكة السعودية، بل ويشهدون لهم على رؤوس الاشهاد بأنهم (أطهر من ماء السماء) كما فعل الشيخ عبدا    عزام عندما سأله الشباب عن ملازمته لرجل الإستخبارات السعودية فى سفارة إسلام آباد (والذى كان مسئولاً عن العمل فى قضية أفغانستان بالتعاون مع الاستخبارات الباكستانية، تحت إمرة الإستخبارات المركزية الأمريكية ومكتبها فى إسلام آباد!!) .
ثم إعتبرت الرموز العربية من بعدة رئيس الإستخبارات الباكستانية الجنرال حميد جول، أخاً فى ا    ومؤتمناً ثقة!! وكان المذكور خياراً أمريكياً بدلاً عن سلفه أخترعبد الرحمن الذى عاندهم، وكابر لمصلحة ولى نعمته ضياء الحق، فعزله الأمريكان ثم قتلوه مع ضياء فى طائرة واحدة أسقطوها وبها سفيراً أمريكياً وأربعة عشر جنرالاً من الجيش الباكستانى.
وقد زار" حميد جول" رموز العرب الأفغان أثناء تواجدهم فى الخرطوم.
ثم زارهم مراراً عند عودتهم الثانية والأخيرة إلى أفغانستان.
وإذا كان الجنرال حميد جول مجاهداً أعطى السلاح للمجاهدين الأفغان أثناء مدة خدمته مديراً للإستخبارات (87-1989م) فى عهد الرئيس المجاهد "ضياء الحق" الذى فتح حدود بلاده للمجاهدين الأفغان والعرب، فماذا قدم جنرال محمود مدير الإستخبارات الباكستاني فى عهد الجنرال برويز مشرف؟.. لقد أشاعوا عنه أنه (ملتزم) وأخاً فى ا    بالصدفة المكررة دوماً فى شخص رجل إستخبارات..مع كونه رئيساً لجهاز معروف دورة سابقاً ولاحقاً فى الإضرار بالإسلام والمسلمين فى شبه القارة الهندية.. خاصة فى عهد برويز مشرف.. ومن يجهل الآن من هو الجنرال برويز مشرف؟. ودورة فى حرب الإسلام فى أفغانستان وباكستان وكشمير..
وخدماته ليس فقط لأمريكا ولكن للهندوس المتعصبين فى الهند.
لقد جلس الجنرال محمود مع بن لادن وزعامات من القاعدة فى قندهار. وسمع منهم تأكيدات بأن القاعدة لاتريد الإضرار بباكستان بل تقف معها فى خندق واحد ضد الهند

فى كشمير.. وتريد أن تجعل باكستان أرضاً آمنة لها يمر عبرها الأفراد والأموال. وفى المقابل تعهد الجنرال بالإفراج عن محتجزين عرب فى باكستان .

فى أعقابها نزل عدد من كبار قيادات القاعدة لحضور مؤتمر حاشد فى باكستان كمراقبين وليس مشاركين.. ولكنها كانت بادرة ثقة وتعاون..

ولابأس من كل ذلك إذا كان من باب (تحقيق أرجح المصلحتين أو دفع أسوأ المفسدتين).. ولكن أن يوضع فى إطار (التعاون مع الجناح الإسلامى فى إدارة برويز مشرف).. فهذا تصنع بالجهالة أو إصرار عليها .. أو أنها جهالة متوارثة عن الذين قاتلوا تحت قيادة العبد الصالح والأخ فى ا (سير برسي كوكس)..

والذى أسماه عبد العزيز آل سعود (الحاج عبد ا كوكس).. وإعتبره سلفنا الصالح ممن أقاموا دعائم ملك آل سعود بسيوفهم وفوق جماجم الأبرياء.. إعتبروا ذلك اليهودى كوكس مسلماً وأخاً فى ا ، وأنه ضابط إستخبارات من الصالحين أرسلته لهم الحكومة البريطانية الكافرة فى الهند!!..

أنها نفس مدرسة التناقضات والعجائب و.. العقيدة الصحيحة..

والذى فات قيادة القاعدة.. وقد فاتها الكثير جداً.. أن محمود ورطها فى التصرف المستقل عن الإمارة فى قندهار وعقد معها إتفاقاية ثنائية (للتعاون وعدم الإعتداء) فى حين أن موقف الإمارة لم يكن كذلك من نظام مشرف.

فالجنرال برويز مشرف وقبل أن تستقر قوائم كرسى الحكم من تحته، قام بزيارة سرية.. هى الأولى له خارج دولته.. وزار الملا عمر فى مقر أقامته فى قندهار، وكانت من أسوأ وأفشل المقابلات السياسية.

وفى بدايتها بدأ برويز الحديث مهدداً الملا بأن عليه أن يطيع أمريكا ويسلم إليها بن لادن.. وأن يتوقف عن تطبيق الشريعة فى بلاده، ثم بكل صراحة قالها:وإلا.. فإن حكمك لن يستمر!!.

وكما حدث فى لقائه مع مدير الإستخبارات السعودية منذ عامين غضب الملا .. فأطفأ غضبه بالوضوء، ثم عاد حتى يعطى رده لذلك الجنرال الذى لا يوحى بالثقة.. فقال له الملا عمر:إن تطبيق الشريعة بالنسبة للحاكم المسلم ليست مسألة إختيار بل هو مجبر، وسوف يحاسبه ا على ذلك يوم القيامة، وأن المسلم يجب أن يخاف ا ويطبق شريعته.. لا أن يخاف أمريكا ويطبق شريعتها.

إنقطع الحوار عندما أيقن كل من الحاكمين (المسلمين) الجارين أن كل منها يتكلم لغة مختلفة.. فلا الجنرال يفهم ما يقوله الملا.. ولا الملا مستعد للإصغاء لما يقوله الجنرال.

**[هذا كان موقف الملا، وعقيدته عند المجاهدين العرب غير صحيحة،.. رفض الكلام مع برويز عن أى شئ خارج عن جوهر الحكم فى الإسلام.. أما أصحاب (العقيدة الصحيحة والوحيدة) فيعقدون إتفاقات صداقة وحسن جوار مع مدير إستخبارات في حكومة ترفض الإسلام جملة وتفصيلاً!! ].**

فأين ومن .. يعرف ويطبق العقيدة الصحيحة ..؟؟.

قبل بدء الحرب الأمريكية بفترة وجيزة وصل وفد باكستانى إلى قندهار لمقابلة الملا عمر بشأن البحث عن فرصة أخيرة لتفادى الحرب وطرح إمكانية تسليم بن لادن لأمريكا كان الوفد مكوناً من علماء وشخصيات واقعة كالعادة تحت تأثير الإستخبارات الباكستانية.

وكانت البعثة جزء من حملة التمويه الأمريكية لإيهام الملا عمر أن الحرب غير مؤكدة ويكمن تلافيها... المهم أن هذه البعثة التى جاءت أيضا من أجل تسليم بن لادن لأمريكا كانت برئاسة الجنرال محمود!! .

**الفصـل**
**الخـامس**

# من الحرب.. إلى الهزيمة

## عاصفة الطائرات

كان مؤكداً أن هناك ضربة كبيرة على وشك الحدوث ضد المصالح الأمريكية، وأرسل بن لادن "تنبيهات شتى" فى إتجاهات متعددة خاصة لمخازن التمويل فى الجزيرة والخليج، وكذلك إلى مواطن مخزونة البشرى فى اليمن، بأن (الضربة الكبرى قادمة فإنتبهوا لأننى لن أستطيع تبنى أعمالى نتيجه لضغوط "طالبان".)

فهو كان يتبنى العملية قبل حدوثها لأنه كان محظوراً عليه تبنيها بعد الوقوع.. وهو أحدى الفرائد التى تمتع بها الرجل ضمن الكثير غيرها.

وكان آخر تسريباته التلفزيونية لمراسل القناة الفضائية السعودية مع ما رافقها من لقطات التدريب فى المعسكرات الجديدة، كانت كافية بأن تجعل الضربة الأمريكية ضد أفغانستان إذا حدثت تكون مبررة كضربة وقائية.. ضد عدو يقول فيفعل ويمتلك الوسائل الكافية لذلك. وتعجب البعض كثيراً لماذا لم تحدث الضربة الأمريكية الوقائية؟ ولماذا لم ترد أمريكا قبل ذلك، على ضربة المدمرة كول؟

هل فقدت أمريكا قدرتها على الفعل.. أم أن واراء الأكمة ما وراءها؟

**(رؤية أمريكية بعد الحرب على العراق قالت أن استراتيجية أمريكا إزاء تنظيم القاعدة كانت هى(الإحتواء ) لذا لم تفتح نيران الحرب على القاعدة بعد عملية عدن " وكما أشرنا فى موضوع آخر أن أمريكا كانت تدفع لحرب طائفية تشارك فيها القاعدة ضد الشيعة فى باميان وايران " .**

**واستمر بوش فى بداية عهده على هذه السياسة . ولكن بعد أحداث سبتمبر" عاصفة الطائرات " تبنت إدارة بوش استراتيجية الضربات الإسباقية ، التى أعطتها الحق فى الضرب أينما تشاء بدعوى مكافحة الإرهاب . وتلك وجهة نظر أمريكية رددها عديدون ، مثل ريتشارد كلارك مسئول الأرهاب فى بداية عهد بوش . ولكن النظرية التى يتبناها الكاتب هى أن أمريكا كانت تجهز لعملية " عاصفة الطائرات " منذ عام 1997م، وتستدرج إليها تنظيم القاعدة عبر إختراق أمنى للتنظيم بعناصر تعيش فى اوروبا وباكستان . وكان توجيه ضربة قوية للقاعدة قبل تنفيذ "عاصفة الطائرات " ، إنتقاما لضرب المدمرة كول ، كان سيلغى المخطط الأمريكى في شن حرب عالمية على الإسلام بدعوى" مكافحة الإرهاب الإسلامى " . لذا مرت عملية كول بلاعقاب) .**

شاهد العرب فى قندهار وكابول أحدث "عاصفة الطائرات" عبر لاقطات قليلة يمتلكونها (سراً) من وراء ظهر حركة طالبان. واهتزوا طرباً، وهزوا جدران البيوت بالتهليل والتكبير

والآحاد منهم شعروا بالحزن.. ليس لما حدث للأمريكان.. ولكن لما توقعوا حدوثه للأفغان والعرب.

ولكن نشوة الفرح العارم ورغبه الإنتقام المكتومة جعلت الأغلبية الغالبة تقول.. لقد فعلناها.. وليحدث ما يحدث بعد ذلك!!.

لا أحد من العرب أو من طالبان أو حتى الأفغان العاديين كان يشك للحظة أن العملية كانت لأبن لادن والقاعدة.

على الأقل أحد كبار المسئولين الأمريكان كان يفكر بنفس الطريقة، وقال أنه فهم عندما شاهد الحدث على شاشات التلفزيون أنه بن لادن لاغيرة.
لذا لم يفكر أحد فى أمريكا فى أى إحتمال آخر، وبدأوا فى تشحيم وتسخين آلة الحرب التى دارت ، بعد شهر من الزمان، بأقصى طاقتها التدميرية.
* ومن طرائف تلك الحرب أن أمريكا بدأتها وظلت تبحث بين الخرائب عن دليل يثبت الجريمة على بن لادن والقاعدة.
أما عن حركة طالبان فهى مدانه منذ وقت طويل لكونها سمحت لنفسها بتحدى الإرادة الأمريكية وإيواء أشخاص مغضوب عليهم أمريكياً، (إضافة إلى الأسباب الحقيقية التى لا يمكن لهم البوح بها).

- من الطرائف أو العجائب الكثيرة فى تلك الحرب أن الطرف المعتدى لم يكلف نفسه عناء تقديم دليل أو تبرير لأعماله، كما رفض الخضوع لأى قانون من أى نوع، حتى قوانينه الخاصة ودستور بلاده!!
- فهو يكتشف بعد تدميرالمدن الأفغانية شرائط فيديو تثبت الجريمة على القتيل !!.
- والأسرى من (العرب وطالبان) فضيحة أمريكية كبرى.. لأن القوات الأمريكية لم تقاتل على الأرض حتى تأخذ أسرى،وعندما حاولت القتال، فى مرات نادرة هزمت بسهولة، هزائم منكرة. (أو أنها قاتلت عن بعد) فالقوة الأمريكية الأساسية، التى كسبت الحرب فعلاً كانت معلقه بين السماء والارض داخل الطائرات.

أما جندى المشاة الأمريكى بتسمياته الإستعراضية الكثيرة فقد أثبت مرة أخرى فى أفغانستان جدارته بإحتلال المركز الأخير من بين جنود الأرض، لأنه تجاوز المعايير المسموح بها بشرياً لفضيلة الجبن.
ـ ورغم أن الأسلحة التى بين يديه تسبق تلك التى بين يدى خصومه بعدة قرون من التطور، ورغم سلاح الطيران ومنظومات الفضاء من أقمار صناعيه للتجسس والإتصال، وذخائر أذكى من كثير من البشر، رغم كل ذلك فإن ذلك الجندى التعيس سهل الهزيمة.. لو واجه عدواً عقائدياً أعد بعض الإعداد للمعركة قبل حدوثها. وهو مالم يحدث من جانب القاعدة أو حركة طالبان (وقد هزم المشاة الأمريكيون بالفعل فى عدة أشتباكات هامة كما سيأتى ذكرة).
لقد إشترى الأمريكان أسراهم بالأموال.. واختطف هؤلاء الأسرى من شوارع باكستان ـ أساساً ـ ثم شوارع كابول، وكانوا من غير المقاتلين، لأن الأمريكان أصروا على قتل كل من كان يحمل سلاحاً من العرب، لذا قتلوهم جميعاً، فى شمال أفغانستان، ولم يعد عربى واحد، ممن كانوا فى خط الدفاع عن كابول، كما قتلوا كل الجرحى العرب فى مستشفى ميرويس فى قندهار، بعد أن حاصروهم ومنعوا عنهم الطعام والماء، لأيام طويلة.

- والذين تم أسرهم فى الشمال وقعوا بالغدر والخديعة وضد الإتفاقات المعقودة التى تنص على الانسحاب الآمن إلى القاعدة الخلفية فى كابول أو قندهار.. ولكن أمريكا أصرت على قتلهم أو أسرهم بدون قيد أو شرط – كما قال المتجبر رامسفيلد وزير دفاع أمريكا.

جنود تحالف الشمال أثبتوا أنهم النسخة الأفغانية الأسوأ لجيش (أنطوان لحد) فى جنوب لبنان، فالجيش المذكور كان جيش النصارى الذى يخدم اليهود، أما تحالف الشمال فهو جيش المسلمين الذى يخدم النصارى واليهود معاً.

- لقد أثبتت الحملة الأمريكية على أفغانستان أن قدرة أمريكا على إستخدام الدولارات تأتى فى مقدمة أسباب القوة والإنتصار، تليها مباشرة قدرتهم الإعلامية الساحقة التى تمكنهم من خداع سكان كوكب كامل وتحويلهم الى قطيع سهل القياد تعداده المليارات من البشر مسلوبى الفكر والإرادة.
- الإعلام الأمريكي ( الدولى) هو نسخة حديثة من ذلك الساحر ذو المزمار الذى يستطيع، إجتذاب الناس ليسيروا خلفه حتى يقذفهم فى البحر أو يطبق عليهم بطن الجبل، أو سحره فروعون الذين يستلبون الأنظار ويستخفون العقول ويرهبون النفوس فينقاد الناس نياماً خائفين لعبادة فرعون المتجبر سافك الدماء.
- أثبت الإعلام الأمريكى (والدولى) قدرته على خداع المسلمين وحتى قياداتهم.. وتعبئتهم بالأفكار المغلوطة ليس فقط عن قضاياهم بل عن أنفسهم. وإصابتهم بالعمى وعدم القدرة على التمييز بين الأشياء.. وإغراقهم بالمعلومات والمشوشة، والملتبس حقها مع باطلها.

وقدرة ذلك الإعلام على تسويق الباطل بين المسلمين على أنه الحق وتشويه الحق على أنه باطل، وفرض الإظلام التام عن الحقائق المعنوية والقائمين عليها،
وتسليط الأضواء والألوان والموسيقى حول الإنحرافات والقائمين عليها، وجذب المسلمين نحو التهريج وصرفهم عن الحقائق الجادة.
لقد صمد الطالبان أمام الحملة الأمريكية الساحقة لمدة شهر حتى أوشكت الحملة على أن تفقد طريقها وتوازنها..
ولكن الدولار الأمريكى والإعلام الأمريكى تداركا الأمر واخترقا النفوس وفرقا الصفوف.. فكانت هزيمة المسلمين.
( صدر مؤخرا كتاب بعنوان ( أول من دخل أفغانستان ) كاتبه هو جارى شروين الذى خدم 35 عاماً فى المخابرات الأمريكية، قال فيه أنه أول أمريكي يدخل شمال أفغانستان محملا بالدولارات و أنه أشترى ولاء تحالف الشمال بملغ 5 ملايين دولار أمريكي!!.
فما أرخص بلاد المسلمين، بل ما أرخص الإسلام على أهله.)

## أخطاء ونقاط ضعف أدت إلى الهزيمة

### أولاً- غياب القدرة على الردع:

- لم يكن منطقياً تصور أن ينتصر الأفغان، أو نظام الإمارة الإسلامية الذى أقامته حركة طالبان، فى حرب تقليدية فى مواجهة الولايات المتحدة بآلاتها العسكرية الجبارة والتى ليس لها نظير على ظهر كوكبنا التعيس.
- ولكن.. لم يكن مستبعداً أن تلجأ حركة طالبان، وخلفها أغلبية الشعب الأفغانى، ثم الحلفاء الإسلاميين الذين توافدوا من أنحاء العالم.. أن يتمكنوا من خوض حرب

طويلة (لعدة سنوات) يتفكك فيها التحالف الدولى سياسياً وعسكرياً وينشأ وضع دولى جديد على أكتاف القوة الأمركية المتورطة والتى ستجد أمامها طريقاً وحيداً هو الخروج من أفغانستان على الطريقة السوفيتية.

خاصة إذا علمنا أن الإقتصاد الأمريكى كان قد بدأ ينزلق هبوطاً منذ خريف عام 2000م. إذاً أمريكا رغم آلتها العسكرية الخرافية إلا أن وضعها الإقتصادى المنزلق إلى أسفل لم يكن يؤهلها لكسب حرب (توريطية) فى أفغانسان، مع دين داخلى تعدى 31 ترليون دولار، ويزداد تلقائياً كل عام، وبدون حساب عجز الميزانية السنوى، بمقدار 1.5 ترليون دولار. ولايدرى أى رئيس أمريكى كيف يسدد هذا الدين للمرابين اليهود"الدائن الرئيس للحكومة الأمريكية".

وهذا يقود إلى نقطة أخرى أنه فى حال وقوع أمريكا من ورطة أفغانية واسعة النطاق طويلة المدى فإنها غالباً وطبقاً لحالتها النفسية المعروفة، سوف تلجأ، حتى تخرج من ورطتها ـ وتحتفظ بأنفها شامخاً على عباد ا ،ستلجأ إلى إستخدام أسلحة الدمار الشامل لأخماد مقاومة الأفغان.

وهذا إحتمال مرتفع للغاية إذا نظرنا إلى تاريخ الولايات المتحدة مع ذلك السلاح .

ـ فهى إستخدمته للمرة الأولى (أو لمرتين متتابعتين) ضد اليابان فى نهاية الحرب العالمية الثانية لمجرد إستعراض القوة وإحتلال الصدارة العالمية.

ـ وكانت على وشك إستخدامه فى بداية الخمسينات فى الحرب الكورية بناء على طلب من قائدها العسكرى هناك (ماك آرثر) عندما أشرف على الهزيمة على يد فلاحي شرق آسيا وهو الجنرال والنجم المنتصر فى معارك المحيط الهادئ.

ـ ثم إستخدمت الأسلحة الكيمائية على نطاق واسع فى فيتنام (ضد الأشجاروالبشر من أجل تقييد حركة قوات (الفييت كونج).

ولم يمنعها من إبادة الشعبين الكورى ثم الفيتنامى سوى المظلة النووية السوفيتية التى كانت تقف بالمرصاد.

ـ وأمريكا هى التى إستخدمت (عبر حلفائها العرب والأوربيين) الأسلحة الكيميائية فى الحرب العراقية الأيرانية (حرب الخليج الأولى) لمنع القوات الإيرانية من الإنتصار النهائى والكامل على قوات صدام.

ـ أما حالات التهديد الأمريكى بإستخدام أسلحة الدمار الشامل ضد الأخرين فهى أكثر من أن تحصى.

نال العرب فى أفغانستان واحدا منها على الأقل بعد تفجيرات أفريقيا التى أطاحت بسفارتى أمريكا فى نيروبى ودار السلام.

واعتبروا تلك التفجيرات ، والتى تمت بمواد عادية ، أنها إستخدام لأسلحة الدمار الشامل (!!) وهى بالتالى تستحق الرد بالمثل على أوكار (الإرهابين) فى أفغانستان.

أنه مجرد تلاعب بسيط بالألفاظ والتعريفات، ثم تمتلك أمريكا الحق فى إرتكاب أبشع الجرائم ضد البشر.

وقد إعتبروا فى أثناء حربهم الأخيرة محاولة راكب بريطانى إشعال ماوصفته الأخبار بقنبله بدائية مخبأة فى نعل حذائه، إعتبروا ذلك إستخداماً لأسلحة دمار شامل !!.

وطبعاً ليس هناك مقارنة فى قوى التأثير والتدمير لدى السلاحين رغم أنهم يحملان نفس الإسم الرهيب "أسلحة دمار شامل".. فبضعة جرامات من البارود فى كعب حذاء، وسلاح نووى قادر على محو عدة مدن ضخمة أو إزالة دول من الوجود،

كلاها فى التعريف الأمريكى- "سلاح دمار شامل" وإستخدام الأول من طرف خصوم أمريكا يعطيها الحق فى إستخدام الثانى الذى فى مخازنها.
والبارود الذى يحمله شخص فى كعب حذائه، أو تحت كرسى سيارته يمكن الرد عليه بسلاح من نفس "فئة الدمار الشامل" نووى أو جرثومى أو كيماوى تحمله صواريخ موجهة، تطلقها طائرات إستراتيجية أو غواصات نووية !!.
فليس غريباً أن يطلقوا على حملتهم الساحقة على الشعب الأفغانى إسم "العدالة المطلقة".

- غياب القطب المنافس ترك الإدارة الأمريكية على المسرح الدولى مطلقة الإرادة تفعل ما تشاء، وتستخدم قوتها بلا قيود أو حسابات من خارج مصالحها.

الآن وقد غاب ذلك التوازن فمن المنطقى أن تبحث أى دولة أو "حركة تحرر وطنى" أو "حركة جهادية" عن نوع من التوازن المماثل لحماية شعبها ونفسها من غرور القوة وغوايتها والتى تتلبس دوماً جنرالات أمريكا الذين هم حكامها الآن، ويمثلون علانية القوى الإقتصادية الجبارة التى تمسك بخناق الشعب الأمريكى وشعوب العالم كله.
هؤلاء الجنرالات لا يرغبون أن تبقى طاقة الدمار الشامل حبيسة القمقم إلى الأبد، خاصة بعد أن تم تطويرها فأصبحت صالحة للإستخدام التكتيكى.

- نعود مرة أخرى إلى غياب "سلاح الردع" ومظلة الرعب المتبادل" التى كانت تحمى حركات المقاومة فى عصر الحرب الباردة.

فأى حركات مماثلة ترغب فى التصدى للولايات المتحدة، قد لا تجد مفراً من إمتلاك مظلتها الخاصة بالردع. وإلا فلا فائدة مطلقاً من محاولة تحرر سوف تنتهى حتماً بإبادة شاملة للمقاومين وبنية بلادهم الإقتصادية. وحتى البنية البشرية نفسها..
وفى العراق ما يكفى من العبرة.. فهناك إستخدمت على نطاق واسع الأسلحة المشعة المهلكة لعشرات الأجيال الحالية والمستقبلية.
ـ أما أفغانستان فى الحرب الأخيرة.. فمازلنا فى حاجة لمزيد من الوقت لمعرفة تأثيرات الأسلحة المشعة والكيماوية. والمعلوم حتى الآن، أن أمريكا إستخدمت فى أفغانستان، أضعاف ما إستخدمته ضد العراق من تلك الأسلحة، وبدأت بعض التأثيرات تظهر على الأطفال حديثى الولادة، وفى حالات، الإصابة بالسرطان، ولكن ضعف الخدمات الطبية، وتواطؤ هيئات الإغاثة الدولية، ونظام الحكم القائم، تمنع من تحدي حجم المأساة التى حاقت بالأفغان.

- أصحاب "التوكيلات السعودية لمغامرات الجهاد الدولى" لم يكن فى ذهنهم قضايا من هذا النوع، فهم لا يحاربون فوق أراضيهم ولا بين شعوبهم.. وإذا إنهار كل شئ ـ وهو المتوقع دوماً ـ فيمكن لأياً منهم العودة، وإذا لم تفلح الإعتذارات والضمانات القبلية لفك أسره، فلا بأس من قضاء عدة أشهر، أو حتى سنوات، فى ضيافة الدولة فى سجن هو أقرب لفنادق دول العالم الثالث.

*صاحب توكيل الشيشان عرض عليه أسلحة دمار شامل من العهد السوفيتى، ولكنه ورغم إمتلاكه الثمن رفض بشدة، ثم أقحم الشيشان كلها فى حرب جديدة ضد روسيا أدت إلى تشريد ثلثى الشعب على الأقل خارج دياره غير عشرات الآلاف من القتلى فى شعب كل تعدداه ثلاثة أرباع المليون!!.

وصاحب توكيل أفغانستان عرقل كل محاولات وزير دفاعه من أجل تصنيع وإمتلاك أحد تلك الوسائل.. حتى قتل وزير دفاعه فى قصف أمريكى على مقر عمله فى قندهار،كما غرق سلفه قبل خمس سنوات فى بحيرة أفريقية، وفى ظروف غامضة، وكان فى مهمة خاف تلك الأسلحة للحصول على أحدها من سماسرة يجوبون الساحل الأفريقى.

وكما فعل زميله فى الشيشان قام صاحب توكيل أفغانستان بإشعال حرب ضد القوة الأولى فى العالم، حرباً وصفها بأنها "خير من الدنيا وما فيها"، ضاعت فيها أفغانستان.

إضافة إلى مقتل عشرات الألوف، وتدمير المجتمع الإسلامى والعربى المهاجر.

إن قضية الإسلام فى أفغانستان تقهقرت إلى الخاف مئة عام على الأقل

وعندما ظهرت بوادر الهزيمة أخذ يلوح فى الإعلام بإمتلاكه تلك القدرات، تماماً كمات فعل زعماء "طواغيت"عرب عندما إستعاضوا بالخطب الرنانة والتهديدات الجوفاء عن الإمتلاك الفعلى لقدرة القتال.. فكانت الهزائم للعرب .. والتوسع والأمجاد لليهود فى إسرائيل والعالم.

بعد إنتصار الأمريكين قلبوا جميع الأحجار والمغاور وفى الأخير قالوا أن صاحب التوكيل المذكور لم يكن يمتلك تلك القدرات .. ولكن كان لديه النية !! . وفي الحقيقه أن الذي كان لديه النية ويحاول السعى قد قتلته الطائرات الأمريكية فى قندهار.. أما الذى لم يكن لديه النيه، وعرقل كل سعى.. فما زال حراً طليقاً فى مكان ما.. نسأل ا   أن يحفظه ويرعاه.

- ما إصطلح على تسمية "بأسلحة دمار شامل" يعتبر أهم وسائل القتال فى هذا العصر، لذا تحرص أمريكا على منع إمتلاكه على جميع ضحاياها من الشعوب المستضعفه.

كما تحرص إسرائيل على منع المسلمين من إمتلاكه والعرب منهم بشكل خاص، والمجاهدين منهم على أشد الخصوص حتى صار هناك رادعاً نفسياً لدى كل المقهورين وبما فيهم المجاهدين إزاء مجرد التفكير فى ذلك السلاح أو مجرد ذكره، ولابد من الإستغفار والإستعاذة منه عندما يذكر فى أي مجلس، بينما يستطيع أى معتوه أو متطرف مسيحى فى الولايات المتحدة أن يداعب حكومته بجراثيم الجمرة الخبيثة، التى قالت الصحف أنه (يمكن الحصول عليها من الصيدليات!!.)

وقد حدث ذلك فى أعقاب أحداث سبتمبر وظن العالم أن القاعدة، أو أحدا من المسلمين (لا قدر ا  ) قام بهذا العمل (الذى يتبرأ منه الإسلام بالطبع طالما تتضرر منه أمريكا أوإسرائيل).

- ومن المفيد هنا أن نعيد سرد ما قاله (ديفد بن جورين) مؤسس إسرائيل وأول رئيس لوزرائها.. عندما قال فى الخمسينات لأحد أقرب مستشاريه [ "نحن لا نريد أن يصل هذا السلاح (النووي) الى يد العرب بأى ثمن، لأنه سوف يغريهم بإستعماله غير مقدرين للعواقب وخصوصاً أنهم لم يتأهلوا لثقافه الردع... وإسرائيل تفهم بشكل أفضل أن وجود هذا السلاح يغنى عن استخدامة"..] ((كتاب عام من الأزمات – محمد حسنين هيكل ص300)).

وبالفعل إستطاعت إسرائيل وأمريكا ردع العرب والمسلمين عن إمتلاك هذه الأسلحة.

كما نجحت الأيدلوجية السلفية ومقاولى المغامرات الجهادية فى ردع المجاهدين عن إمتلاك نفس الأسلحة.
والنتيجة حملة صليبية لم يسبق لها مثيل عنفاً و إتساعاً شملت 60 دولة منها أمريكا نفسها، لإقتلاع الإسلام وإستبدال مفاهيمه وتهويدها كما حدث للنصرانية من قبل.
وبدأ يترعرع وينتشر إسلام جديد يستنكر ويدين كل ما من شأنه تعكير صفو القائمين على الحملات الصليبية الجديدة .. أو يمس ولو من بعيد أمن إسرائيل والولايات المتحدة.. أو مصالحهما الدولية.
من ينظر فى مجريات (حملة بوش الصليبية) من فلسطين إلى أفغانستان إلى الهند وباكستان والفلبين وأندونيسيا والعراق والسودان.. يرى أن الأنظمة الحاكمة لم تعد معنية بمسألة الدفاع عن الشعوب وقضاياها المصيرية.. وأن حق الدفاع سوف ينتقل تلقائياً من أيدى الحكومات إلى أيدى الشعوب عبر أليات تبتكرها الشعوب نفسها.. كما هى مثلاً آلية الإنتفاضة فى فلسطين أو الحروب الصغيرة فى أفغانستان والفلبين وباكستان.. ومازالت تلك مجرد إرهاصات لهجوم معاكس لابد أنه قادم رغم ما يبدو أنه حالة إحتضار إسلامى..
لذا فإن ما كان محظوراً ومن المحرمات فى عهد الأنظمة والحكومات، عندما كانت تتولى الإدارة والدفاع.. قد يصبح من البديهيات بل من الضرورات الحيوية فى عهد الشعوب عندما تتولى بنفسها الدفاع عن قضايا وجودها.. بعيداً عن أيدلوجيات الإسلام المتهود الذى ترعاه الحكومات._

**كى تملكى كينونة فى الغابة الأرضية**
**وكى تكونى حرة**
**أيتها الحرية**
**لابد أن تمتلكى**
**قنبلة ذرية** ( الشاعر أحمد مطر)

# هوامش حول مفهوم الغرب لأسلحة الدمار الشامل

أنتاج وتخزين وإستخدام أسلحة الدمار الشامل هي تطور طبيعي للعقلية والأخلاقيات الغربية . المشكلة الوحيدة عندهم هو منع الآخرين من الوصول الي نفس المستوي وتحدي سيطرة الغرب عليهم ، وابتزازه لهم علي طريقة ( الرجل المجنون ) علي حد قول نيكسون الرئيس الأمريكي الشهير .

**ونورد بعض الفقرات لتوضيح ذلك .**

# ( قام البريطانيون بإستخدام الآسلحة الكيماوية أثناء تدخلهم عام1919 في شمال روسيا ضد البلاشفة ، بنجاح كبير، طبقا للقيادة البريطانية .
باعتباره وزيرا للخارجية في مجلس الحرب عام 1919 ، كان ونستون تشرشل شديد الحماس تجاه توقعات " إسخدام الغازات السامة ضد القبائل"غير المتمدينة" ، الأكراد والأفغان .
وأصدر أوامره لقيادة السلاح الجوي الملكي في الشرق الأوسط لاستخدام الأسلحة الكيمائية " ضد العرب المتمردين ، لتجربتها، مستبعداً إعتراضات مكتب الهند باعتبارها " غير معقولة " وعبر عن حزنه لوجود هذه الحساسية حول استخدام الغاز فقال شارحاً :" نحن لا نستطيع بأي حال من الأحوال أن نذعن لعدم إستخدام أي أسلحة متاحة لتحقيق نهاية سريعة للشغب علي حدودنا " .
واستطرد قائلا: إن الأسلحة الكيمائية هي مجرد تطبيق عملي لعلوم الغرب لتحديث فنون الحرب).

ناعوم تشومسكي كتاب الأمبراطورية الأمريكية – الجزء الثاني ص70-71
# ( ... إن الولايات المتحدة وبريطانيا حتي الآن تشتبك في شكل من أشكال الحرب البيولوجية المميته في العراق .فتدمير البنية التحتية وحظر الواردات اللازمة لإصلاحها كان سببا لإنتشار الأمراض وسوء التغذية والموت المبكرعلي نطاق شاسع شاملا 568000 طفل حتي عام 1996 ، طبقا لتحقيقات الأمم المتحدة وتقارير صندوق الأمم المتحدة لرعاية الطفولة التي أظهرت أن 4500 طفل يموتون كل شهر خلال عام 1996 .
... الولايات المتحدة وبريطانيا كانت لهما الريادة في إعاقة برامج المعونة . مثل إرجاء الموافقة علي عربات الإسعاف لأنها يمكن أن تستخدم في نقل الجنود !! .
كما عارضت أيضا المبيدات الحشرية التي يمكن لها أن تمنع إنتشار الأمراض، وكذلك قطع الغيار اللازمة للأنظمة الصحية ).
( ص 72-ص71 – المصدر السابق .)
( علي الولايات المتحدة أن تقوم بإستغلال مخزونها النووي لتصوير نفسها علي أنها "لا عقلانية وحقودة إذا ما هوجمت مصالحها الحيوية "
هذا يجب أن يكون جزءاً من شخصيتنا القومية التي نبرزها إلي جميع الخصوم ، وعلي وجه الخصوص إلي الدول الشريرة )
(-عن دراسة سرية تمت عام1995 قامت بها القيادة الاستراتيجية المسئولة عن المخزون الاستراتيجي للأسلحة الذرية ص 64-63 المصدر السابق) .
ويلاحظ ناعوم تشومسكي أوجه الشبه بين التقرير الاستراتيجي المذكور وبين نظرية الرئيس الأمريكي السابق ريتشارد نيكسون حول " الرجل المجنون " والتي يقول فيها :
" أعداؤنا يجب أن يدركوا أننا من المجانين الذين لا يمكن التنبؤ بتحركاتهم ، مع وجود قوة تدميرية هائلة بين أيدينا ، حتي يقوموا بالإنحناء رعباً لإرادتنا .
# تمتلك أمريكا 8000 رأس نووى. و بقوة تدميرية تبلغ فى المتوسط 20 ضعف قنبلة (هيرو شيما) التي قتلت أكثر من ربع مليون إنسان. أى أن أمريكا يمكنها تدمير العالم عشر مرات بقنابلها النووية. كما أنها ترفض التعهد بأن لا تكون البادئة فى إستخدامها. بل تستخدم أمريكا سلاحها النووى فى التهديد و الإبتزاز فى مجال السياسة الخارجية، و هو أمر غير أخلاقى و غير مبرر عسكريا حسب رأى وزير الدفاع الأمريكى السابق روبرت مكنمارا .
# ( فأسلحة الدمار الشامل باتت متوفرة للجميع خصوصاً بعد أن وصلت تقنياتها للبيع في السوق السوداء لمن يرغب من الدول والجماعات ، بل أنها تكاد تتحول إلي العلنية .
وبعض الطمأنينة الأمريكية تأتي من عجز الأعداء المحتملين عن إيصال أسلحتهم إلي داخل الولايات المتحدة ، لعدم ملكيتهم لصواريخ طويلة المدي . لكن العديد من الدول تعمل علي تطوير هذه الأسلحة ناهيك عن الجماعات المستعدة لإيصال هذه الأسلحة شخصيا إلي داخل الولايات المتحدة ) .
- عن كتاب الثلاثاء الأسود للدكتور محمد أحمد النابلسي من ص 138-137
# وعن توافر أسلحة الدمار الشامل في أيدي ميليشيات المتطرفين البيض، يقول النابلسي في كتابه سابق الذكر في ص166 ما يلي ( فهي" أي تلك الميليشيات " مسلحة وممولة ومقبولة في أوساط واسعة . كما أنها مستعدة للقتال وساعية للحصول علي أسلحة تتخطي السلاح الفردي حتي أن شائعات سرت خلال عملية ثعاب الصحراء عن ملكية هذه الميليشيات لأسلحة بيولوجية وجرثومية ومن المعروف أن شرائط فيديو متوفرة ، ولوبصعوبة ، تشرح طريقة إعداد المتفجرات وبعض الأسلحة الجرثومية . وفي هذا المجال تشكل الميليشيات البيضاء خطراً حقيقياً خصوصاً بعد أن يحسب لها إقدامها علي تفجير"أوكلاهوما").
وفي موضع آخر ذكر النابلسي أن البرنامج السياسي لتلك الميليشيات يرتكز علي مقاومة الحكومة الفيدرالية بالعنف لأنها واقعة تحت تأثير اليهود .

**ثانيا- غياب تصور صحيح للمعركة :**

..لم يتصور الملا محمد عمر حدوث "حرب" تحت أى سبب كان وأنه على الأكثر قد يحدث "عدوان" محدود يمكن إستيعابه.

وكان كبار مسئولى الإمارة يضحكون قائلين بأن ليس فى أفغانستان كلها هدفاً تعادل قيمته قيمة صاورخ "كروز" أمريكى واحد.

وقابلت الإمارة بالإستخفاف تحذيرات عربية عمرها سنوات بإتخاذ إحتياطات بديهة لحماية المخازن العسكرية، أو لتدريب قوات شبه نظامية، أو لتصنيع ذخائر خفيفة.. إلخ.

فقط قبل الحرب بأيام قليلة كانت هناك محاولات ضئيلة لحماية رادارات وطائرات.. ولكنها كانت متأخرة جداً وبدائية جداً.. فلم تجدى نفعاً.

بن لادن من جهته لم يذهب كثيراً فى تصوراته لأبعد مما ذهب إليه الملا عمر.. فقد تصور ضربة أمريكية محدودة يكون هو شخصياً الهدف منها.. أو تكون معسكراته والمجمعات السكنية التابعة لجماعته أهدافاً لها.وعلى أسوأ الإحتمالات قد تستهدف "الإمارة" ومركز القيادة فيها .. وبعض المنشآت والمواقع العسكرية.

وبما أنها جميعاً لاتستحق الذكر فالضربة يمكن إستيعابها بل تصور إمكان إستدراج القوات الأمريكية المهاجمة (إذا إستخدموا قوات خاصة) إلى مواقع بعينها يتم توجيه ضربة موجعة لهم فيها.ولم يغب عن بال بن لادن أن الملا عمر سيكون فى صدارة الأهداف المحتملة للضربة الأمريكية بصفته الحامى الأول له فى أفغانستان.

وذهب بعض الفرادى من العرب إلى مدى أبعد حين حذروا الملا عمر بأنه شخصياً سيكون الهدف للضربة الجوية الأولى.وبعد أحداث سبتمبر طالبوه بعدم إستخدام المقر الرسمى للإمارة أو الإستخدام المباشر لإجهزة اللاسلكى. وأن يقابل الوفود الخارجية – فى أضيق نطاق ـ وفى أماكن مختلفة حول قندهار.

وبالطبع لم يفعل أياً من ذلك ، حتى إستقبل الطائرات الأمريكية المغيرة وهو فى مقر عمله الرسمى !!.

كان التصور المبسط للمواجهه مع أمريكا مخلاً بدرجة مذهلة بما لا يتوافق مع حدة المواجهات السابقة حتى قبل أحداث سبتمبر .

التصور الساذج للمواجهة مع أمريكا.. نتج عنه إستعدادات ساذجة لم تفد بشئ.. فكانت الهزيمة.. لطالبان والعرب معاً.

**ثالثاً ـ غياب نظام للدفاع المحلى**

وذلك واحد من الأخطاء الكبيرة،العديدة، التى وقعت فيها حركة طالبان.

وهى منبعثة من حالة أنانية وإستئثار بالسلطة تملكت الحرس الحديدى للحركة، فحرموا الآخرين من المشاركة السياسية والعسكرية والإدارية.. وفى الواقع أنهم حرموا أنفسهم، من مساهمات شعبية أساسية لو أتيح لها الظهور فمن المؤكد أن مسار الحرب كله كان سيختلف وكذلك نتائجها.

فأفضل القادة العسكريين الكبار فى حقبة الحرب السوفيتية، وأفضل من أنجبتهم المرحلة السابقة من الكوادر القتالية والفنية كانوا مستبعدين من أماكنهم الطبيعية التى

شغلها آخرون من الحركة أو قريبين منها ولكن تعوزهم أدنى كافيات اللياقة لمسئوليتها الخطيرة.
على رأس ذلك تأتى وزارة الدفاع من القمة وحتى القاعدة .
ولعل جيش الإمارة هو الوحيد فى العالم الذى يسمح لأحد قادتة وقد تم أسره ثلاث مرات متتالية بنفس الأسلوب، أن يظل يمارس مسئولياته الخطيرة كنائب ميدانى لوزير الدفاع!!.
وبعض القادة الكبار بنى شهرته على أساس سفك الدماء وإرعاب الناس فى المناطق التى يدخلها،وليس على أساس مهارته فى القيادة العسكرية.
..نتيجة للإختلال الشنيع فى حالة الأمن ، وهو السبب الأساسى لإنبعاث حركة طالبان ، عمدت الحركة إلى سحب السلاح من أيدى الناس وتم ذلك بغلاظة فى أكثر الإحوال لدرجة أفقدتهم تعاطف الكثيرين ممن ساعدوا الحركة فى دخولها إلى مناطقهم عن طيب خاطر. أما القادة الميدانيون الفاسدون، فقد فروا من وجه حركة طالبان، ساحبين خلفهم، آلاف الأطنان، من الأسلحة، والذخائر، وباعوها بأبخس الأسعار، للتجار فى الأسواق القبلية فى باكستان. ( وقد عاودت حركة طالبان، وبن لادن، شراء الكثير من تلك المواد، فى وقت لاحق، وبأسعار مضاعفة).
تلك السياسة أعطت بشكل عاجل تأثيراً أمنياً إيجابياً.
فانخفضت إلى حد كبير نسبة الجرائم . ولم يكن ذلك بسبب نزع السلاح فقط بل أيضاً بسبب التطبيق العادل والحازم للحدود خاصة حد القصاص.
ولكن من جهة أخرى ترك سحب السلاح من أيدى الناس حالة "إنكشاف" أمنى خاصة فى غياب قوات نظامية للشرطة و الجيش، وفى ظل ضعف الدولة الواضح مع وجود أخطار خارجية متربصة.
وقد نبه البعض منذ البداية إلى خطورة النزع الشامل للأسلحة.. ولكن شدة المعاناة من الإنفلات الأمنى البشع الذى عانى منه الناس ، جعل عملية نزع الأسلحة موضع ترحيب شعبى عام.
وزاد الطين بلة أن عملية نزع الأسلحة ومصادرة الذخائر من العصابات المسلحة والحكومات المحلية الموالية لحكومة ربانى، قد رافقها عملية تخزين لمعظم تلك المواد فى مدينة قندهار خوفاً من أن تقع مرة أخرى فى أيدى المعارضة إذا تمكنت من إستعادة تلك المدن أو المناطق.
وتم تخزين كل ذلك فى معسكر قديم متهالك وشكل مخزوناً إستراتيجياً.. ضاع فى ضربة واحدة فى أول الحرب.
بعد إستقرار الحالة الأمنية فى معظم مناطق البلاد كانت الحاجة ماسة إلى تسليح قوات دفاع محلى من القبائل الموالية وهو ما تقوم به تقليدياً حكومات أفغانستان المتعاقية حتى تلك التى إمتلكت يوماً أجهزة دولة قوية.
ولكن حركة طالبان وكأنها فقدت الثقة في كل من هم خارج الحركة ووقعت فى مأزق التنظيمات المنغلقة.. فحرمت نفسها من أمكانية دفاع الشعب عنها.. كما حرمت الشعب إمكانية الدفاع عن نفسه عندما داهمته القوات الأمريكية وحلفاؤها.
وكانت مهزلة يندر مثيلها عندما تمكنت أعداد محدودة من المسلحين، ومعظمهم مجرد مجرمين عاديين ، من السيطرة على الشوارع فى مدن أساسية مثل كابول وهيرات ،

فاستولوا على مقار الحكومة الفارغة، وعينوا قادة الشرطة وألقوا القبض على من يشاؤون وصادروا الأموال ومارسوا القتل بحرية.
وأن يستمر هذا الوضع ليوم كامل، فى هيرات، وقوات الطالبان بالآلاف على بعد كيلومترات قليلة تنظر إلى ما يحدث وتستمع الأخبار، ولا تجرؤ على العودة مرة أخرى للسيطرة على المدينة التى مازالت خالية من أى قوات معادية .
بينما أنصار الحركة يذبحون فى الشوارع والأموال العامة مستباحة، والسطو المسلح على أشده.
وفى كابول لم تختلف الصورة كثيراً وظلت قوات الشمال التى سيطرت على المدينة أقل بكثير من اللازم.. ومع ذلك ما رسوا مجازر وحشية وسطو مسلح ونهب واسع النطاق وقوات طالبان مشغولة بالفرار، والموالون لهم فى المدينة منزوعى السلاح وعاجزون، وكذلك القبائل فى المناطق المحيطة بالعاصمة.
إذن الإفراط فى نزع سلاح الشعب ـ سعياً إلى إحتكار السلطة ـ وتغافلاً عن الأخطار الخارجية المحيطة كان سبباً غاية الأهمية فى الإنهيار السريع على الأرض أمام قوات الشمال الضعيفة، والقوات الأمريكية الخاصة، الأشد ضعفاً.
كان الشعب الأفغانى عند بداية الحرب، وبفعل السياسات الخاطئة من حركة طالبان:
1- منزوع السلاح .
2- لايمتلك تنظيمات للدفاع الذاتى.
3- معزول عن المشاركة السياسية فى الحكم.
4- يتوهم تحت تأثير الإعلام الدولى بأنه يشاهد معركة بين أمريكا وبن لادن الذى تحميه حركة طالبان، وأن تلك المعركة لا شأن له بها، وأن كل شئ سيعود إلى طبيعته، بل وأفضل منها، بعد طرد بن لادن والإرهابيين العرب وطرد حركة طالبان، وتشكيل حكومة يرضى عنها العالم، وبعدها ستحل كل المشاكل وتتدفق شلالات الأموال من أمريكا.
ناهيك بالطبع عن الفقر المدقع والمشاكل الإجتماعية المركبة والخراب الشامل الذى أصاب الناس والبلاد منذ الغزو السوفيتى حتي مرحلة حكم العصابات المسلحة (مرحلة ربانى) ثم حرب طالبان ضد "المفسدين" كما أسمتهم.

## رابعاً ــ التقصير في تأمين العاصمة كابول :

إهمال الإمارة الإسلامية قضية تأمين العاصمة السياسية للبلاد ، يرقي إلي مرتبة الجريمة المتعمدة .
فالسنوات الخمس التي سيطرت فيها علي كابول كانت أكثر من كافية لتنظيف الحزام الشمالي ، الذي ظل مرتعاً لقوات أحمد شاه مسعود ، التى كانت ضعيفة عدداً وعتاداً في معظم الوقت ، واعتمدت أساساً علي متطوعين مدفوعي الأجر من فلاحي المنطقة وقد طرح علي الإمارة عدة مشاريع لتطهير تلك المنطقة من وادي" شمالي" وتأمين العاصمة بشكل دائم ونهائي . وكلها مشاريع كانت قابلة للتطبيق ، رفضتها الإمارة وفشلت في تقديم بديل عنها .

من هذه المشاريع مثلاً ، ما تقدم به قادة البشتون القبليون الذين أبدوا إستعدادهم تطهير شمال الوادي والإستيطان به والدفاع عن العاصمة بشكل دائم من ذلك الإتجاه المقابل لمدخل وادى بنشير ومدخل "سالانج" . هذا علي أن تتولي الإمارة تعويض السكان عن ممتلكاتهم وإعطائهم أراضي بديلة في ولايات آخرى .
بدلاً عن المقترحات القبلية التي تم تطبيق مثيلاً لها في شمال أفغانستان قبل عدة عقود وضعت الإمارة تلك المنطقة الحساسة تحت إدارة وزارة الدفاع مباشرة . التي بدورها مارست سياسات عسكرية وإدارية عقيمة ومكلفة ، أدت إلي عكس المطلوب وفاقمت الأزمة ووطنت المقاومة المسلحة .

## خامساً - الضعف الإقتصادي :

الوضع الإقتصادي المتردى كان عنصر بارزاً من عناصر ضعف موقف الإمارة خاصة في حربها مع أمريكا . الحصار الإقتصادي والعقوبات الدولية ، والخراب الذي خلفته الحروب والحرب الداخلية ، كلها عوامل إستنزاف وخراب إقتصادي . فالأمم المتحدة رفضت السماح بزراعة قانونية للأفيون تكون تحت إشرافها لخدمة صناعة الدواء العالمية.
ثم جاء قرار الملا عمر وقف زراعة الأفيون نهائياً ، ليوجه ضربة قاضية للأكبر دخل متاح للفلاحين الأفغان رغم ضئالته ( 90مليون دولار فقط نصيب الإمارة منها في حدود ثلاثة ملايين دولار ) .
إجمالي ميزانية الإمارة سنوياً كان يتراوح ما بين سبعين إلي ثمانين مليون دولار . فإذا علمنا أنه وقت نشوب الحرب كانت ميزانية الدفاع الإمريكية أربعمائة مليار دولار ، أي ما يكفي نفقات الإمارة الإسلامية لمدة خمسة الآف عام فقط لا غير ، لظهر لنا مؤشر هام لخلل الموازين الإقتصادية والعسكرية بين الجاني والضحية .
كما أن حملة الشمال النهائية التي شرعت فيها الإمارة قبل العدوان الأمريكي بأسابيع قليلة إستهلكت آخر فلس في الخزينة الأفغانية ، وبدأت الإمارة في الإقتراض من التجار.
**( بعد عامين من الغزو بلغت ميزانية الدفاع الأمريكى خمسمئة ملياردولار ، وهى تزيد عن مجموع ميزانيات الدفاع فى العالم (!) . يقول الأمريكان أنهم يشكلون جيشا جديداً ليس للدفاع ضد قوة عظمى كما كان فى السابق ، بل للتدخل والهجوم فى أى مكان من العالم( ! ) . ونلاحظ أن منظومات سلاح غاية التطور توجه الآن لقتل المدنيين أو لسحق مجموعات مقاومة غاية فى الضعف ، التسليحى على الأقل ، كما يحدث فى أفغانستان وفلسطين والعراق .وليس من العسير ملاحظة التلازم بين زيادة الأفيون الأفغانى كماً وسعراً ومحاولة ترميم الورطة المالية لأمريكا فلا يمكنها الآن رفع أسعار النفط العالمى نظراً لإعتبارات سياسية ما زالت متحكمة ، مثل مصالح حلفائها الأوروبيين الكبار . ونظراً لاستفادة نظام ( مشاكس ) فى إيران ، وآخر فى روسيا ، التى يجب تفتيتها أولا ، فأمريكا فى حاجة إلى مزيد من الوقت كى تلعب لعبتها الكبرى فى مجال النفط لتركيع كل القوى الصناعية فى العالم ، وربما إفلاسها ، فى خطوة متأخرة قبل الظهور المباشر للحكم اليهودى الدولى . إن السعر الحالى للنفط هو سعر رمزى ، وإذا حققت أمريكا سيطرتها على كامل منابع النفط فى العالم ( خاصة الروسية والإيرانية) سوف يظهر السعر الحقيقى لتلك**

**السلعة الاستراتيجية النادرة . وسوف يدفعها العالم صاغراً على حساب رفاهيته المزيفة الحالية ، بل أيضا على حساب قيمة المعنوية والسياسية) .**

**سادساً ـ الضعف السياسى داخلياً وخارجياً:**

كما ذكرنا فى أكثر من موضع أن الوضع السياسى الداخلى "للإمارة الإسلامية" لم يكن مهيأ لتلقى صدمة خارجية كبيرة
والفئات الإجتماعية التى رحبت بالحركة وأطاعت الإمارة طواعية لم تقابل بما تستحق من المشاركة فى الحكم أو حتى فى المشورة الجادة.
وإشتكى حتى عدد من كبار حركة طالبان من إستئثار الملا عمر بالقرارات الهامة وحتى التفصيلية. (وهي نفس شكوى قيادات القاعدة من طريقه قيادة بن لادن).
إنضم الكثير من القيادات الأفغانية الهامة من العرقيات المختلفة إلى "الإمارة الإسلامية".. قيادات من الأوزبك والطاجيك والهزارة الشيعة.. في البداية أعطى بعضهم مناصب غير هامة. وفى خطوة تالية وضعوا فى بيوتهم أو غادروا البلاد طواعية يأساً من إمكان تقديم شئ نافع للبلد.
فأعطت الأقليات آذاناً صاغية للحملات الإعلامية القادمة من الخارج ومن المعارضة المسلحة ، بأن حركة طالبان هى حركة عرقية بشتونية هدفها الإستئثار بالسلطة ،وتهميش الآخرين.
تأثير قضية بن لادن على السياسة الداخلية كان فى مجملة سلبياً وأثار الإنقسام، بين مؤيد ومعارض، داخل حركة طالبان وخارجها، ورغم الإثارة والإعجاب المتولد من العمليات التى نسبها الإعلام الدولى إلى القاعدة وبن لادن إلا أن الحقيقة على الأرض ظلت سلبية بوجه عام..
فأغلبية قيادات طالبان ضد ظاهرة بن لادن بحذافيرها.
وعلى المستوى الشعبى ، فالأغلبية البشتونية متعاطفة معه إجمالاً.. ولكن ليس إلى درجة المسير خلفه إلى حرب يفتعلها هو ( قال أحد كوادر حركة طالبان: نحن الأفغان نفرح بوضع الضيف فوق رؤوسنا، ولكن لا نسمح له بأن يتبول عليها)..
وأثناء الحرب تعاطف العديد من البشتون مع العرب وساعدوهم على الهرب والخروج من البلاد، ولكن لم تسجل حالة واحدة تطلب منهم البقاء فيها.
أما الأقليات الأخرى كالأوزبك، والطاجيك والهزارة فكانت معادية أجمالا للعرب بصفتهم حلفاء لطالبان أساساً ثم نتيجة الإتهام بالوهابية.. ثم أن ترتيب إغتيال مسعود بواسطة العرب ، حرض الأقلية الطاجيكية على الثأر وعند إنتصارها فعلت الكثير بالعرب والباكستانيين.
وعلى المستوى الخارجى كان تأثير بن لادن حاسماً على السياسة الخارجية للإمارة.. وحماية الملا عمر له وضعت الإمارة فى طوق لم تستطع الفكاك منه، وإستطاعت أمريكا عزلها تماماً إلا من علاقات مع ثلاث دول هى باكستان والسعودية والإمارات وجميعها تحولت إلي مرتكزات أساسية للهجمة الأمريكية الأخيرة فقيادة الطيران الأمريكي كانت فى السعودية ( قاعدة الأمير سلطان الجوية ) ، والطائرات الأمريكيه والقوات الخاصة كانت مرتكزة على باكستان ومعظم عمليات التجسس وحتى المطارات الصحراوية التى إستخدمها الأمريكان من داخل أفغانستان نفسها كانت من

"صناعة" شيوخ الخليج الذين إختاروا ، رغم محاظير الأمن، صحراء قندهار وهلمند لصيد طيور الحبارى!! .

الحرب الداخلية بين الإمارة و(أهل الشمال) أضعفت الإمارة كثيراً في شتي المجالات.كما أمدت الحملة الأمريكية بالقوات الأرضية التي كانت في أمس الحاجة إليها . تلك الحرب كانت مفروضة علي الإمارة فرضاً بواسطة القوى الإقليمية، المتلاقية مع الإرادة الأمريكية .

ومع هذا ، فقد كان ممكناً إنهاء هذه الحرب في وقت مبكر لو أن الإمارة إتبعت أساليب سياسية وعسكرية أفضل .

# إشترك الملا عمر مع بن لادن فى خطأ سياسى واحد هو بقاء تحالفاتهما السياسية كما كانت منذ حقبة الجهاد ضد السوفييت.

فالملا عمر بذل القليل للخروج من دائرة الهيمنة الباكستانية.

وبن لادن لم يفعل شيئاً سوى تأكيد الهيمنة السعودية عليه عبر "العلماء " و"التمويل".

ومن هذه القاعدة السياسية الموالية لأمريكا والخاضعه لها إنطلق الزعيمان العربى والأفغانى لمحاربة أمريكا!! وذلك من العجائب التى تستحق التأمل..

**سابعاً  الضعف الإعلامى**

# ..الضعف الإعلامي الشنيع لدى "الإمارة الإسلامية" ساعد على عزلتها الدولية حتى داخل الأوساط الإسلامية نفسها.

كان موقف الإمارة من الإعلام يتسم بالأستعلاء والتحقير. وفتوى منع التصوير التى طبقها جهاز الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر جعلت وسائل الإعلام الخارجية على قلتها تحت ضغوط صعبة.

ولم تستطع الإمارة مد جسور مع إعلام خارجى مستقل بإستثناء قناة الجزيرة التى عانت هى الأخرى من سياسة طالبان المعادية للإعلام.

والوسائل الإعلامية القليلة لدى الإمارة، لم يتبقى في البلد من الكوادر الإعلامية ما يكفى لتشغيلها. ناهيك عن نظرة الإحتقار السائدة لمن يعمل فى الإعلام والتى طالت حتى وزير الإعلام نفسه والذى أطلقت عليه الإمارة لقب"وزير اللغو" إحتقاراً لشأن عمله.

ثم كانت الإذاعة على ضعفها وسيلة لا بأس بها فى يد الإمارة للإتصال مع جمهورها المحلى وكان تأثيرها معقولاً.. لذا كانت على رأس قائمة الأهداف التى قصفتها الطائرات الأمريكية في بداية الحملة الجوية.

لم يتبقى فى يد الحركة والمعركة على أشدها سوى البيانات الصحفية التى يدلى بها سفيرها فى إسلام آباد (عبد السلام ضعيف) إلى أن أسكتته باكستان عندما ظهرت علامات الهزيمة على نظام الإمارة الإسلامية، ثم سلمته لأمريكا التى إعتقلته للتحقيق!!.(**ذكرناأن ضعيف كان مطلعا على ضغوط أمريكا على طالبان لمنع بن لادن من مغادرة أفغانستان،وقد أوشك بن لادن أن يغادر ولم تكن الإمارة لتعارض، لكن ذلك كان سيعرقل خطة الغزو لذا عارضته أمريكا،ثم إعتقلت ضعيف حتى لايفشى السر الذى يظهر أن قرار الغزو كان سابقا على أحداث سبتمبر).**

**ثامناً - إنقلاب الموقف الباكستاني**

من المعروف أن تنظيم المؤخرات وتأمينها هو من أهم واجبات قيادات الحرب . فالمؤخرات هي خزان الطاقات البشرية والإقتصادية ومرتكز الخدمات ‘ ومقر القيادات السياسية والعسكرية .

ومن المعروف أن إرتباك المؤخرات كان السبب الأساسي لخسارة ألمانيا في الحرب العالمية الأولى . فى وقت كان وضع قواتها في الميدان يتحسن خاصة بعد خروج الجيش الروسي من المعركه بعد ثورة1917 في روسيا .

ولكن الإضرابات العمالية وتوقف مصانع الذخيرة ( وكان اليهود والشيوعيون وراء ذلك حسب رأى هتلر ) حطم الجبهة الألمانية فأنسحبت القوات المسلحة من أرض معركة لم تخسرها عسكرياً .

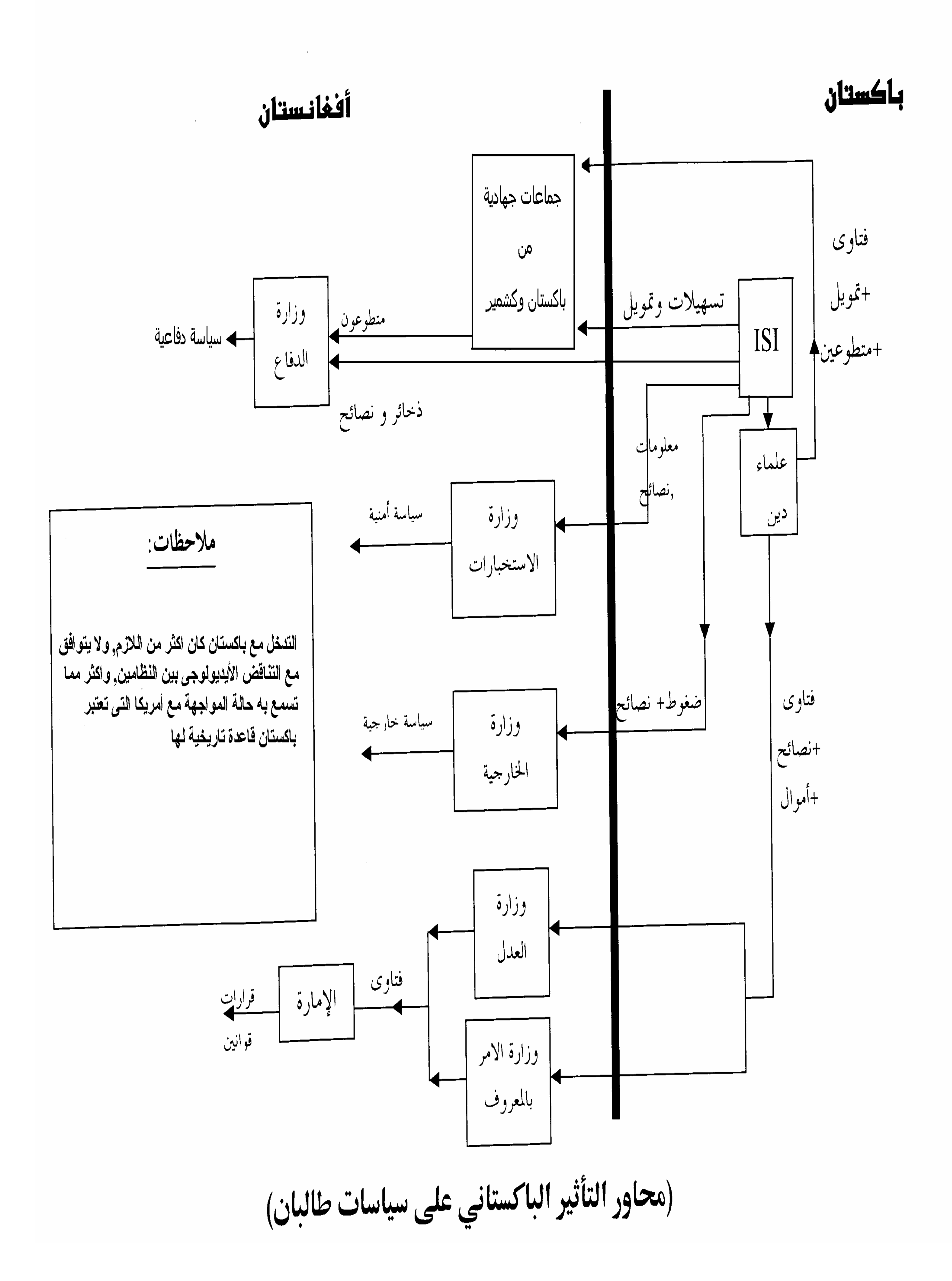
في المقابل نقول أن باكستان ، كانت تقوم بدور المؤخرة الفعالة للجهاد الأفغاني ضد السوفييت.

إستقرار وثبات ذلك الدور كان جوهرياً فى إإنتصار الأفغان . من أجل ذلك بدأت أمريكا حربها ضد أفغانستان فى عام 2001 م بالاستيلاء على مؤخرتهم الفعالة فى باكستان ،بل وتقدموا منها بجيوشهم وبالمرتزقة الذين تم تجنيدهم فى المناطق الحدودية صوب قندهار وجلال آباد.

فكان سقوط " الأمارة اللإسلامية " حتماً مقضياً.

يحسب على حركة طالبان عدم محاولتها جدياً التخلص من الهيمنة الباكستانية .

وللإنصاف ينبغى القول بأنه فى ظل الحصار الدولي والأقليمى لم يكن أمام الطالبان سوى القليل كى يفعلوه فى هذا المجال . ناهيك بالطبع عن محدودية قدراتهم السياسية والإدارية،فالدولة كانت بلا أجهزة منذ عام1992.




(محاور التأثير الباكستاني على سياسات طالبان)

# وداعاً قندهار

## ( الحوار الأخير بين الكاتب وأسامة بن لادن)

في أواخر شهر أغسطس 2001م خطر لأسامة بن لادن أن يستدعي صديقه القديم في لقاء قبل أن يغادر بن لادن مدينة قندهار. وشاءت الأقدار أن يكون ذلك اللقاء هو اللقاء الأخير بين الرجلين ، كما كانت تلك المغادرة هي نهاية حقيقية للعلاقة بين أسامة بن لادن ومدينة قندهار ، بل وأفغانستان كلها بعد أشهر أو أسابيع قليلة .

لم يكن الشوق هو الدافع إلي اللقاء ، بل كانت الخشية من جموح ذلك الصديق القديم الذي لا يحتاط في إبداء وجهات نظره .

فقد هاجم بغضب، تصريحات بن لادن لمحطة ( إم بي سي) الفضائية والتي توعد فيها بن لادن الولايات المتحدة بعمليات دامية قريبة تفوق كل ما عداها .

بإنفعال شديد ، وأمام عدد من الكوادر الإعلامية "للقاعدة" وبحضور أحد مساعدي وزير خارجية "الإمارة الإسلامية" ، إنفجر الصديق القديم قائلا : أن هذا التصريح ليس أقل من إعلان حرب علي الولايات المتحدة، التي أصبح من حقها – قانونا- أن تبادر إلي ضربة استباقية ضد أفغانستان كلها وليس قندهار فقط .

أن صاحبنا "بن لادن" قد تجاوز حدوده ، فليس من حقه إعلان حرب علي دولة خارجية نيابة عن حاكم هذه البلاد وليس من حقه فرض حرب علي شعب أفغانستان ، الذي لا يري لنفسه ، حتي الآن علي الأقل، أن له مصلحة في خوضها.

وإذا كانت المسألة هي طرد قوات الإحتلال الأمريكي من المملكة السعودية ، فلماذا لا يقوم بذلك الشعب السعودي نفسه ؟ ، ولماذا لا يتحرك العلماء هناك من أجل " تحرير الحرمين الشريفين " ؟ هل علي الأفغان أن يقاتلوا أمريكا نيابة عن الشعب السعودي ؟ وهل يجب علي بن لادن أن يقاتل أمريكا حتي آخر أفغاني؟؟..

شعر شباب القاعدة بالإمتعاض الشديد ، ليس فقط لأن الكلام إعتبروه جارحاً للغاية ، بل أيضاً ، كما صرح بعضهم فيما بعد ، أن أحد" الأجانب من الطالبان " كان حاضرا في الجلسة ورغم أنه موظف في وزارة الخارجية إلا أنهم يعتبرونه "جاسوساً" عليهم من جانب وزارته .

كان طبيعياً أن تصل تفاصيل تلك الجلسة العاصفة إلي القيادات العليا في القاعدة بعد وقت وجيز ثم إلي بن لادن نفسه .

حدثت الجلسة العاصفة بعد صلاة العشاء من ذلك الصيف القائظ ، الذي كان الرابع ضمن سنوات جفاف قاتلة ضربت أفغانستان كلها .

في الصباح بينما أوساط القاعدة تتناقل وتناقش ما حدث في جلسة الأمس الحارقة كان " الصديق القديم " ينقل ثورته إلي وزارة الخارجية في الأمارة . فتحدد له موعد للقاء الوزير في عصر نفس اليوم .

# مولوي وكيل أحمد متوكل شاب هادئ متزن شديد الذكاء ، وموقعه كوزير خارجية " للإمارة الأسلامية " لا يحسده عليه عاقل ، ولا تساعده عليه خبرات المحيطين به . فالوزارة هجرتها كل الخبرات البيروقراطية القديمة . فلم تعد هناك وزارة بالمعني المفهوم ، بل لم تعد هناك دولة . وكل ماتقوم به " الإمارة الأسلامية " وحركة طالبان هو محاولة فرض الأمن ومحاولة تجميع الوحدات الإجتماعية مرة آخري قبل إعادة بناء الدولة من جديد .

شئ من الصداقة والثقة كانت تربط الوزير الشاب " بالصديق القديم " الآراء لم تكن متطابقة ، ولكنها كانت واضحة بالنسبة لعديد من الموضوعات الهامة ، ومن بينها موضوع " بن لادن" بشكل خاص .

كان الوزير من صقور المتشددين الذين يطالبون الإمارة بموقف حازم من تجاوزات بن لادن . وهو ما يتصادم مع موقف "الملا محمد عمر"المتسامح والصبور.من أجل هذا كان متوكل أول المستقيلين من الوزارة عند نشوب الحرب، علي إعتبار أنه حذر من تلك العاقبة .

وقد وقع الوزير في أسر القوات الأمريكية ، ويبدو أنه لاقي معاملة مخففة بشكل ما. في تلك الجلسة ، التي لم يحضرها غيرهما ، كرر " الصديق القديم " إيضاح وجهة نظره أمام الوزير . وقال بأن "بن لادن" في تصريحه الأخير قد أعلن ،واقعياً ، الحرب علي الولايات المتحدة . ولن يكون غريبا أن نشهد"هطول" الصواريخ علي قندهار وكابول ومدن آخري في أي وقت . وهو عدوان تخطط له أمريكا منذ مدة . وأصبح لديها الآن ما يبرره أمام العالم .

ثم أضاف أنه مالم تتخذ الإمارة الآن إجراء ضد بن لادن فسيكون الوضع غاية الخطورة . فالشعب الأفغاني لن يتحمل حرباً لا ناقة له فيها ولا جمل ، وسوف ينفض من حول "الأمارة" والملا عمر سوف يجد نفسه معزولاً داخل حركة طالبان ، التي في معظمها تري ضرورة "تحجيم" بن لادن . وفي النهاية فإن أمريكا تريد هذه المرة إسقاط نظام "الإمارة الإسلامية"واستبداله بنظام عميل لها . ودافعها الرئيسي كما تحدثنا قبلا هو إطلاق العنان لزراعة الأفيون . وأن الولايات المتحدة لن تسمح بآي حال بأن تتوقف زراعة الأفيون لعام آخر وبناء عليه فالحرب قادمة لا محالة في موعد أقصاه منتصف أكتوبر – موعد بذار الأفيون- والآن وفر لها بن لادن الذريعة . ( وهنا إبتسم الوزير الشاب لأنه كان يعلم بنظرية حرب الأفيون هذه وناقشها مع "الصديق القديم " وكان معترضاًعليها ويري أنها ضرب من الخيال علي إعتبار أن أمريكا هي ضحية لتجارة المخدرات كما تؤكد ذلك الأمم المتحدة وأمريكا نفسها). ولكن الصديق واصل القول بأنه لا يعادي بن لادن بل ينادي بالدفاع عنه والحفاظ عليه ، ولكن ذلك لا يعطي بن لادن الحق في تقرير مصير أفغانستان نيابة عن شعبها وحاكمها .

ثم ضرب له مثلا بالأب الذي يضرب أبنه علي يده عقاباً له ، فليس ذلك من كراهية الوالد لولده بل العكس هو الصحيح . فالوالد يبذل عمره كله وحياته من أجل ولده، ولكن يعاقبه حفاظاً عليه.

لم يظهر الوزير وجهة نظره بشكل فوري ولكنه وعد بأن ينقل فحوي الحوار كله إلي الملا محمد عمر ليتخذ فيه قراراً..

وانتهت المقابلة بعد أن قال الصديق القديم أنه يسعي إلي لقاء بن لادن كي ينقل له مباشرة وجهة نظره التي كررها أمام الوزير .

من الطبيعي أن يفي الوزير بوعده ، وينقل مادار في ذلك الحوار إلي الملا محمد عمر والدائرة القريبة منه . ولكن ماذا عساهم يفعلون ؟..

فهناك عاصفة لابد ستأتي ولا أحد يعلم متي وكيف أو ماذا ينبغي عمله.

وهم يعرفون ذلك "الصديق القديم " غريب الأطوار عجيب الآراء.

وقد وصلتهم تكراراً نظريته حول"حرب الأفيون الثالثه" . والتي إدعي فيها منذ عام تقريباً أن عام (2001) سيشهد ، علي الأرجح ، حرب الأفيون الثالثه . وأن موعد بدايتها لن يتأخر عن (شهر أكتوبر) من ذلك العام وأن موعد نهايتها لن يتأخر عن (شهر ديسمبر) من نفس العام . وأن الهدف الإقتصادي للحرب هو ( تحرير مزارع الأفيون – أو بمعني أصح الإستيلاء عليها) وأن الهدف السياسي هو تعيين حكومة عميلة لأمريكا في أفغانستان .

علي وجه الإجمال كان هذا الكلام غير مقبول أو مقنع . وحتي لو صح ذلك فماذا يمكن للإمارة أن تفعله ؟؟. فهكذا كان يقول العقلاء الواقعيون في دائرة صنع القرار هناك .

أما الضرب علي يد بن لادن ، ولو برقة متناهية ، فلم يعد ممكناً في الوقت الراهن . فالرجل أصبح "معبود الجماهير" ، والإعلام الدولي يترصد أي كلمة يقولها أو حركة يقوم بها، حتي أضحي،وبلا منازع ، أهم رجل في العالم وأيضاً ، أخطر رجل في العالم، علي حد وصف الإعلام الدولي نفسه .

وشعبيا فالمسلمون يعتبرون بن لادن أهم رجل في حاضرهم ومستقبلهم، والرجل "المنتظر"الذي ظهر علي جواد أبيض كي ينطلق من افغانستان (لتحرير المقدسات الإسلامية) بل والعالم الإسلامي كله ( الذي سيشاهد ذلك العرض التلفزيوني الممتع وهو متخشب أمام شاشات التلفزيون!!)

المهم أن بن لادن ليس فقط أهم من الملا عمر وحركه طالبان بل أهم من أفغانستان كلها.. فهكذا يقول المسلمون كلهم والعالم أجمع.فهل يجرؤ أحد حتي لو كان أميراً للمؤمنين – أن يضربه علي يده؟

إن فعل ذلك الملا عمر فسيصبح فى نظر المسلمين أكبر خائن للإسلام.

ما العمل إذن؟.. فلننتظر ما ستأتي به الأيام.. وعندها يكون لكل حادث حديث.

وأثبتت الأيام أن ذلك كان هو قرار الإمارة الإسلامية في قندهار : فلننتظر!!.

ولكن بن لادن لم ينتظر. كان لا بد أن يسرع في" فرملة" كرة الثلج التي دحرجها "صديقه القديم" مثير المشكلات.

ولا شك أن مادار في الإمارة وقبلها وزارة الخارجية قد وصله عن طريق عدد من أصدقائه في تلك الدوائر.

في مساء نفس اليوم وصلت دعوة (أو استدعاء) للصديق القديم كي يقابل بن لادن في التاسعة من صباح اليوم التالي.

موضوع الجلسة مفهوم ضمنا. والمكان هو قرية "عرب خيل" الثالثة التي تم إخلائها من السكان الذين توزعوا في بيوت متفرقة في أنحاء المدينة. وذلك بعد أن أخذت طائرات أمريكيه بدون طيار تجوب سماء قندهار بشكل متقطع. منذ بدايه ذلك العام. فتوقع الجميع قصفاً لتلك القريةالطينية البائسة.

فتشرد سكانها للمره الثالثه (المرة الأولي في جلال أباد كماسبق ذكره والثانيه في قريتهم جنوب مطار قندهار والتي غادروها خوفا من رده فعل أمريكية علي إغراق المدمرة كول في ميناء عدن).

إحدى الغرف الطينية مخصصة لإجتماعات بن لان بضيوفه وقد تم تأسيسها بالحصير والوسائد القطنية متواضعة الحال مع شبه مكتب قصير الأرجل مزدحم بكتب سياسية حديثة إستوردها القسم الإعلامي من خارج أفغانستان.

في تلك الغرفة تم ترتيب الجلسة مع صاحب المشكلة "صديقهم القديم" بينما الوفد المقابل له كان يترأسه بن لادن ونائبه الدكتور عبد المعز(أيمن الظواهري) ثم أبو الخير السفيرالدبلوماسي للقاعدة. ومن الوجوه الجديدة كان (سليمان أبو الغيث ) القادم حديثاً من الكويت ليتولي منصب حديث أيضا هو" الناطق الرسمي" باسم القاعدة . ثم شخص آخر من السعوديه، فهم أثناء الحوار أنه من" قادة المجاهدين الميدانيين في المملكه" . كما فهم أيضا أن الهدف من وجوده هو تفنيد ما قاله الصديق القديم بأن الشعب في المملكة راض عن الإحتلال الأمريكي وأن بن لادن يريد من الأفغان دفع فواتير تحرير السعودية من الأمريكان.

وبشكل تقريبي دار الحوار كالتالي – وقد بدأه بن لادن مبتسماً بسعة صدر سائلاً صديقه القديم.

**# هل سمعت التصريحات الأخيرة في قناة ( إم بي سي ) ؟.**

= هذه ليست تصريحات .. بل إعلان حرب، وإني لأعجب كيف تأخرت علينا صواريخ كروز حتي الآن ؟. ثم إنك خالفت إتفاقك مع الملا عمر بألا تدلي بتصريحات إعلامية وألا توجه أي ضربات للولايات المتحدة ، وسمح لك فقط بتوجيه ضربات إلي إسرائيل وقال أنه مستعد لتحمل تبعات ذلك. وأنت تعلم تفاصيل ذلك الإتفاق .

**# ولكني لم أدل بأي تصريح مباشر والكلام الذي أذيع كان علي لسان المراسل .. وهي تهديدات وليست إعلان حرب كما تقول.**

= أما أنك لم تدل بتصريح فهذا نوع من التلاعب . فالمراسل ، حسب علمي من شهود اللقاء ، نقل بالضبط ما قلته أنت له. وقد إلتقط لنفسه صوراً إلي جانبك حتي يثبت لرؤسائه ومشاهديه أنه قد قابلك بالفعل ، وهو صادق في هذا وكان أمينا في نقل رسالتك كما أنه زار معسكر التدريب وتم تزويده من قسم الإعلام بعدة لقطات للتدريب . إذن هو لقاء تلفزيوني وإن لم تتحدث أنت فيه بشكل مباشر والجميع يفهم ذلك ، وليس "الملا عمر " بالساذج إلي هذه الدرجة .

أما كونه ليس إعلان حرب بل مجرد تهديد ، فهذا أيضاً غير صحيح فأنت لك الآن مصداقية عالية وقد هددت سابقاً فحدثت ضربات للأمريكان ، وإن لم تكن قد تبنيتها بشكل سافر، ولكنهم الآن يعلمون أن تهديدك يعقبه عمل وليس مجرد كلام في الهواء . والآن بعد هذا التهديد العنيف علي قناة فضائية أصبح لديهم الحق القانوني في ضرب أفغانستان . فلا أحد يعتقد أنك تهدد مازحاً هذه المرة ، رغم أن تهديدك الأخير مبالغاً فيه .

**# لست مبالغاً .. عندي لهم ضربة كبيرة .. ستكون ضحاياهم ليس بالمئات ، بل بالآلاف .**

(أحدثت الصدمة أثرها علي "الصديق القديم" فظهرت عليه الدهشة وتلعثمت كلماته في البداية ، لكنه إستعاد نفسه بصعوبة أثناء الكلام وهو يقول .

= ماذا ؟.. لا أظن أن لديك الإمكانية لفعل ذلك .. لا أعرف ولا أريد أن أعرف ماذا عندك أو ماذا تريد أن تفعل .. هل ستضربهم بأسلحة دمار شامل ؟ ليس هذا ضمن إمكاناتك ، حسب علمي وتقديري .فبأي شيئ ستحقق تلك الخسائر؟.. لقد أغرقتم المدمرة كول فهل ستغرقون الأسطول الأمريكي كله في هذه المرة ؟.. لا أظن أن ذلك ممكننا . ولكنني أوضح لك أشياء لا تغفل عنها أولها أن أمريكا عدو ضخم

الإمكانيات وبالتالي عنده قدرة هائلة علي إمتصاص الصدمات ثم توجيه ضربات إنتقام مضادة .
وهنا إذكرك بحادث ( بيرل هاربر) وفيه دمرت اليابان معظم الأسطول الأمريكي ، فماذا حدث؟.. إستوعبت أمريكا الضربة وخلال عامين بنت أسطولا أحدث وأكبر وهزمت اليابان بعد أن ضربتها بالقنابل الذرية .
فالمشكلة ليست كيف تبدأ الحرب ، فهذا في مقدور كل أحد ، ولكن المشكلة هي كيف تكسبها ؟.
ثانيا أذكرك أن هذه المرة مختلفة عن سابقتها ، لن يكون الرد الأمريكي هذه المرة مثل ردهم علي ضرب سفاراتهم في أفريقيا.. مجرد مئة صاروخ كروز بعثروها هنا وهناك .
ولا مثل ردهم علي إغراق المدمرة "كول".. الذي هو تجاهل تام ربما لتغطية فضحية لم يسبق لها مثيل لأسطولهم الحربي ، رمز سيطرتهم الإستعمارية علي العالم ، وهذه كارثة معنوية لا يخدمها التصعيد بأي شكل .
هذه المرة أمريكا سوف تقاتل من أجل إعادة زراعة الأفيون في أفغانستان ، وقد تناقشنا في ذلك سابقاً وأعرف رأيك فيه . ولكن الحرب قادمة لا محالة .. وفي وقت قريب.. فلا تعطي أمريكا مبرراً لشن هذه الحرب، ودعها تظهر وجهها القبيح علانية .
أمريكا هذه المرة ستخوض حرباً كاملة علي أفغانستان من أجل أسقاط نظامها الإسلامي القائم وتنصيب حكومة من طرفها تضمن لها مصالحها وتضمن إستبعاد الإسلام من أفغانستان بشكل دائم ونهائي .
فإن كان لديك ، كما تقول ، ضربة جاهزه فأجعلها ردة فعل علي عدوانهم المرتقب ولاتجعلها ذريعة في يدهم لشن حرب علي أفغانستان قد جهزوا لها بالفعل .
عند هذه الدرجة من النقاش ظهر كأنما الكفة بدأت تميل لصالح "الصديق القديم" فقد صمت بن لادن وأمعن في التفكير. وهنا تدخل الدكتور عبد المعز لإعادة الأمور إلي نصابها ، فقال بحماس وجِده :
**# كيف تقول أن أمريكا سوف تحاربنا ثم تقول في نفس الوقت ألا نبادر إلي ضربها . هذا كلام متناقض ، وأنت لا تجهل أن صاحب الضربة الأولي تكون له اليد العليا في الحرب وفي تجاربنا مع إسرائيل ما يثبت ذلك . ثم ما الفرق بين أن نضرب أمريكا أو أن تضربنا أمريكا طالما أن الحرب ستنشب علي أي حال كما تقول أنت بنفسك ؟؟.**
كانت اللهجة الحادة غير المعتادة من الدكتور عبدالمعز المعروف بهدوئه وأدبه الجم سببا في لعثمة جديدة إنتابت صاحبنا القديم الذي بدأ بالرد قائلا :
= هناك فرق .. بالطبع هناك فرق أن تبدأ أمريكا الحرب من موقع الطرف المظلوم المعتدي عليه، وبين أن تبدأ الحرب بعدوان سافر.
سيكون الفرق علي مستوي العالم ومستوي المسلمين ، والأهم علي المستوي الأفغاني
الأفغان لن يدخلوا حرباً لايفهمونها ولا يتعاطفون معها ويرون أنها لا تخصهم في شيئ . ولا تنسي أن هذه الضربة إذا ما تمت ستكون عصياناً لصريح أوامر الملا عمر الأمير الشرعي لهذه البلاد ، وقد بايعتموه علي السمع والطاعة . وأمور الحرب هي من أهم إختصاصات الحاكم ولا يصح الإعتداء علي حقه هذا وتوريطه في أمر لا يريده ، بل قد نهي عنه صراحة .

وقد ذكر لكم الرجل أنه لا يخشي أمريكا ولكن يخشي أنضمام باكستان إلي أمريكا في الحرب عليه . وقد حذره برويز مشرف بنفسه من ذلك قائلا أنه لن يستطيع منع أمريكا من إستخدام بلاده في ضرب أفغانستان في حال قررت أمريكا ذلك.
معني ذلك أن الجيوش الأمريكية ستدخل علينا من حدودنا مع باكستان في حال نشوب حرب .
ثم إلتفت صاحبنا (القديم ) إلي بن لادن قائلا :
= عودة إلي ردة الفعل الأمريكية المتوقعة عند أي ضربة لمصالحها ، أقول لك أن ضربتها المضادة ستجعلنا الخاسر الأكبر .
سيخسر المسلمون جميعاً ، سيخسر الأفغان ، سنخسر ، نحن العرب المقيمون في هذه البلاد ، ملجأنا الأخير في هذا الكون .
بسبب باكستان قد تكسب أمريكا الحرب ، وهي لن ترضي بأقل من إسقاط نظام الحكم الحالي وتحويل أفغانستان إلي التابعية الأمريكية فأي شيئ يمكن أن يعوض المسلمين عن هذه الخسارة ؟؟.. لا تقول أن ضحايا أمريكا سيكونون بالمئات أو الآلاف. فأقل شيئ يمكن أن يعوض المسلمين عن سقوط أفغانستان هو سقوط أمريكا نفسها ، ومع ذلك ستظل الكفة راجحة بالنسبة لهم لأن أوروبا يمكن أن تقود الغرب في نفس الطريق الذي هو طريقها في الأصل وهي التي أسسته .
إن أفغانستان هي كل شيئ بالنسبة لنا الآن ، ولايمكن تعويض خسارتها. وبالتأكيد لن يستطيع العرب البقاء في أفغانستان ولو لنصف ساعة إذا ما سقط نظام الإمارة الإسلامية واختفي الطالبان.
الآن لدينا عدة مئات من العائلات ومئات الأطفال والنساء فأين سيذهب هؤلاء ؟.
خارج أفغانستان لا ينتظرنا سوي القتل أو الأسر.. لا أقول لك أن أحداً لن يساعدنا بل أقول أن أحداً لا يريد مجرد سماع إسمنا .
العدو لا يخطط فقط لإبعادنا عن أفغانستان ، بل لإبادتنا ، فلا تعطه المبرر القانوني والأخلاقي أن يفعل ذلك والعالم معه متعاطف ، ونحن الطرف المعتدي .
الإسلام هو المستهدف النهائي من هذا كله ونظام الإمارة الإسلامية هو نتاج أكثر من قرن من الجهاد ضد صليبية الغرب، من بريطانيا إلى السوفييت، والآن يستعد الأمريكان لتوجيه ضربة قاضية في حرب لم نجهز لها شيئاً ، ولا الأفغان جهزوا شيئا بل الشعب الأفغاني منهك من طول الحروب وكثرة الضحايا وقلة النتائج . إنها حرب وأنت تتكلم عن ( ضربة ).. قل لي بعد هذه (الضربة) التي تتحدث عنها ماذا يمكنك أن تفعل في باقي الحرب؟.. مجرد أن تجري والأمريكان من خلفك ؟.. الحرب (ضربات) متوالية ضمن برنامج وخطة .. هل لديك هذه القدرة ؟..
وهنا إنتعش بن لادن وحانت لحظة هجومه المضاد علي صديقه المتشائم القديم .
فقال في ثقة وإقتدار :
**# بالطبع ليست ضربة واحدة ، بل سلسلة ضربات .. عندي حتي الآن أكثر من مئة شاب سجلوا أسماءهم في عمليات إستشهادية .**
**إن شعب الجزيرة ليس راضياً عن الإحتلال كما تقول وليس كل العلماء كما تظن فالخير موجود في هذه الأمة ، وسوف تبدأ العمليات ضد الأمريكيين هناك. وهذا الأخ الجالس إلي جانبي جاء من هناك حتي يرتب معنا ،وخلفه شباب كثيرون.**
**وهو سيحدثنا عن روح الشباب هناك واستعدادهم .**

بدأ الشاب في حديث مقتضب وكانت هيئته ونبراته أهم بكثير من أقواله ،فكل ذرة من كيانه توحي بأنه مقاتل شديد البأس . وقد أكد الشاب علي أقوال بن لادن عن حماس الشباب واستعدادهم ، وتجهزاتهم ، والأهم عزيمتهم علي إخراج الأمريكان من "المملكة" وسائر جزيرة العرب .

كان علي "الصديق القديم " أن يعقب علي هذا الحديث المؤثر، فتوجه بالكلام إلي بن لادن قائلا :

# إذكرك بحديث قديم لنا عن تجربة (عنتر الزوابري) في الجزائر ، وعن أشرطة الأناشيد التي ظهرت في السعودية وكلهاصراخ يقول (أقتل أقتل..دمر دمر) إن ذلك شيئ شديد الخطورة علي القضية كلها. وأذكرك بما قلته لك سابقا من أن أمريكا ستدافع عن إحتلالها للملكة ولجزيرة العرب علي قدر مكاسبها من ذلك الإحتلال . وبعد ضرب الإسلام في عقر داره فإن النفط هو مكسبهم التالي.. والنفط يعني عظمتهم الكونية علي حد قولهم . فالمعركة إذن طويلة وقاسية وعالية التكاليف .. ولن يكون إنسحابهم سريعاً ولا سهلا ، وبدون إكتساب تعاطف وفهم وتعاون الأمة الإسلامية كلها قد لا يكون ممكنناً تحقيق هدفكم المعلن "بتحرير الحرمين الشريفين" فالأمه الإسلامية كلها تنصت إليك الآن ولكنك لم تحدد لهم واجبات معينة في "معركة المقدسات" وكان يمكنهم فعل الكثير لو أنك أوضحت لهم مايمكنهم فعله . فمن الدعاء لك إلي المقاطعة الإقتصادية إلي العمليات الإستشهادية، هناك مجال واسع جدا لمشاركة إسلامية فعالة وشاملة لا غني عنها. في معركة كهذه في مواجهة عدو بحجم الولايات المتحدة لا يمكن مواجهته بشخص واحد أو جماعة جهادية واحدة أو حتي شعب دولة واحدة .

# # الكلمة الأخيرة التي أنهت الجلسة كانت للدكتور عبد المعز الذي كان غاضبا منفعلاً من ذلك النَفَس" الإنهزامي" في كلام "صديقهم القديم"وتكلم عن الثقه في نصر ا ،وعدم التهويل والمبالغة في قوة العدو وأن أمريكا أضعف بكثير مما يتصور الكثيرون

كان لابد من إنهاء الحديث حتي لا يتحول إلي مزايدة أو مهاترة . وقد شعر الصديق القديم أن الطلقة قد خرجت من فوهة البندقية ولا سبيل لإرجاعها مرة أخري ، وأن التراجع الآن سيكون له نفس ثمن الصمود والمضي قدماً .

فنهض مودعاً الجميع .. فكان الوداع الأخير .

# صليب فى سماء قندهار

## يوميات الحرب من واقع المفكرة الشخصية ، وشهود عيان ومصادر خبرية عامة وخاصة

## أولا : مقدمات الحرب (من 9سبتمبرإلى 28 سبتمبر 2001)

**الأحد 9 سبتمبر 2001 م**

إغتيال أحمد شاه مسعود القائد العسكرى لتحالف الشمال على يد إثنين من العرب تنكرا على هيئتة صحفيين، والحادث من ترتيب "القاعدة".

**الثلاثاء 11سبتمبر2001م**

"عاصفة الطائرات" تهب على الولايات المتحدة فى عملية إستشهادية مركبة تؤدى إلى إنهيار برجين لمبنى التجارة العالمى، وجزء من وزارة الدفاع الأمريكية، وطائرة رابعة أسقطت فى الطريق وكانت على الأغلب متوجهة إلى البيت الأبيض.

والعاصفة من ترتيب القاعدة.. (غالباً).

**الجمعة 28 سبتمبر 2001**

آخر محاولة من حكومة باكستان لنزع فتيل الحرب: وفد بقيادة الجنرال محمود رئيس جهازالإستخبارات وعدد من العلماء ذوى المكانة لدى حركة طالبان.. هدف الوفد أقناع الملا عمر بتسليم بن لادن.. لكنه رفض.

## ثانياً :بداية الحرب والصمود الإيجابى [من 7 أكتوبر إلى 9نوفمبر]

**الأحد 7 أكتوبر 2001 ، 19 رجب 1422**

..اليوم الأول للحرب الأمريكية على أفغانستان.

بدأت الغارات الجوية حوالى التاسعة مساءاً بتوقيت كابول.

..ركزت الغارات على كابول وقندهار، ثلاث محاولات متتالية لإغتيال الملا عمر عن طريق الجو بالصواريخ الذكية.

... مقتل أحد أبناء الملا عمر وعمه فى الغارات الجوية.

..أمريكا تتنبأ بسقط نظام الإمارة خلال 3 إلى 5 أيام.

..تظاهرات ليلية فى بعض مدن باكستان.

..بعد يومين يعقد في الدوحة مؤتمر وزارء خارجية الدول الإسلامية !!( الحرب علي أفغانستان ليست مدرجة علي جدول أعمال المؤتمر !!) .

**الإثنين 8 أكتوبر 2001م**

الرئيس الباكستانى برويز مشرف يلقى كلمة صباحاً يعزى أمريكا فى ضحايا أحداث سبتمر ويقول أنه نصح حركة طالبان ولم تستجيب له.

..الناطق الرسمى بإسم تحالف الشمال (عبدا عبدا ) يقول أنهم قد أخطروا مسبقاً بالعمليات الأمريكية وسينسقون الجهود معها. [أنفقت المخابرات الأمريكية فى تلك الحرب 70 مليون دولار، ذهب أكثرها إلى تحالف الشمال، حسب مقال لصحيفة (الواشنطن بوست) الأمريكية نشرته الشرق الأوسط السعودية].

..تعديلات هامة فى جيش باكستان ورئيس جديد للأركان وإقصاء الجنرال محمود، من رئاسة الإستخبارات.

**السبت13أكتوبر 2001**

سقوط أول شهيد عربى فى الحرب وهو أبو بصير المصرى من الجماعة الإسلامية، قتل فى أنفجار قنبلة عنقودية من بقايا قصف الليلة السابقة على فرقة عسكرية فى جلال آباد. (حسب مصادر عربية).

**الأحد 14 أكتوبر 2001**

..ظهور إصابات الجمرة الخبيثة فى أمريكا. وصل عددها إلى خمسة وتنتشر عبر خطابات البريد، (ظهر بعد أشهر أن الفاعل أمريكى ودوافعه لم تعلن).

..(الجنرال كولن باول) وزير الخارجية الأمريكى، يصل إلى إسلام آباد ليلاً بعيداً عن المظاهرات الغاضبة.

..غارات ليلية على قندهار يفوق عنفها كل ما سبق، وتستمر حتى الصباح. (حسب التحليلات العربية، فإن تلك الغارات وما تبعها من محاولة للهجوم على مقر الملا عمر، ومطار "رباط جعلى"، كلها مرتبطة بزيارة الوزير الأمريكى لباكستان. الذى كان يتابع، النتائج المتوقعة، والتى من المفترض أن تكون حاسمة، وتؤدى إلى إنهاء الحرب، فوراً، ولكن العمليات أسفرت عن فشل كامل أقرب إلى الفضيحة العسكرية .

**الثلاثاء 16 أكتوبر 2001**

..إستمرار الغارات الجوية على قندهار حتى نهار الثلاثاء وطالت الصواريخ مقر الإمارة. والمعسكر المركزي للقوات، وقسم شرطة المدينة. لم يسقط قتلى نهاراً. إستمرت الغارات فى الليل أيضاً.

**الأربعاء 17 أكتوبر 2001**

..قصف جوى غاية العنف أثناء النهار طال معظم أنحاء قندهار.

قصفت الطائرات المدرسة الدينية (مدرسة جهادى) وقتلت عدداً من الطلاب.

تم تدمير المقر المركزى لهيئة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

..رسمت الطائرات صليباً ضخماً بالدخان الأبيض فى سماء قندهار.

..عدد القتلى كبير وتناثرت الأشلاء فى شوارع المدينة.

..أصيبت عدة منازل وعدد من وسائل النقل.

..تم تدميرعدة مساجد صغيرة.

.. إستمر القصف أثناء الليل، وشمل مقر الإمارة.

..الغارات شملت معظم مدن البلاد.

**الخميس 18 أكتوبر 2001**

**الأول من شعبان 1422هـ**

..الغارات على قندهار مستمرة ليلاً ونهاراً..

..البدو يكتشفون مطاراً سرياً للطائرات الأمريكية فى صحراء قندهار قرب الحدود الباكستانية.

والطلبة يستطلعون المطار المذكور- ويكتشفون مواقعاً آخر لطائرات الهيلوكوبتر داخل حدود باكستان. (خبر خاص، من مصادر الإمارة الإسلامية)

الجمعة 19اكتوبر 2001م
2 شعبان 1422هـ

## القوات الخاصة تهاجم مقر أمير المؤمنين

..أهم أيام الحرب حتى الأن بسبب إستخدام أمريكا لقواتها الخاصة لأول مرة بعد 13 يوماً من التمهيد الجوى العنيف.
..عمليتي إنزال جوى : الأولى على مقر "الإمارة" فى قندهار، والأخرى على مطار فى منطقة نائية فى أقصى جنوب الغرب تدعى رباط جعلى(على الحدود مع إيران) .
..فشلت الأولى مع خسائر فادحة، والأخرى خسروا فيها 70 قتيل حسب إفادة أحد الناجين من المدافعين عن المطار.
..إسقاط طائرتى هيلوكبتر على الأقل فى عملية قندهار.
أول نكسة ضخمة للبرنامج الأمريكي.

## الخميس 25 أكتوبر 2001

بعد حصار إستمر يومين . قوات طالبان تعتقل القائد البارز عبد الحق ثم تقوم بإعدامه. كان فى مهمة مع عناصر من الإستخبارات الأمريكية والباكستانية لترتيب إنقلاب فى جلال آباد.
وهى ثانى نكسة كبيرة للبرنامج الأمريكيى.
((ظهر الآن أن البرنامج الأمريكي فى أفغانستان يتخبط.. وفقد الطريق، وذلك حسب تحليل عسكرى عربى فى قندهار، سنورد لاحقاً تعليقات أمريكية، تؤكد نفس النتيجة)).

## السبت 27 أكتوبر 2001

..أعنف غارات جوية على كابول منذ بداية الحرب، وقصف أهداف مدنية.
..قصف مخازن الغلال التابعة للصليب الأحمر فى كابول للمرة الثانية لترويع المدنيين وتجويعهم.
..القصف مستمر على باقى المدن ويطال الآن أهدافاً مدنية أكثر.
قوات طالبان تصد هجوماً للمعارضة فى ولاية سمنجان الشمالية.

## الجمعة 2 نوفمبر 2001

- أمريكا تعترف بسقوط طائرة هيلوكوبتر وإنقاذ 4 من ملاحيها، لكن مصادر طالبان تقول بإسقاط طائرتى هيلوكبتر وقتل وأسر من فيها .
- تحالف الشمال يشكو من عدم تأثير الغارات الأمريكية على تماسك دفاعات الطلبة فى كابول، ويدعى أن الطائرات الأمريكية سرعتها أبطأ من اللازم!!.

## الأربعاء 7 نوفمبر 2001

..مصادر خبرية أمريكية تقول أن طائراتهم ألقت إلى الآن 15 ألف طن من القنابل على مواقع طالبان فى شمال أفغانستان. (أى بمعدل طن من القنابل لكل مقاتل من طالبان !!، حسب المعلومات الأفغانية ).
.. بن لادن يقول للصحفى الباكستانى (حامد مير) أنه يمتلك أسلحة دمار شامل وسيستخدمها فى حالة إقدام أمريكا على إستخدام هذه الأسلحة ضده أو ضد طالبان.

## ثالثاً - "بداية النهاية لحركة طالبان":

الجمعة9 نوفمبر 2001 **سقوط مزار شريف.**

..سقوط مدينة مزار شريف ليلاً فى أيدى قوات دوستم.

. باكستان تغلق القنصلية الأفغانية في كراتشي وتأمر السفير الأفغانى عبد السلام ضعيف بعدم عقد مؤتمرات صحفية أو إنتقاد أمريكا!!.

.. إستشهاد القائد العسكرى لقوات المتطوعين فى أفغانستان (جمعة باى) أثناء تحركه لمساندة قوات مزار شريف، وقتل 52 متطوعاً كانوا معه ومن بينهم 12 عربياً إثر هجوم جوى أمريكي أستخدمت فية قنابل الأطنان السبع.

.. مصرع شاب قطرى (مختل عقلياً) هاجم قاعدة جوية أمريكية فى بلادة، فقتله الحرس الأمريكان والقطريون وأمريكا تحرك حاملة طائرات لحماية مؤتمر يعقد فى قطر لمنظمة التجارة العالمية. ( حسب وكالات الأنباء العالميه).

## الأحد 11 نوفمبر 2001

.. الرئيس الأمريكى يعلن زيادة مساعداته لباكستان إلى مليار دولار مكافأة على تعاونها مع بلادة فى الحرب على أفغانستان.ويعلن إلغاء العقوبات الإقتصادية السابقة عليها.

..تحالف الشمال يعلن أن قواته دخلت مدينة تاخار. وأن شمال البلاد أصبح تحت سيطرته (ماعدا قندز).

..سقوط محافظة باميان فى أيدى المعارضة (أى قطع الطريق البرى بين كابول وشمال البلاد).

..سقوط ميمنة (عاصمة فارياب) فى أيدى المعارضة المسلحة (أى قطع الطريق البرى الرئيسى بين هيرات وشمال البلاد أى أن الشمال أصبح مغلقاً تماماً فى وجه طالبان).

..الطيران الأمريكى يقصف مقر مؤسسة الوفا السعودية فى كابول ويقتل ستة من العرب ليلاً (حسب مصادر عربية).

..صحيفة بريطانية:( أمريكا عثرت على أقوى دليل يدين بن لادن فى تفجيرات نيويورك وهو عبارة عن فيلم فيديو له يعترف فيه بذلك وتم تصويره فى أكتوبر الماضى).

..الرئيسان الأمريكى والباكستانى يناشدان من نيويورك تحالف الشمال بعدم إقتحام كابول!!

## الأثنين 12 نوفمبر 2001

.. سقوط طائرة ركاب (إيرباص) فوق حي سكنى فى نيويورك وقتل 240 راكب مع 9 من طاقم الطائرة – قالوا إن السبب هو عطل فنى!!.

..المعارضة الشمالية تقول أنها على مشارف هيرات وسوف تهاجمها اليوم.

.. الإعلام الأمريكى يقول بأن المعارضة أصبحت على بعد(10كم )من كابول وأمريكا تعلن عدم قدرتها على منعهم من إقتحام العاصمة!!.

.. قوات طالبان تخلى اليوم وبدون قتال مدينتى هيرات وكابول !!

وعصابات نهب مسلحة تستولى على المدينتين لمدة يوم كامل، قبل وصول قوات تحالف الشمال إليها.( حسب مصادر عربية وأفغانية).

الثلاثاء 13نوفمبر 2001

## سقوط كابول – سقوط هيرات

..بدون قتال، دخلت قوات تحالف الشمال إلى العاصمة كابول.
إلقاء القبض على عدد من العرب والباكستانيين وقتل عدد منهم والتمثيل بجثثهم.
..قوات إسماعيل خان تتقدم من مخابئها فى ولاية غور وتستولى على هيرات.

الخميس 15 نوفمبر 2001م

29 شعبان 1422هـ

## إستشهاد أبوحفص المصرى

غارة جوية عند الفجر على أحد مقار القاعدة فى قندهار واستشهاد 16 شاباً من بينهم (أبوحفص المصرى) القائد العسكرى لتنظيم القاعدة.

..وصول 100 جندى بريطانى من القوات الخاصة الى كابول.

..الأردن وتركيا وفرنسا تنوى إرسال قوات إلى أفغانستان "لحماية المساعدات الإنسانية!!".

**الجمعة 16 نوفمبر 2001**

**أول رمضان 1422هـ (حسب أفغانستان)**

..مصادر أمريكية: 20 ألف مقاتل جيد التدريب والتسليح من حركة طالبان مازالوا صامدين فى قندز فى وجه الهجمات الجوية الأمريكية والهجمات الأرضية لتحالف الشمال.

..سقوط ولايات: جلال آباد، فراه، نيمروز في يد تحالف الشمال لتصل نسبة سيطرته على الأراضى 80 %.

..جماعة أندونيسية تقول أن لها 150 مقاتلاً يقاتلون إلى جانب طالبان.

السبت

17 نوفمبر 2001م

2 رمضان 1422هـ

## مجزرة للعائلات العربية فى بانشواى

طائرات الهيلوكبتر الأمريكية تطارد وتقتل 6 عائلات عربية، ليلاً فى صحراء قندهار قرب قرية بنشواى فى أكبر مجزرة للمدنيين العرب فى أفغانستان.

**الأثنين 19نوفمبر 2001**

ـ وصل إلى كابول وفد رسمى من روسيا يمثل الجيش والخارجية وهو أول وفد يصل العاصمة بعد دخول تحالف الشمال إليها.

ـ الطائرات الأمريكية تدمر مدرسة دينية فى خوست(تابعة لجلال الدين حقانى) (وتقتل مئة من المصلين، أفغان وباكستانيين، كانوا يصلون التراويح فى مسجد ملحق بأحد مقار جلال الدين حقانى فى خوست).

ـ وزير الداخلية الأفغانية يقول أن القوات البريطانية التى وصلت قاعدة باجرام لم تنسق مع الحكومة.. وبرهان الدين ربانى يقول أنهم ليسوا فى حاجة الى قوات بل إلى مساعدات. [ حسب رؤية عربية: فإن الروس دفعوا ربانى إلى التصلب فى مواجهة أمريكا حتى تعامله كما عاملت أمير الكويت جابر

الأحمد الذى أعادته إلى العرش بعد تحرير الكويت. ولكن أمريكا هذه المرة كان لها رأي آخر، وفضلت تعيين كرزاى حاكماً لأفغانستان، وممثلاً لإحتكارات النفط الأمريكية، وبالتالى إستبعدت ربانى والروس معاً من أفغانستان وحتى من وسط آسيا كلها].

..بسبب مشاكلها مع تحالف الشمال بريطانياً توقف إرسال 3000 جندى آخر إلى أفغانستان

**الثلاثاء20نوفمبر 2001**

..وزير دفاع أمريكا يقول: ليس أمام قوات طالبان المحاصرة فى "قندز" سوى القتل أو الإستسلام بلاشروط.

..ودوستم مستعد للتفاوض مع (ملا داد) قائد تلك القوات. والأخضر الإبراهيمى يقول أن قوات طالبان فى قندز مستعدة للإستسلام بلا شروط ولكن للامم المتحدة فقط.

..أمريكا تقول أنها مستعدة لوقف الغارات على قندز اذا طلب منها ذلك تحالف الشمال.

**الأربعاء 21 نوفمبر 2001م**

وزيرة التنمة الدولية فى الحكومة البريطانية وعضو مجلس الحرب تقول أن أمريكا تعرقل وصول الأغذية إلى الأفغان، وتتهمها بعرقلة وصول القوات البريطانية والفرنسية إلى أفغانستان .

**الخميس 22 نوفمبر 2001**

نائب وزير دفاع طالبان (الملا فضل) إجتمع مع دوستم فى مزار شريف ثم وافق على إنسحاب قواته من قندز شريطة توفير ممر آمن.

الرئيس الأمريكى لجنوده فى كنتاكى: حرب أفغانستان مجرد بداية.. والصعب لم يأت بعد!!.

(1500جندى) أمريكى يتأهبون لدخول أفغانستان (لمطاردة تنظيم القاعدة!!).

..مندوب الرئيس الأمريكى يهبط فى قاعدة (باجرام) شمال كابول، ويستدعى (الرئيس) ربانى لمقابلته هناك. (على عكس ما فعله الوفد الروسى الذى ذهب لمقابلة ربانى فى القصر الجمهورى).

أمريكا تقول: تنظيم القاعدة متواجد فى 60 دولة (بما فيها أمريكا) وسوف تطارده فيها جميعاً.

..وزير خارجية بريطانيا (جاك سترو) يجتمع فى طهران مع وزير خارجية ربانى (عبد ا عبدا ) بإشراف وزير خارجية إيران خرازى. {هناك مشكلة بين القوات البريطانية وحكومة ربانى ، وطهران تستخدم نفوذها الدبلوماسي علي حلفائها من الأفغان في مجهود وساطة " إصلاح ذات البين" بين ربانى وجماعته وبين قوات الغزو الأمريكي البريطاني !! }

..أنباء عن إعتزام نقل أمريكا للأسرى العرب إلى جزيرة "جوام" فى المحيط الهادى.

وزارة الدفاع الأمريكية تقول أنها تفضل قتلهم وليس محاكمتهم!!.

**الجمعة 23توفمبر 2001**

إستشهاد 11 مجاهد عربى ليلاً فى غارة جوية أمريكية عليهم، أثناء تحركهم على طريق مطار قندهار، عند كسارة الأسفلت. (مصادر عربية).

**الأحد 25 نوفمبر 2001**

.. الطائرات الأمريكية تقصف قلعة "بانجى" فى مزار شريف والمحتجز فيها المقاتلين العرب وطالبان وتقتلهم جميعا، ولا ينجو إلا أفراداً معدودين.

ـ ( 400 جندى أمريكى) يشاركون فى قتل الأسرى وعاونهم 500 من جنود دوستم،مع عناصر من المخابرات الأمريكية.

.. المتطوعين المسلمين الذين قتلوا فى القلعة كانوا ما بين 300 الى 700 عنصر حسب مصادر الأنباء الغربية.

.. أمريكا تفتتح مطاراً فى صحراء قندهار لدعم قوات جول آغا التى قطعت الطريق عند (تخته بول) بين قندهار والحدود الباكستانية.

**الإثنين 26 نوفمبر 2001**

..قوات القاعدة تدافع بعنف عن قندهار، بالتعاون مع قوات طالبان، وينجحون فى تكبيد قوات (جول أغا) خسائر فادحة، رغم الدعم الجوى الأمريكي المكثف.

..إدعاءات أمريكية كاذبة بأن قواتها إستولت على مطار قندهار ليلاً وأنزلت به قوات ومعدات ثقيلة.

..مدينة سبين بولدك الحدودية تقع فى قبضة قوات جول آغا فتعزل قندهار عن باكستان وتواصل ضغطها صوب المدينة.

..أنباء عن إستمرار المقاومة داخل قلعة بانجى فى مزارشريف وان 50 فقط ممن بقوا على قيد الحياه يواصلون القتال ويرفضون الإستسلام.

..القوات المدافعة عن قندهار تعانى من عجز فى الذخائر الأساسية مثل طلقات الكلاشنكوف والقذائف المضادة للدروع. (طبقاً لمصادر عربية).

المفاوضات مستمرة لتسليم المدينة للمعارضة المدعومة أمريكياً.

**الثلاثاء27 نوفمبر 2001**

أمريكا تعلن الكساد الإقتصادى رسمياً بعد تراجع اقتصادى دام خمسة أشهر.

**الجمعة30 نوفمبر 2001**

مصادر أمريكية تعلن: بدء القصف الجوى على تحصينات القاعدة فى جبال تورابورا (جنوب غرب جلال آباد).

**السبت 1ديسمبر 2001**

وزير الدفاع الأمريكي يقول: الحملة الأمريكية على أفغانستان كانت طويلة ومعقدة وأن بلاده أكرهت عليها.

**الثلاثاء4 ديسمبر 2001**

.. إختيار حامد كرزاى (رئيساً للهيئة الحاكمة) فى أفغانستان بواسطة مؤتمر عقد فى بون بألمانيا ..وعينوا إمرأة نائبة له.

.. الدول المانحة تقرر مبدئياً مساعدة لأفغانستان مقدارها من 5 الى 10 مليار دولار خلال السنوات العشر القادمة، وهذا بشكل غير نهائي.

**الأربعاء 5 ديسمبر 2001**

الطيران الأمريكى يقصف بالخطأ قوات أمريكية مع قوات تابعة لحامد كرزاى فتقتل 3 من قواتها وتجرح 19 منهم حامد كرزاى (حسب مصادر أمريكية).

..السفير السابق "للإمارة" فى إسلام آباد ( عبد السلام ضعيف)
يقول أن الملا عمر قرر تسليم قندهار إلى (الملا نقيب ا ) وقيادات قبلية قريبة من طالبان.

الخميس6 ديسمبر 2001

19 رمضان 1422هـ

## سقـوط تـورابـورا

"حظرت على" يعلن دخول قواته الى مواقع تورابورا واعتقال عدد من العرب.

الجمعة7 ديسمبر 2001

20 رمضان 1422هـ

## سقوط قندهار: النهاية الفعلية للإمارة

..قوات المعارضة تدخل قندهار. أمريكا تعترض على أى إتفاق لتسليم المدينه لا يتضمن إعتقال الملا عمر ومحاكمته. ومصادر أمريكية تطالب بقتله مع بن لادن بدلاً من محاكمتهما...

..جماعة (حظرت على) فى تورابورا تعلن عن إعتقال عدد من العرب ونساء عربيات.. وتعلن عن مقتل الدكتور أيمن الظواهرى نائب بن لادن.

..أنباء عن إشتباكات فى تورابورا (عمليات مطاردة).

..إختفاء الملا عمر ـ وحامد كرزاى يقول أنه يضمن حياة الملا عمر إذا ندد بالإرهاب (ثم سحب كلامه فى اليوم التالى بطلب من أمريكا التى تطالب برأس "أمير المؤمنين").

( خرج الملا عمر من مقر الإمارة الإسلامية .. ولا نعلم إن كانت الطائرات الأمريكية قد تركت له الفرصة لأخذ ( الباتو ) القديم معه أم لا .. ولكن المؤكد أنه إصطحب معه أحلام الشعب الأفغانى بإقامة نظام حكم قائم على **شريعة الإسلام).**

**السبت 8 ديسمبر 2001**

**21 رمضان 1422 هـ**

..الجيش الباكستانى ينشر قواته فى الجبال خلف مواقع العرب فى تورابورا لإصطياد العرب. المنسحبين.

**{هذه هى المرة الثانية – بعد أحداث أيلول الأسود فى الاردن عام 1970 – التى يشارك فيها الجيش الباكستانى فى ذبح المجاهدين العرب . ذلك الجيش قام بدور " مشرف " في الصومال حين عمل كدروع بشرية لحماية القوات الأمريكية من ضربات المجاهدين العرب والصوماليين ، فى عام 1994 . }.**

---

**الاحد9 ديسمبر 2001**

**22 رمضان 1422هـ**

..دخول قوات أمريكية إلى مدينة قندهار بعد مصالحة بين جول آغا وملا نقيب ا وتوقف القتال داخل المدينة.

..البنتاجون يعرض فيلماً قال أنه حصل عليه من جلال آباد، ويثبت تورط بن لادن فى أحداث 11 سبمتمر.

..أمريكا تحذر من أن السفينة التى ستنقل بن لادن أو أى عربى فإنها ستصادر أو سيتم إغراقها."وتبدأ عملية قرصنة واسعة على المياه الدولية

..قتال فى قندهار بين قوات جول آغا ،المدعوم أمريكياً، وقوات ملا نقيب ا القريب من حركة طالبان مع إضطراب الأمن فى المدينة وحوادث قتل وسطو مسلح.
..أمريكا تقول أن الحرب فى أفغانستان قد دخلت مرحلة جديدة

**الإثنين 10 ديسمبر 2001**

**21 رمضان 1422هـ**

..عمليات التمشيط والمطاردة مستمرة فى تورا بورا.
ويقوم بها مرتزقة من قوات (حظرت على)و (زمان خان) و(ظاهرخان) إبن حاجى قدير والى جلال آباد.
- الطيران الأمريكى يقصف موقعاً مشبوهاً فى تورابورا بأثقل قنابله من زنة 6200 كجم، فتهتز الأرض فى القرى الباكستانية عبر سلاسل الجبال الحدودية.
..الأخضر الإبراهيمى المبعوث الخاص للأمم المتحدة إل أفغانستان يبحث مع "الرئيس ربانى"وعبد الرسول سياف تسليم السلطة إلى (حامد كرزاى) ومهام القوة متعددة الجنسيات.

**الأربعاء 12 ديسمبر 2001**

**23 رمضان 1422هـ**

"حامد كرزاى" يصل كابول لإستلام السلطة بداية من يوم 22ديسمبر بناء على قرارات مؤتمر بون و"الرئيس السابق" ربانى يكلف إبنه بمقابلته بدلاً عنه !!
* القوات الأمريكية تقوم بدوريات فى قندهار بصحبة قوات "جول أغا" وتتعمد التودد إلى الأهالى.
إستبعاد "ملا نقيب ا " من قيادة أمن المدينة نظراً لصلته بحركة طالبان وتعيين (خان محمد) بدلاً عنه والمذكور سارق مشهور وقاطع طريق!!.
.. أنباء عن أسر بعض العرب فى قندهار وذبح عدداً منهم أمام نسائهم وأطفالهم.
.. أثناء إقامة كرزاى فى قندهار كان تحت حماية القوات الأمريكية، ويقيم فى المقر السابق "للملا عمر".
.. القوات الأمريكية تسيطر على مطار قندهار منفردة وتقيم به معسكر للإعتقال والتحقيق.

**الأحد 16 ديسمبر 2001**

**27 رمضان 1422هـ**

..مرة أخرى يتم الإعلان عن إنتهاء المعارك فى (توربورا) .
وأنباء عن قصف عنيف بطائرات(بى 52) القاذفة ومعارك شديدة بالرشاشات.
قوات التحالف تعلن قتل 80 عربياً فى تلك المعارك وأسر 26 منهم.
[كان ذلك مثالاً على معارك طواحين الهواء، التى لم تحدث على أرض الواقع، وأعلنت عنها أمريكا لأهداف دعائية ونفسية.. فهى تعلم، وأهالى المنطقة، وقوات التحالف، أن تورابورا خالية منذ 6 ديسمبر على الأقل. وقد كررت أمريكا الإعلان عن معاركها

الوهمية تلك فى مناطق أخرى، خاصة قاعدة جاور التاريخية، والمعسكرات الخالية فى خوست، و التى تركها العرب منذ عام 1988 بعد ان قصفتها امريكا بصواريخ كروز الموجهة].

**الإثنين17 ديسمبر 2001**

القائد "حظرت على" الذى تحملت قواته العبء الأكبر فى الهجوم البرى على تورا بورا، يقول أن قواته قتلت 200 عربى فى الجبال وأن 2000 عربى فروا من تورابورا إلى باكستان.

ولكن القاذفات الأمريكية تواصل نشاطها فى قصف جبال تورابرا بعنف بعد ظهر اليوم.

**الأربعاء 19 ديسمبر 2001**

بناءاً على طلب من أمريكا، القوات اليمنية تشتبك مع قبائل فى مأرب والجوف من أجل القبض على 3 أفراد من القاعدة.

..(جون جارنج) قائد تمرد جنوب السودان يتهم حكومية الخرطوم بدعم الإرهاب ويطالبها بمقاسمته السودان سلميا.

..أمريكا تجهز لضرب الصومال وتريد محاكمة الرئيس الصومالى!!

..البحرية الأمريكية تعترض ناقله نفط إيرانية قادمة من ميناء الزبير فى السعودية ، وتسئ معاملة الطاقم وتفجر بعض أبواب السفينة!

السبت 22 ديسمبر 2001

**كابول: نقل السلطة من ربانى الى كرزاى**

..فى إحتفال دولى فى كابول داخل صالة مغلقة وتحت حماية جنود أمريكا، تم نقل السلطة من "ربانى" الرئيس السابق الذى طردته حركة طالبان من كابول عام 1996 إلى حامد كرزاى الأمريكى الجنسية، بحضور أمريكى وعالمى. ..الطائرات الأمريكية تقصف موكباً لزعماء قبليين كانوا فى طريقهم من باكتيا إلى كابول، لحضور الإحتفال المذكور وتدعى أن الموكب كان لعناصر من القاعدة!! وترفض الإعتذار بل وتدعى أن الموكب أطلق صواريخ على طائراتها.

النتيجة كانت مقتل وإصابه 65 من زعماء القبائل.

**الأربعاء26 ديسمبر 2001**

قناة الجزيرة الفضائية تعرض مقتطفات من حديث لأسامة بن لادن يقول فيه أن أحداث سبتمبر جاءت ردة فعل للظلم المتواصل على أبنائنا فى فلسطين والعراق والصومال وجنوب السودان ولكنه لا يتبنى العملية صراحة.

..صحف أمريكية تتهم إيران بالتعامل مع القاعدة " ونيويورك تايمز" تدعى وجود محاولة عام 1996 من جانب بن لادن لعقد علاقة من ايران.

**الاثنين31 ديسمبر 2001**

مقتل قارى أحمد ا رئيس إستخبارات طالبان أثناء غارة جوية على ولاية باكتيكا. (حسب مصادر أمريكية)

**الثلاثاء 1يناير 2002م**

..قصف قرية نيازى جنوب زورمات (باكتيا) ومصرع 100 شخص وقالت عنهم أمريكا أنهم أعضاء فى منظمة القاعدة !!.

..إطلاق النار على قافلة عسكرية فى كابول للمرة الأولى .
.. إطلاق النار على قافلة أمريكية على بعد 60كم تجاه جلال آباد.
..قوات تحالف الشمال تقمع تمرداً للطائفة الإسماعيلية فى ولاية بغلان.
قوات بريطانية وألمانية تصل إلى كابول لحفظ الأمن.
.. أنباء عن حملة أمريكية أفغانية مشتركة للبحث عن الملا عمر فى جبال باغران فى ولاية هلمند يشارك فيها 5000 جندى مدعوم بالطائرات. ومحاولة لإقناع القبائل بتسليم الملا وألف طالب موجودين معه.

**السبت 5 يناير 2001**

..مقتل صف ضابط أمريكى فى خوست كان على رأس لجنة تحقيق فى شكاوى السكان من قصف أمريكى للمدنيين.
..باكستان تقبض على سفير طالبان السابق لديها (عبد السلام ضعيف) وتسلمه للسلطات الأمريكية التى نقلته الى ظهر سفينه حربية فى الخليج للتحقيق معه لمعرفة معلومات قد تفيد فى القبض على الملا عمر!!
..إذاعة صوت أمريكا تعلن عن قبض السلطات الباكستانية على (إبن الشيخ الليبى) وتسليمه إلى أمريكا، وتصفة بالقيادى البارز فى تنظيم القاعدة، ومدير معسكرات التدريب.

**الثلاثاء 8 يناير 2002**

..ثلاثة من وزراء حكومة طالبان يستسلمون لسلطات قندهار بعد التفاهم معها والسماح لهم بالاقامة فى المدينه تحت المراقبة. (أمريكا تعترض وتطالب بإستلامهم فى اليوم التالى).
هؤلاء الوزراء هم: وزير الدفاع ملا عبيد ا وزير العدل ملا ربانى ثم وزير الصناعة. (حسب مصادر أمريكية)
..فرار أربعة من العرب المحاصرين فى مستشفى ميرويس فى قندهار – أحدهم فجر نفسه بقنبله حتى لايقع فى الأسر. (حسب مصادر غربية) تبقى عدد آخر داخل المستشفى كانوا قد نقلوا إلى هناك بعد إصابتهم قبل سقوط المدينه بقليل.
..القصف الجوى العنيف مستمر منذ أيام فوق كهوف قاعدة جاور وعلى القرية المجاوره لها (جاور كلاى).
وطائرات هيلوكبتر أمريكية تنزل قوات ليلاً للتفتيش المنطقة لتعلن بعد ذلك عن أسر 16 شخصاً من بينهم 2 من العرب القياديين فى تنظيم القاعدة (!!)
وبحوزتهم أجهزة كمبيوتر وهواتف نقالة وأنهم قد نقلوا إلى قندهار للتحقيق.
{من المؤكد أن قاعدة جاور كانت خالية تماماً منذ أيام بعد أن تواصل القصف الجوى عليها وعلى القري المجاورة وبات مفهوماً أن عملية إنزال للقوات سوف تتم عليها.. ولكن أمريكا ولأسباب نفسيه تواصل حرب الطواحين و الإنتقام من صخور أفغانستان وتعلن عن معارك وهمية وإنتصارات ليس لها وجود!!}.

**الأربعاء 8 يناير 2002**

..القوات الدولية تطالب قوات تحالف الشمال بالإنسحاب من كابول وتسليمها المدينة فى غضون ثلاثة أيام!!

..وكرزاى الرئيس الجديد يعلن عزمه على نشر قوات دولية فى مدن أخرى إلى جانب كابول ويقول أن غارات الطائرات الأمريكية على بلاده سوف تستمر حتى ينتهى الإرهاب (!!) وينتهى تنظيم القاعدة وطالبان!!..

..تعزيزات أمريكية من القوات الخاصة تصل (جاور) ليبغ عددها هناك 150 جندى (!) إضافه إلى قوات تحالف الشمال.

..سقوط طائرة أمريكية من طراز (كى سى 130) فى الأراضى الباكستانية فى منطقة كويتا الحدودية.. وتقوم الطائرة عادة بتزويد طائرات الهيلوكوبتر بالوقود أثناء الطيران. قتل فى الحادث حسب الرواية الأمريكية 7 من مشاة البحرية إضافه إلى طاقم الطائرة.

"قالوا عن السبب أنه عطل فنى كالعادة دائماً فى أفغانستان"

**<u>الخميس 10 يناير 2002</u>**

إطلاق النار على طائرة أمريكية أقلعت من مطار قندهار بعد نصف ساعة من تحرك طائرة أخرى حملت معتقلين عرب وأفغان إلى معتقل قاعدة جونتانامو الأمريكي فى جزيرة كوبا.

**<u>السبت12 يناير 2002م</u>**

..الطائرات الأمريكية تواصل قصف خوست (قاعدة جاور وماحولها ومعسكرات التدريب القديمة للعرب).

..إتهامات غربية لقوات تحالف الشمال بممارسة السطو المسلح على مدنيين فى كابول.

..حكومة كرزاى تعترض على إطلاق سراح وزراء حكومة طالبان الثلاثة بواسطة سلطات قندهار.

_20 أسيراً من العرب وطالبان ينقلون الى "جونتانامو"، حتى لا يتمتعوا بحماية الدستور الأمريكى إذا سجنوا على أراضى أمريكا. وزير الدفاع الامريكيى يخترع من أجلهم مصطلحاً جديداً وهو "محاربين غير قانونيين"، حتى لا يطالب أحد بتطبيق إتفاقية جنيف لأسرى الحرب عليهم!!.

بعض المنظمات الدولية لحقوق الإنسان والصليب الأحمر الدولى يحتجون على الموقف الأمريكى من الأسري.

..أحد الأسرى فى جونتانامو بريطانى الجنسية وبلاده منزعجة من حكم الإعدام الذى قد تطبقه أمريكا بحقه!!.

.. برويز مشرف فى باكستان يلقى القبض على عدد من الإسلاميين قبل إلقائه خطاباً، أسعد الهند وأمريكا، يعلن فيه التضييق والملاحقة على الإسلاميين فى بلاده، والمهاجرين الكشميريين، والمدارس الدينية.

**<u>الاحد 13يناير 2002</u>**

.. أمريكا تنقل إلى جونتانامو ثلاثين أسيراً آخر.

بلغ عدد المسلمين البريطانيين الأسرى حتى الآن سته أفراد.

**<u>الأثنين 14 يناير 2002</u>**

الرئيس الأمريكيى جورج بوش يغمى عليه أثناء حفل عشاء بسبب ضعف النبض (!!) ويسقط أرضاً وتصاب شفته.

- القصف الجوى مستمر فوق "جاور" والقوات الأمريكية تقوم بتفجير بيت فى القرية القديمة المجاورة، عندما عثرت فيه على صورة لإبن لادن !!.
- إسرائيل تفجر 70 بيتاً لفسطينيين مشتبه بهم!!
- برويز مشرف يعتقل 1500إسلامياً باكستانياً وكشميرياً.

**الثلاثاء 15 يناير 2002**

أمريكا تفكر.. فى وقف القصف الجوى على جاور!!. (حسب مصادر أمريكية)

**الأربعاء16 يناير 2002**

صحيفة بريطانية تقول أن مئات من مشاه البحرية الأمريكية يطاردون من كهف إلى كهف (!!) أعضاء القاعدة فى شرق أفغانستان (يقصدون جاور ومغاراتها). وتقول الصحيفة أن ذلك مخالف لسياسة الجيش الأمريكي فى العام الماضى (أى منذ أسبوعين) عندما كان يعتمد فى مثل تلك المهام على قوات محلية (كما حدث فى تورابورا).

**[لاشك أن جنود مشاه البحرية كانوا يطاردون الجرزان التى تنخر بهم مغارات جاور بعد أن أعتبروهم أعضاء محتملين أو زعماء خطرين فى تنظيم القاعدة!!]**

الجنرال كولن باول وزير خارجية أمريكا فى باكستان اليوم يعرب عن سعادته من إجراءات برويز مشرف... **[ لمقاومة الإسلام فى بلاده وفى كشمير!!]**

الخميس 17 يناير 2002

## وزير خارجية أمريكا في كابول

..أول زيارة لوزير خارجية أمريكى لكابول منذ ربع قرن. (باول) يهبط فى قاعدة باجرام، وكرزاى وحكومته يهرعون لتحيته هناك، والسماع منه.

..دفعة جديدة من المعتقلين العرب والأفغان يتم توريدهم إلى معتقل "جونتانامو" ليصل عددهم إلى ثمانين معتقلاً. تعاملهم أمريكا بطريقه أثارت إشمئزاز وإعتراض العالم أجمع (ما عدا الحكومات العربية، وباكستان، وإسرائيل).

السبت 19 يناير 2002

## كرزاى فى بيت ا الحرام !!

.."كرزاى" يقوم بأول زيارة خارجية له منذ تعيينه رئيساً لأفغانستان، الزيارة للسعودية يؤدى فيها "العمرة" ولتقديم الشكر لحكومة خادم الحرمين.

"العمليات الجوية الأمريكية على أفغانستان التى أدت إلى وصول كرزاى إلى الحكم كان ومازالت تدار من قاعدة الأمير سلطان بن عبد العزيز الجوية

..برويز مشرف يقول أن بن لادن ربما توفى نتيجة فشل كلوى(!!).

**الأحد 20يناير 2002**

بعد أن أدى العمرة (وسقطت عنه الذنوب والخطايا) كرزاى يتسلم 20مليون دولار من ملك السعودية كمعونه عاجلة. (لتثبيت أركان حكومته الرشيدة).

ويطير بعدها إلى اليابان لحضور مؤتمر للدول المانحة لجميع التبرعات لحكومته،

بوش فى أمريكا يحتفل بمرور عام على توليه الحكم، وإرتفاع جارف فى شعبيته لنجاح حربه العالمية على الإرهاب.

..سقوط هيلوكوبتر أمريكية شمال قاعدة باجرام ومصرع 2من المارينز وجرح خمسة من بينهم 2 جروحهم خطيرة.
(السبب بالطبع عطل فنى لأن كل الأفغان سعداء بالإحتلال الأمريكى لبلادهم ما عدا طالبان وتنظيم القاعدة)
..وزارة العدل الأمريكية تفرج عن مقتطفاته من فيلم فيديو تدعى العثور عليه فى منزل أبو حفص المصرى القيادى البارز فى تنظيم القاعدة.
(لا تحب أمريكا الأكاذيب الصغيرة.. ولها جهازها الخاص بالتضليل الإعلامى والسياسى على المستوى الدولى. كما أعلنت هى بنفسها ذلك، والقيادى المذكور تم إغتياله جواً فى 15 نوفمبر الماضى، ثم قصفت الطائرات بيته بعد ذلك بأيام مع عدد من بيوت العرب الأخرين وكان البيت خالياً حتى قبل أحداث سبتمبر.. فأين وجدوا الفيلم ؟؟).

**الثلاثاء22يناير 2001**

طائرة إستطلاع بدون طيار تسقط فى أفغانستان (بسبب عطل فنى كما قالوا) وهى الثالثة من هذا النوع التى تسقط هناك منذ بداية الحرب.
(هذه الطائرات تحمل صواريخ موجهه وكاميرات وعند إكتشاف هدف موضع شك يتم ضربه مباشرة بدون إستدعاء الطيران المقاتل أو غيره.. وهذا يجعلها من أخطر أسلحة الإستكشاف والمطاردة لأنها تجعل الفاصل الزمنى بين إكتشاف الهدف ثم ضربه يساوى صفراً).
..إطلاق النار على القنصليه الأمريكية فى كلكتا بالهند لم يصب أى أمريكى ولكن قتل 4 جنود هنود وجرح آخرون.

**الخميس24 يناير 2001**

.. إنفجار سيارة فى موقف للسيارات مقابل للسفارة البريطانية فى إسلام آباد، بدون خسائر.
..إختطاف صحفى أمريكي يهودى فى إسلام آباد.
"تم قتله بعد ذلك" كان الصحفى يقوم بتحقيق حول الجماعات "الإرهابية" فى باكستان لصالح صحيفة أمريكية.

**الاثنين 28 يناير 2001**

..راديو الكويت [فى حديث مع مراسله فى إسلام آباد، أحمد زيدان، يقول:
(عند عودة كرزاى من مؤتمر الدول المانحة فى اليابان ذهب إلى القصر الجمهورى لأخذ سيارته فوجدها قد سرقت، وعندما سأل وزير داخليته يونس قانونى عن السيارة أفاد المذكور أنه لا يدرى عنها شيئاً (!!)].
..القوات الأمريكية الخاصة مع قوات جول آغا تقتحم مستشفى ميرويس وتقتل ستة من الجرحى العرب الذى إعتصموا به منذ ليلة 7 ديسمبر، وكان الطعام والماء قد منع عنهم لمدة أسبوع تقريباً وظن الحراس الأفغان أنهم قد ماتوا جوعاً وعطشاً.
(لهذا تجرأ جنود القوات الخاصة الأمريكية على إقتحام المكان بالقوة المسلحة وتطهيرة من جثث المجاهدين العرب !!).

**الأربعاء 30 يناير 2002**

باكستان إعتقلت حتى الآن 250 سعودياً شحنتهم إلى قندهار لينقلوا من هناك إلى جونتانامو حيث وصل عدد المختطفين العرب هناك 175 شخصاً معظمهم من السعودية.
..نايف وزير داخلية السعودية يقول أن بلاده ستطالب بتسليم 100 سعودى محتجزين فى قاعدة جونتانامو.

..جرح 14 جندى أمريكى فى خوست نتيجة ما قالت عنه المصادر الأمريكية أنه إنقلاب طائرة هيلوكبتر هبطت على حفرة!!

.. (بى بى سى) تقول أن شعبية (إيرل شارون) رئيس وزراء إسرائيل قد إرتفعت إلى درجة غير مسبوقة فى تاريخ البلاد نتيجة سياساته العنيفة إزاء الفلسطينيين

(وقد حدث نفس الشئ بالنسبة لشعبية بوش الإبن، نتيجة حملته الوحشية على أفغانستان !! فكلا الرئيسين يعبر بصدق عن توجهات شعبية فى داخل بلاده، تطالب بسحق المسلمين).

بوش يلقى خطابه السنوى عن حاله الإتحاد.. بيانه عدوانى إلى أقصى حد، ويهدد .. بالتدخل العسكرى في عدة دول إسلامية منها سوريا والعراق وإيران.

**الجمعه 2 فبراير 2002**

..صوت أمريكا: "إستسلام وكيل أحمد متوكل وزير الخارجية السابق فى حركة طالبان والتحقيق جارى معه فى القاعدة الأمريكية فى مطار قندهار".

مصادر خاصة من طالبان قالت بأن باكستان ألقت القبض على متوكل فى مدينة كراتشى وسلمته إلى السطات الأفغانية فى قندهار، وقد تم الإفراج عنه في وقت لاحق ربما ضمن صفقه قبلية.

(**أشاعت أمريكا أن متوكل هرب إلى الكويت ويقود جناحاً معارضاً للإمارة .. وكانت كلها أكاذيب لتحطيم صفوف حركةطالبان . وقد نشرت أمريكا الكثير من مثل هذه الأخبار التى أحدثت ضرراً بالإمارة**) .

**الإثنين11 فبراير 2002**

إغلاق مكاتب جلب الدين حكمتيار فى طهران ومشهد مع إحتمال إبعاده عن إيران وكان جلب الدين يدلي بتصريحات ضد الغزو الأمريكي لبلاده ويدعو إلى مقاومته ،ومعارضه رئاسة كرزاي.

**الأربعاء13 فبراير 2002**

سقوط طائرة شحن أمريكية من طراز (كى سي 130)فى أفغانستان بفعل نيران معادية.. حسب المصادر الأمريكية التى قالت أن طاقم الطائرة أصيب بجراح.

- هجوم بالهاونات علي مطار قندهار، الأمريكان ردوا بالرشاشات الثقيلة
- وأدعوا القبض على 8 من المهاجمين وفرار الباقين.
- مقتل جندى أمريكى فى قاعدة باجرام الجوية من جراء سقوط قطعة معدات عليه (حسب المصادر الامريكية).وبذا يصل قتلى الأمريكان منذ بداية الحرب الى 21 قتيلاً فقط!!.(حسب المصادر الأمريكية).
- نقل 134 أسيراً جديداً إلى قاعدة جونتانامو كى يصل العدد الإجمالى فى أقفاصها إلى 288 أسير.

**الجمعه 15 فبراير 2002**

..الهجوم على مطار قندهار لليوم الثانى على التوالى، حدوث حريق وإنفجارات فى المطار.

..الحجاج الغاضبون فى مطار كابول يعتدون بالضرب على وزير المواصلات فى حكومة كرزاي فيقتلونه. [ظل الحجاج عدة أيام وليالى فى البرد القارص على أرض المطار بدون أن تأتى طائرة لنقلهم. موعد وصول الحجيج إلى السعودية ينتهى بعد يومين ولم يسافر شخص واحد حتى الآن .

فى هذا الوقت وزير المواصلات، وأمام الحجيج، يستقل مع عائلته طائرة بوينج لتنقله، بشكل خاص، إلى الهند حيث تعيش العائلة.
لم يطق الحجاج هذه الدرجة من الإستفزاز فذبحوا الوزير ضرباً على أرض المطار.]
..القوات الدولية تنتشر فى مطار كابول بعد الحادث.وزير الدفاع
(فهيم) يقطع زيارته الى موسكو ويعود إلى كابول، والحادث يتحول
إلى صراع سياسى بين الكتل المتنافسة والمتربصة فى حكومة كرزاى وحولها.
..تقارير باكستانية تشير إلى أن قوات طالبان والقاعدة تستعيد زمام المبادرة فى أفغانستان وأن الأوامر صدرت للجنود الأمريكان بعدم التحرك فى مجموعات صغيرة أو فرادى.
..مقتل جندى أسترالي من القوات الخاصة نتيجة إنفجار لغم دبابات فى سيارته.
..الطيران الأمريكى يقصف قبائل تتقاتل قرب خوست بعد أن فشلت قوات الحكومة فى وقف الاشتباك (!!).
.قتال قرب مزار شريف بين أنصار حزب ربانى وأنصار دوستم ومقتل 30 شخصاً.
..باكستان تطالب أمريكا بفاتورة الدعم اللوجستى لقواتها فى حرب أفغانستان، مقدار الفاتورة 60 مليون دولار عن كل شهر!! .

---

**الأربعاء 20 فبراير 2002**

..القوات الأمريكية فى مطار كابول تمنع الحجاج من قندهار وباكتيا من السفر إلى الحج بدعوى أن بينهم أعضاء من طالبان والقاعدة.
(المقاومة المسلحة للأمريكان تتركز فى هذين الإقليمين حتى هذا التاريخ، والإجراء المذكور مجرد إنتقام أمريكى، من حجاج بيت ا الحرام، بحرمانهم من أداء فريضة دينية).
..القوات الأمريكية فى (تخته بول) جنوب قندهار تعتقل عبد الرحيم تشمكنى بدعوى أنه مستشار سابق للملا عمر، بينما يتمكن عبد المنان نيازى (الوالى السابق فى كابول) من الفرار (حسب مصادر أمريكية) .

الأحد 24 فبراير 2002

## كرزاى فى طهران

..كرزاى اليوم فى أول زيارة له لإيران مع وفد إقتصادى وسياسى{ لا يجهل كرازي أن إيران كانت صاحبة المجهود الأكبر في إضعاف وإسقاط حركة طالبان وإفشال تجربتها في أفغانستان}.
..صحف بريطانيا تقول: إنتهى شهر العسل فى كابول بين الناس والقوات البريطانية، التى أطلقوا النار عليها مرتين خلال أسبوع واحد.
.. مصادر أمريكية: فى أمريكا 100 ـ 300 عضو من القاعدة يشكلون خطراً عليها.
..وزير الدفاع الأمريكى يقول أن بلاده قد تسمح لبعض الدول مثل مصر والسعودية بمحاكمة رعاياها الأسرى فى جوانتانامو.
[وتقرير صحفى يقول أن ذلك ممكن أذا تأكدت أمريكا أن الأحكام التى ستصدرها تلك الدول فى حق رعاياها المتهمين ستكون أشد مما تستطيع أمريكا الحكم به عليهم.]

**الثلاثاء 26فبراير 2002**

القوات الأمريكية وخارج نطاق الأمم المتحدة أو القوات الدولية تسيطر على مدينتى قندهار وخوست وتعين فى الأخيرة جهاز أمن مكون من 400 عنصر موالى لها.

..كرزاى يتوجه لزيارة الهند بعد إنتهاء زيارته لإيران.

**الأربعاء 27 فبراير 2002**

.. إطلاق النار على جنود بريطانيين فى كابول ومنشورات هناك تدعو للجهاد ضد القوات الأمريكية والبريطانية.

_ 200 أسير فى جوانتانامو يضربون على الطعام إحتجاجاً على أوضاعهم.

**الاثنين 4 مارس 2002**

..الإذاعة البريطانية تعلن سقوط طائرة هيلوكبتر أمريكية فى خوست. ..معارك مستمرة فى خوست وجبال منطقة شاهى كوت( قرب جرديز).

..أمريكا تستخدم قنابل وصواريخ محرمة دولياً، منها قنابل زنة ألف رطل تمتص الهواء وتخنق من الكهوف.

..غارات جوية عنيفة للطيران الأمريكي على جبال شاهى كوت حيث تمكن الطالبان وعناصر من القاعدة من صد هجوم أمريكى. (**عملية أناكوندا**).

{في كتاب" القيادة الأمريكية العمياء" للكاتب الأمريكي الأشهر"سيمورهيرش"

يقول عن معركة "اناكوندا" التى جرت فى جبال"شاهي كوت"فى 2مارس 2002م و شاركت فيها فرقة الجبال العاشرة واللواء الثانى حيث ترافق الهجوم البرى على قواعد "القاعدة" مع هجوم بالحوامات .وكان من المفترض أن تفر "القاعدة" ولكنها صمدت كما يقول هيرش نقلا عن أحد الضباط الذين شاركوا فى العملية. فقد تعرضت القوات الأمريكية لنيران لا تنضب،و منيت بخسائر فورية. كان الجنود الأمريكيون يصرخون و يلقون بأسلحتهم.كان هناك فشل كلى، كما يقول ضابط فى المارينز،على مستوى الوحدة.كانت منطقة الإنزال مملؤة بالأسلحة و حقائب الظهر وأجهزة الرؤية الليلية و أجهزة اللاسلكى التى تركها الجنود بعد فرارهم الى مكان آخر}.

**الثلاثاء 5 مارس 2002**

..الإذاعة البريطانية تتحدث عن أكبر خسائر تتعرض لها القوات الأمريكية فى أفغانستان فى معارك جبل عرما قرب شاهى كوت جنوب غرب جرديز حيث أسقطت طائرتى هيلوكوبتر مقاتلة، ومصرع 9 جنود أمريكيين على الأقل مع 40 جريحاً. (عملية أناكوندا).

..أمريكا قطعت عن أفغانستان الإتصالات التلفونية (الثريا) المتصلة بالأقمار الصناعية لكونها تستخدم فى معارك الأخيرة كوسيلة إتصال بين المجاهدين. (عملية أناكوندا).

**الأربعاء 6مارس 2002**

إمبراطور الإعلام فى روسيا يؤكد وجود دلائل على تورط المخابرات الروسية فى تفجير مجمعات سكنية فى موسكو وإتهام الشيشان بذلك مما أدى إلى وقوف الرأى العام الروسى مؤيداً لرئيس الوزراء بوتين فى حربه الشاملة ضد الشيشان، وكان ذلك التأييد الشعبى سبباً فى نجاح الحملة، وذلك فى عام 1999م.

(ملاحظة: هناك إتهامات مماثلة موجهة للإستخبارات الإمريكية أنها كانت تعلم بعاصفة الطائرات، فى 11سبتمبر، ولم تتحرك لمنعها كى تتمكن من الحصول على مبرر وتأييد شعبى لحرب خارجية واسعة ).

**الجمعة 8 مارس 2002**

..إذاعة طهران: مصادر أفغانية تقول أن الأمريكان خسروا 70 قتيلاً فى معارك جرديز الأخيرة. (عملية أناكوندا).

وأن أمريكا إستخدمت قنابل نووية صغيرة فى المعارك الأخيرة ضد المقاومين الأفغان، والقوات الأمريكية موجودة على بعد 4 كم، من خط التماس فى المعارك هناك وليس مئة متر كما يقول رجال حكومة كابول. (عملية أناكوندا).

..القوات الإسرائيلية تقتل 50 فلسطينياً فى الهجمات الأخيرة.

..فى الهند وصل عدد المسلمين الذين أحرقهم المتطرفين الهندوس أحياء إلى حوالى 700 مسلم.

**السبت 9 مارس 2002**

أمريكا توقف عملياتها جنوب جرديز بدعوى وجود عواصف ثلجية (تمهيداً لإعلان فشل عملية آناكوندا). وطيرانها يقتل 15 أفغانياً داخل سيارة كانت تنقلهم لزيارة ضريح أحد الأولياء.

**الأحد 10مارس2002**

أمريكا تعلن وقف عملياتها فى جبال عرما، فى شاهيكوت جنوب جرديز وتعيد 400 من قواتها الى قاعدة باجرام. (نهاية عملية آناكوندا الفاشلة.).

**الثلاثاء 12 مارس2002**

إسرائيل تقتل 13 فلسطينيا فى هجمات على المخيمات والمدن الفلسطينية.

**الأحد 17مارس 2002**

إغتيال "خطاب" زعيم المجاهدين العرب فى الشيشان بواسطة عميل روسى دس له السم.

**الإثنين 25 مارس 2002**

..إحتفال فى نيويورك بتسليم جوائز الأوسكار السينمائية ومنح جوائز لأحسن فستان ترتديه الفنانات فى الحفل، حصلت عليه فنانه ترتدى فستاناً ثمنه 5 مليون دولار.

**الثلاثاء 26 مارس 2002**

..زلزال يدمر منطقة "نهرين" فى أفغانستان مقتل 1800 شخص وتدمير 400 منزل.
..وصول طلائع القوات البريطانية الخاصه إلى قاعدة بجرام الجوية.
.. أمريكا ستبدأ فى تدريب الجيش الأفغانى، وترسل 150 مدرباً خلال 6 أسابيع.

**الخميس 28 مارس 2002**

صحيفة بريطانية:

أمريكا تصنع قذائف موجهة جديدة لضرب العراق لحدوث عجز حاد فى تلك القذائف بعد أن ضربت أمريكا فى أفغانستان 21000 قذيفة موجهة بالليزر.

**[80% من القذائف التى إستخدمتها أمريكا فى أفغانستان، كانت موجهة بالليزر، وكانت النسبة 16% فقط فى حرب أمريكا على العراق عام 1991م. وكانت النسبة 23% فى حرب أمريكا على كوسوفو فى يوغوسلافيا، ونضيف هنا أن الطائرات الأمريكية ألقت، 1228قنبلة إنشطارية نثرت 248000لغماً صغيراً مضاد للأفراد. وخبر الصحيفة البريطانية يلفت الإنتباه، إلى عدم قدرة أمريكاعلى خوض حرب طويلة، أو حربين فى نفس الوقت، مع إستخدام نفس المعدل الكثيف، لتلك الذخائر الموجهة، وهذه نقطة ضعف هامة، فى المجهود الجوى الأمريكى، الذى هو عصب، الحرب الأمريكية، حيث أن إستخدام الطيران الأمريكى، للذخائر العادية، فى أفغانستان، لم يعطى نتائج تذكر، ولم يؤثر فى دفاعات العرب أو طالبان].**

- إنتهى مؤتمر القمة العربية فى بيروت والذى عقد أمس وتبنى المؤتمر مبادرة الأمير عبد ا ، ولى العهد السعودى، والتى تعرض على إسرائيل التطبيع الشامل معها فى مقابل الإنسحاب الكامل لقواتها من الأرض التى إحتلتها عام 1967 م.

(ولم تتطرق المبادرة إلى إمكان اللجؤ إلى السلاح فى حال رفضت إسرائيل الإنسحاب.. ومعنى ذلك عدم إستعداد العرب للحرب.. وأن خيار إستخدام القوة العسكرية متروك فقط لإسرائيل، ومفتوحاً على مصراعية، وهى دعوة واضحة لها كى تمضى قدماُ فى برنامجها التوراتى نحو إسرائيل الكبرى من النيل الى الفرات).

..بعد الإعلان المذكور وبتشجيع من محتواه إسرائيل تجتاح مدينه رام ا ليلاً، وتحاصر مقر عرفات بها. وتستدعى الإحتياط.. وتقول بأن الحرب ضد الارهاب ليس لها حدود جغرافية (!!).

..وبوش يقول أن إسرائيل لها حق الدفاع عن النفس.

.. فى حملة شارك فيها الأمن الأمريكى، الإستخبارات الباكستانية تعتقل 30 عربياً، من بينهم (أبو زبيدة) الذى قالوا عنه أنه قيادى بارز فى تنظيم القاعدة.وأمريكا تتسلم المعتقلين العرب للتحقيق والإعتقال فى (جوونتانامو) الكوبية.

---

## مراحل الحرب الأمريكية على أفغانستان

يمكن تقسيم المراحل التى مرت بها الحرب.. من الجانب الأفغانى والعربى، إلى ثلاث مراحل هى:

**أولاً – مرحلة الصمود الإيجابى** (من 7 أكتوبر إلى 7 نوفمبر 2001).

**ثانياً ـ مرحلة الإنهيار** (من 8 نوفمبر إلى 7 ديسمبر 2001).

**ثالثاً ـ مرحلة الهروب الكبير والمطاردات** (من13 نوفمبر، حتى16 ديسمبر2001 ، أول شوال 1422).

*****

ولكل واحدة من تلك المراحل سمات بارزة حددت طبيعتها، ومعارك رسمت صورتها. ويمكن عرضها كالتالى بشكل موجز.

### أولا ـ مرحلة الصمود الإيجابى:

ومن أهم سماتها:

1 - الضربة الجوية الأولى على الإمارة الإسلامية.

2- دحر الهجمات الأمريكية على منابع الأفيون :

أ ـ الهجوم بالقوات الخاصة على مقر الملا محمد عمر ((الفشل الأول والأكبر للقوات البرية الأمريكية)).

ب _ فشل المحاولة الإنقلابية فى جلال آباد وقتل وإعتقال القائمين عليها.

**ومن علامات فشل الحملة الأمريكية في مرحلة الصمود :**

* التوسيع فى ضرب المدنيين ومحاولات التجويع فى كابول وقندهار.

*تحالف الشمال يشكو من ضعف الطائرات الأمريكية ( بعد الصمود الكبير لقوات طالبان أمام الغارات الجوية فى جبهات القتال وفشل الهجمات الأرضية لتحالف الشمال فى كل الجبهات).

### ثانياً ـ مرحلة الإنهيار.

ومن أهم سماتها:

1ـ القصف الجوى الإستراتيجى لمواقع طالبان فى شمال أفغانستان.

2ـ سقوط مزار شريف.

3ـ ملحمة الصمود فى قندز .
4ـ سقوط كابول.
5ـ سقوط هيرات.
6ـ ضربات موجعة للعرب:
أ. إستشهاد أبو حفص المصرى.
ب. مجزرة جوية للعائلات العربية فى بنشواى.
ج . تورابورا: (صمود ـ حصار ـ إنسحاب ـ مطاردة).
7- سقوط قندهار:[ الصمود العربى الأخير فى الوقت الضائع ، ملحمة مستشفى ميرويس ].

**ثالثاً – مرحلة الهروب الكبير والمطاردات:**

أهم محاور المطاردات الأمريكية للعرب:
1ـ المطاردات على محور كابول ـ لوجر ـ باكتيا (زورمات).
2ـ صمود طالبان بقيادة (سيف الرحمن منصور) فى زورمات ومعهم الأوزبك وبعض العرب وهزيمة الأمريكان فى عمليتهم (أنا كوندا).
3ـ المطاردات على محور مدينة جلال آباد ـ جبال تورابورا ـ الحدود الجبلية مع باكستان.
4ـ نجاح إنسحاب الأسر العربية من قندهار والإفلات من المطاردة على محور قندهار وقرية معروف و سبين بولدك.
5ـ المطاردة الوحشية داخل باكستان التى شارك فيها الأمن الأمريكى.
ثم نمضي الآن بشئ من التفصيل على أهم ملامح المراحل الثلاثة السابقة..

## باب أول

## تفاصيل حول مرحلة الصمود الإيجابى

### 1ـ الضرب الجوية الأولى:

قالت تصريحات أمريكية فى اليوم الأول من الحرب أن ثلاثة أو خمسة أيام من الغارات الجوية ستكون كافية لإسقاط حركة طالبان وإنهاء الحرب.
وفى الواقع أن الأمال قد راودتهم فى إنهاء الحرب من الضربة الجوية الأولى التى شملت لائحة واسعة جداً من الأهداف لمواقع القيادة ومراكز الإتصال والمعسكرات والمخازن.
والهدف الأكثر أهمية {والذى كان يعنى فى حال القضاءعليه أن تنتهى الحرب فوراً} كان ضرب مقر عمل الملا محمد عمر، وقتله هناك. وقد كان متواجداً به وقت الضربة الأولى فى مساء ذلك اليوم الأحد السابع من أكتوبر.
والحسابات السياسية الدقيقة تشير إلى أن القضاء على "أمير المؤمنين" سوف ينهى معادلة بن لادن بشكل تلقائى وأن حركة طالبان سوف تتفكك ويسقط النظام، ولن يجد العرب الأفغان ملاذا آمنا فى أفغانستان وهكذا تنتهى المشكلة كلها بضربة واحدة.
ولم يكن ذلك خافياً عن المتابعين الموقف داخل أفغانستان.لذا تعددت التحذيرات الواصلة إلى الملا عمر، خاصة بعد أحداث سبتمبر ، بألا يتواجد فى المقر الرسمى للإمارة وأن يدير أعماله بطريقة أخرى لا تجعله معرضاً للضربة الجوية التى قد تأتى فجأة فى أى وقت.

ولكن الملا عمر كعادته لايستجيب لأى تحذيرات تتعلق بسلامته.
فكان متواجداً فى مقر عمله وقت الضربة الجوية الأولى.. ولكن.. وهنا المفاجآة..
لم تستهدف الطائرات الأمريكية مقر الإمارة فى موجتها الأولى!! فهل غيرت القيادة الأمريكية فكرتها حول التخلص من الملا عمر؟.. بالطبع لا.. لأن الطائرات الأمريكية لا حقته فى ثلاث محاولات دقيقة ومتتابعة وفي نفس الليلة.. بواسطة الصواريخ الموجهة.
ولكن طرأ على الموقف عامل جديد، إن كان هو المتسبب فى إلغاء فكرة قصف الملا عمر فى الموجه الأولى فإن ذلك سيقود حتما إلى إستنتاجات هامة لايمكن تفادى التفكير فيها.
الشيئ الذى طرأ على الموقف، هو التواجد المفاجئ لإبن لادن على مقربة من "مجمع الإمارة" حيث مقر الملا عمر ، الذى أرسل سكرتيره الخاص "الطيب آغا" لإحضار بن لادن فى مقابلة عاجلة . (كان بن لادن قد تم إستدعائه من كابل منذ أيام لمقابلة الملا عمر للتشاور بشأن التطورات المتصاعدة للأزمة مع الولايات المتحدة، ونزعة بن لادن التصرف بشكل منفرد خاصة فى مجال الإعلام الخارجى. وكان بن لادن قد غادر قندهار قبل عاصفة الطائرات وأخذ يركز نفسه فى جلال آباد).
ذهب "الطيب" لإصطحاب بن لادن لملاقاة "الملا عمر". وقبل وصول الموكب إلى "مجمع الإمارة" بقليل سمع صوت الإنفجارات وشوهد الوميض المبهر قادماً من جهة المطار .
مسئول الأمن فى موكب بن لادن أوقف المسير قائلاً بأن الضربة الجوية قد بدأت.. ونصح قائده "بالعودة من حيث أتى وبعيداً عن المواقع المستهدفة.. أما "الطيب أغا" فقد عاد بسرعة إلى مقر الإمارة بهدف واحد وهو إصطحاب الملاعمر إلى مكان آمن خارج قندهار، فهكذا نصحه بن لادن ومن معه.
وصل "الطيب" إلى مقر الإمارة وكان "الملا عمر" خارجاً لتوة من المسجد مع مساعديه، ساد التوتر والحركة السريعة أرجاء المجمع فلا أحد يشك أن القنابل والصواريخ سوف تتساقط فى الحال.
كان هم الجميع إصطحاب الملا عمر إلى مكان آمن ، فتعددت الإجتهادات كأن الأمر لم يسبق لهم التفكير فيه.. ولكن الفكرة الغالبة كانت التوجه صوب الجبل القريب والدخول إلى مغارة تم تجهيزها هناك للطوارئ.
لم يكد الركب المضطرب يبتعد عدة خطوات عن المسجد حتى أصابة صاروخ موجه قتل من تبقى بداخلة وهدم بنيانه كاملاً.
تراكض الرجال فى كل صوب.. والمجموعة المحيطة بالملا عمر دفعته دفعاً صوب الغار فى الجبل القريب.. وعلى باب الغار.. إندفع أربعه من الرجال داخله.. وقبل أن يدخل "الملا عمر" غير رأية فجأة وقرر مغادرة الموقع كله.
وما كاد يبتعد بضع خطوات عن مدخل الغار حتى دخلة صاروخ موجه.. وإنفجر قاتلاً جميع من كانوا بداخله على الفور.
وكانت تلك المرة الثانية خلال دقائق التى ينجو فيها الملا عمر من صاروخ موجه ينفجر على بعد خطوات منه.

إستطاع الملا عمر وعدد قليل ممن معه ركوب سيارة عادية لأحد العاملين فى الإمارة، وخرجوا بها مسرعين متوجهين إلى القرية القديمة التى كان يعيش فيها، على بعد حوالى 40كم غرب المدينة.
إنحرفت السيارة جهة اليسار على الطريق الترابى كى تواصل سيرها على طريق طويل ومتعرج صوب القرية القديمة "سنجى سر"..
رأى "الملا" أن يهبطوا جميعاً للإستراحة والمشورة داخل مسجد حديث نسبياً يقع على أول الطرق الترابى..
أوقفوا السيارة على بعد أمتار قليلة من المسجد حتى لايلفتوا الأنظار.. وتوجهوا إليه سيراً على الأقدام.. وقبل أن يدخلوا المسجد كان صاروخاً موجهاً قد ضرب السيارة التى تركوها.. وحولها إلى شظايا متطايرة، وقتل بداخلها أكثر من شخص.
وكانت تلك المحالة الثالثة لإغتيال الملا عمر فى الليلة الأولى خلال أقل من ساعة، من الغارات الجوية.
وبفشل المحاولات الثلاث كان على الأمريكان ، يستمروا فى حربهم ثلاث أو خمس أيام أخرى(كما أعلنوا ذلك بعد أن تأكدوا من إفلات الملا عمر من فتك صواريخهم الموجهة).
والسؤال الهام هنا: لماذا ضيعت أمريكا الفرصة النادرة لإنهاء الحرب.. وقتل الملا عمر داخل المسجد، فى الضربة الجوية الأولى؟ .
وهل كان لوجود بن لادن قريباً من مجمع الإمارة.. وإحتمال أن يصادف تواجده هناك، تهاطل الصواريخ على المسجد والمجمع.. هل كان لذلك أثر فى إلغاء قرار قصف مقر الملا عمر وقتله؟.
. إذا كان ذلك صحيحاً: ألا يتناقض مع الإدعاء الأمريكى بأن بن لادن هو الخطر الأكبر الذى يواجه أمريكا فى العالم ، وأنه سبب الحرب علي أفغانستان ؟
. ألم تكن الفرصة مواتية لأن تنتهى أمريكا من أكبر خطرين يواجهانها فى أفغانستان.. بواسطة صاروخ واحد.. بينما الطائرات الأمريكية فى السماء تحمل فى بطنها عشرات الصواريخ الموجهه ، وأجهزة التجسس الأرضى الحديثة والمتطورة تمدها بالمعلومات عبر الأقمار الصناعية.
ألا يشير هذا الحادث بوضوح إلى وجود جواسيس للأمريكان ضمن الدائرة القريبة من بن لادن والملا عمر، على إتصال بالأقمار الصناعية الأمريكية بواسطة أجهزة متقدمة، لرصد تحرك الرجلين؟.
[ من المحتمل أن تكون أمريكا قد ضحت برجلها الذى يراقب ويرافق الملا عمر، والذى قتل غالباً فى السيارة المنتظرة أمام المسجد، لأنه منذ ذلك الوقت لم تسجل ضده محاولات مشابهة وحتى خروجه من قندهار].
وطبقاً لنفس التحليل، على إفتراض صحته، فإن رجل أمريكا المرافق لإبن لادن، كانت مهمته دوماً تحديد موقعه حتى يتجنب الطيران قصفه، حفاظاً على سلامته.
. ولماذا هذا الإصرار العجيب والإستعجال فى قتل الملا عمر فى ثلاث محاولات متتابعة للإغتيال الجوى.. بينما لم تسجل ولا محاولة واحدة ضد بن لادن طوال مدة الحرب؟.
وهل أن بن لادن يمثل حالة إستعصاء أمنى.. أم أنه يمثل لأمريكا ضرورة سياسية توفر لها ذرائع لسياسات يصعب قبولها دولياً؟ .

صحيح أن بن لادن كان متواجداً فى "تورا بورا"، على الأرجح لمدة أسبوع أو أقل، أثناء القصف الجوى العنيف لتلك الجبال.. ولكنه لم يكن مستهدفاً بشكل خاص.

..فإن لم يكن بن لادن قد لاقى ربه شهيداً.. لسبب ما.. أثناء تلك المعارك أو بعدها.. فإن أمر إختفائه فى المناطق القبلية الباكستانية طوال تلك المدة هو أمر يفوق الخيال.. خاصة لمن يعلمون طبيعة تلك المناطق التى يعشق سكانها الثرثرة ونقل الأخبار، وتستشرى بينهم النميمة بدوافع الحسد والعدوات، بحيث لايمكن لأحد أبناء تلك المناطق أن يختفى عن أنظار الحكومة لأكثر من أسبوع بدون أن تعلم بالضبط أين يختبئ.

فهل يختبئ بن لادن فى فم الأسد.. الذى مازال فى حاجة إلى خدمات فريسته.. ولأن الوقت لم يحن بعد لمضغها؟

***********

[جاء فى كتاب بن لادن يفجر أولي حروب القرن، للدكتور محمد القيسى ص 75 ما يلى:

( فى الليلة الأولى للحرب عندما إعتقد العسكريون أنهم حددوا موقع الملا عمر، سعى الجنرال فرانكس "رئيس القوات المركزية الأمريكية"، سعي للحصول على موافقة الجنرال رامسفيلد "وزير الدفاع" على الهجوم، ولكن الملا عمر تمكن من الفرار.

وفى نفس الصفحة، جاء فى الكتاب المذكور: أن بوش بنفسه إتخذ قرار الهجوم على بيت الملا عمر، ومطار "لم يذكر الكتاب إسمه". وذكر بأن مسؤولين أمريكيين عن العملية، حصلوا على موافقة وزير الدفاع رامسفيلد والبيت الأبيض قبل أيام من التنفيذ. ] .

## **2 ـ دحر الهجمات الأمريكية على منابع الأفيون**

طبقاً للتحليل القائل بأنها حرب الأفيون الثالثة.. فقد كان متوقعاً أن تركز الحملة الأمريكية على منابع الأفيون فى هلمند وجلال آباد.

وأن هدف الحملة.. فى الحد الأدنى.. سيكون إضعاف قبضة طالبان على هذه المناطق لإتاحة الفرصة للمزارعين كى يعاودوا الزراعة التى أوقفتهم عنها الإمارة فى العام الماضى.

ومن ناحية التوقيت كان يجب تنفيذ ذلك الحد الأدنى قبل إنقضاء موسم زراعة الأفيون ، والذى يبدأ فى أكتوبر (منتصفة تقريباً) وينتهى فى ديسمبر، ولا عبرة لمحصول يزرع بعد ذلك التاريخ.

ليس لطالبان قوة تذكر فى هلمند نفسها.. معتمدين على قوتهم الكبيرة فى قندهار المجاورة، ومقر "الأمارة الإسلامية".

لذا فإن الحملة الأمريكية من أجل (تحرير منابع الأفيون) فى هلمند ينبغى كسبها فى قندهار..

ولأن الحملة بدأت فى السابع من أكتوبر، وليس لأمريكا قوات عميلة لها قرب قندهار حتى ذلك الوقت لذا اعتمدت على نفسها لحسم معركة قندهار..

الأجراء الأول لكسب معركة قندهار بسرعة وسهولة وحسم كان إغتيال الملا عمر جواً فى الضربة الجوية الأولى، ولما فشل ذلك الخيار ضاع منهم أثر الملا عمر.

### **أ- فشل الهجوم على مقر الملا عمر:**

لم يكن أمامهم سوي الحل الأكثر مرارة .. أى الإعتماد على قواتهم الخاصة فى الهجوم على "مقر الإمارة". ( سوف نستعرض لاحقاً تفاصيل ذلك الهجوم، من

شهود عيان).
كان المقر فارغاً بالتأكيد.. ولكن الهجوم عليه سيرفع المعنويات ويعيد الحيوية إلى حملة عسكرية ضخمة بدأت تحيط بها الشكوك.. وتتراجع معنويات المشاركيين فيها والمتعاونين معها..
ثم .. ومن يدرى؟ فلربما عثرت قواتهم الخاصة .. على الملا عمر مختبئاً فى مقرة.. أو يجدوا أثراً يرشدهم إلى مقره الجديد!!.
وحتى إذا لم يجدوا أحداً أو يعثروا على شئ فإن مجرد إقتحام مسكن "أمير المؤمنين" كفيل بإسقاط هيبته فى البلاد، وإقناع مزارعى هلمند أن الرجل القوى الذى يخشونه لم يعد قادراً على الدفاع حتى عن بيته، وبالتالى فلا عائق يقف أمامهم فى معاودة زراعة الأفيون.
وهذا هو الحد الأدنى المطلوب تحقيقة من الحملة العسكرية خاصة وأن هلمند تنتج نصف الأفيون المنتج فى أفغانستان.
قامت أمريكا بالمحاولة وفشلت فى ليل الجمعة (19 أكتوبر 2001) أى أنها كانت واقعة تحت ضغط الوقت فقد بدأ موسم زراعة الأفيون منذ أسبوع تقريباً.

**<u>ب ـ فشل الحملة الأمريكية على جلال آباد</u>**

وكانت المحاولة هنا عبارة عن ترتيب إنقلاب قبلى يطيح بحكومة طالبان فى المدينة وبالتالى تتحرر مناطق أفيون ننجرهار وتبدأ الزراعة بأقصى طاقتها.
ولم تكن لأمريكا وأتباعها قوات كافية فى تلك المنطقة البشتونية.
فاستعانت بالقائد الشهير "عبدالحق" وهو الشقيق الأصغر للوالى السابق "عبد القدير" الذى فر من المدينه قبل ساعات من دخول طالبان إليها فى عام 1996.
[وعبد الحق كان وقت الجهاد ضد السوفييت شاباً قوى البنية والعزيمة متوقد الذكاء .. ولكنه مدين بشهرته للأعلام الغربى، ولصداقته الشخصية "لمرجريت تاتشر" رئيسة وزراء بريطانيا وقتها، أكثر من كون هذه الشهرة راجعة إلى نشاطه العسكرى مع كونه وقتها من المهتمين بالعمليات الخاصة داخل كابول].
فى وقت ما بعد بداية الحملة الأمريكية على أفغانستان وضع عبد الحق نفسه وخبرته تحت تصرفها.. وبصحبة عناصر من الإستخبارات الباكستانية والأمريكية دخل على رأس وفد لتأليب القبائل، وشراء بعض الذمم وترتيب إنقلاب فى المدينة يطرد منها إدارة طالبان.
ولكن لحركة طالبان متعاطفون وأنصار لايستهان بهم فى المنطقة، أبلغوا سلطات المدينة عما يجرى، فتحركت بسرعة لحصارة.
وفى يوم الخميس 25 أكتوبر أعلنت الحركة عن حصار عبد الحق ومن معه لمدة يومين، وأن طائرات الهيلوكوبتر الأمريكية تدخلت لفك الحصار الذى وقع فيه المتآمرون ومعهم عدد من عناصر الإستخبارات الأمريكية الذين نجح بعضهم فى الفرار بالطائرات.
ثم أعلنت الحركة عن نجاحها فى إعتقال عبد الحق.. وسرعان ما أعلنت عن إعدامه.. وكانت ضربة قاسية للحملة الأمريكية لكون عبد الحق من نجوم الصف الأول فى القيادات العسكرية الأفغانية.. ومع شقيقه عبد القدير يشكلون أهم الأسماء المناوئة بعنف لحركة طالبان فى محافظة ننجرهار كلها.

أعلنت أمريكا عن "أسفها" لمقتل عبد الحق ثم، بدأت على الفور تظهر أصوات تشكيك فى أن الحملة الأمريكية ضلت الطريق ـ وأن أقدام طالبان زادت رسوخاً وأكتسبت على الأرض المزيد من الهيبة.

***********

[من أمثال الأقوال الواردة فى التشكيك بالحملة الأمريكية خلال شهرها الأول، ما جاء فى كتاب أولى حروب القرن صفحة87( يقول المحللون العسكريون، أن طريقة قيادة فرانكس للحرب، خلال الشهر الأول للمعركة، تشير إلى أنه، لم يتمكن بعد، من إتخاذ القرار الصائب). ثم فى صفحة 78، أورد على لسان مايكل أوهانلون المحلل العسكرى فى معهد بروكنز قوله: " **أنا قلق بشأن الوتيرة العامة للعمليات**". ثم أورد قول مايكل فيكرز، الضابط السابق فى القوات الخاصة، للمخابرات الأمريكية: يبدو أن فرانكس غير قادر على الإبتكار، وإجمالى المجهود يبدو بطيئاً وخارجاً عن الهدف، وغير ملائم على الإطلاق. ].

***********

بعد مقتل عبد الحق كانت أمريكا على مفترق طريق فإما أن تقتنع من الغنيمة بمجرد الإياب أو أن تزيد من تورطها وترمى بالمزيد من الثقل وتقبل "بشريك" يحصل على أكثر من بعض الفتات، فى مقابل العمل لحسابها كاملاً كقوات أرضية وذلك هوتحالف الشمال.

كما ظهر أن الجنوب خال من (القوات العميلة) الجاهزة للمساندة السريعة.. فضاعفت جهودها فى تأهيل عملاء من البشتون. ففى قندهار هناك "جول آغا" وأعوانه الصغار وهناك "حامد كرزاى" الموظف البيروقراطى سابقاً، والمستشار حالياً فى شركة "يونوكول" النفطية الأمريكية، والذى يجب أن يتحول وبسرعة وعلى طريقة "الوجبات السريعة" الى ما أطلقوا عليه "زعيم قبلى" !!. وإن يتواجد وسط قوات ويظهر كبطل تحرير.

( سبقت الإشارة إلى إرتباط كرزاى، بشركات النفط الأمريكية، كمستشار لها فى أفغانستان، إضافة إلى المخابرات المركزية الأمريكة، حيث إعتنى به مديرها ويليام كسبى، بشكل مباشر، وأوصى بالإستفادة منه، ومن عائلته).

هناك فى بيشاور قادة عصابات سطو سابقين، عملوا مع حاجى قدير فى "إدارة شئون ننجرهار" وفرض "قانون الإجرام" الذى كان دستور تلك الحقبة من الحكم فى جلال آباد.

هناك مثلاً القائد "حظرت على" والقائد "زمان" وحتى الشاب الواعد "ظاهر خان" أبن حاكم الولاية حاجى قدير.

وهؤلاء الفرسان الثلاثة كانوا أبطال حصار وإقتحام (تورا بورا) وأسر وقتل العرب فى الجبال وفى المدينة.

تلك كانت ملامح المرحلة التالية للحرب من أجل منابع الأفيون.. فى قندهار وفى جلال آباد.

## 3 ـ علامات فشل الحملة الأمريكية

كان صمود الخطوط القتالية لطالبان تحت القصف الأمريكى المكثف أمراً غير متوقع أمريكياً.
فخطوط المواجهة شمال كابول صمدت حتى ليلة سقوط كابول رغم القاذفات الإستراتيجية" بى 52" التى حرثت الأرض وقلبت الجبال.
كانت هناك بعض الخسائر فى المعدات، أما الأفراد فالإصابات فيهم نادرة.
بل أن القاذفات الإمريكية، عند خطوط التماس وصلت قنابلها الى قوات المعارضة عدة مرات.
هذا الوضع دفع تحالف الشمال إلى شكواهم المضحكة، والقائلة بأن الطائرات الأمريكية أبطأ من اللازم، فأصواتها تسمع قبل وصولها فيختبئ مقاتلوا طالبان فى خنادقهم قبل وصول القنابل، فلا يصابون!!.
الغارات الأمريكية بعد ما يشبه اليأس من التأثير على خطوط القتال، تحولت إلى ضرب الأهداف المدنية التى تؤثر على صمود المدنين، خاصة فى العاصمتين كابول وقندهار. فضربت مخازن الغلال التابعة لمنظمة الصليب الأحمر فى كابول، وهى أكبر مخزون فى العاصمة، وتكرر القصف مرتين على الأقل مما إعتبرته مصادر إغاثية دولية أنه محاولة واضحة لتجويع سكان العاصمة.
مخازن النفط فى المدينتين وصهاريج نقل النفط كانت مستهدفه منذ فترة بهدف شل الحياة العامة، وزيادة معاناة المدنيين فى الشتاء.
وكذلك بدأت أمريكا منذ فترة ضرب وسائل النقل العامة أى الباصات الجماعية.
لكسر حالة الجمود، وفشل الغارات الجوية فى التأثير على الموقف على الأرض بدأت أمريكا فى الأيام الأخيرة من تلك المرحلة إستخدام قنابلها الجديدة زنة سبعة أطنان التى أعتبرت قنابل نووية صغيرة.

***********

**[قنبلة بي إل يو 82 وزنها 7 أطنان تقريباً، وتسقط بفعل الجاذبية الأرضية، تستخدم عادةً لتدمير الكهوف، فيتم إسقاطها أمام الأبواب، فيتسبب ضغط الهواء فى تدمير الكهف. ولكنها إستخدمت على نطاق أوسع من ذلك بكثير، فضربوا بها القرى، والقوافل المتحركة على الطرق العامة].**

---

## القوات الخاصة الأمريكية فوق بيت (أمير المؤمنين)

بعد إثنى عشر يوماً من التمهيد الجوى قامت أمريكا بتجربة قواتها الخاصة لأول مرة فى الحرب الأفغانية.
ومن المفيد ذكر بعض التفاصيل كما رواها شهود عيان.
(تابع الكاتب أحداث تلك الليلة عن قرب ومن موقع قيادة صديقه القديم أبو حفص المصرى)
**الجمعة 2 من شعبان1422 هجري ـ 19 أكتوبر 2001م**.
منذ يوم الإثنين وزيارة الجنرال باول وزير خارجية أمريكا لباكستان، ركز الطيران الأمريكي علي قندهار ليلاً ونهاراً.في النهار الطائرات تضرب بصواريخها الموجهة الأهداف التقليدية التى ظلت تضربها منذ بداية الحملة، حتى أصاب الطيارون و الناس الملل.

ولكن منذ زيارة باول بدأ القصف الجوى يأخذ طابعاً دينياً.. فطال هيئة( الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر)، والمدارس الدينية، خاصة تلك التى أنشأها الملا عمر لأعضاء حركة طالبان، وأصيبت العديد من المساجد أما القتلى فكانوا بالعشرات.
القصف المستمر ليلاً ونهاراً علي مقر الإمارة كان مثيراً للإستغراب حيث لم يتوقف منذ بداية الحرب فى السابع من أكتوبر. حتى لم يعد هناك شئ يستحق القصف.

**ومن شدة نشوة الطيارين.. وتعبيراً عن دوافعهم الدينية.. رسموا بالدخان الأبيض المنبعث من طائراتهم صليباً ضخماً فى سماء قندهار..**
**وصار ذلك أحد شعاراتهم كلما عزموا على إزالة أحد أهدافهم من الوجود.. وحتى أثناء مطارداتهم للأسر العربية فى جبال وصحارى أفغانستان.**

أغرب قرارات قيادة طالبان كان إبقاء عدد من مقاتليها حول مقر الإمارة الذى تم تدميرة بشكل كامل تقريباً،وحراسة المنطقة ليلاً.. كما إحتفظوا بعدد من المضادات الجوية المحمولة على شاحنات تتحرك ليلاً قرب "مجمع الإمارة" فى مواضع لها بين الأشجار والخرائب المهدمة.
هذا الإجراء العجيب الذى لامبرر له فيما يظهر كان السبب فى إفشال عملية إنزال القوات الخاصة الأمريكية على مقر الإمارة، وتحويل النصر السهل الذى كانوا يتوقعونه إلى مأساة وهزيمة معنوية ومادية لقواتهم الخاصة.
بعد إختفاء القمر فى الساعات الأولى من الليل الثانى من شعبان بدأت أصوات طائرات الهيلوكبتر تظهر فى سماء قندهار ومن جميع الإتجاهات، ولم يكن صعباً تمييزا الصوت الأضخم لطائرات الهيلوكوبتر"أ . سي 130" المستخدمة فى عمليات القوات الخاصة.. ولم يلبث أن تم التشويش على جميع أجهزة الإتصالات اللاسلكية فى قندهار ولم يعد ممكناً إتصال مجموعات المقاتلين بعضهم ببعض.
ثم إزداد القصف على "مجمع الإمارة" بشكل هستيرى منذ العاشرة والنصف ليلاً.. فادرك كثيرون أنها محاولة إنزال على المنطقة.
الذين شاهدوا القصف من فوق التلال المحيطة بالمدينة، أدركوا أن رمايات عنيفة تنطلق من الأرض ـ وعلى غير العادة ـ فى إتجاه طائرات الهيلوكوبتر التى لا يعلم أحد أين هى تحديداً.. وكانت قوات طالبان لا تطلق النيران عادة على أى طائرات لعلمها أنها جميعاً خارج مدى أسلحتهم.. وفى الليل يكون الوضع أصعب خاصة فى الليالى المظلمة.. لعدم القدرة على تحديد موضع طائرات الهيلوكبتر، ولإتباع الأمريكان أسلوب التشويش بأصوات طائرات كثيرة فى وقت واحد ومن إتجاهات متعددة.
يقول أحد عناصر طالبان الذين شاركوا فى عمليات تلك الليله فى مجمع الإمارة:
[ ضربتنا الطائرات الأمريكية بقنابل عنقودية فأختبأنا فى مغارات أعددناها للحماية من القصف، ولم نرد على الطائرات حسب الأوامر التى لدينا، حتى لا نبذر فى الذخيرة، ولكن سمعنا أصوات طائرات هيلوكبتر قريبة جداً وكانت مجموعة من خمسة طائرات تحاول الهبوط، وهناك طائرات آخرى فى السماء تحرسها من بينها الطائرات الجديدة التى تشوش بصوتها على صوت الطائرات التى تريد الهبوط، وأطلقنا نيران أسلحتنا بشدة على الطائرات التى تحاول الهبوط وشاركتنا فى الرماية مواقع قريبة للطلبة، لديهم رشاشات ثقيلة محمولة على شاحنات.

طائرات الحراسة ضربت على مصادر النيران بالصواريخ.. ولكن طائرات الهيلوكبتر التى أرادت الهبوط إرتفعت مرة أخرى.. وخشينا أن تكون هناك طائرات أخرى هبطت خلف التل الموجود على طرف المجمع.. ذهبنا الى هناك ولكن لم نجد شيئاً. فى نهاية الغارة غادرت الطائرات.. ولم يسقط منها شئ فى المنطقة]..
إنتهت الغارة بعد ساعتين من بدئها أى فى الساعة الثانية عشرة والنصف ليلاً.
ذهبت مجموعات صغيرة من مقاتلى القاعدة إلى موقع الغارة بعد إنتهائها بقليل.
قال أحدهم أن جميع الرشاشات الثقيلة التى إشتبكت مع الطائرات الهيلوكبتر قد أصابتها الصواريخ وقتل أو جرح جميع العاملين عليها.
بعد إنتهاء الغارة عادت الإتصالات اللاسلكية وأفادت مجموعات الطالبان أن هناك طائرة هيلوكبتر أو إثنين قد سقطتا فى قرى أرغنداب القريبة من المدينة. وأن طائرات هيلوكبتر أمريكية ذهبت الى هناك لإنقاذ من فيها.. لم تنقطع الرمايات الجوية الأمريكية سواء بالهيلوكبترات أو الطائرات المقاتلة.
ثم أبلغت مجموعات طالبان فى أرغنداب أن قصفاً أمريكية بالصواريخ حدث علـى منطقة سقوط طائرة "أوطائرتى" الهيلوكبتر..
فى الصباح تحركت وحدات الطالبان على عجل لكنها لم تجد شيئاً يذكر سوى قطع صغيرة من الحديد والألمنيوم يعتقد أنها كل ما تبقـى مـن الطـائرات الهيلـوكبتر الأمريكية بعد إعادة تدميرها بالصواريخ الموجهة حتى لا تسقط على أيدى طالبـان وتستخدم دعائياً ضد الحملة الأمريكية.
"وهكذا فعلوا فى كل الحوادث التالية التى فقدوا فيها طائرات هيلوكبتر فى منـاطق ليست تحت سيطرتهم ".
فى الصباح أعلنت أمريكا عن سقوط إحدى طائرات الهيلوكبتر داخل باكستان قريباً من الحدود الأفغانية ومقتل إثنين من ركابها وادعت أن السبب غير معـروف وأن تحقيقاً سوف يفتح حول الحادث!!.
تقديرات عربية من قندهار قدرت الخسائر الأمريكية فى حـدها الأدنـى بـسقوط طائرتى هيلوكبتر ومقتل 40 جندياً.
مجموعات مسلحة للقاعدة حاولت إستخدام عدة صواريخ "سام7" ضـد الطـائرات الأمريكية فى تلك الليلة، ولكنها جميعاً لم تنطلق، السبب كان تلفها وقدمها.
[وذلك رغم أن قادة بارزين فى تحالف الشمال عرضوا على القاعدة، منـذ عـامين، تزويـدها بصواريخ روسية متطورة محمولة على الكتف.. مضادة للطيران لكن القاعدة فـضلت شـراء المخلفات الرخيصة للأسلحة السوفيتية من باكستان !!]
من أكبر طرائف تلك المعركة أن القوات الأمريكية أذاعت بعد أيام شـريطاً تلفزيونيـاً قالت أنها صورته لقواتها وهى تقتحم بيت الملا محمد عمر والفيلم مصور فى الظـلام بالأشعة تحت الحمراء التى تظهر كل شئ اللون الأخضر بينما جنودها "المرعِبين" فى كامل زينتهم التكنولوجية ونظارات الرؤية الليلية ويصعدون درجاً أسمنتياً قادمـاً مـن باطن الأرض كأنه جزء من قلعة مجهزة لتلقى ضربة نووية.
المؤكد أن الفيلم جرى تصويره فى أستديوهات هوليوود لأن الجنود الأمريكان لم تطأ أقدامهم أرض مجمع الإمارة فى تلك الليلة، ولا فى أى ليلة تليها إلا بعد أن دخلت قوات"جول أغا" إلى المدينة ونظفتها تماماً. عندها تجرأت ودخلت القوات الأمريكية بهيأتها الإستعراضية إلى قندهار.

لكنها لم تعرض مرة أخرى صورا للمكان الذى قالت أنه لبيت الملا عمر وأنهم إقتحموه فى تلك الليلة.. والمقطوع به أن مثل ذلك المكان لاوجود له فى أفغانستان كلها.. تماماً كما هى المخططات التى بثتها الفضائيات الأمريكية لمغاور تورابورا الرهيبة والمكونه من عدة طوابق متتابعة!! ولم يصوروا لنا ميدانياً تلك المغارات الرهيبة والمتطورة لأعداء العالم من تنظيم القاعدة وحركة طالبان!!.خاصة وأن البلاد الآن تحت سيطرتهم ويمكنهم عرض تلك المغارات والمخابئ بل وتنظيم رحلات سياحية إليها وتحويلها إلي مشروع إستثماري مفيد إقتصادياً ونافع سياسياً .

**{الكاتب الأمريكي "سيمورهيرش" فى كتابه "القيادة الأمريكية العمياء" يقول عن هجوم وحدة القوات الخاصة الأمريكية الثانية المكونة من "جوالين" و "قوات دلتا" على مقر الملا عمرفى تلك الليلة أنه كاد أن يكون كارثيا. وأن البنتاجون كان يعيد التفكير فى مستقبل عمليات القوات الخاصة في أفغانستان.فقد تعرضت "قوات دلتا" التى قادت الهجوم وجدت نفسها فى معركة تكتيكية تتقدم فيها قوات طالبان}.**

## غموض فى (رباط جعلى) !!

فى نفس الليلة التى هاجمت فيها القوات الخاصة الأمريكية مقر إقامة إمير المؤمنين وربما فى نفس الوقت كانت عملية مشابهة تجرى فى مطار "رباط جعلى" الذى لا يكاد يعرفه أحد.

ومنطقة رباط جعلي متواجدة فى أقصى جنوب الشريط الحدودى مع إيران، وتشبه نتواء داخل أراضيها يوحى مجرد شكله على الخريطة أنه يمثل ألماً أمنياً للجانب الإيرانى. ولا أحد يدرى ماذا يدور هناك أو القيمة الفعلية لهذه المنطقة إذا كانت ذات قيمة.

ولكن الهجوم الأمريكى على منطقة نائية لايهتم بها أحد، هو أسلوب لتحقيق نصر سهل للقوات الخاصة، لبلد يعرف قيمة الحرب النفسية.

من غرائب المعركة (وربما بسبب غرابة وغموض تلك المنطقة) وجود ثلاثين من شباب جماعة جهادية من بلوش باكستان يساعدون قوات طالبان فى حراسة المطار. يقول الناجى الوحيد من بين هؤلاء أن الإنزال الأمريكى على منطقتهم كان غير متوقع وأن القوات الخاصة الأمريكية هى الأخرى فوجئت بالمقاومة الأرضية، وخسرت حوالى سبعين من عناصرها.. أما قوات طالبان والمجاهدين البلوش فقد أبيدوا عن آخرهم.. وقد كانوا جميعاً فى حدود الستين مقاتلاً خاضوا مواجهه مع الجنود الأمريكين المتفوقين عدداً والمدعومين بطائرات الهيلوكوبتر.

فى صباح اليوم التالى إعترفت أمريكا بأنها نفذت بقواتها الخاصة عملية على مطار فى أفغانستان. ولكنها لم تحدد المكان حتى تترك للخيال البشرى دورة كي يعمل بحرية ويتصور أن تعبير "مطارا فى أفغانستان". يعنى أنه مطاراً أصغر قليلاً من مطار جون كندى فى نيويورك.

ولم يذكر البيان الإسم الغامض وربما المضحك قليلاً ـ لمنطقة (رباط جعلى).

كما لم يذكر بالمرة ما حدث لهم فى قندهار.. وظلوا صامتين حتى أنقذتهم (هوليوود) بالفيلم المذكور.. والذى لم يحددوا عند عرضه زمن إلتقاطه.

**{جنرالات الأكاذيب والمعارك الوهمية في البنتاجون قالوا أن الهدف من تلك المعركة كان أظهار براعة وتفوق القوات الأمريكية" التى كانت تنتشر و تناور وتنفذ مهامها فى افغانستان بدون تدخل يذكر من قبل قوات طالبان، فالجنود لم يواجهوا أية مقاومة وأن المهمة كانت ناجحة كما**

**كانت شاهدا علي نجاح الحرب ضد الأرهاب" حسب تعبير رئيس الأركان فى تقريره}**. راجع النص في كتاب القوة الأمريكية العمياء

# الباب الثاني

## بحث حول مرحلة الإنهيار الكبير..وسقوط نظام الإمارة الإسلامية

بدأت الهزيمة فى شمال أفغانستان.. عندما سقطت(مزار شريف) كأول مدينة تفقدها الإمارة..ثم تتابع سقوط المدن كما فى لعبة (أوراق الدومينو) التى يسقط أحدها الآخر بالتتابع.

قنابل الأطنان السبعة كان لها تأثير لا شك فيه أصاب الصفوف العسكرية لطالبان بالتشقق.

ولكن حتى تلك القنابل ما كان لها أن تعطى كل ذلك الأثر لولا الفعل النفسى المدمر لعملية الحصار التى فصلت شمال البلاد تماما.. لقد وقعت زهرة قوات الإمارة وخيرة قادتها الميدانيين فى حصار لافكاك منه.. والكل يدرك أنه لايمكن توفير مثل ذلك الحشد فى أى مكان آخر حتى فى الجنوب، للدفاع عن البلاد.

والخطأ هنا سياسى.. حين إستبعد الملا عمر إحتمال حرب كاملة تشنها أمريكا على بلاده.. وقد واصلت أمريكا خداعة عندما واصلت دفع الوفود الباكستانية صوب قندهار" للبحث عن حل للأزمة" بينما كانت عجلة الحرب الأمريكية تدور بأقصى طاقاتها على طريق حرب فعلية لاعودة عنها.. حتى ولو قام الملاعمر بتسليم بن لادن وجميع العرب فى بلاده.

آخر تلك الخدع السياسية كان الوفد الذى قادة إلى قندهار الجنرل محمود صديق العرب الأفغان ورئيس الإستخبارات الباكستانية على رأس وفد من أقرب العلماء إلى قلوب وعقول حركة طالبان فى (2001/9/28) أى قبل تسعة أيام من الحرب !!

[ العجيب أن ذلك الوفد بدأ بمحاولة أقناع الملا عمر بتسليم بن لادن لتفادى الحرب.. فلما رفض أيدوه فى رفضه!! ووعدوه بالوقوف إلى جانبه !! .

فإذا كانوا صادقين فلماذا حضروا إلى قندهار؟ وإن كانوا كاذبين فهى محاولة لتثبيت الملا عمر على موقفه ثم القول لاحقاً أنهم نصحوه حتى آخر لحظة ولكنه لم يستجب لهم.. وهو ما قاله برويز مشرف لاحقاً !!].

قوات الشمال، منذ بداية العام كان قد بدأ تجديدها بالكامل.من الناحية البشرية ومن ناحية الأسلحة وباقى التجهيزات.

فمنذ ما يقارب العام بدأت حملة نشطة لتجنيد مرتزقة روس وأوزبك وطاجيك ممن خاضوا غمار الحرب السوفيتية السابقة ضد أفغانستان، أو خاضوا معارك على الأرض ضد الحركات الجهادية فى طاجيكستان وأوزبكستان. وقد كان ذلك التحرك مهيناً حتى للسيادة الروسية، لدرجة أن البرلمان الروسى بدأ يبحث تلك "المشكلة" ولكن المؤكد أن آلاف المرتزقة كان قد تم تجنيدهم وأخذوا مواضعهم وخاضوا بالفعل معارك فى شمال البلاد ضد طالبان وضمن صفوف قوات تحالف الشمال أو (الجبهة الإسلامية لتحرير أفغانستان!!)،التى أصبحت تضم "مجاهدين" أرثوذوكس من النصارى الروس !!.بعد أن كانت تضم قوات إسلامية سنية وشيعية مع ميليشيات دوستم الشيوعيةالسابقة!!.

كما ظهر فى مواقع الجبهة فى تاخار، عشرات الدبابات الروسية المصنوعة حديثاً (ولكن من طرازات تى 62 و تى 55 القديمة) وكذلك الأسلحة الفردية الجديدة

ومضادات الدروع المحمولة وسيارات النقل وسيارات الجيب العسكرية وحتى الملابس المرقطة الجديدة.

**[ويمكن ملاحظة كل ذلك فى الأفلام التلفزيونية لتلك الفترة خاصة تلك القوات التى دخلت كابول. وهى تخلو من الغبار وكأن المعدات جميعاً خرجت لتوها من المصانع، والأفراد خرجوا للتو من الحمامات].**

خط إمداد تلك القوات مفتوح على مصراعية وبإتصال مباشر مع القواعد الأمريكية فى أوزبكستان والروسية فى طاجيكستان المجاورتان للشمال الأفغانى.

وقد أخذت القواعد الأمريكية الجوية فى أوزبكستان وقرغيزستان وكازخستان تمارس عملاً قتالياً ولوجيستيا لدعم قوات الشمال المتحدة : (الأرثوإسلامية) أو (الإسلاموذوكسية).

لقد كان تحالفاً دولياً رائعاً ونادر المثال.. دينياً وسياسياً، ضد الإرهاب الإسلامى الدولى الذى تمثله القاعدة وحركة طالبان، خاصة وأن قيادة التحالف فى يد القائد البروتستانتي (الأمريكي البريطاني) ويضم جيش التحالف قوات كاثوليك أوروبا وتمثلهم ألمانيا وفرنسا وهولندا.. إلخ .. ومعهم أهل السنة، من أصحاب الإعتدال الدينى وتمثلهم باكستان وتركيا والأردن.. ثم أهل العقيدة الصحيحة فى السعودية (الذين عملت القيادة الأمريكية للحملة الجوية من قرب عاصمتهم الرياض بالأراضى المقدسة.. وقد يتضح فى وقت ما دورهم فى تمويل هذه الحرب، على إعتبار أن عاصفة الطائرات، التى هبت على نيويورك وتسببت فى تلك الحرب هى عاصفة سعودية، من حيث الأفراد على أقل تقدير، إن لم يكن القيادة والتمويل أيضاً).

إنها روعة الأداء السياسى الأمريكى.. الذى وفر أيضاً ستاراً كثيفاً على نقاط ضعفهم العسكرى وحتى الإستراتيجى.

إن النظرة المتعمقة قليلاً لكل تلك المهزلة الدامية لاتكشف فقط نقاط الضعف الأمريكية، بل تكتشف وبسهولة مقاتل القوة الأمريكية وهشاشة تكوينها الإجمالى..

وأن القوة العسكرية الأمريكة الجبارة وباقى قواها السياسية والإعلامية والإقتصادية لاتقف فقط فوق أقدام من القش (كما قيل فى الخمسينات) ولكنها تقف فوق سراب لا يستمر فى العمل إلا بقوة الخداع.. وبالرعب الذى إجتاح العالم من قوة إحتضرت بالفعل ولكن لا أحد يجرؤ على تحديها خارج نطاق الأقوال المرتجفة..

قوة أمريكا الأساسية تنبع من الخوف والعجز الذى إنتاب أعدائها، فتحولوا إلي تعاون خجول مع الأمريكان !! .

وأفغانستان هزمت نفسها قبل أن تهزمها القوة الأمريكية.

فالأذكياء فى أفغانستان خانوا وباعوا أنفسهم لعدوهم..

والمخلصون فى أفغانستان قتلهم العجز والتقصير والغرور..

بينما أمريكا حصدت النصر فى واحدة من حروبها المجانية المتواصلة.

*****

## ليلة سقوط مزار شريف

عشية سقوط مزار شريف كانت أمريكا قد أكملت إسقاط 15 ألف طن من القنابل على رؤوس المقاتلين من حركة طالبان وأنصارهم، أى ما يعادل تقريباً طناً من القنابل لكل مقاتل منهم.

وكانت القوات الأمريكية بدأت مشاركتها الأرضية لقوات "الجبهة الإسلامية لتحرير أفغانستان" أو إختصاراً "تحالف الشمال" وتلك المشاركة كانت بعناصر من القوات الخاصة تقوم بتوجيه الطائرات الأمريكية نحو أهدافها، وتسدى "النصح" لقوات التحالف الشمالى.

هجمات الشمال كانت على جبهتين الأولى على مشارف مدينة طالقان عاصمة تاخار وفيها مواقع ثابته منذ عام مضى ولم تظهر فيها قوات طالبان ميلا إلى التراجع.

والثانية على مشارف مزارشريف (يقودها عبد الرشد دوستم القائد الشيوعى الشهير) ولكن قوات طالبان هناك صدت العديد من الهجمات القادمة من الجبال الجنوبية واستهدفت المطار وعندما بدأت هجمات أخرى من غرب المدينة وعلى أطرافها البعيدة، تحركت قوات طالبان لصدها.. فوقعت فى كمين الطائرات الأمريكية التى أبادت المتحركين فوق الطرقات. فاقترب الزحف من المدينة وكلما حاولت قوات طالبان التحرك لصد المهاجمين أبيدت وهى متحركة على الطريق بواسطة الصواريخ وقنابل الأطنان السبعة .

وفى النهاية توقفت قيادة الطالبان عن المحاولة بعدما فقدت جزءاً كبيراً من قواتها حتى قبل أن ترى مواقع الخصم فوق الأرض.

بدأت قوات طالبان فى مزار شريف تنسحب شرقاً صوب مطار المدينة ومنه صوب مدينة قندز.

سمع الصامدون فى طالقان بأنباء الهزيمة الوشيكة فى مزار شريف. والتى تعنى بداهة قطع الطريق الواهى الذى يربطهم مع غرب أفغانستان الذى قد يجدون فيه ملاذاً أو يجدون منه عوناً.. فتحركت قوات لنجدة مزار شريف وعلى رأس تلك القوات القائد العسكرى للمجاهدين الأوزبك جمعة باي، والذى عينه الملا محمد عمر قائداً عاماً لقوات المتطوعين فى أفغانستان والذين بلغ تعدادهم فى الشمال- تحت قيادة جمعه باى حوالى ألف وخمسمئة مجاهد.

من طالقان إنطلق جمعة باى على رأس قوة من المتطوعين لنجدة مزار شريف وما أن ظهرت قافلته على الطريق وهى تعدو مسرعة حتى أمطرتها الطائرات الأمريكية بقنابل زنه سبعة أطنان فقتل القائد جمعه باى على الفور ومعه 52 من المتطوعين من بينم 12 عربياً.

وكان إستشهاد جمعه باى زلزالاً آخر هز الأرض تحت أقدام قوات طالبان وحلفائهم فى الشمال، فقد كان جمعه أكثر من مجرد قائد عادى، بل كان طاقة من الحماس والكفاءة والحركة الجسورة تضئ الطريق لقوات أخافها الحصار والقصف وأعيتها كثرة الإصابات وإنعدام الخدمات والإسناد.

بعد إستشهاد المجاهد الأوزبكى جمعه باى بساعات معدودة دخلت قوات القائد الشيوعى الأوزبكى عبد الرشيد دوستم مدينه مزار شريف مسجلة أول إنتصار ترتبت عليه باقى الإنتصارات كلها، فكان بداية النهاية لحكم الإمارة الإسلامية.

فبعد يومين، أو أقل، إنسحبت قوات طالبان من تاخار وتقوقعت فى قندز مع ما تبقى من قوات مزار شريف.

وخاض الجميع فى قندز أشرس معاك الحرب البرية، فكانت قندز آخر المدن سقوطاً فى أفغانستان.

**<u>ومن أسباب ذلك الصمود والشراسة فى القتال:</u>**

..أن أمريكا أعربت صراحة فى بياناتها وتصرفاتها فى ميدان المعركة أنها لن تتنازل عن إبادة جميع المقاتلين فى الشمال سواء من طالبان أو أنصارهم.
فلم يكن من خيار سوى القتال حتى الموت، وبالفعل قاتل طالبان وأنصارهم فى قندز بطريقة مذهلة جعلت تحالف الشمال هو الذى يبادر بطلب التفاهم وعقد صفقة لتسهيل الخروج الآمن للمحاصرين !!، حتى لاتتحول المدينة إلى مقبرة ضخمة عليها لافتة تقول "هناكانت مدينة قندز".
-أن المتطوعين الأجانب وقعوا هم أيضاً فى فخ الشمال الأفغانى ودفعوا معظم أفرادهم إلى هناك تبعاً لتحرك قوات طالبان.
وكان للباكستانيين 800 متطوع .
وكان للأوزبك 300 متطوع .
وكان للعرب 300 متطوع .
ومن دول أخرى 200 متطوع .
ويكون الإجمالى 1600 متطوع تقريباً.. وهو رقم يعادل أو يزيد عن عدد المتطوعين فى كل المواقع الثلاث الرئيسية: كابول، قندهار، جلال آباد.
هذا العدد الكبير من المتطوعين كان عبئاً نفسياً على قوات طالبان فى الشمال حيث يعتبرون أنفسهم مسئولين عن هؤلاء الغرباء الذين سيذبحون حتماً على أيدى تحالف الشمال.
ومن جانت آخر كان هؤلاء المتطوعين ذوى تأثير ضخم فى قرارات الساعات الأخيرة. فقد كان التصميم رهيباً على القتال حتى الموت، وهذا ما أرعب أهل الشمال فسارعوا لتقديم عروض الإفلات والإنسحاب الآمن.. وهو ما أقنع فى النهاية من تبقى من هؤلاء المتطوعين بأن يتراجعوا، صوب قندهار بطبيعة الحال، لمواصلة القتال إلى جانب "أمير المؤمنين" هناك.
قصص الإبادة الجماعية التى تعرض لها مقاتلو طالبان وأنصارهم فى الشمال مازال معظمها طى الكتمان حيث لم يكد ينجو أحد ممن تعرض لها.. وما يتسرب هو من أفواه الجناه أو شهود عابرون.. أو بواسطة إعلام غربى هدفه أن يسلط الأضواء على الشئ الصغير حتى يخفى جوهر الجريمة وجسمها الأكبر.
فما حدث فى قلعة بانجى عرف العالم بعضه، وما زال أكثره غامضاً. وفى قندز تكلم صحفى بريطانى عن أكثر من 1000 قتيل ماتوا خنقاً داخل حاويات تنقلهم من قندز.. ومن حاول الصراخ داخلها، أطلق الشماليون النار على الحاوية ومن فيها..
ثم نقلوا الضحايا إلى قاعدة أمريكية فى شبرغان،عاصمة النفط فى شمال أفغانستان، قائد القاعدة واجه مشكلة فى الدفن والعثور على (مقابر جماعية مأمونة) لأخفاء آثار جريمته.
وحتى الآن مازال مصير أكثر من خمسة عشرة آلاف مقاتل من حركة طالبان وأنصارهم فى شمال أفغانستان مجهولاً.
معروف أنهم قتلوا.. ولكن المجهول هو كيف، ومتى وأين؟؟

## سقوط كابول.. وهيرات:

.. فى صباح الإثنين 12 نوفمبر 2001 أخلت حركة طالبان مدينة هيرات وفى ليل نفس اليوم أخلى طالبان العاصمة كابول.
وفى صباح الثلاثاء دخلت قوات حركة تحالف الشمال المدينتين.
كان واضحاً أن الإمارة فقدت السيطرة تماماً على الموقف وعلى قياداتها العسكرية والسياسية وأن الحالة النفسية للقوات قد إنهارت تماماً.. وفقدت الرغبة فى القتال.
لقد كانوا يتابعون إتصالات القوات المحاصرة فى قندز مع القيادة فى قندهار..
الإستغاثات من جانب.. والعجز المؤلم من جانب آخر.. من قندز يسأل القادة العسكريون قيادتهم السياسية فى قندهار: ماذا نفعل؟.
والقيادة السياسية تجيب: لانستطيع تقديم أى شئ لكم تصرفوا بما ترونه مناسبا!!
وكأن القيادة كانت تصدر ذلك الأمر لجميع أتباعها فى أفغانستان.. الذين شرعوا فى أقرب وقت أتيح لهم تطبيق الأوامر !!.(القيادات العسكرية كلها كانت تستخدم موجة لاسلكية واحدة وأدى ذلك إلى سرعة إنهيار الموقف)
فما هى إلا ثلاث أيام فقط حتى نفذ كبار القيادات فى كابول وهيرات الأوامر التى صدرت لغيرهم!!.
وفى أقل من أسبوع فقدت حركة طالبان 80% من مساحة البلاد!!.

## ليلة سقوط كابول:

بالطبع شكل ذلك كارثة بقاء بالنسبة للعرب، الذين لم يتوقعوا هذا الإنهيار السريع.. وبالمثل باقى المتطوعين المسلمين. فالكل مهيأ للصمود الإستشهادى على نمط المثال الرائع فى قندز.
وطالبان كانوا يعلمون ذلك فى "ضيوفهم" العرب وأنهم سوف يعارضون فكرة الإنسحاب إذا طرحت عليهم (هذا ما حدث فى قندهار فقط فى حالة وحيدة بعد قندز).
لذا فضلت قيادات طالبان فى كابول الإنسحاب أولاً وترك مهمة إبلاغ العرب كى يقوم بها تحالف الشمال!!.
فكثير من العرب فى كابول، وغير العرب أيضاً، لم يعلموا بإنسحاب طالبان من العاصمة إلا عندما رأوا دبابات تحالف الشمال تجوب المدينة.
إنسحب الطالبة سراً تحت جنح الظلام بدون إخطار أحد.
ولكن البعض شعروا بالحركة ليلاً وسحبوا أنفسهم مع من إستطاعوا إخبارهم .
قال بعضهم أن عمليات، إنسحاب سرية من كابول كانت تتم منذ يومين بدون أن ينتبه إليها أحد من العرب، أو جماعات المتطوعين الآخرين. نتج عن ذلك مآسى كثيرة لعرب وباكستانين قتلوا فى الشوراع وقاتل بعضهم على قدر الإستطاعة. ثم مزق الشماليون جثث القتلى وأقيمت حفلات وثنية للرقص والغناء حول الأشلاء ورقصت نساء جميلات فوق برك الدماء والأجساد الممزقة على أنغام الموسيقى الصاخبة فى شوارع وميادين كابول !!
وأصبح صيد العرب فى الشوارع رياضة رائجة، مليئة بالإثارة والمرح ، وتعود بالربح الوفير، فقد كانت أثمانهم تدفع نقداً وفوراً بالدولار الأمريكي .
وكما كانت المطاردات تتم منذ خمسة قرون على شواطئ غرب أفريقيا لإصطياد العبيد وتوريدهم إلى أرض الأحلام فى أمريكا، بدأ القرن الحادى والعشرين

بتكرار صورة مشابهة ولكن فى باكستان و أفغانستان.. وشحن الأسرى العرب إلى الجزيرة الكوبية فى سلاسل حديدية هي طبق الأصل لسلاسل صيد العبيد فى أفريقيا. ولكن الآن أخذ (الإرهابى المسلم).. مكان (الأفريقي المسلم) فى العصور الخالية.
معلوم أن كسر الخط الدفاعى لطالبان على جبهة شمال كابول تم بالدولار الأمريكى وليس بقاذفات "بى 52" أو حتى قنابل الأطنان السبعة.
أحد الخونة كان يشغل منصباً أمنياً كبيراً فى وزارة داخليه طالبان ومازال يشغل منصباً أمنياً رفيعاً فى حكومة كرزاى !!!.
الثغرة التى حدثت بالخيانة فى خطوط طالبان لم يمكن معالجتها فى ظل قيادة عسكرية هزيلة وعاجزة بطبيعتها وقد زادت أجواء الإنهيار "مواهبها" السلبية.
وليس بمستبعد أن إختراق الخطوط بدأ قبل إتمام الإنسحاب من كابول بيوم أو إثنين.. لأن عمليات الفرار الليلى لطالبان من العاصمة رصدها البعض منذ ذلك التاريخ.
يقول أحد العرب الذين عاصروا المهزلة المأساوية فى كابول أنه لم يحزنه الهروب المخزى لطالبان من العاصمة بقدر ما أحزنه عدم إخبارهم إياه بالإنسحاب رغم أنه قابل بعض المسؤلين ليلاً فى المدينة وهم ينقلون أثاث بيوتهم و أفراد عائلاتهم.. فسألهم عن الأوضاع فى المدينه وفى الجبهة شمالها.. فاطمأنوه تماماً أن كل شئ على ما يرام!!.
ولكنه فى الصباح واجه الكارثة بنفسه حين وجد جنود الشمال ينتشرون فى الشوارع بالآليات ثم بالدبابات وأصوات الرصاص تتصاعد من هنا وهناك..
وكيف أنه أفلت بمعجزة هى من المبكيات المضحكات !!
العرب و (المتطوعون المسلمون) فى خط الجبهة شمال كابول كانت مأساتهم مروعة.. فعلى غير إنتظار وجدوا قوات العدو خلفهم وجميع طرق الأنسحاب مقطوعة، وخطوط الدفاع فى الجبهة تذوب كالملح فى الماء.. وطالبان يلجأون إلى البشتون فى القرى أو إلى الجبال كى يعبروها إلى مناطقهم والعرب حيارى ماذا يفعلون!!.. بعضهم إتصل لاسلكياً مع زملائه فى كابول وخارجها يسألون: ماذا نفعل؟
وكان الرد مطابقاً لرد قندهار على المحاصرين فى قندز:
**(تدبروا أموركم بأنفسكم!!.. لا نستطيع مساعدتكم بشئ).**
وبعيداً عن عيون الإعلام الدولى: ولجان حقوق الإنسان تمت عملية إستفراد كامل بالعرب وإخوانهم من المتطوعين الآخرين.. فقاتلوا لآخر طلقه أو لآخر نقطة دم.
ولكن إنقطعت الأخبار تماما.. ولا أحد يدرى ما حدث، وما هو المصير..
وحسب مصادر ميدانية عربية.. فقد العرب فى تلك المعركة 250 شاباً أغلبهم قتلى وهناك 400 متطوع من جنسيات أخرى لاقوا نفس المصير.
{قوة الاحتياط العربية فى كابول نجت من الحصار وتعدادهم 300 مجاهد ، توجه كثير منهم إلى تورابورا }

**ليلة سقوط هيرات**

فى تلك الليلة تهامست أوساط محدودة من مسئولى طالبان فى هيرات بوجود مشكلة تمرد فى ميمنة عاصمة ولاية فارياب المجاورة.. وأن ذلك قد يقطع خط إنسحاب الذين نجوا من معارك مزار شريف. وكانت الفكرة هي تحريك نجدة مسلحة إلى هناك لحماية المنسحبين المنهكين من وعورة الطريق وشراسة ملاحقة الطيران لهم.

"والى" هيرات إتصل مع قائد المجموعة المنسحبة من مزار شريف يطالبه بالثبات والدفاع فى أحد المواقع وألا يخلى المنطقة بهذه السرعة،وعنفه قائلا:
"إثبتوا وقاتلوا..لقد جلبتم لنا العار!!".
فأجابه القائد المنسحب بإنفعال:
"إن الطيران لايترك لى مكاناً أقف فيه فكيف أستحكم للدفاع؟".
ليلاً عقد نائب الوالى(مولوي عبدالحنان) وليمة للعرب المقيمين فى هيرات وعددهم لايتجاوز العشرين شخصاً.. ثلاثة يعملون فى مضافة للقاعدة والباقون من هواة العزلة،{مثل جماعة أبومصعب الزرقاوى الذى فضل الإبتعاد بمجموعته الأردنية عن ضوضاء قندهار وكابل}.
وكانت وليمة وداع رغم أنها كانت تمهيداً لتحريك قوة نجده صوب (ميمنة) يشارك العرب فيها.
فى الصباح الباكر فوجئ نائب الوالى الذى كان يرتب الحركة لنجدة ميمنة، أن ضيوفه العرب يستنجدون به لأن مسلحين حاصروا منازلهم ويطلقون عليهم النيران.
إتصل النائب بمسئولين آخرين.. وكانت المفاجأة أنه المسئول الوحيد المتبقى فى المدينة، التى سيطر عليها مسلحون يعملون السطو فى مرافقها ومتاجرها.. وأن كل زملائه قد إنسحبوا سراً.. تاركين له،ولضيوفه العرب، مهمة نجدة ميمنة!!
وبدلاً من يأخذ رجاله لإنقاذ فارياب توجه النائب لإنقاذ أصدقائه العرب وعائلاتهم.. وبالفعل قاد معركة حقيقية لفك الحصار عنهم واصطحبهم بصعوبة بالسيارات التى معه، وشق طريقه بالقتال إلى خارج المدينة صوب منطقة شندند.
وهناك تجمع الآلاف من طالبان فى إضطراب وخوف وبلا إنضباط.. حاول النائب والعديد من الشجعان تدارك الموقف وإستعادة المدينة الساقطة من أيدى عدد محدود من المسلحين بأسلحة فردية خفيفة.. ولكن الذعر كان قد أخذ مداه وماطل الكثيرون ثم أنصرفوا صوب قراهم.
وفى صباح اليوم التالى.. دخلت قوات إسماعيل خان إلى المدينة، فى نفس الوقت الذى كانت فيه قوات "الجنرال فهيم" تدخل كابول.. فيما يمكن تسميته بأحداث ألف ليله الأفغانية.
وكانت قندز ما زالت صامدة بعناد.. وقندهار تتدبر مصيرها.. وعربها يتأهبون لحرب إستشهادية على خطى زملائهم فى قندز.

## ضربات موجهة للعرب:

## أ ـ ليلة استشهاد ابو حفص المصرى [ الخميس 15 نوفمبر - 29 شعبان]

جاء استشهاد الرجل التنفيذى الأول فى تنظيم القاعدة والثانى من حيث الترتيب الرسمى، تتويجا لمرحلة الإنهيار العظيم على الجانب العربى..
خسائر القاعدة فى الأرواح غير معلومة بشكل محدد فقد يكون الرقم 300 فى حده المتواضع.. أو ضعف هذا الرقم فى التقدير الأعلى.. وأغلب هؤلاء هم من القادمون الجدد والذين بايعوا القاعدة حديثاً تحت تأثير حمى بن لادن، التى إجتاحت شباب اليمن خاصة.. وقد إنتشوا بإنتصارهم المبهر فى خليج عدن.. فاعتبروا أن (بن لادن هو الحل).

لاشك أن القاعدة فقدت عدداً ضئيلاً من كوادرها الهامة أثناء المعارك.. وتشرد الباقون إلى حيث لا مكان، بعد سقوط طالبان والإمارة الإسلامية.
لكن فقدان هذه الشخصية المؤسسة أفقد القاعدة إمكانية الإلتئام مرة أخرة.حتى مع وجود بن لادن.. قد ينشأ كيان آخر ولكن الكيان القديم لن يعود مرة أخرى.
فقد ضاعت روح المؤسسين الأوائل أبطال معركة جاجى 1987 التى أفززت تنظيم القاعدة.
المسؤول العسكرى للقاعدة قضى الأشهر التى عاشها من عام 2001م في حالة صحية سيئة.. فقد عانى من مرض "التيفوئد" ثم من عدة نكسات متكررة له.. وفي نفس الوقت عانى من آلام مبرحة فى فقرات العمودة الفقرى، من آثار معارك الحقبة السوفيتية وإصاباته البالغة فيها.. ومنها شظايا صغيرة متعايشة مع عظام العمود الفقرى،وقد بدأت مؤخرا تتململ فى مواضعها القديمة.
ثم آلام مرض البواسير المزمن معه منذ تلك الحقبة، وعملية جراحية أجراها لذلك قبل إستشهادة بعدة أشهر.
فى الشهر الأخير من حياته كان يقضى أكثر وقته مستلقيا على ظهرة يدير إتصلاته بواسطة أحد الشباب الجدد الذى إتخذه سكرتيرا له.
أما فى الأسبوع الأخيرفلم يكد يغير مكان إقامته كما كان يفعل منذ نشوب المعارك حيث كان يقضى الليل والنهار فى عدة أماكن متفرقة رغم المعاناه الجسمانية التى يتكبدها.
فقد أقعدته تماماً آلام الظهر.. وأصبح فى حاجة لبعض المساعدة فى تنقلاته الصغيرة داخل مقره الذى أستشهد تحت أنقاضه. كان عدد المقيمين معه فى مقرة السرى الأخير عدداً كبيراً نسبياً قد يصل إلى العشرين أحياناً..
وإذا إعترض أحد القدماء بأن ذلك قد يكشف المكان للطائرات المغيرة أو للجواسيس.. فكان يجيب بجملته الشهيرة وهويبتسم "الموت مع الجماعة رحمة". وقد مات فعلاً فى وسط جماعته، ورحلوا معاً فى موكب محبة حقيقية.
ولأنه كان محباً للجميع.. ومحبوب منهم أيضاً.. فإن من حوله لم يكونوا كلهم من "القاعدة" بل كانوا من جماعات وجنسيات مختلفة.
إستشهد منهم ستة عشر شخصاً دفعه واحدة عند آذان الفجر.
ونجا شخصان بمعجزة حقيقية.. أحدهما كان "أسد ا " إبن الشيخ عمر بن عبد الرحمن.
أغارت مجموعة أولى من الطائرات على المقر الواقع على الطرف الغربى للمدينة وخارج إطارها القديم.. فدمرت المبنى بمجموعه من الصواريخ الموجهة وبعد عشر دقائق آغارت مجموعة أخرى بنفس الطريقة..
"أسد ا " أخرج نفسه من تحت الأنقاض بأظافرة.. وشابا آخر أخرجوه حياً بعد ساعات.. وقريباً من المبنى كان شابان يقفان فى الحراسة، لم يصبهما أذى كبير أما من تبقوا تحت الإنقاض فلم يعثر بينهم على أحياء سوى على شخص واحد.

**ب ـ المجزرة الجوية للعائلات العربية فى بنشواى**

فى اليوم الثانى من رمضان تعرضت الأسر العربية لمحنة هى الأولى والأكبر من نوعها.. فقد وقعت عدة أسر فى قندهار فريسة متابعة إلكترونية جعلتهم عرضة

للقصف عدة مرات متتابعة فى ليلة واحدة.. حتى إصطادتهم المروحيات الأمريكيـة فى صحراء مكشوفة خارج قندهار.. وطاردتهم النيران الرشاشات والصواريخ حتى أبادت تقريباً عدة عائلات بكاملها.
شخصان نجا من الحادث وتمكنا من رواية ما شاهداه أثناء عملية الإبادة..
الأول هو قسورة اليمنى الذى أنقذته مهارته الفائقة فى العدو فوق رمال الـصحراء فى الظلام الدامس.
والثانى هو "عبد الوهاب" المصرى وهو أحد أفراد تنظيم الجهاد وقد أصيب إصابة بالغة ونقل إلى باكستان للعلاج، وربما تعرض هناك للإعتقال.
ثم شهادات متعددة لعرب ممن عاصروا فقرات من عملية المطاردة والقصف فـى ليل قندهار المظلم، وشوارعها التى عصف بها الرعب والقتال،وغطاهـا الحطـام والأشلاء.
وشهادات أخرى لمن جمعوا أشلاء اللحم الممزق للأسر العربية مـن رجـال ونساء وأطفال، تعذر التعرف على أصحابها.. كما أن جامعى اللحم البـشرى مـن العرب، قد غشاهم الحزن والرهبة حتى أنهم قالوا بأن الدموع قد منعتهم من تمييـز أكثر ما جمعوه من لحم وعظم محترق.
من هؤلاء أفراد من الجماعة الإسلامية المصرية وغيرها ممن جمعتهم المـصيبة، والعجز حتى عن الدفاع عن النفس أمام آله عسكرية همجية وقوه صـديقة عـاجزة ومضطربة.
**[وننقل الوصف التفصيلى للحادث كما جاء فى مقال بعنوان "مخازى العسكرية الأمريكية فى أفغانستان: من دنشواى المصرية.. الى بنشواى الأفغانية" .. نشره الكاتب على موقع المحرسة للانترنت ، تحت إسم مستعار هو "هاشم المكى"، .. جاء فى المقال:**
(بعد نجاح التاسع والعشرين من شعبان تابعت الطائرات الأمريكيه نشاطها فى الساعات الأولى من فجر اليوم الأول من رمضان.
فهناك بلاغ آخر من أحدى وحدات النميمة فى قندهار، يفيد بوجود بيت فى شرق المدينة يحتوى عدداً كبيراً من العرب يقيمون فيه بشكل سرى.
كان بلاغ البصاصين صحيحاً بشكل عام وإن كانت الدقة تعوزه - وهذا عيب بسيط لايمنع البصاص من إستلام مكافأته كاملة- على أى حال قامت الطائرات الأمريكية فى الثلث الأخير من الليل بغارات مجنونة على قندهار وأطرافها والقرى القريبة، وضربت عدداً من بيوت مسؤلين كبار فى حركة طالبان، فمنذ أيام ونشاط الطيران قد بدأ يصل إلى البيوت بعد إنتهاء الأهداف العسكرية- حتى ظن كل من فى المدينة أنه مستهدف.
هام كثيرون على وجوههم فى الشوارع ليلاً، أو فروا إلى الحقول القريبة، إن كانوا من سكان أطراف المدينة، أو ركبوا السيارات وفروا بها فى الشوارع، فكانوا كالمستجيرمن الرمضاء بالنار- فمن التكتيكات الأمريكية فى فن القتل الجماعى أن تقصف الطائرات أى محاولة هروب أو إسعاف تتم أثناء الغارات الجوية.
وقصتنا هذه تعتبر تطبيقاً مثالياً لهذه القاعدة الذهبية التى عانى منها الأفغان كثراً، ولكن أبطال مأساة هذه الليلة هم من العائلات العربية.

**ليلة رهـيـبة**

لقد أصابت الصواريخ الأمريكية البيت العربى المقصود، وكان يعيش فيه عادة أكثر من عشرين عربياً. فمن أجل تقليل نسبة الإصابات تكدس العرب فى أماكن محدودة يتجمع فيها الرجال، وأماكن مثلها تتكدس فيها النساء والأطفال، ويحاولون إستبدالها باستمرار.

فى هذه الليله تغيب أكثر العرب عن مكانهم المرصود. فتهدم البيت ولم يقتل فيه سوى عربى واحد. وغاب عن البصاصين وجود بيت صغير ملاصق تكومت فيه ست نساء عربيات ومعهن ثلاث أطفال. خمسة منهن كن زوجات جدد تزوجن منذ أقل من شهر أربعة منهن يمنيات والخامسة من مراكش.

توقفت الهجمة الجوية، وقبل بدء الهجمات التالية بعد أقل من ربع الساعة (حـسب النظام الأمريكي للذبح المتعمد)، أسرع الشباب العرب لنقل النساء والأطفـال مـن مخبأهم المجاورللبيت المضروب، إلى مكان أكثر أمنا. كان سباقاً مخيفاً مع الزمن، فالمطلوب هو نقل النساء والأطفال من أقصى شرق المدينة إلى غربها عبر شوارع طويلة، غير ممهدة وسط أكداس مـن المرعـوبين الـذين يركـضون فـى كـل مكان،وأعداد من السيارات تنطلق بجنون صوب أماكن مجهولة، وأمامهـا دقـائق معدودة قبل أن يعود الموت مرة أخري ممتطيا طـائرات هيلـوكبتر "شـينوك"، أو مقاتلات (إف 16).

وصل الركب العربى إلى البيت المقصود فى غرب المدينـة، ونزلـت النـساء و الأطفال، وهم يبحثون فى الظلام عن غرفة تأويهم، ولكـن الطـائرات الأمريكيـة وصلت وبدأت إنفجارات الصواريخ تهز المدينة مرة أخرى.

أمام مدخل البيت، أحدى السيارتين التى نقلت الحمولة العربية كان محركها ما يزال يعمل فضربها صاروخ موجه طحنها طحناً. ولحسن الحظ أن جميع من فيها كـانوا بداخل البيت، ولكنهم لم يكونوا أمنين تماماً فقد لحقتهم صاروخ آخر دخل من أحـد النوافذ وانفجر فى أحد الردهات فانطبق نصف المبنى على بعضه البعض.. وهـذه المرة أيضاً حالف الحظ الشحنة البشرية فخرجت النساء تولول والأطفال تصرخ إلى الشارع العام، والبيت قد إشتعلت به النيران ولابد أن يكون هناك قتلـى وجرحـي لايعلمهم إلا ا .

أحد العرب كان قادماً بسيارته لإستطلاع خبر المصابين فى الغارة السابقه، وكـان قريباً من البيت المستهدف فأنحرف بسيارته فى شارع جانبى متفادياً الصواريخ التى بدأت تنهال فجأه.

ولكنه نسى قدرة الصواريخ الإسرائيليه الموجهة وتصميم الطيار الأمريكـى علـى القتل، فأدركه صاروخ أحرق السيارة، ودمرها تماماً.. ولم يجد رجال الإنقاذ فـى صباح الغد سوى نصف جثه فقط للسائق ولم يعثروا على أى أثر للنصف الآخر.

فى قندهار لم يكن الليل وقتاً للراحة أو النوم.. بل هو وقت للمـوت الهـابط مـن السماء. فالطائرات ترى كل شئ ولايراها أحد، وتستطيع من الضربة الأولى أصابة أي هدف.

**من دنشواي.. إلى بنشواي**

عند العرب كان لرمضان طعماً مختلفاً هذا العام.. ليس بسبب القصف الجوى، فالعديد منهم حضروا أمثال هذا القصف- وأشد منه- فى أشهر رمضان وقت

الحرب ضد السوفييت فى أفغانستان. أما هذا العام.. فلأول مرة تكون نساؤهم وأطفالهم تحت القصف بل تحت الإستهداف الجوى المباشر.
كان الرجال موزعون ما بين النقاط الدفاعية خارج وداخل المدينة وبين حراسة العائلات والعنايه بشئونها. وكان جزء من العائلات تعيش داخل المدينة وجزء أخر إنتقل للسكنى فى قرى مجاورة، خاصة فى قرية على بعد 17 كيلومتر غرب قندهار تدعى "بنشواى"، التى كانت فى ليلتهم تلك، مسرحاً لمجزرة قام بها الأمريكان ضد الأسر العربية، وتفوقوا فيها على مجزرة حلفائهم وأسلافهم الانجليز فى قريه "دنشواى" المصرية. والذى يتأمل الفوارق بين المجزرتين يدرك مدى سذاجة مشانق الإنجليز مقارنة بصواريخ وطائرات الأمريكان.
بمتابعه أخبار الأسر العربية أثناء الغارات الليلة أدرك العرب الورطة التى وقعت فيها العائلات الست الذين شردتهم الغارات الجوية للمرة الثانية فى نفس الليلة. فأرسلوا إليهم ثلاث سيارات لتجميعهم من الشوارع المظلمة التى هاموا فيها بعد الغارة الأخيرة، ولنقلهم إلى قريه "بنشواى".
بعد مجهود وسط أجواء الرعب والفوضى جمعوا النساء والأطفال داخل السيارات الثلاث ثم إنطلقوا بأقصى سرعة خارج المدينة، قبل أن تدهمهم غارات جديدة.
*على الجانب الآخر فى قريه "بنشواى" إستبد القلق بالأسر العربية هناك، فالطيران يقصف قري قريبة، وأصوات الإنفجارات تصل عبر أحشاء الليل فتثير الرعب. فقرروا نقل عدد من النساء والأطفال الذين إستبد بهم الخوف وعلا صراخهم إلى خارج القرية صوب قندهار. فجمعوا ما استطاعوا حمله منهم داخل أحدى السيارات التى قادها أحد الشباب صوب المدينة المنكوبة.
لم تذهب السيارة بعيداً فقد إلتقوا فى الطريق الصحرواى بالسيارات الثلاث القادمة من قندهار فتوقف الجميع، لتبادل الآراء والتشاور فى الموقف.. أين يذهبون بالنساء والأطفال الذين إستبد بهم الخوف.؟
وسرعان ما جاءتهم الإجابة من صاروخ أطلقته طائرة أمريكية فأصاب أحدى السيارات وقتل فوراً كل من فيها من نساء وأطفال.
تشتت الركب فى فوضى عارمة ورعب قاتل، وزاد الطين بله أن الغارة تشنها هذه المره طائرات الهيلوكبتر، ذات القدرة الأكبر على المناورة والمطاردة، والمزودة بالرشاشات الثقيلة إلى جانب الصواريخ الموجهة.

**رواية قسورة**

الشاب "قسورة" اليمنى نجا بمعجزة من المجزرة. يصف ما جرى فى الدقائق الدامية.. أو بالأحرى ما استطاع مشاهدته قبل أن يفقد الوعى، ليفيق فى صباح اليوم التالى فيجد نفسه فى بيت أحد القرويين الذى حمله فجراً من الصحراء ليعالجه.
يقول قسورة: بعد الصاروخ الأول تحرك فوراً الأخ أبو على بسيارته وكان بها ثلاث نساء وثلاث أطفال، وإنطلق بأقصى سرعته محاولاً الإبتعاد عن المنطقة، لكن طائرات الهيلوكبتر تابعته وأصابت سيارته بعدة صواريخ دمرتها تماماً بمن فيها..

فى نفس الوقت إنطلق إثنان من الشباب صوب جسر قريب، فوق وادى سيل جاف ونزلاً تحته للإحتماء من نيران الهيلوكبتر، ولكـن إحـدى الطـائرات تابعتهمـا وإنخفضت قليلاً ثم أرسلت إليهما صاروخاً أصابهما بشكل مباشر.
العديد من النساء والأطفال إنطلقوا فوق رمال الـصحراء المحيطـة بـالطريق، وتشتتوا فى إتجاهات متفرقة وهم يصرخون من شدة الرعب.
فتابعتهم طائرات الهيلوكبتر بالرشاشات الثقيلة ومزقتهم شـر ممـزق، وكانـت الطائرات تعاود إطلاق النيران على الجثث المترامية مرات عديدة وهـى تـدور حولها على شكل دائرة.
سيارة واحدة لم تدمرها الصواريخ، وهي سيارة الشاب أبو البراء الحجازى وزجته المغربية، فقد تكفلت بهما رشاشات طائرات الهيلوكبتر، التى مـزقتهم. الـسيارة أصبحت مثل الغربال، أما الزوجة فقد وجدت جثتها خارج السيارة وقد إصـابتها طلقة رشاش ثقيل فى رأسها فتطاير مخها..
قسورة ببراعته الكبيرة فى العدو السريع فوق الرمال، وفي ظلام الليل إستطاع أن يناور الطائرات ويتهرب من رشاشاتها وصواريخها إلى أن إنفجر أحـدها قريبـاً منه، فقذفه فى الهواء مسافة كبيرة قبل أن يسقط مغمى عليه، فظن الطيار الـذى يطارده أنه قد مات فتركه فى مكانه البعيد وعاد للمشاركة فى الإجهاز على باقى القافلة.

إنتهت المجزرة قبل أقل من ساعة من أذان الفجر، ومع الأذان خـرج سـكان قرية بنشواى ليعاينوا نتائج غارة الهيلوكبتر، فشاهدوا حطام الـسيارات المحترقـة، والجثث المتناثرة الأشلاء.
وسرعان ما استدعوا عدة سيارات للعرب من قندهار فوجدوا جريحـاً واحـداً، مـن مصر، أصيب بطلقة فى كتفه خرجت من صدره، وإمرأة أصيبت بطلقة فى قـدمها.. وكلاهما مغمى عليه.
ثم أخذوا يجمعون أشلاء القتلى فى "زكائب" يضعون فيها كيفما إتفق، قطع اللحم التى وجدت فوق الرمال.. أحدهم كان يبحث عن زوجته فلم يجد منها شيئاً، ولم يتعرف أى أحد على أى جثة بإستثناء جثة المغربية زوجة أبو البراء.. وما سوى ذلك لاشيء..

يقول أحد جامعى اللحم: (لم يكن أحدنا بقادر على منع إنسياب الـدموع علـى خديه.. ونحن نجمع لحم الرجال والنساء والأطفال.. وجدنا قطعة مـن فـروة رأس عليها خصلة شعر لإمرأة. ومن الأطفال لم نجد سوى "مشط رجل" لطفل فى حـوالى الثالثه من العمر..ولم نجد شيئاً آخر من جسده..وعلى الرمال وجدنا قلب إمرأة ملقـي إلى جانب شئ من ملابسها المتفحمة..)

كان من بين القتلى الشاب أبو حمزة السورى، الذى نجى من مذبحـه التاسـع والعشرين من شعبان، ولكنه قتل فى مذبحه الأول من رمضان، ولم يعثر لـه علـى جسد.
لقد دفنت جثة الشابة المغربية فى مقبرة قرب مصلى العيد فى قندهار.. ودفنت قطـع اللحم جميعها فى قبر آخر مجاور..
سيظل هذا الموقع قرب قريه بنشواى الأفغانيه شاهداً على أحـد تطبيقـات "العدالـة المطلقة" التى أقامتها أمريكا على أرض أفغانستان، ثم تريد مـن عجلـه التـاريخ أن تتوقف حتى تبقى جاثمة كالكابوس على صدور البشر .

إن الأرض مازالت تدور حول الشمس، وستظل كذلك.. والأفعال تولد ردود أفعال وستظل كذلك.. وقديماً قالها حكيم: "ردوا الحجر من حيث جاء، فإن الشر لايدفعه إلا الشر"ـ إ.هـ

**ج ـ سقوط تورا بورا:**

بعد (عاصفة الطائرات) فى11 سبتمبر بدأ بن لادن فى تجهيز تورا بورا كخيار أول له فى مواجهة الأحداث القادمة التى تخيلها بطريقته خاصة.

وملخصها أن أمريكا تريده هو شخصياً وعملها العسكرى المتوقع سيكون ضربة عسكرية لما يتعلق به من مواقع ونشاطات وربما تطور الأمر إلى عملية إنزال جوى بهدف إختطافه.

لذا أختار سلسلة جبال توارابورا ،جنوب غرب جلال آباد، كى يستخدمها حصناً لتوقى الضربة.. بل وأكثر من ذلك فقد تصور إمكان إستنزاف القوة الأمريكية فى هجمات جوية لا طائل منها على ذلك الحصن، وعندما يحاولون القدوم براً للأمساك به، فإنه جهز الكمائن المحصنة للقضاء على جنودهم المتقدمين عبر المسالك الوعرة التى يسطر عليها بالنيران.

كان يعرب فى جلساته مع الشباب عن تفاؤله بتلك الجبال التي لم يستطيع السوفييت السيطرة عليها، وتفاؤله أيضاً بالمعارك فى شهر رمضان.

وسمعوا منه مثال تلك العبارات: [ خطتنا ستكون التحصن فى هذا الجبل وإستراتيجيتنا هى إستنزاف العدو، بأن يتخندق الإخوة جيداً ولا يظهرون، ويحاولون إمتصاص أول هجمة وثانى هجمة للعدو إذا قصف أو ضرب، بحيث نستنزف أكثر ما يمكن من قوته.. إلى أن يحاول النزول على الأرض].

أو فى شرح آخر لنفس التصور: [ سوف نستنزف العدو ونتركه يقصف المنطقة ونضع له أسلحة خشبية حتى يقصفها فيفقد ذخائر غالية فى مقابل أهداف وهمية، ومع طول الوقت يحدث له إستنزاف. وهو لن يتحمل ذلك لأن ضربة سبتمبرسببت له خسائر كبيرة].

لم يكن ذلك الرأى موضع ترحيب (الكبار) من القاعدة أو الأفغان المتعاطفين معه ممن قاتلوا فى تلك الجبال نفسها وقت الحرب مع السوفييت.

ولكن بن لادن نفسه كان موضع إبهار من الشباب الجدد (الصغار) الذى تجمعوا حولة مثل الفراش حول النار الموقدة.

الدكتور أمين والقائد أول جول ممن قاتلوا السوفيت فى توارابورا وغيرها،

ومن المحبين للعرب وبن لادن نصحوه بألا ينفذ خطته. ورأيهم أن تلك الجبال قابلة للحصار،خاصة فى الشتاء، وأن الطيران يمكنه بالقصف حسم الموقف فيها.

ولم يستمع الرجل لتلك النصيحة من أصحاب التجربة.

مساعده العسكرى ،أبو حفص المصرى، كان معارضاً لخطة تورابور. ونظراً لمرضة فى قندهار أرسل لقائده رسالة ينصحه فيها بالتخلى عن فكرة التحصن فى تلك الجبال.

وانضم إلى أبوحفص عدد آخر من كبار القيادات العسكرية.

ولكن الرجل كعادته يزداد عناداً وتشبثا كلما زادت المعارضة لآرائه ممن حوله.

**تفاصيل خطته وأوامره تقول بالنقاط الأهم التالية:**

ـ العمل على رفع عدد العرب فى تورابورا إلى 500 متطوع.

وتجهيز خنادق مسقوفه لهم.. حسب المواقع المحددة لخطة النيران [وقد بدأ الموقع بحوالى 70 شاب عربى].
_ تخزين مؤن وذخائر فى الجبال تكفى لقتال سته أشهر، تجهيزاً للحصار.
ـ رفع عدد صواريخ "سام 7" فى تورا بورا إلى 60 او70 صاروخاً.
(لم يكن لدى العرب وقتها سوى صارخ ستنجر واحد يستخدم فى حراسة موكب بن لادن ـ وفقد العرب صاروخين من نفس الطراز فى حادث حريق لمخزن فى معسكر جرمواك فى قندهار).
يقول أحد من رافقوه من تلك المرحلة الأولى لتأسيس تورابورا [ إن بن لادن كان يشعر أنه يخوض معركته وحيداً رغم مساندة الطلبة له.. ولذا أراد الإعتماد على نفسه وحشد هذا العدد الكبير من الشباب خلفه، وأعتقد أنه بعد سقوط كابول وصعود بن لادن إلى تورابورا قد وصل عددهم إلى حوالى ألف شاب!!. كان متفائلاً بتلك الجبال ودورها فى جهاد السوفييت.. وكان يقول: "لاملجأ لى بعد ا إلا هذا الجبل إذا سقطت المحافظات فى أفغانستان].
لم يتخذ بن لادن نفس مواقع المجاهدين القديمة قرب صدارة الجبل فى مواجهة الطرق القادمة من جلال آباد، بل إختار، إلى الخلف، مواقعاً تحت أقدام جبل سفيد كوه الفاصل بين الدولتين أفغانستان وباكستان على مسيرة عشرة ساعات من الحدود الباكستانية. وهو موضع مرتفع كثيف الأشجار، طرق الإقتراب إليه من جهة أفغانستان تصعدها ثلاث مدقات لايسع الواحد منها سوى لشخص واحد، ويمكن تغطيتها بالنيران. ومن هذه الجهة فإن الموقع حصين.

**ولكن نقاط ضعف مواقع بن لادن فى تورابورا كانت:**

1-ظهرة مكشوف للحدود الباكستانية التى لم تعد حدوداً صديقه كما كانت وقت الحرب مع السوفييت بل أصبحت مرتكزاً ومنطلقاً للحملة الأمريكية.
وبالفعل تقدمت القوات الباكستانية صوب مواقع بن لادن للتفتيش عن العرب والقبض عليهم عندما إنهارت مواقعهم وتشتتوا فى الجبال وحاولو العبور إلى باكستان.
2- وعورة الموقع كما أن لها إيجابيات كان لها أيضاً سلبيات فقد جعلت عملية الإمداد بالطعام والماء والذخائر غاية فى الصعوبة لدرجة أن الشباب العرب لم يستطيعوا أداء تلك المهمة فأوكلوها لفريق من الأفغان، إستخدموا البغال فى عملهم.
ولم يكن الثلج قد بدأ فى النزول ومع ذلك إستطاع الطيران تدمير المدق الذى يستخدمونه للتموين.. وبصعوبة شق لهم الدكتور أمين، إبن المنطقة طريقاً آخر.. وإلا كان لابد من مغادرة الموقع.
طريق آخر للحصار غير القصف الجوى، كان شراء هؤلاء الأفغان العاملين فى تموين مواقع العرب الوعرة فى تورابورا. وحسب معلومات جماعة يونس خالص فإن القائد زمان المتعاون مع القوات الأمريكية قدم رشوة مقدارها 15 ألف دولار لقائد مجموعة التموين الأفغانية. الذى كان يتلقى إسبوعياً 20 ألف كلدار باكستانى من بن لادن أجراً لعمل مجموعته. والرشوة كانت لقاء خيانه العرب وتركهم بلاماء أو طعام فى مواقعهم الجبلة المنيعة !!.
ومع هذا كله كان سجل تواجد بن لادن فى تورابورا متواضعاً جداً بعد نشوب الحرب.

منذ نشوب الحرب (10/7) وحتى سقوط كابول(13/ 11) قام بزيارة واحدة لأن المسئولين عن الموقع والكبار حوله نصحوه بعدم الذهاب لخطورة الموقع وعدم إستكمال تجهيزاته.
وكانت الغارات عليه متقطعة وقد بدأت من اليوم الأول للحرب ولمدة إسبوع.. ثم أهمله الأمريكان إلى أن سقطت كابول فعاودوا القصف عليه.. وأعلنوا ذلك رسمياً فى3 نوفمبر.
الفترة من يوم (11/13) يوم سقوط كابول وحتى 12/5 هى فترة إقامة بن لادن فى تورابورا والأرجح أنه قضى بعض هذه المدة هناك ( أعلن عن سقوط جلال أباد فى 16 نوفمبر).
بعض من كانوا فى جلال آباد من العرب وكانوا وثيقى الإرتباط بأوضاع تورا بورا قالوا بأن بن لادن غادر الجبل فى أحد الأيام الواقعه بين الأول من ديسمبر والخامس منه بناء على ضغط شديد من قادة جلال آباد المحبين له. فقد خشوا عليه من الوقوع فى المحاصرة، وقالوا بأن الطائرات الأمريكية قادرة على حسم المعركة فى هذا الموقع.. كما أن الثلوج والبرد الشديد ستعمل فى غير صالح العرب، وأوضاع جلال آباد هى الأخرى فى الإنهيار، والوضع فى الجبل سيصبح غاية الخطورة والصمود فيه مستحيل إلا لفترة قصيرة جداً.
وفى الأخير إستجاب الرجل لهم ودبروا له أمر إختفائه فى غيبته الكبرى التى مازال فيها.

- كانت نظرة القادة الأفغان صحيحة.. لقد قام الطيران الأمريكى بتحطيم قدرة المدافعين وقطع الإمدادات عنهم، فلم يجدوا غير طريق الفرار فى الجبل على غيرهدى أو الإستسلام بدون قيد أو شروط لقوات الحصار الأفغانية وقد جربوا الطرق جميعاً من أجل الإنسحاب.

ولكن المفاجأة غير المتوقعة، أن أحد رجال "حظرت على" من قادة الحصار،تعاطف مع العرب وسمح لهم بالتسلل من طوق الحصار فى الجهة التى يقوم هو بحراستها !!
وقد إستفاد عدد لا بأس به من العرب من يقظة الضمير، التى عانى منها لفترة ما، ذلك المقاتل القبلى، الذى كان يريد أموال الأمريكان ولا يرغب في دماء العرب.
فى النهاية لم يقع من العرب فى الأسر إلا الجرحى، أما الأصحاء فقد تدبر كل منهم أمره.. وكان لهم قصص لا حصر لها.
وقد سقط العديد منهم فى أيدى الباكستانيين الذين سلموهم للأمريكان. بينما نجح الآخرون فى الفرار والإختفاء.
وتقدر مصادر عربية قتلى العرب فى تورا بورا بخمسين شاباً.
ولم يكن مع العرب فى توربورا أى قوات من طالبان.. ولكن "حظرت على" وزملائه ألقوا القبض على عدد ممن تعاونوا مع العرب ومن سكان القرى القريبة وسلموهم للأمريكان على أنهم "قياديون" فى حركة طالبان!!
"حظرت على" نفسه أخذته حمى التصريحات، وتكلم كثيراً بما يجذب اليه عدسات الكاميرات، فقال إن بن لادن قتل فى تورا بورا وكذلك نائبه أيمن الظواهرى.
إختصاراً لم تشهد تورا بورا أى معركة أرضية، غير مناوشات الحصار والمطاردات البائسة فى ثلوج الجبال. ولكنها كانت موضع مبالغات إعلامية أمريكية، صنعت منها

نصراً وهمياً كبيراً، كتلك الإنتصارات المزعومة التى إزدحمت بها ملفات التاريخ العسكرى الأمريكى.
وحتى جعلها الإعلام الأمريكى نموذجاً عسكرياً يضرب به المثل فى الأدب السياسيى والعسكرى. لقد ألقت أمريكا آلاف الأطنان من القنابل على سلاسل الجبال هناك لتوهم العالم بوجود معركة كبيرة لم تحدث أبدا. ومنعت حتى الإعلام الدولى الموالى لها من التجوال بحرية فى تورابورا أو غيرها. فجعلت من نفسها الشاهد الأوحد فى قضية كانت فيها القاضى والجلاد ورجل الشرطة و المشرع القانونى!!.
**{ في كتابه "القيادة الأمريكية العمياء" يذكر سيمورهيرش بسخرية الهجوم الأمريكي على مقر القاعدة الذي استخدمت فيه كل أنواع الأسلحة الثقيلة، و كان موضع ثناء قادة القوات المسلحة الذين ادعوا كالعادة بأنهم قتلوا سبعمئة مقاتل.ولكن مجلة "نيوز ويك" تذكر أنه لم يتم العثور إلا على"أقل" من عشر جثث فى الجبال بعد أنتهاء المعركة}.**

## دروس بن لادن العسكرية

فى حديث بن لادن الذى بثته قناة الجزيرة بعد نجاته من تورابورا وفيه يوجه نصائح عسكرية، ودروس مستخلصة من الحرب الأخيرة، يقول ما نصه: **[ فعلى سبيل المثال، لو أن خط الجبهة مع العدو فى طوله إلى مئة كيلومتر، فينبغى أن يكون هذا الخط عريضاً، بمعنى لا نكتفى بخط دفاع، بعمق أو بعرض، مئة متر أو مئتي متر، أو ثلاثمئة متر، بل ينبغى أن يعرض هذا الخط إلى عدة كيلو مترات، وتحفر الخنادق على طول الجبهة وعرضها.**
**فكثافة القصف الأمريكى تستنزف قبل أن تصل إلى نهاية تدمير هذه الخطوط، وتكون هناك قوات خفيفة وسريعة للحركة، من خط إلى خط،ومن حزمة دفاعية إلى حزمة دفاعية. فإستفدنا هذا بعد القصف الكثيف، الذى مارسه الأمريكان على خطوط الشمال، وعلى خطوط كابول. وبهذه الطريقة تمر السنوات ولا تستطيع أمريكا بإذن ا  سبحانه وتعالى، أن تكسر خطوط المجاهدين..... وإن كانت المسافة بيننا وبينها ( أى أمريكا) بعيدة جداً وأسلحتنا لا تصل إلى طائراتهم، فبالإمكان بواسطة الخطوط الدفاعية العريضة، إمتصاص هذه الضربات. وطريقة أخرى هى ضرب القاعدة الإقتصادية التى هى أساس القاعدة العسكرية. فإذا إنتهى إقتصادهم شغلوا بأنفسهم عن إستعباد الشعوب المستضعفة، فأقول من المهم جداً ضرب الإقتصاد الأمريكى بكل وسيلة ممكنة]** (عن كتاب بن لادن يفجر أولي حروب القرن للدكتور محمد القبيسي ص 188).
إكتفى الرئيس الأمريكى جورج بوش بوصف شريط بن لادن هذا بأنه دعاية إرهابية، مصراً بذلك على تسويق تلك الأسطورة المصطنعة، وصرف بوش، ومن خلفه المحللون بشتى طبقاتهم، صرفوا النظر وتعمدوا التمويه على السذاجة المفرطة التى أبداها بن لادن، فى نصائحه العسكرية، للأمة الإسلامية. فهو ينصح بحفر خنادق طويلة جداً ( مئة كيلومتر!!) وبعمق عدة كيلومترات، والإنتقال فيها بقوات خفيفة، من خط إلى خط، والصمود تحت القصف الأمريكى هكذا لسنوات!!.
إنه تصور أشد بدائية عما كان موجوداً فى الحرب العالمية الأولى، أى قبل أكثر من ثمانين عاماً. لقد لفظت الخنادق، طبقاً لهذا التصور، أنفاسها وماتت فى الحرب العالمية الأولى نفسها.. بل فشلت الحرب كلها بسبب الخنادق، وأصابها الجمود وإختنقت. ومن يومها إتخذ الفن العسكرى وتكنولوجيا السلاح مناحى أخرى، تعتمد على الحركة الخاطفة، وكثافة النيران، مع دقة التصويب. إلى أن وصلت فى العقدين الآخيرين إلى تكنولوجيا الفضاء التى شملت السلاح والإتصالات، والتجسس، ضمن منظومات غاية التعقيد.
فهل يتبنى رجل حرب العصابات، ناهيك برجل الإرهاب الدولى، أسلوب الخنادق الطويلة العريضة والثبات الأبدى، تحت قصف جوى هائل، وقوات برية زاحفة؟؟.

إن هذا التصريح لإبن لادن يبرؤه تماماً من أي تهمة تلصق به، وتحاول تصويره كزعيم إرهابى، أو حتى كرجل حرب، فقد أثبتت معركة تورابورا تواضع قدراته العسكرية، رغم كونه محباً للبطولة، وممارساً لها، بكل تأكيد.

**كارثة إسمها (سام7 )**

هذا الصاروخ السوفيتى العتيق، يعتبر أسوأ ما شهدته أفغانستان من أسلحة مضادة للطيران المنخفض. وقد وصلت الدفعة الأولى من هذا الصاروخ، فى أوائل الثمانينات للمجاهدين الأفغان، فى صفقة أجرتها المخابرات الأمريكية، مع السلطات المصرية، وبتمويل سعودى، لشراء تلك الصواريخ من المخزونات القديمة،والفاسدة أيضاً، للجيش المصرى.. ولاتستوعب ذاكرة المجاهدين الأفغان أى إنجاز لتلك الصواريخ ضد أى نوع من الطائرات السوفيتية، حتى لو كانت طائرات الشحن البطيئة. لذا تخلصت مجموعات المجاهدين مما لديها من تلك الصواريخ عديمة القيمة، ببيعها فى أسواق السلاح القبائلية بأرخص الأسعار. والطريف أن أكثر مجموعات المجاهدين كانت تفضل إستخدام قذائف الصواريخ، المضادة للدروع "آر بى جى 7 " ضد الطائرات بدلاً عن الصواريخ، المخصصة لذلك من طراز ( سام 7 ) لأن الفارق بين الحالتين، لا يكاد يذكر.

وقد أخطأ بن لادن فى إعتماده على تلك الصواريخ بشكل كامل للدفاع عن تورابورا، بما يعنى فى الواقع العملى أنه لا يمتلك أى دفاع جوى على الإطلاق.

لقد أهدر بن لادن فرصة نادرة عرضها عليه جنرالات روس فى طاجيكستان، لتزويده بصواريخ حديثة مضادة للطيران، محمولة على الكتف، عن طريق قيادات عسكرية من تحالف الشمال. عرضاً مماثلاً وصل إلى الإمارة الإسلامية، مع إستعداد روسى، بتزويدها بطائرات هيلكوبتر عسكرية، أو أى نوع من الأسلحة ترغب فيه، بشرط أن تدفع الإمارة نصف الثمن نقداً بالدولارات، والنصف الآخر بمسحوق الهروين.

الإمارة رفضت العرض الروسى، كما رفضه بن لادن أيضاً وساق كلاهما عدداً من الذرائع التى تبرر الرفض. وكلها قابل للمناقشة وأكثرها غير منطقى.

ولكن الشئ المؤكد أن كلاهما، بن لادن وحركة طالبان أهدر فرصة الحصول على أسلحة، مناسبة لمواجهة الحملة الأمريكة، وبدلاً من ذلك توجهوا إلى أسواق السلاح القبلية، فى باكستان، لشراء أسلحة وذخائر، رخصية ولكنها قديمة وغير فعالة، ولا تناسب تلك الحرب الجديدة.

## **د ـ ليلة سقوط قندهار**

## **الصمود العربى الأخير.. فى الوقت الضائع**

بفارق يوم واحد.. لحقت قندهار بمواقع تورابورا فى جلال آباد. كان ذلك يوم الجمعة السابع من ديسمبر. حيث تم تسليم العاصمة الروحية للإمارة الإسلامية، ومخزن قوتها البشرية.. وإدارتها المركزية. تم تسليم المدينة إلى مجلس إدارة من الأعداء وأشباه الأصدقاء.

قبل التسليم : ..ثلاث تيارات تزاحمت آراؤها حول مصير المدينة.. فريقان للصقور أحدهما أفغانى يترأسه الملا محمد عمر، والآخر عربى تمثله قيادة القاعدة فى قندهار.. الفريق الثالث للحمائم.. ولكنها حمائم شرسة لاترى فائدة من القتال وتضع

مسئولية الكارثة كاملة على الملا عمر وسياسته المتساهلة مع بن لادن. ويترأس فريق الحمائم الشرسة الملا محمد حسن آخر رئيس للوزراء ووزير الخارجية السابق لحركة طالبان، وأهم المعارضين للتواجد العربي وأسامه بن لادن.

بعد سقوط مزار شريف تلاحقت المصائب والهزائم على رأس الملا عمر فى قندهار ومجلس الشورى من حوله، حتى أن القرارات التى يتم إتخاذها اليوم تصبح غير ذات معنى فى صباح الغد.

فتنعقد جلسة آخرى للشورى وتتكرر نفس المأساة.

"الحدود السياسية" للإمارة تتقلص بسرعة يصعب ملاحقتها ولم يعد ممكناً وضع خطة دفاعية لإصلاح الوضع..

وبسرعة أصبحت حدود الإمارة هى مجرد الحدود السياسية لمدينة قندهار!!.

كالعادة وجد الأفغان حرجاً بالغاً فى إفهام العرب أن الرأى الغالب بين مجلس الشورى وقيادات الحرب هو.. عدم الحرب !!.

وتفادوا التصريح معتمدين على ذكاء العرب.. لكن هؤلاء رفضوا التصديق وطالبوا بأمر صريح من "أمير المؤمنين" حتى يتجنبوا المأزق الشرعى، بأن يكون إنسحابهم "فراراً من الزحف" [ **الآن والحرب كلها نشبت بسبب عصيان القاعدة، و أميرها الذى ضرب عرض الحائط بجميع أوامر الملا عمر؟؟].**

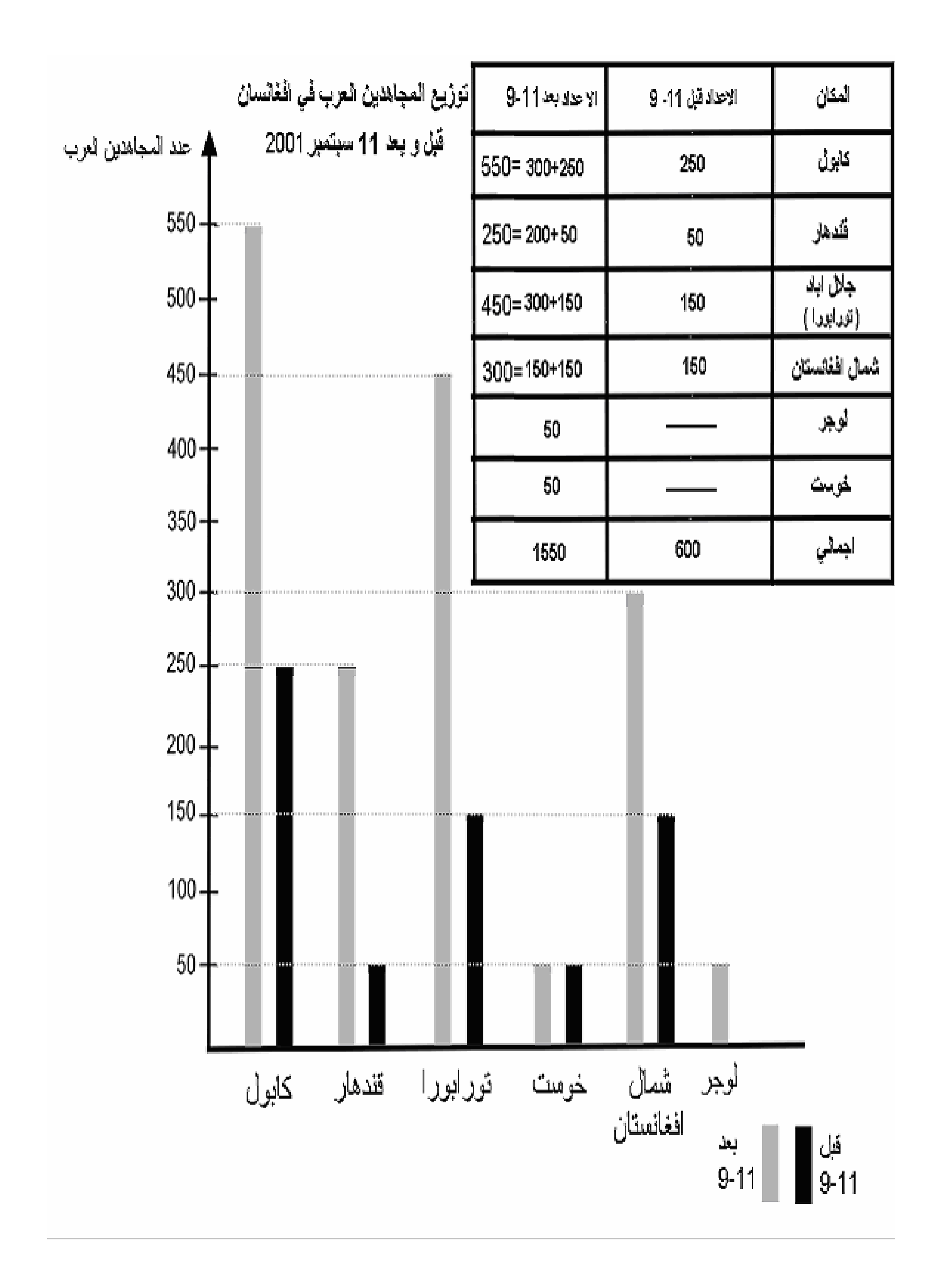
قاتل العرب قتال الأبطال على محور (المطار ـ سبين بولدك) وأوقعوا خسائر فادحة وأفشلوا هجمات جول آغا المدعوم بالطيران الأمريكي.. ومن خلفه القوات الخاصة الأمريكية تراقب الوضع كى تتقدم لإحتلال المطار بعد أن ينتهى جول آغا من إخماد المقاومة.. ثم يتقدمون صوب المدينة عندما ينظفها من الموالين لنظام الإمارة.

سقط العديد من الشهداء العرب.. وفقدوا فى قندهار مئة شاب فى المعارك والقصف الجوى، أى ضعف ما فقدوه فى تورابورا.. واعترف الأفغان أن مقاومة العرب الشرسة قد أخرت سقوط المدينة عدة أيام..

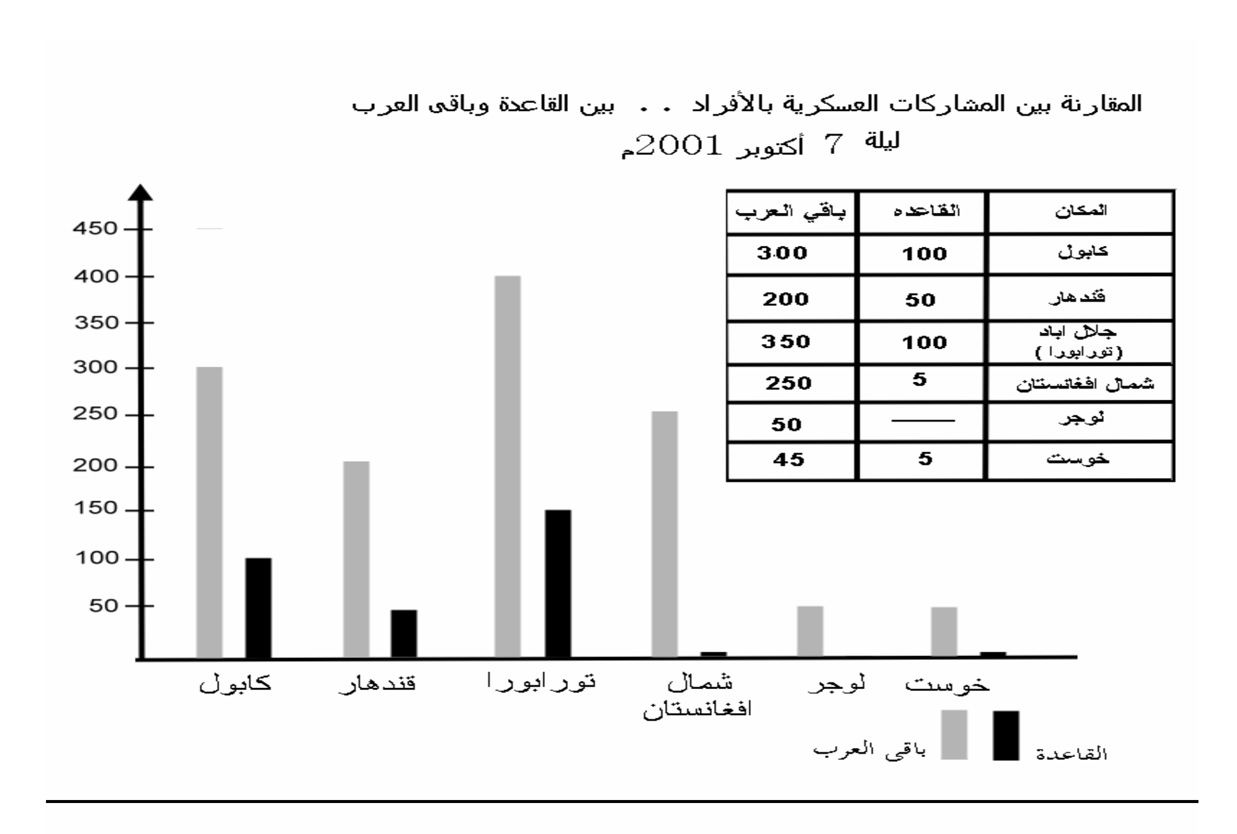
وانسحبت آخر مجموعات العرب من مطار قندهار عندما إفتقدوا الذخائر الضرورية ولم يزودهم طالبان بقذائف مضادة للدروع.

بل إنسحب معظم الأفغان من حولهم، وبقوا تقريباً منفردين يصدون جول أغا عن المطار وبالتالى عن المدينة. القتال البطولى والمذهل أحياناً صفة طبيعية للمجاهدين العرب.. وكان دوماً مثار إعجاب الأصدقاء.. وحنق الأعداء. ولكن كثيرا ما يفتقد قتال العرب إلي الفكرة، على قدر تخمته بالقوة والصلابة.

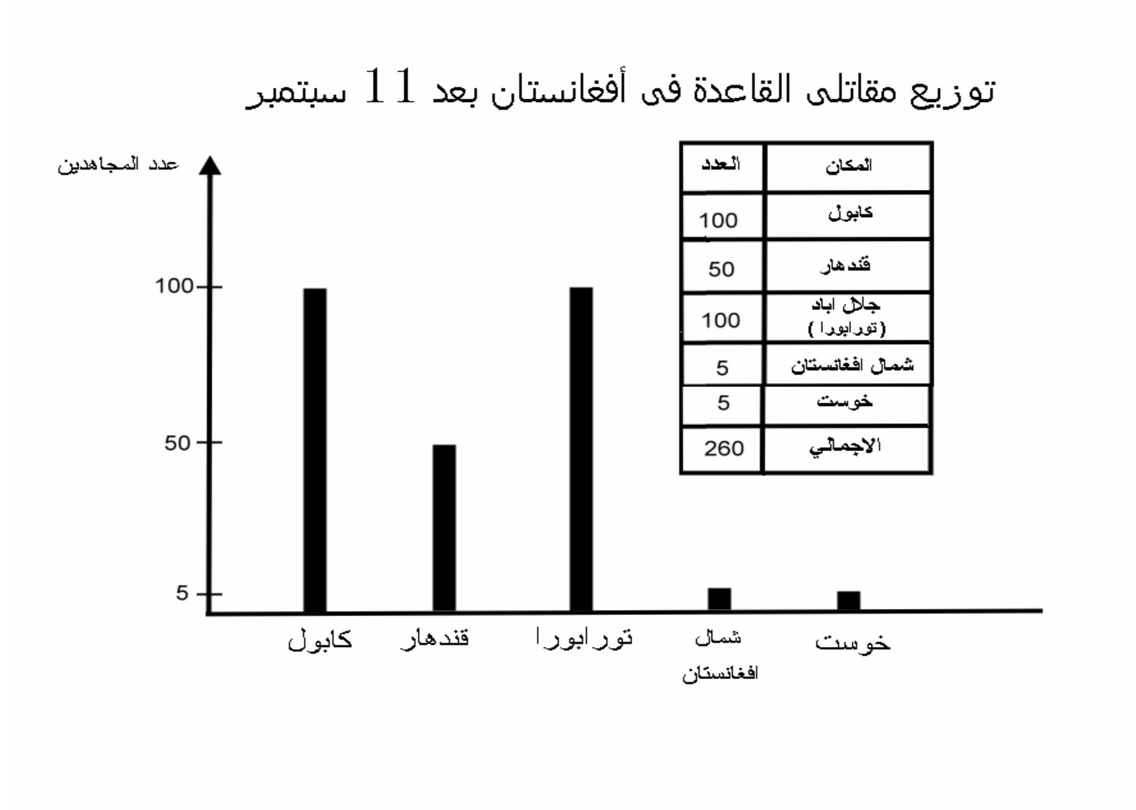
وقد عبر عن ذلك حانقاً ذلك الصعيدى الشهم الذى وصل إلى قندهار بعد شهر قضاه فى تورابورا يدير العمل فيها، ثم تركها إحتجاجاً على سؤ الفكرة من وراء العمل كله هناك. كان يراها عبثاً.. وإعداداً لكارثة قادمة.




| المكان | الاعداد قبل 11- 9 | الاعداد بعد 11-9 |
|---|---|---|
| كابول | 250 | 550= 300+250 |
| قندهار | 50 | 250= 200+50 |
| جلال اباد (تورابورا) | 150 | 450= 300+150 |
| شمال افغانستان | 150 | 300= 150+150 |
| لوجر | —— | 50 |
| خوست | —— | 50 |
| اجمالي | 600 | 1550 |




| المكان | القاعده | باقي العرب |
|---|---|---|
| كابول | 100 | 300 |
| قندهار | 50 | 200 |
| جلال اباد (تورابورا) | 100 | 350 |
| شمال افغانستان | 5 | 250 |
| لوجر | ——— | 50 |
| خوست | 5 | 45 |




| المكان | العدد |
|---|---|
| كابول | 100 |
| قندهار | 50 |
| جلال اباد (تورابورا) | 100 |
| شمال افغانستان | 5 |
| خوست | 5 |
| الاجمالي | 260 |

ولكنه عندما وصل قندهار وشاهد إضطراب إدارة الطلبة لأمور الدفاع تساءل بصدق الصعيدى المقاتل:

(أين صناديد الجهاد ضد السوفييت من العرب؟.. لماذا لم يقدموا فكرة واحدة ذات قيمة تساعد الطلبة).

. لقد أصاب الصعيدى الشهم كبد الحقيقة.. وكيف لا وهو الصيدى الذى أوقف منفرداً (تقريباً) حملة زاحفة نحو كابول عام 1997م.
خارج التصورات المضحكة عن المعركة مع الجيش الأمريكى والتى رسمتها المخيلة الخطيرة لقائد القاعدة وكأنها إشتباك محدودة فى موقع جبلى ثم تنهزم أمريكاً.. لم تقدم القاعدة ومسئوليها العسكريين أى تصور للمعركة القادمة.. وعندما وقعت المعركة وتبينوا مدى الورطة لم يكن لديهم ما يقدموه للخروج منها، أو النجاح فيها.
ولم تجهز القاعدة أبسط الأسلحة الضرورية لمعركة ضد الجيش الأمريكى حتى طبقاً لتصورات بن لادن المبسطة والمسطحة.
"القاعدة" الرهيبة التى تهدد أمريكا والنظام العالمى لم يكن لديها سوى صاروخ ستنجر واحد!!.
وكان جنرالات الجيش الروسى فى طاجيكستان متلهفون على بيع "القاعدة" عبر تحالف الشمال ـ أى نوع من الأسلحة يمكنها دفع ثمنه!!
وفى الأيام الأخيرة للمعركة فرغت مخازن طالبان من القذائف المضادة للدروع، بل وحتى طلقات الكلاشنكوف كانت على وشك النفاذ.
فأى تصور هذا وأى استعداد لمعركة مع أقوى دولة فى العالم؟
وهل القاعدة وطالبان كانا بالفعل ذلك الوحش الهائل الذى أوشك أن ينقض على العالم ويهدد سلامته؟
بعد أحداث سبتمبر جهزت "القاعدة" قوة مؤلفة من 50 عربياً معظمهم من المنتمين تنظيمياً إليها.. وكان تجهيزهم عالياً كقوة خفيفة الحركة والتسليح.. ويمتلكون وسائل النقل والإتصال والإمداد الخاص بهم.. وأكثرهم كانوا من القدماء الذين شاركوا فى الحرب السوفيتية.. ومعظمهم أيضاً متزوجون وأصحاب أسر متوسطة الحجم.
بسبب أحداث سبتمبر أيضاً ومن قبلها دعايات جهاز إعلام القاعدة وبوجه خاص الفيلم الذى أعدوه عن تدمير المدمرة كول فى ميناء عدن.. حدث تدفق هائل من شباب اليمن والسعودية صوب أفغانستان. التدريب فى معسكرات القاعدة كان هدفاً مشتركاً يجمع كل الوافدين الجدد.
وبسبب إغلاق معسكر (جرمواك) القريب من قندهار، وجدت القاعدة نفسها مسئولة عن 200 شاب جاءوا من أجل التدريب بينما المعسكرات قد أغلقت، فلم يعد التدريب ممكناً بل وحتى إيواء هذا العدد فى مدينة صغيرة تهددها الحرب أصبح مشكلة أخرى.
بعد نشوب الحرب أمكن تسليح كل هذا العدد فأصبح تعداد العرب المسلحين فى قندهار 250 شاباً..
طبعاً بعد نشوب المعارك أصبح هؤلاء الجدد عبئاً ثقيلاً ينبغـى الـتخاص منـه وإخراجه من دائرة الحرب.
إضافة الى عبء آخر هو وجود 150 أسرة عربية فى قندهار، لم ينتبه العـربِ إلـى ضرورة إخراجهم من أفغانستان، إلا مع بداية إنهيار "النظام".
مئة أسرة من هؤلاء كانوا من اليمن.
إخراج النساء والأطفال كان مشكلة خطيرة عندما قطع "جول آغا" طريق الإتصال بين قندهار وباكستان.

ثم سقطت ولايات هيرات ثم فراه ونيمروز فاغلقت الحدود مع إيران وكافة "المسارب" المؤدية إليها.

وبالتعاون مع طالبان سحب العرب نساءهم وأطفالهم عبر طرق التهريب إلى حـدود باكستان.. ولكن ظهر أن محنه الهاربين إلى باكستان من العرب وأسرهم، أشد وطأة من محنتهم مع أمريكا وتحالف الشمال.

والأهوال التى صادفوها هناك قد لايسعها كتاب منفرد.

وسقط هناك الكثير من الضحايا.. ليس فقط من الرجال بل أيضاً من (الأجنة) التـى أسقطتها الأمهات أثناء المطاردة فى الصحراي الباكستانية وفى القرى والمدن هناك.

حتى أن الباكستنيين وجدوا أطفالاً عرب حديثى الولادة وقد سقطوا من أمهاتهم العربيات في وسائل النقل العامة!! ومن شدة الهول لم تشعر الأمهات أنهن فقدن أطفالهم.. وأنهن يحملن بين أحضانهن مجرد لفافات خالية !!. وكم من عمليات ولادة وسقوط أجنة، حدثت لنساء عربيات داخل سيارات تطير فى الصحراء ومن خلفها دوريات الشرطة المسلحة تطير هي الأخرى للإمساك بهم. وكم من عمليات قتل لأسر كاملة تمت بدم بارد، على يد قوات الأمن الأمريكية فى باكستان، الذين لم يفتهم إغلاق

الأبواب خلفهم بكل هدوء، تاركين الجثث، سابحة فى بحار من الدماء.

لم تكن مشكلة إخلاء النساء والأطفال بعيداً عن ميادين القتال فى أفغانستان مقصورة على عرب قندهار.. فقد كانت "الجالية" العربية آخذه فى التشكيل بسرعة.. وكان توزيع التقريبى للعائلات العربية فى المدن الأفغانية، كالتالى:

| | | |
|---|---|---|
| كابول | 300 | أسرة. |
| قندهار | 150 | أسرة. |
| جلال آباد | 70 | أسرة. |
| هيرات | 2 | أسرة. |
| خوست | 2 | أسرة. |
| الإجمالي | 524 | أسرة."تقريباً" |

بعض الأسر فى كابول وجلال آباد وقعت فى الأسر.. وبعض العرب المتزوجين من أفغانيات، فقدوا زوجاتهم وخضعت الزوجات للتحقيق وتعرض أهلهن للضرب والسجن وأحياناً القتل.

كما شاعت أخبار( ثم تأكدت ) عن إنتحار جماعى لأسر عربية لتحاشى الأسر. فقد العرب فى أفغانستان معظم قدرتهم القتالية نتيجة إنشغالهم بأنقاذ النساء والأطفال، وسحبهم خارج أفغانستان، فكان ذلك هو الهم الأكبر لكل عربى متزوج وليس المعركة العسكرية.كان أمام العرب شهر كامل ما بين أحداث سبتمبر وبدء الحرب الأمريكية حتى يسحبوا أسرهم خارج أفغانستان،ولكن قليلون جدا فعلوا ذلك.السبب هو غياب أى تصور واقعى عن الحرب القادمة،والتبسيط المخل لإحتمالاتها.

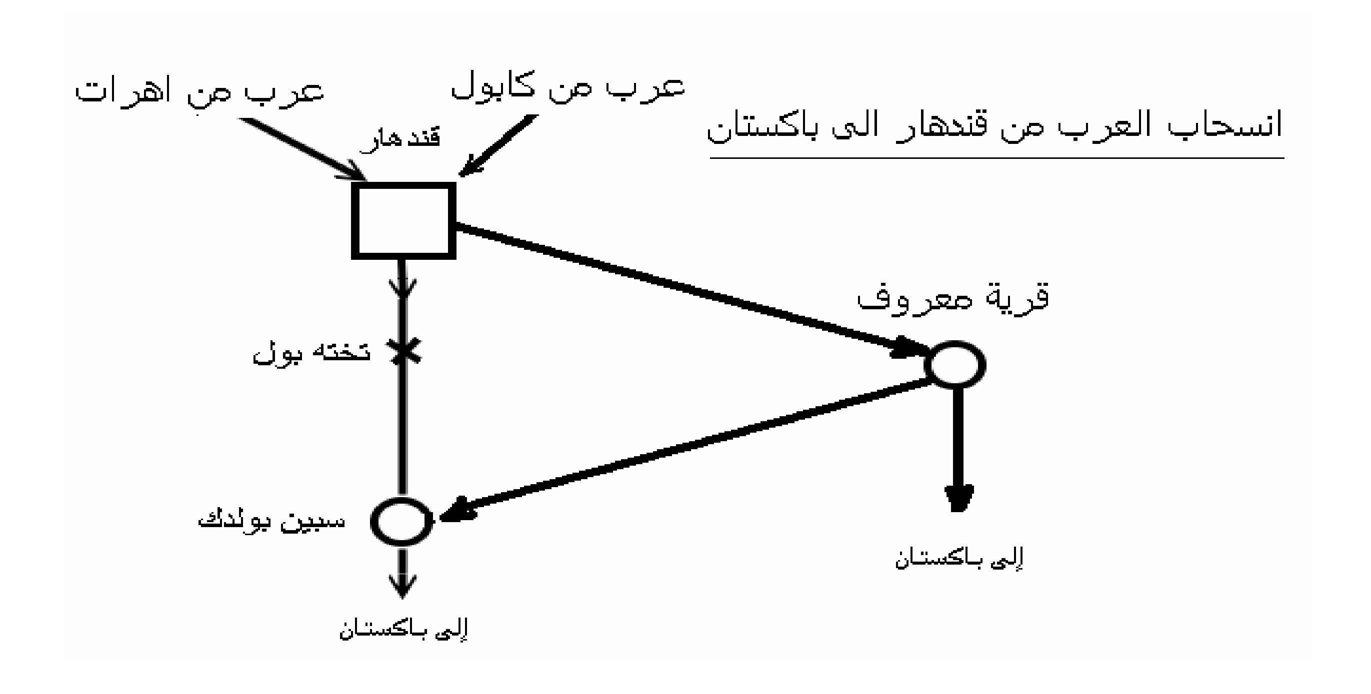
*لايمكن الحديث عن قندهار وتسليمها بدون الحديث عن أهم النكسات العسكرية فى محيطها،التى فاقمت حالة الإحباط النفسى لدى أشجع القيادات الميدانية.

العرب

**الخروج الاخير من افغانستان**
**خطوط الانسحاب والمطارده**

## (1) من كابول الي باكستان

الي قندهار
كابول
جلال اباد
الي باكستان
تورابورا
الي باكستان
بولي علم
شرخ
محافظه لوجار
محافظه بكتيا
ابد كاي
جرديز
خوست
الي باكستان
زورمات
ارجون
محافظه بكتيكا
الي باكستان



ورغم أن طالبان والعرب إكتشفوا فى أكثر من مناسبة محدودية أداء القوة الجوية الأمريكية، واستطاعوا التعامل معها بنجاح.. ولكن لم تتح لهم الفرصة لتطوير تلك الدروس، ثم سمحوا لأنفسهم عدة مرات بالوقوع فى الكمائن الجوية (خاصة طالبان) بأن يوضع أمامهم فى الصحراء المكشوفة "طعما" تتحرك صوبه قواتهم ثم يقوم الطيران بإبادتهم بعد ما يتوغلون فى الرمال والمناطق المفتوحة.
حدث ذلك مرة فى (ترينكوت) عاصمة (أرزجان) شمال قندهار وهى مسقط رأس الملا عمر.. فقد إستولت عليها قوات قليلة العدد ممن سلحتهم أمريكا ونقلتهم إلى هناك بالطائرات المروحية.
فتحرك إليهم بأوامر الملا عمر القائد "ملا برادر" الشهير بشجاعته وأقدامه فأعاد المدينة إلى السيطرة.. ولكن الطيران الأمريكى أباد قواته التى كانت فى مواضع مكشوفة تماماً.
وتكرر ذلك فى صحراء واقعة بين قندهار وأرزجان مع قوة نقلتها الهيلوكبترات الأمريكية قالوا أن قائدها كان حامد كرزاى!! وهذا أمر مشكوك فيه لأن الرجل لاصلة له بالعمل العسكرى.
المهم أن المروحيات الأمريكية أبادت قوات طالبان التى قدمت نحو قوات كرزاى.
ضرب الطيران بالخطأ قوات كرزاى فجرح الرجل نفسه فى تلك الغارة حسب المصادر الأمريكية. وتكرر الموقف جنوب قندهار عند موقع (تخته بول) فى منتصف الطريق بين المدينة والحدود الباكستانية، من بعدها قال مقاتلوا قوات طالبان فى قندهار (أوجدوا لنا حلاً لمشكلة الطائرات قبل أن تأمروننا بالقتال..)
وانتصر هذا الرأى.. فاستسلمت قندهار !!
نشير أيضاً إلى أن معالجة الأزمة العسكرية فى قندهار أحدثت إنقساماً فى أراء العرب إلى وجهتى نظر متباينتين.
**الأول**: تبناها الجناح العسكرى للقاعدة فى قندهار الذى قرر أن يقاتل من خلال خطوط دفاعية على أطراف المدينة.
**الثانية:** طرحتها تجمعات عربية صغيرة من خارج القاعدة تقول بعدم الثبات فى خطوط. بل التحرك فى غارات على تجمعات العدو القريبة على كافة المحاور.
إنتصر الرأى الأول لكون "القاعدة" كانت هى المسيطرة على الوضع العربى فى قندهار.
**رأى ثالث** لم يجد من يدافع عنه وهو القتال على أطراف قندهار وبداخلها على الطريقه الشيشانية أى بالكمائن والأفخاخ المتفجرة.. والغارات السريعة.
وفى الحقيقة فإن الشيشان خاضوا حروبهم بدرجة أعلى من الصلابة وبأفق عسكرى أكثر إبداعاً. وتلك من صفات الشيشان أنفسهم وليست من صفات عرب الشيشان، الذين هم جزء عضوى من عرب أفغانستان ويمتلكون نفس صفات الشجاعة المفتقرة(غالباً) إلى الإبداع.. وللبشتون غالباً نفس صفات العرب، فلما إجتمع بشتون قندهار مع البشتون العرب كانت معاركهم الأخيرة آية فى الشجاعة.. ولكن غاية فى النمطية والإجداب فى الفن العسكرى.

## ملحمة مستشفى ميرويس.. آخر البطولات العربية

ليلة الجمعة العشرون من رمضان (7 ديسمبر)، كانت أخر ليالى العرب فى قندهار.. وفيها إنسحبت آخر مجموعة للعرب من مطار المدينة ليلاً بعد نفاذ ذخائرها المضادة للدروع.. تحركوا فى سيارتين صوب المدينة.. وبالسرعة القصوى وبأضواء مطفـأة خوفاً من مداهمات الطيران وصواريخه الذكية، التى لا توفر أى سيارة متحركة ليلاً. أحدى الشاحنات كانت معطلة على جانب الطريق وبدون أى إشـارات تـدل علـى وجودها.. فاصطدمت بها سيارة العرب الأولى صداماً مروعاً.. أدى إلى مقتل عـدد منهم على الفور وتطايرت أجساد جميع الركاب على جانبى الطريق.

توقفت السيارة الخلفية لأنقاذ زملائهم المصابين، وكان من الضرورى إشعال الأضواء لتخليص الأحياء من حطام الحديد، ولتجميع الأبدان المتناثرة هنا وهناك.

كان ذلك كافيا لإستدعاء الطائرات الأمريكية التى تساند قوات جـول آغـا الزاحفـة صوب المطار. فأرسلت صواريخها الموجهة فقتلت معظمهم ركاب السيارة الثانية.

عربى واحد ظلت لديه القدرة على المشى فضاع فى الصحراء حتى إلتقطـه بعـض السيارة من الأفغان صباح اليوم التالى، وعبروا به الحدود نحو باكستان.

فى الصباح نقل سكان المدينة الجرحى العرب إلى مستشفى ميرويس أو (المستـشفى الصينى) غرب المدينة، وأخذوا الجثث كى تدفن فى المقابر.حاولت قوات جول آغـا التى دخلت المدينة أن تمنع دفن القتلى العرب وأصرت على رميهم فى الشوارع بدون دفن ، حتي تأكلها الكلاب، أسوة بما فعلوه بباقى العرب القتلى. ولكن الأهالى أصروا على إكمال مراسم الدفن، وكادت تنشب معركة كبيرة داخل المقابر. فتراجع رجـال جول أغا بنصائح من قوة أمريكية كانت تراقب الموقف، فى إنتظـار سـحب جثـث العرب ورميها فى الشوارع..

العرب الجرحى أثناء نقلهم إلى المستشفى أصروا إصطحاب أسـلحتهم وذخـائرهم الشخصية لعلمهم أن قوات "جول آغا" والأمريكان على وشك دخول المدينة.. وكـان ذلك سبباً فى أمتداد قصتهم لأكثر من خمسين يوماً عانوا فيها من الحصار والتجويع.. حتى إستجمع الأمريكان شجاعتهم، ودفعوا قوات جول آغا أمامهم، واقتحمـوا مبنـى المستشفى..!!. والأغلب أنهم وجدوا من بداخله موتى بعد أسبوع كامـل مـن قطـع الطعام والماء عنهم. (تم ذلك الإقتحام فى 28 يناير 2002م).

..فى 8 يناير 2002 م كان أربعة من هؤلاء الجرحى قد تمكنوا من إختراق طوق الحراسات المكثفة والفرار فى المزارع المحيطة حيث أخفاهم المزارعون وقاموا بالعناية بهم وقالت الأخبار أن خامساً قتل فى نفس محاولة الفرار المذكورة وإدعوا أنه فجر نفسه بقنبلة يدوية حتى لا يقع فى الأسر. لحادث مستشفى (ميرويس) دلالات كبيرة وخطيرة من ناحية تقييم العنصر البشرى للطرفين المتصارعين الأمريكى من جهة والعربى المجاهد من جهة أخرى. وهذه الدلالات لا تخفى على الشخص العادى.

## مرحلة الهروب الكبير والمطاردات

..من المشكوك فيه العثور على أحياء من بين 300 عربى قاتلوا فى الشمال.
لذا فإن عمليات الهروب والمطاردة تمت كلها فى جنوب أفغانستان.

بإستثناء تلك المجموعة الصغيرة التى إنسحبت مع عائلاتها من هيرات فيمـا يـشبه المعركة العسكرية. فإن أنجح عمليات الإنسحاب من المسرح الأفغانى تلك التى تمت من قندهار وسجلت نجاحاً إدارياً كبيراً "للقاعدة".فقد إنسحبت من هنـاك 150 عائلـة عربية بدون خسائر تقريباً فوق التراب الأفغانى.

أشد المعاناه لاقاها الذين إنسحبوا من كابول فى طريق طويل جداً مر من محـافظتين أو ثلاث داخل أفغانستان.. وقد طاردهم الطيران الأمريكى فى رحلة عـذاب طويلـة إنتهت فى باكستان لتبدأ هناك مطاردة أشد عندما لاحقتهم أجهزة الأمن والجيش لكـل من أمريكا وباكستان.

داخل أفغانستان قتل منهم فى الطريق العديد بالقصف الجوى.

وسرقت الأموال والسيارات والممتلكات كاملة للبعض الآخر. وظهر العجـز الفـادح لدى العرب فى أمورهم الإدارية، وحتى فى ترابطهم الإجتماعي.

فى طريق الإنسحاب من كابول قتلت زوجة الدكتور أيمن الظواهرى وإبنتـه وإبنـه الوحيد "محمد" بعد أن رصدت الطائرات المنزل الذى قصدوه للمبيت فأغارات عليهم ليلاً.( وكان البيت أحد المضافات، التابعة لجلال الدين حقانى فى جرديز).

وهى حادثة مشابهه لعديد من أمثالها تعرضت لها عائلات عربية.

فى رحلة الإنسحاب والمطاردة فقد أكثر العرب رغبتهم فى القتال وكان همهم الأكبر أخراج عائلاتهم من أفغانستان قبل وقوعهم فى الأسر.

والقليلون شاركوا فى الإعداد لإشتباكات تراجعية..

وقد حدثت معركة (اناكوندا) الأمريكية،التى تصدى لها (سيف الرحمن منصور)،أحد قادة طالبان العسكريين وهو من منطقة زورمات نفسها.. وقد شـارك فيهـا بعـض العرب بفاعلية كبيرة.. وكانت عملية إنسحاب الأسر العربية قد إنتهت بالفعل ولكـن بقى البعض لمراقبة الأوضاع والمشاركة فى أى مقاومة محتملة.

وقد إشتكى الجنود الأمريكان من البسالة العربية.. وقالوا بأن العرب كانوا يضحكون وهم يقصفون الجنود الأمريكان بالهاونات.

وحسب مصادر العرب والأفغان فإن خسائر القوات الأمريكية فى الأرواح كانت عالية جداً.. لذا أضطروا لسحب قواتهم إلى خلف الجنود الأفغان كمرحلة أولى ثم تخبئتهم فى قاعة بجرام الجوية شمال كابول فى النقلة الثانية.. وخسر الأمريكان طائرتى هيلوكبتر تم إسقاطهما بالأسلحة الفردية التى بحوزة المجاهدين الأوزبك، الذين أظهروا بطولات كبيرة فى تلك المعركة التى قادهم فيها ( محمد طاهر) أمير التنظيم.

والأوزبك كانوا القوة الثانية من حيث العدد فى هذه المعركة وقد قاتلوا ببسالة منقطعة النظير.. وقد أثاروا الأعجاب بتنظيمهم الحديدى سواء فى القتال أو في عملية إخلاء عائلاتهم التي كانت الأكثر عدداً من بين كل المهاجرين المسلمين فى أفغانستان. ( لجأ المهاجرون الأوزبك إلى (وانا) جنوب وزيرستان الباكستانية . وقد شنت القوات الباكستانية حملات عسكرية كبيرة ضدهم بمساعدة أمريكية . وذكرت باكستان أن المستهدف هم عناصر طالبان والقاعدة .. وهذا القول صحيح جزئيا.. لكن الأوزبك كانوا الهدف الأول . فعناصر القاعدة أعدادهم ضئيلة لا تكاد تذكر ، وعناصر طالبان يستحيل تميزها عن النسيج القبلي للمنطقة) .

ونجح أميرهم فى إعادة الثقه إلى نفوس مجاهديه الذين أحزنهم بعمق فقد قائدهم العسكرى "جمعة باى" المحبوب من جميع المتطوعين المسلمين الذين قادهم.

وحاول (طاهر) تجميع قوى أفغانية مع رجاله لشن هجوم معاكس على كابول لإستعادتها لكن الوقت قد فات .. وضعفت إلى حين العزيمة الأفغانية.
ولكن العزيمة الأوزبكية ظلت صلبة لا تلين ولم تترك فرصة للقتال إلا إغتنمتها حتى إنسحبت بالكامل تقريباً من أفغانستان.
لقد تعرض دور المجاهدين الأوزبك إلى تعتيم متعمد من الجانب الأمريكى ربما لأسباب سياسية تتعلق بوضعيه قواتهم فى أوزبكستان و الخشية الأمريكية من تعرض تلك القوات لضربات إنتقامية.
قبل (عاصفة الطائرات ) كانت القوة الجهادية الأوزبكية فى أفغانستان هى الثانية من حيث التعداد بعد القوة الباكستانية ولكنها كانت القوة الأكثر فعالية.. نتيجة الإنضباط التنظيمى الشديد وخبرة القيادة العسكرية للمجاهدين الأوزبك.
وكان الترابط الإجتماعى بين الأوزبك المهاجرين مضرب الأمثال.. وكانت تجمعاتهم المدنية تدار بطريقة عسكرية تقريبا.. ورغم إنتقاد العرب للروح الأسبرطية للأوزبك إلا أن الفرق ظهر واضحاً وقت المعارك.
فقد إمتاز الأوزبك المقاتلين بالفاعلية الكبيرة والإنضباط، فتفوق دورهم فى تلك الحرب عن الدور العربى بمراحل عديدة.
وكذلك عملياتهم الإدارية كلها كانت عسكرية الطابع رغم قلة الإمكانات.
فقد ظهر مثلاً أن لديهم عدداً كبيراً من الشاحنات العسكرية التى جعلت حركتهم المدنية والعسكرية سريعة.. بينما إمتلك العرب عدداُ كبيراً من السيارات الخاصة والباصات الصغيرة.. لذا واجهوا عجزاً شديداً فى نقل عائلاتهم فى تلك الظروف الصعبة.
ومع ذلك فقد خسرت حركة المجاهدين الأوزبك منطلقاً إستراتيجياً فريداً كان يتيح لها حرية العمل فى أراضى بلادهم.. ذلك هو الشمال الأفغانى الذى يقيم عليه عدة ملايين من الأوزبك الذين هاجروا تحت ضغط الإحتلال الروسى.
وأعاد الجنرال الشيوعى عبد الرشيد دوستم سيطرته الغاشمة على الكتلة الأوزبكية فى شمال أفغانستان ولكن هذه المرة فى حماية المظلة الجوية الأمريكية التى أذهلت الأفغان فى الحرب الأخيرة.

## لماذا ؟

## 11 سبتمبر : أسئلة حائرة !!

حتي الآن مازال الغموض يلف ذلك الحادث الذي عصف بالولايات المتحدة والعالم في صباح الثلاثاء الحادي عشر من سبتمبر2001م.
وقد يستمر الوضع كذلك حتي قيام الساعة ، إلا أن يحدث أمر غير متوقع خارج عن سياق الأحداث التي تتحكم بها كاملا الولايات المتحدة ، التي لا هي كشفت النقاب عما حدث ( بل العكس تجتهد بشكل مريب من أجل إخفاء شيئ ما ) . ولا هي تركت "الجناة " يتكلمون .
هؤلاء الجناة الذين تعج بهم أقفاص جونتانامو في كوبا – وقد تخطي عددهم في وقت ما ستمئة معتقل إضافة إلي معتقلين آخرين لا يعلمهم إلا ا و (إف بى آى) وهم موزعون فى جزر بالمحيط الهندي وسجون في باكستان وقاعدة باجرام الجوية في

كابول ومطار قندهار وغيرها . وجميع هؤلاء ( أعضاء قياديون في تنظيم القاعدة ) علي حد وصف السلطات الأمريكية لكل معتقل تلقي القبض عليه .
أين هي المعلومات التي أدلي بها المعتقلون العرب وغير العرب ؟.
بل أين هي نتائج تحقيقات سلطات الأمن في الولايات المتحدة ؟ .
في غيبة الحقائق تنتشر الإشاعات والتخمينات والتسريبات ويختلط الحابل بالنابل وستظل الفوضي سيدة الموقف – في قضية سبتمبر كما في كل قضايا العالم.
طالما أختزل البعض العالم كله في دولة واحدة ، دولة تحكمها وتتحكم فيها وبها حفنة من ( حكماء الشياطين ) تمتلك كل شيئ وتقرر في كل شيئ ، ولا تري في باقي البشر غير عدة مليارات من الحمير لا تصلح سوي للركوب .. أو للذبح إن هى فقدت تلك الصلاحية أو تمردت عليها. " الجوييم" في دول العالم – ومنها أمريكا – ساقوا شكوكا وأقاويل حول – عاصفة الطائرات في سبتمبر- نورد هنا بعض منها لندرك مدي الحيرة التي تركها غموض الحادث وعدم نزاهة حكومة الولايات المتحدة.
# المنفذون لعملية ( عاصفة الطائرات ) عددهم تسعة عشر شخصاً ، نشرت السلطات الأمريكية أسماءهم وصورهم . ولكن تلك الأسماء لم تظهر في قوائم المسافرين علي متن الطائرات المنكوبة !! .. **لماذا ؟؟** .
# أظهرت كاميرات المطار أن أحد الركاب المتهمين بالضلوع في إختطاف إحدي هذه الطائرات وقد أوقفته سلطات أمن المطار ، الذين تلقوا إشارة بإطلاق سراحه لركوب الطائرة !! ... **لماذا ؟؟** .
# الطائرات الأربع المنكوبة ، لم يعثر علي أي صندوق أسود لها !!... **لماذا** ؟؟ .
# الطائرة التي ضربت مبني البتاجون لم يشاهد لها أحد أي حطام !! .. **لماذا** ؟؟ .
( هناك إتهام للسلطات أنها تكتمت علي التالي :
ا – فيلم فيدو صوره أحد الناس يثبت أن مبني البنتاجون تم ضربه بصاروخ وليس بطائرة !! ) .
ب – هناك شهوداً بأن حريقاً شب في مبني البنتاجون وسمع منه دوي إنفجارات قبل مجرد الإعلان عن إختطاف الطائرات الأربعة !! .
ج – شهادة خبراء قالوا أن كمية الدمار الحادث من مبني البتاجون ، أقل بكثير مما يمكن أن تحدثه طائرة مرتطمة بالمبني .
د - الرئيس المصري حسني مبارك أعرب عن دهشته ، كطيار حربي سابق ،عن إمكان إرتطام طائرة مدنية بمبني مثل البنتاجون ، وقال إن هذا أمر صعب جداً
# الدفاع الجوي عن الساحل الشرقي للولايات المتحدة كان مجمداً لمدة ساعتين وقت إختطاف الطائرات الأربعة !! .. **لماذا ؟؟** .
# أعلنت السلطات أن الطائرة التي كانت في طريقها إلي البيت الأبيض قد سقطت في الطريق نتيجة إشتباك بين المختطفين وركاب الطائرة ، وذلك قرب احدي المدن في ولاية بنسلفانيا . ولكن إدارة تلك المنطقة وقيادة دفاعها المدني نفوا سقوط أي طائرة في منطقتهم !! . ولم تعرض السلطات الاتحادية حطام الطائرة ، ولا عثرت علي الصندوق الأسود !! ... **لماذا ؟؟** .
# أعلنت السلطات الأمريكية – وقبلها السلطات الأسرائيلية – عن مصرع أربعة آلاف إسرائيلي في برجي التجارة العالمية . ظل العدد يتناقص في إعلانات متتالية حتي إعترفوا في النهاية أن إسرائيلياً واحداً لم يقتل في ذلك الحادث .بل أن جميع اليهود لم

يذهبوا إلي أعمالهم لا في مركز التجارة العالمي ، ولا في وزارة الدفاع ، البنتاجون!!
... **لماذا ؟؟**
#في بورصة نيويورك قام اليهود بعمليات بيع محمومة للسندات والأسهم التي يمتلكونها في يوم العاشر من سبتمبر . فكانت أرباحهم خيالية في مقابل خسائر غير عادية للآخرين.. **لماذا ؟؟**
# ( في البداية أعلنت السلطات أن عدد القتلي في البنايتين هو عشرة آلاف شخص.
وظل العدد يتناقص حتي وصل إلي 2700 شخص . وليس غريباً إذا كان هذا العدد موضع شك أيضاً ) .
# تبين أن سلطات الطيران المدني الأمريكية تجاهلت خمسين تحذيراً بإحتمال حدوث عمليات إختطاف طائرات وذلك قبل أيام من أحداث 11سبتمبر .. **لماذا؟؟** .
# قبل ساعتين من إختطاف الطائرات وصل تحذير إلي سلطات الأمن بأن هناك عمل إرهابي كبير علي وشك الحدوث . وطالب بإخلاء برجي التجارة العالميةومبني البنتاجون .. ولكن المخابرات الأمريكية أهملت التحذير !! ... **لماذا ؟؟** .
# لم يتفق الخبراء حتي الآن علي الأسباب الفنية الحقيقية التي أدت إلي إنهيار البرجين
- فالنظرية التي حاولت السلطات ترويجها ، رفضها خبراء مختصون . وهي تقول بأن سبب إنهيار المبني إرتفاع درجة الحرارة داخله نتيجة حريق الطائرات.
- أبلغ شهود عن سماع أصوات إنفجارات داخل المبني وقت الحريق . وأيد ذلك نظرية قالت بأن المباني قد تم زرعها بالمتفجرات قبل الحادث وتم تفجيرها بعد الإصطدام ، وأن سقوط الطوابق من الأعلي إلي الأسفل بشكل متسلسل، يماثل تماما عمليات المحترفين في تفجير المباني الضخمة بشكل سريع وآمن ، ولذلك العمل شركات متخصصة .
# كانت المخابرات الأمريكية تشغل عدة طوابق فى البرجين، فهل تم تلغيم تلك الطوابق و تفجيرها عقب إرتطام الطائرتين فحدث الإنهيار ؟؟.
إذن فقد عجز خبراء أمريكا عن تحديد السبب الحقيقي لانهيار برجي التجارة .. بالتأكيد إن عجزهم ليس لأسباب فنية .. إذن هو لأسباب سياسية !! .. **لماذا ؟؟** .
# أعلنت سلطات الأمن الأمريكية عن إلقاء القبض علي مجموعة إرهابية "شرق أوسطية " وهي تحاول تفجير جسر "بروكلين" الذي يربط جزيرة "منهاتن" حيث أبراج التجارة تحترق وتنهار ، بمدينة نيويورك – في وقت لاحق تبين أن المجموعة إسرائيلية فتكتموا علي الحادث تماما!! ... **لماذا ؟؟** .
# قبل الإعلان عن إختطاف الطائرات ، كانت مجموعة تصوير تلفزيونية تركز عدساتها علي برجي التجارة العالمية،إلي أن وصلت الطائرات وارتطمت بالبرجين.
سلطات الأمن ألقت القبض علي مجموعة التصوير وأعلنت عن الحادث..
تبين أيضا أن المجموعة كانت إسرائيلية .. فتكتموا علي الحادث !! **لماذا ؟؟** .

**# ( .. فربما يكون الفاعل من داخل أمريكا نفسها ، وربما من المخابرات المركزية الأمريكية (سى آى إيه) عن طريق عناصر تم شراؤها بالمال، ولا يستبعد أيضاً أن تكون أجهزة إستخبارات عالية الكفاءة كالموساد الإسرائيلي متورطة في هذا الحادث ، فقد يكون المنفذون ذوي ملامح أو لكنات عربية وإسلامية لكن أصابع الموساد وراءها..)**

**كريمة كيراس**

**رئيس قسم الشئون الإسرائيلية والفلسطينية بجريدة الأخبار المصرية**

**الجزء الثاني من كتاب الامبراطورية الأمريكيةص402**

# "راى مكجافرن" مسئول سابق فى الإستخبارات الأمريكية، وعضو فى الحزب الديموقراطي إتهم إسرائيل بألتورط فى هجمات 11 سبتمبر بهدف تكريس هيمنة إسرائلية أمريكية على الشرق الأوسط و إسقاط نظام صدام حسين. وقال بأن شركة إسرائلية تلقت تحذيراً مسبقاً قبل تلك الهجمات . وإتهم إسرائيل بالتورط فى مضاربات فى الآسواق المالية عشية الهجمات بهدف تحقيق مكاسب مالية ضخمة.

******************

## الباب الثالث: مقارانات

## مقارنه 1 العرب بين هزيمتين :

## 5 يونيه 1967م – 7 أكتوبر 2001م

بعد سنوات قلائل من التورط السوفيتي في أفغانستان ، كانت دلائل كثيرة تشير إلي أن المسرح الأفغاني يجري تجهيزه لإستقبال نكبة إسلامية كبري ، يكون ضحيتها الإسلام في أفغانستان ، وقواه البشرية الملتزمة المجاهدة . وكل من يعرف تلك البلاد يسهل عليه إكتشاف البون الشاسع بين الحالة الإسلامية الشعبية في أفغانستان وبين ما هو شائع فى العالم الأسلامي ، وحتي في دول الجوار.

وهو ما إعتبره العالم الغربي بشقيه الرأسمالي والشيوعي خطراً لا يمكن السكوت عليه . وما فشل فيه الجيش الأحمر السوفيتي حاولت أمريكا تداركه بالحلول السياسية لمرحلة ما بعد الأنسحاب السوفيتي من أفغانستان . وبمساعدات قيمة من أعوانها في السعودية وباكستان تمكنت أمريكا من فرض نظام ( مجددي ثم رباني ) الذي لا يحمل من علامات الإسلام سوي لحى القائمين عليه . وبقى الشيوعيون في كابل أحد مكونات النظام الأساسية . وحكمت البلاد فعلياً عصابات إجرام مسلحة يدين كل واحد منها بالولاء لأحد أقطاب الحكم في كابل وهم زعماء تنظيمات الحزبية والجهادية القديمة ، وحتي زعماء المليشيات الشيوعية القديمة .

وخروجاً على السياق المفروض دولياً وأقليمياً ، جاءت حركة طالبان التي نجحت في إزاحة ( المفسدين ) وتطبيق الشريعة ضمن نظام الإمارة الإسلامية وقيادة ( أمير المؤمنين ) وهو مجاهد قديم قاد ثورة طالبان التي دعمتها القبائل وفتحت لها مناطقها وقاتلت( المفسدين ) إلي جانبها .

كادت الأمور تستقر للنظام الجديد بعد أن فرض نفسه علي معظم أراضي أفغانستان . وكادت القوي الأقليمية أن تعترف بالأمر الواقع بعد أن يئست من تهديمه ، لولا أن جاءت الهجرة الجهادية العربية إلي أفغانستان لتكون خير حليف ، ليس لنظام الإمارة الإسلامية ، ولكن لمجهودات أمريكا في هدم ذلك النظام .

ومن أفغانستان بدأت أمريكا حملتها الصليبية ضد الإسلام في العالم، تحت لافتة ( الحرب العالمية ضد الإرهاب ) . قاد هذه الحملة الأمبراطور الأمريكي جورج بوش الثاني، كما قاد والده ( جورج بوش الأول ) حملة علي جزيرة العرب والتي حولها إلي مستعمرة أمريكية، مستبيحاً مقدساتها قبل نفطها، معلناً من فوق أرضها ميلاد( نظامه الدولي الجديد ) .

وفي الأخير سقط نظام الإمارة الإسلامية في أفغانستان وبدأت أمريكا في إقتلاع الإسلام هناك .

وفازت بنفط المنطقة وأفيون أفغانستان . وكان نصيب الشعب الأفغاني أن يكون كرزاى ، ذلك الأقرع الكريه ، رئيساً مفروضاً عليه بقوة الطيران الأمريكي .
وأصبح مجرد إسمه مصطلحاً حديثاً في القاموس السياسي ، يعني فيما يعني الخيانة والعمالة ورمزاً للتساط الأمريكي علي شئون العالم وفرض الأنظمة السياسية عليه.

لقد حصلنا في أفغانستان مؤخراً علي هزيمة تعادل أو تتفوق علي هزيمة الخامس من يونيو 1967.

وكان للعرب دور بارز وبطولي في تلك ( النكسة ) الجديدة . كما كانوا أبطال النكسة الأولي في يونيه بلا منازع .

.. لقد جمعت بين ( النكستين ) سمات مشتركة تستحق التأمل ، والدراسة واضعين في الإعتبار أن العقلية الإسلامية تكره دراسة تجاربها وإستخلاص النتائج منها ،كراهيتها ( لبدعة) النقد الذاتي ، وكراهية ، وربما تكفير ، كل من يوجه النقد إليها.

لقد أحدثت هزيمة العرب في 5يونيو 1967 زلزالا إستراتيجياً في منطقة الشرق الأوسط ، حسب قول أحد المختصين ، ولا شك أن هزيمة حرب أكتوبر الأفغانية (2001م) ، تسببت في مجموعة زلازل بؤرتها أفغانستان، وأطرافها الخارجية غطت العالم كله .

نستعرض الآن بعض أوجه الشبه والسمات المشتركة بين الهزيمتين الزلزالين

**1 - هزيمة يونيو العربية**

كان الرئيس المصري جمال عبد الناصر رمزاً وقائداً ومحرضاً علي نكسة يونيو 1967م.

- أخطاؤه السياسية أعطت إسرائيل ذريعة لشن حرب توسعية ، أعدت برنامجها وجهزت له منذ وقت طويل وكانت تبحث فقط عن ذريعة.
- الزعيم العربي لم يجهز جيشه بشكل كاف لحرب فعلية مع إسرائيل .
- إنتفاخه الإعلامي وحرصه علي صورته البراقة في عيون الجماهير كانت سبباً في إستدراجه إلى الفخ الذي نصبه له عدوه .

- **هزيمة أكتوبر الأفغانية:**

الزعيم الإسلامي السعودي أسامة بن لادن كان رمزاً وقائداً ومحرضاً لهزيمة أكتوبر الأفغانية .

_أخطاؤه السياسية أعطت لأمريكا ذريعة لشن الحرب علي أفغانستان . وكانت أمريكا قد إتخذت قرارها بشن الحرب ، منذ عدة سنوات رداً على تطبيق الشريعة وعرقلة مشاريعها النفطية ومنع زراعة الأفيون بواسطة نظام الإمارة الإسلامية .

_ لم يجهز بن لادن نفسه بشكل معقول ، حتي لمواجهة محدودة ، ناهيك عن حرب لم يتصور وقوعها أصلاً .( وكذلك فعل الملا عمر أيضاً ) .

***2_ هزيمة يونيو العربية :***

ضعف القيادة العسكرية المصرية ( المشير عامر وبطانته ) كان من الأسباب الرئيسية للهزيمة ،ومضاعفة تأثيرها . وأحاطت بهم شبهة إرتكاب خيانات ، أو تقصير فادح في قيادة المعركة {مثل إهمال تحذير للقيادة المصرية أرسله الفريق عبد المنعم رياض الذي كان مبعوثاً لقيادة الجبهة الأردنية ، وكان قد رصد من هناك إقلاع الطائرات الإسرائيلية لتوجيه الضربة الأولي ضد مصر .. وهي الضربة التي جاءت

بينما الدفاع الجوي المصري مقيد بسبب وجود طائرة المشير عامر في الجو ..إلي جانب دلائل أخري أثارت شبهات وإتهامات } .

- **هزيمة أكتوبر الأفغانية :**

وزارة الدفاع في كابل كانت مليئة بعناصر لا تصلح لقيادة العمل العسكري . شغلوا مناصبهم بحكم إنتماءات قبلية ، ولكونهم من (الحرس القديم ) من مؤسسي حركة طالبان .

_ سقطت العاصمة كابل بفعل خيانات، غير معروف مداها وتفاصيلها ، تورط فيها عدد من المحسوبين علي وزارتي الدفاع والداخلية حسب المعلومات المتوفرة إلي الآن

_ علي الجانب العربي لم يقدم العرب إضافة تذكر في تلك الحرب التي تواجدوا فوق أربعة مواضع من ساحاتها :

1- ساحة الشمال الأفغاني ، قندز وطالقان ، وقد حوصروا هناك وأبيدوا عن آخرهم وفقدوا أكثر من ثلاثمئة قتيل .

2- جبهة شمال كابول . وقع العرب هناك في محاصرة وكان عددهم 250مجاهداً ، فقدوا جميعاً ومصيرهم مجهول ، والأغلب أن معظمهم راحوا قتلي { كان للعرب في مدينة كابول نفسها 300 عنصرا كقوة إحتياطية .. وقد نجى معظم هؤلاء وغادروا المدينة سالمين } .

3- جبهة قندهار . وهي المكان الوحيد الذي قاتل فيه العرب بشكل جيد . وفيها فقدوا حوالي مئة شهيد .

4- موقع تورا بورا الجبلي في جلال آباد .الذي كان تحت القيادة المباشرة لزعيم القاعدة .الثلوج والقصف الجوي تسببافي حصار العرب، فتشتتوا وتعرضوا لمطاردات أفغانية وباكستانية مع قصف الطائرات الأمريكية . فقد العرب 50شهيداً في ذلك الجبل .

**في كل تلك الجبهات ، وخلال شهرين فقط ، خسر العرب أكثر من 700 شهيد أي أكثر مما فقدوه خلال أكثر من عشر سنوات ضد السوفييت والنظام الشيوعي في أفغانستان ،
حيث فقدوا ما بين 300 إلى 500 شهيد علي إختلاف فى التقديرات .

**3 هزيمة يونيو العربية :**

الزعيم القومي عبد الناصر كان له تصور خاطئ عن الحرب القادمة . فهو كان يستبعدها في الأساس . ثم تصور أنها أذا حدثت فإنها ستكون {حرب دفاعية تمتد أياماً تبدو فيها وحدة العالم العربي وتضامن شعوب آسيا وأفريقيا ، ينعكس ذلك علي الرأي العام العالمي ممثلاً في الأمم المتحدة ، وساعتها يمكن الوصول إلي وقف لإطلاق النار ويبدأ البحث عن مخرج للأزمة } ( الفقرة مأخوذة عن كتاب الإنفجار لمحمد حسنين هيكل ص 829) . وقال هيكل أيضاً في كتابه( أن جمال عبد الناصر في هذا التصور لمسار الحوادث كان لا يزال محكوماً بتجربة السويس في حين أن الأمور هذه المرة كانت تندفع في مسار مختلف ) .

- **هزيمة أكتوبر الأفغانية :**

الزعيم الإسلامي بن لادن إستبعد من الأساس نشوب حرب . وتوقع مجرد عدوان صاروخي أو جوي لا يستغرق وقتاً . ومن بعده تأتي موجة تعاطف عربية

وإسلامية ، علي أثرها تأتي الأموال والمتطوعين . كما يزداد التعاطف الأفغاني معه ويتغلب علي التردد المسيطر علي حركة طالبان تجاهه .
هنا أيضاً كان بن لادن محكوماً بتجربة القصف الأمريكي لمعسكراته في خوست في عام 1998م . ( في حين أن الأمور هذه المرة كانت تندفع في مسار مختلف ) .
وحتي عندما بدأت الحرب تصرف معها بمنطق معارك جلال أباد عام 1989م التي قاد العرب فيها ضد مليشيات دوستم ، ولكن بإتقان أقل .
والجانب الأفغاني إستخدم ضد الأمريكان تكتيكاته القديمة في الحرب ضد السوفييت ، فقضت عليه التطورات التكنولجية لسلاح الجو الأمريكي .
لقد واجهوا حروباً جديدة بتصورات قديمة . والركود الفكري منع من ملاحظة (المسارات الجديدة) التي تقدم فيها العدو في مجالات التسليح والحرب ، ومناخ السياسة الدولية .

***4 هزيمة يونيو العربية :***

معلومات مغلوطة ، كانت الدافع لتحركات( ناصر) التي قادته إلي الهزيمة .
( كانت المعلومات عن حشود إسرائيلية علي حدود سوريا ) فحرك قواته إلي عمق صحراء سيناء في حشود ضخمة سيئة التوزيع والإعداد والقيادة بعيداً عن قواعدها الأساسية شرق قناة السويس .
الطيران الإسرائيلي المتفوق في ضربته الجوية الأولي التي إستغرقت نصف ساعة، أخرج الطيران المصري من المعركه بتدمير طائراته علي الأرض ، ثم أستفرد بالقوات المصرية في سيناء فدمر معداتها وقطع خطوط إنسحابها وسقط معظمها في الأسر وفقدت12000 قتيل .
_ القوات الإسرائيلية لم تقتل الأسري المصريين ، لأن إسرائيل كانت تخطط لمصالحة مصر وجذبها بعيداً عن باقي الدول العربية ، وعقد سلام منفرد معها.

- ***هزيمة أكتوبر الأفغانية :***

إستنتاج مغلوط قاد الإمارة الإسلامية في أفغانستان صوب الهزيمة العسكرية .
إغتيال أحمد شاه مسعود القائد العسكري والرجل الأقوي في تحالف الشمال المناوئ للإمارة ، جعل القيادة الأفغانية متأكدة من قدرتها علي الحسم السريع لمعركتها في شمال أفغانستان ضد القواعد الأساسية القليلة التي تبقت في أيدي التحالف . فحركت الإمارة قواتها الأساسية وقادتها الرئيسيين صوب الشمال ، وبعيداً جداً عن القواعد الرئيسية للحركة جنوب البلاد .
الطيران الأمريكي المتفوق فشل في تحقيق إنجاز مثيل لما حققه شقيقه الأسرائيلي في حرب يونيو . وإفلات الملا عمر من الإغتيال الجوي خلال الضربة الجوية الأولي جعلها غير حاسمة فاستمرت الحرب شهرين متتابعين حتي سقطت الإمارة الإسلامية . ولكن الطيران الأمريكي وبقذائفه الموجهة تمكن في نهاية الأمر من منع قوات الإمارة من الحركة ، وخلخل صفوفها حتي تعرضت للحصار والإبادة في الشمال . أما الجنوب فلم يتبقي فيه من القوات ما يكفي للدفاع (في ظل غياب شعبي عن ساحة المعركة ) . فاستولي اللصوص علي العاصمة والمدن الرئيسية حتي تسلمها تحالف الشمال.

خسائر طالبان في تلك المعركة كانت في حدود 13ألف قتيل ، بما يزيد عن نسبة 90 في المائة من إجمالي قواتهم في الشمال .

أصرت أمريكا علي تنفيذ سياسة إستئصالية ضد جميع من أسروا في المعارك من عرب وطالبان . أما المدنيين الذين أختطفوا من الشوارع في أفغانستان وباكستان ، فقد شحنوهم إلي أقفاص (جوانتانمو ) في كوبا .

حجة أمريكا فى سياستها، إبادة المقاتلين، هى ألا يعودوا لقتالها مرة أخرى فى أفغانستان أو خارجها. فالتفاهم المستقبلى، أو المصالحة لم تكن واردة بأى حال .

***5- هزيمة يونيو العربية :***

حرب اليمن التى تورط فيها جيش عبد الناصر، لعدة سنوات إستنزفت نظامه عسكرياً ومالياً. وساهمت بذلك فى هزيمة يونيو.

أعداء ناصر مولوا وسلحوا قوات المتمردين التى تقاتل ضده فى اليمن، وساندوهم ضمن جبهة إقليمية، مكونه من السعودية وإسرائيل، وإنضمت إليهم بريطانيا.

- ***هزيمة أكتوبر الأفغانية:***

الحرب المتصلة ضد تحالف الشمال، التى خاضتها، الإمارة ضد مسلحين مدعومين بقوة من تحالف إقليمى ودولى قوى، أدت تلك الحرب إلى إستهلاك القوة البشرية، والعسكرية والمالية للإمارة.وفى الأخير عملت قوات تحالف الشمال كقوة أرضية متكاملة فى الأداء مع سلاح الجوالأمريكى،حتى سقط نظام الإمارة الإسلامية.

***6- هزيمة يونيو العربية:***

تعدد مراكز القرار فى مصر كان من الأسباب الرئيسية فى الهزيمة. وهى الظاهرة التى أطلقوا عليها إسم مراكز القوى. فهناك الرئيس المتفرد فى بالقرار السياسى للدولة. وهناك المشير عامر قائد الجيش الذى إعتبره ملكية خاصة له. ثم هناك جهاز الإستخبارات العامة المتحالف سراً مع قيادة الجيش. فكانت مصر وقتها عدة دول فى دولة واحدة.

- ***هزيمة أكتوبر الأفغانية:***

أشيع خارج أفغانستان أن بن لادن هو الحاكم الحقيقى لها وأن الملا عمر مجرد شخصية وهمية. وشعر كثيرون داخل أفغانستان أن البلد لها (أميران للمؤمنين).
وأزعج ذلك حركة طالبان ومعظم أبناء الشعب.

قرار الحرب الذى هو أهم قرارات السيادة فى أى دولة، تفرد به بن لادن، فأثبت أنه كان الأمير الحقيقى للبلد التى إستضافته.

الإزدواجية فى القرارات السيادية، التى أحدثها بن لادن فى أفغانستان، شقت صفوف طالبان وعزلت نظام الإمارة الإسلامية عن الشعب فى وقت الحرب على الخصوص، لذا تعتبر السبب الأهم فى الهزيمة التى حاقت بأفغانستان.

***7- هزيمة يونيو العربية:***

أدت تلك الهزيمة إلى تنحية تيار القومية العربية عن قيادة الجماهير العربية. ومن يومها خرست الأصوات التي ظلت تنادي بتوحيد العرب في دولة واحدة . وسادت الدعوات القطرية التي لا يجمعها إطار مشترك . وأصبحت إسرائيل ، عملياً ، هي

القوة الأعظم في المنطقة العربية وصاحبة النفوذ الحقيقي من المحيط إلي الخليج . أي فوق الرقعة الجغرافية والسكانية التي كانت يطمح اليها ( القوميون العرب ) .
لقد كانت هزيمة العرب في حرب يونيو 1967م إيذاناً حقيقياً بمولد إسرائيل . وذلك بإتفاق جميع الآراء . ومن يومها فقد العرب أي إمكانية في الحرية أو الإستقلال ، ناهيك عن الوحدة .

- ***هزيمة أكتوبر الأفغانية :***

أصابت تلك الهزيمة تياراً إسلامياً عربياً ، يرمز إليه بن لادن ، ويتميز بسمات فكرية وحركية معينة . فهو يتبني السلفية السعودية منهجاً ، والقتال سبيلاً أوحداً لتحقيق أهداف ظلت عائمة وغير محددة معظم الوقت . فهي تارةً ( الجهاد العالمي ) وتارةً آخري ( طرد الأمريكان المحتلين لجزيرة العرب ) وهو الشعار الذي أصبح لاحقاً ( تحرير المقدسات الإسلامية ) وأخيراً نادي بن لادن في آخر بيان له أن تقاتل الأمة الإسلامية في كل مكان أمريكا والمتحالفين معها .
وليس من الواضح حتي الآن ماذا سيتبقي من كل ذلك بعد تلك الهزيمة الثقيلة في أفغانستان . ومقدار التهميش أوالإبعاد الذي سيصيب ذلك التيار . وهل البديل سيكون إسلامياً ؟؟ وبأي صيغة فكرية وحركية ؟؟.
ولكن المؤكد أن هزيمة أكتوبر في أفغانستان هي التي دشنت العهد الحقيقي للإمبراطورية الأمريكية العالمية ، وأوضحت ملامحها بدون أي إلتباس .
وأصبح العالم أضيق بكثير من أن تقام عليه دولة إسلامية أو حتي قرية إسلامية أو حتي أن يختبئ فيه شخص لا ترغب أمريكا في وجوده . وعند هذه النقطة الحرجة فإما أن تزول حقيقة الإسلام من علي ظهر الأرض أو أن نشهد في وقت ما زلزالاً إسلامياً لم يتحسب له أحد .

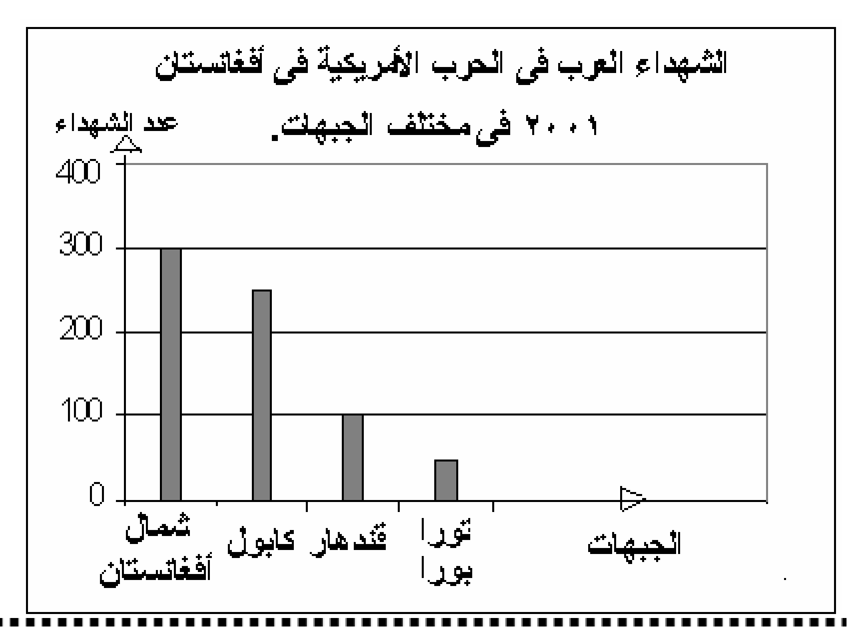
***8_ هزيمة يونيو العربية***

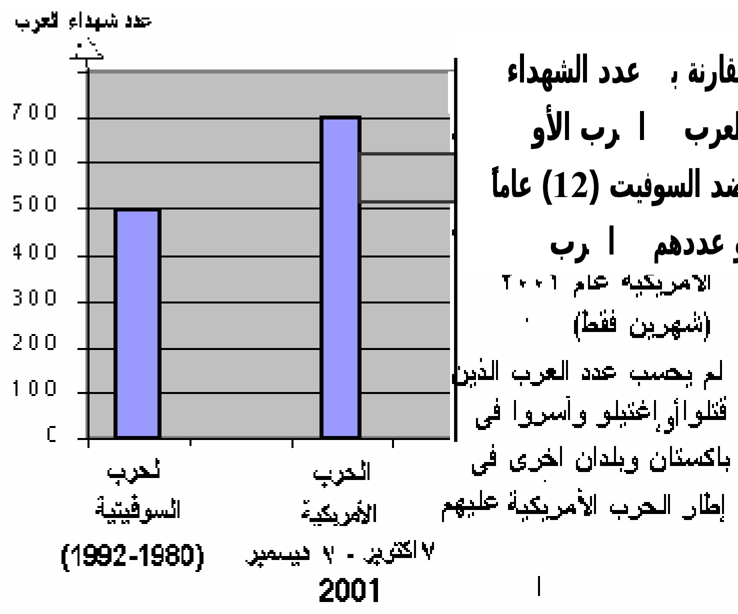
إسرائيل خاضت بجيشها معركة حاسمة فيما تعتبره ( ويعتبره المسلمون أيضا ) منطقة القلب . وأمريكا وفرت لها مظلة حماية كاملة ، عسكرية وسياسية ودعم مالي كامل حكومي ويهودي .
أزاحت إسرائيل مخاطر شعارات ( القومية العربية ) التي أزعجت إسرائيل لا بسبب نجاح هذه الشعارات علي أرض الواقع ، ولكن لأنها تذكر سكان المنطقة بأنهم عرباً. بينما إسرائيل لا تريدهم عرباً ولا مسلمين ، تريدهم أحجاراً فوق موقع جغرافي ، بلا هوية دينية أو عرقية ، تريدهم ( شرق أوسط) لا غير .

- ***هزيمة أكتوبر الأفغانية :***

خاضت أمريكا الحرب الأفغانية بقواتها وقوات حلفائها الذين وصل عددهم إلي 52دولة ضد تنظيم القاعدة ( 500شخص ) . { أكثر من دولة مقابل كل عشرة أفراد من القاعدة !!}.
وضد شعارات رفعها بن لادن وشكلت خطراً علي إسرائيل في منطقة القلب وتواجد أمريكا في جزيرة العرب . مثل شعارات تحرير المقدسات الإسلامية وإخراج الأمريكان من جزيرة العرب .

ويظهر هنا توزيع الأدوار بين الجيشين الأمريكي والإسرائيلي فهما شـريكان في منطقة القلب الإسلامي ، بينما تعمل أمريكا مـع حلفائهـا فـي منـاطق الأطراف نيابة عن إسرائيل .




# مقارنة 2

## طريق الأشواك: فلسطين .. أفغانستان .. وبالعكس

نقاط التشابه كثيرة بين ما حدث في فلسطين وحولها في حروب 1948م و 1967م وما حدث في أفغانستان في الحرب ضد السوفييت والشيوعية (1979م/1992م ). ومن أهم دلالات ذلك ثبات العناصر الأساسية في كل تلك المصادمات . ومن ناحية الجـوهر فهي مكونات صغيرة لحرب صليبية لم تنقطع منذ قـرون، منـذ أن بـدأت رسـمياً بمفهومها الحالي عام 1095م وحتي آخر مـشاهدها فـي أفغانـستان فـي أكتـوبر 2001م.وما تقسيمها إلي حملات ذات أرقام : أولي ، وثانية ،..الخ إلا لتسهيل البحث التاريخي وتبويبه . والذي إختلف الآن هو قيادة المعسكر الصليبي فقد إنتقلت الرايـة

من الكاثوليك إلي البروتوستانت . وإمتطي اليهود ( حمير) الغرب ، وتولوا القيـادة ، وقهروا العالم بأموالهم وبتكنولجيا الغرب، الذي تصدرته أمريكا بحكم قوتها والتركيز اليهودي فيها .

وفي المعسكر الإسلامي إنتقلت الراية من أنظمة حكم تستمد شـرعيتها( حقـاً أو زوراً ) من الإسلام ، إلي أنظمة تستمد شرعيتها وقوتها مـن القـوي الكبـري فـي المعسكر الصليبي نفسه . وعلي المستوي الشعبي إنتقلت القيادة من النخبـة الدينيـة للعلماء إلي النخبة العلمانية التي رضعت ثقافة الغرب وتشبعت بها .

لهذا نري في الصدامات العسكرية الدامية في فلسطين وأفغانستان نفس اللاعبين الأساسيين : معسكر معادي يضم القيادة اليهودية، والجيوش الصليبية لدول الغرب، ثم الخط الأول لذلك كله: أنظمة المشرق العربى والإسلامى.

وفى مقابل الأعداء هناك المعسكر الإسلامى المكون من شـعوب بـلا قيـادات، أو بقيادات من العلماء التقليديين الذين نجو من حملات القتـل والإبعـاد والتهمـيش، أو قيادات الإسلام الحديث، والمكونة من حركات يقودها خريجى التعليم الغربى الحديث، (أطباء، مهندسين، مدرسين ...)

وفى بعض الأوقات تمكن الغرب من إستبعاد الإسلام من المواجهة، (بتعيين) قيـادات علمانية للشعوب المسلمة، أو (تصنيع) قيادات إسلامية مأمونـة، لقيـادة المـسلمين. وأحياناً تصنيع حركات إسلامية، وتحديد مناهجها وقياداتها كى تقوم بـدور (العـدو) وتقود المسلمين فى مواجهات محكومة بالفشل سلفاً.

فقد قاد العلمانيون الشعوب المسلمة فى معارك (الإستقلال) وعاونهم الإسلاميون مـن الخطوط الخلفية ( فى مصر والشام والعراق والجزائر....) وحتى بعد إعـلان قيـام إسرائيل بعد حرب 1948م، تصدى التيار العلمانى وأنظمـة الحكـم العربيـة، ذات الشرعية الغربية لقيادة عملية التصدى للدولة اليهودية. وبشكل عام أصيبت الحركة الإسلامية، التقليدى منها والحديث بإرتباك شامل فى تحديد هوية أنظمة الحكـم التـى فرضها الغرب بعد إتمام سيطرته على بلاد المسلمين. سـاعد علـى ذلـك ضـياع المرجعية الفقهية، وإنحدار التعليم الدينى، وتصفية طبقة العلماء وإستبدالها، بمـوظفين دينيين لا علاقة لهم بالشؤون العامة، ويتلقون الأموال من الحكومـات القائمـة، فـى مقابل الدعاية لها، والدعاء على المنابر (لولي الأمر).

بحثت الحركة الإسلامية، عن موطئ قدم لها، فى ظل الأنظمة اللادينية القائمة، فـى إطار صفقة لتبادل المنفعة، تقوم فيه تلك الحركة بدور صـمام الأمـان، للتـوترات الإجتماعية وإبقاء المسلمين فى إطار الرضا بالقضاء الحاكم. وتقبل ليس فقط التبعيـة السياسية والإقتصادية للخارج، بل أيضاً تقبل كافة أشكال الظلم والجور الإجتماعى، والإنحرافات الثقافية والأخلاقية.

الموروث الفقهى والتاريخى، عند المسلمين يؤكد على تبعية الـدينى للـسياسى أو بمعنى آخر، إلحاق الفقيه بالقصر الملكى. ومحاولات التثوير التى حدثت خاصة بعـد تفتيت الإمبراطورية العثمانية إلى دويلات قطريـة متعلمنـة، وظهـور الحركـات الإسلامية الحديثة، التى فقدت الطريق حتى الآن، بسبب عجزها عن التغيير، وبالتالى ميلها إلى مجاراة الأمر الواقع.

الفلتات الثورية لم تجد لنفسها فقهاً ولاتراثاً تاريخياً إلا فى فقه وتاريخ الخوارج. فأهملوا دور الشعوب وركزوا على الإغتيال السياسى، طريقاً أوحداً.

والسلف الذين أرادوا تطوير الدين وتغيير النظام السياسى، بمجرد عملية إغتيال ثلاثية لأقطاب الصراع القائم ( علي، معاوية، عمرو بن العاص)، إعقبهم خلف ظنوا أن تغيير العالم يكفيه ثلاث تفجيرات أو ضربات تنالها أمريكا ثم تنهار. فلا ضرورة إذاً للشعوب ولا للعمل الفكرى والدعوى والثقافى والإقتصادى.. أو حتى العمل العسكرى الصحيح.

* أفغانستان كانت حصناً منسياً للإسلام ( التقليدى) لعلماء قبائل الجبال الذين لم يمسخ فطرتهم الإحتكاك الحضارى مع الغرب. هؤلاء جعلوا بلادهم مستعصية على الإجتياح الغربى سواء جاء من (بيزنطه) الروسية أو من (روما) البريطانية ثم الأمريكية.

وتحت قيادتهم، تحطمت ثلاث حملات بريطانية، إمتدت من منتصف القرن التاسع عشر إلى بدايات القرن العشرين الذى شهد فى عقديه الأخيرين، حرباً أعنف مع الجيش الأحمر لبيزنطه السوفيتية. وقبل أن يذهب دخان معاركها، إقتحمت أراضى أفغانستان جيوش روما الأمريكية. لطرد تيار علماء الجبال من الحكم، وفرض العلمنة الأمريكية ورمزها (كرزاي) موظف شركات النفط، وربيب الإستخبارات الأمريكية.

- ولأن المواجهة فى أفغانستان كانت جديدة، وصراع المصالح بين أمريكا والسوفييت كان حقيقياً، وكان لابد لها أن تعتمد على الإسلام سلاحاً لمواجهة أعدائها، وليس على العلمانية كما فعلت فى الصراع بين أنظمة العرب وإسرائيل، فذلك صراع موهوم، المطلوب منه شكل الصراع وليس حقيقته، لأنه بين مكونات نظام واحد يهودى، صليبى، علمانى (عربى).

لذا قال الرئيس الأمريكى نيكسون أن بلاده ما كانت لتضع الأسلحة والأموال التى أرسلتها إلى أفغانستان فى أيدى معادية لبلاده.

وتلك حقيقة دائمة وثابتة فى السياسة الخارجية الأمريكية. لذلك كانت المساعدات الأمريكية تذهب إلى قيادات الإسلامية الحديثة (التيار الإخوانى) و التيار الملكى من العلماء. أما علماء الجبال، فقد أستبعدوا أو همشوا أو إقتصر دورهم على القتال، وليس على قيادة المنظمات.

والتيار الإسلامى الحديث ( الإخوانى) مارس لأول مرة، دوره الوطنى على النطاق الدولى فى أهم قضايا الحرب الباردة وحروبها الصاخبة، التى أرادوها حروباً بالوكالة، أى لتحقيق أطماعهم بالقوة ولكن بدماء الآخرين.

حقق الإخوان أحد أمانيهم القديمة التى عبروا عنها فى الأربعينات، بأن يشملهم الغرب برعايته ويستخدمهم ورقة إسلامية، فى مقاومة المد الشيوعى فى العالم. وساهموا بنشاط فى تهميش وتحجيم تيار (علماء الجبال المقاتلين) فى أفغانستان، وساندوا صيغة التحالف الإسلامى الشيوعى، الذى حكم كابول منذ عام 1992م، وساندوه على طول الخط ضد حركة طالبان التى كانت تعبيراً صادقاً عن فكر علماء الجبال. وإستمر الأخوان كذلك حتى (سخر الله لهم) أمريكا فأراحتهم من طالبان، ومن الإمارة الإسلامية، ومن الإطلالة السياسية، لعلماء الجبال فى أفغانستان. وحكم كابول حاكماً (دينه الرسمى)هو الإسلام، وقبلته البيت الأبيض، ومعبوده الدولار، والأهم أنه يدلى بصوته فى صندوق الإنتخابات. وهو يبتسم، بينما نساء الإعلام الدولى بشعورهن الصفراء يلتقطن له الصور.

نعود إلى فلسطين فنلاحظ أن الرياح الأفغانية قد هبت عليها فى أواخر عـام 1987م. فتهب رياح الجهاد، وتخرج المظاهرات بشعارات إسلامية، ويسمع المـسلمون عـن حماس والجهاد والشيخ أحمد ياسين.

ومن أفغانستان أرسل عبدا عزام ( الـسلفى الإخـوانى) عـدداً مـن المجاهـدين الإستشهاديين، الذين ضاعفوا من الجرعة الإسلامية. ولكن المزاج الفلسطينى لم يكن ليشذ عن المزاج الإسلامى التاريخي الذى قبل الجهاد كفريضة إسلامية ولكنه لم يتقبل ( السلفية السعودية) كحتمية فقهية.

ومنذ ذلك التاريخ عاد الإسلام والإسلاميون إلى صدارة القيادة فى فلسطين، وتراجـع العلمانيون إلى مركز متأخر. ولايمكن أن يكون ذلك موضع ترحيب دولى أو أقليمى. ومن الطبيعى أن يعملوا علي إحتواء وتصفية تلك الحالة الجهادية ( الثورية).

ولم تكن (القاعدة) – التنظيم - بقادرة على كسر ذلـك الإحتـواء وتوسـيع نطـاق المواجهة الإسلامية فى قضية فلسطين، أو جزيرة العرب، أو المقدسـات الإسـلامية المحتلة، أو ثروات النفط المنهوبة، أو ....لم تكن قادرة على ذلـك بحكـم تكوينتهـا (الفقهية السعودية)، وبحكم قيادتها (السلفية السعودية)، التى لم تخـرج عـن مفهـوم الإصلاح الجزئى للأوضاع القائمة، لإيجاد الحد الأدنى من التعايش المادى معها بدون حرج فقهى شديد. وبدون أن تسيقظ الشعوب وتشارك فى خوض معاركها ، مشاركة فعلية وحقيقية.

## من حرب فلسطين عـام 1948م إلـى الحـرب الأفغانيـة الـسوفيتية 1980م

أشرنا إلى أوجه شبه ما بين هزيمتين للعرب، الأولى عام 1967م، وتتعلق بفلـسطين، والثانية عام 2001م فى أفغانستان.

ونشير الآن إلى أوجه شبه ما بين تجربة العرب عـام 1948م، فـى حـربهم ضـد العصابات اليهودية التى شكلت دولة إسرائيل، وتجربة العرب فى الحـرب الأفغانيـة السوفيتة، (من عام 1979م حتى عام 1992م).

وربما كانت الساحة المصرية هى المجال الأمثل لإختيار الأمثلة فى تلـك الأحـوال، نظراً لتبلور التجربة الإسلامية والعلمانية على أراضيها، بأكثر وأوضح مما كانـت عليه فى باقى الساحات العربية والإسلامية، كما وكانت الأقرب والأهم فى مواجهـة الحملات الصليبية، القديمة والحديثة.

ولم يكن النصر، أو الهزيمة، ليصبح حالة إسلامية عامة إلا إذا إنبثـق مـن التربـة المصرية بمكوناتها الطبيعية والبشرية والدينية. ونعرض الآن بعض أوجه الشبه بين تجربة الحربين.

### 1- حرب فلسطين 48م.

فى البداية عارضت الحكومات العربية إقحام جيوشها، فى حرب على أرض فلسطين. وبضغوط بريطانية، وترحيب أمريكى، وافقت تلك الحكومات على إرسـال جيوشـها إلى هناك.

*كان ملك مصر(فاروق) هو السباق، رغم معرفته عزم الحكومة والبرلمان علـى تجاهل حرب فلسطين، إلا أنه أصدر أوامره مباشرة إلى قائد الجيش بتحريك القـوات

إلى فلسطين، وأدلى بتصريحات حماسية لوكالة الأنباء الأمريكية، (أسوشيتد بـرس)، وهى تصريحات شكلت غطاء مناسباً، للأمريكان والأنجليز، لدعم اليهود فى فلسطين.
أعطى فاروق الضوء الأخضر للإخوان المسلمين، كـى يرسـلوا متطـوعيهم إلـى فلسطين، وذلك فى إطار التحالف القائم بين القصر والإخوان ضد حزب الوفد خاصة، وباقى الأحزاب عامة.
كانت الضغوط الشعبية متفاقمة وتهدد نظام الحكم، وساعد فى ذلك ضغوط الإحـتلال البريطانى، وتدهور الأحوال الإقتصادية بسبب الحرب العالمية الثانية، والخلل الكبير فى توزيع الثروات، وإتساع قاعدة الفقر فى المجتمع.

## فى الحرب الأفغانية السوفيتية..

وقت نشوب تلك الحرب، لم يكن مسموحاً للشباب العربى، مجرد التفكير فى قـضية الجهاد، أو أن يتعدى التدين نطاق الشعائر التعبدية، وتطارد السلطات بكل شراسة، أي مظاهر للتدين فى النشاط الإجتماعى والمعاملات. ولكن أمريكا إستحـسنت إسـتخدام الورقة الإسلامية فى أفغانستان، لمواجهة تحرك سوفيتي شـرس، بقواتـه البريـة الضخمة على تخوم المصالح النفطية الأمريكية.
فضغطت أمريكا، ورضخت الأنظمة ، لتحويل الشباب المسلم صوب أفغانستان، لجهاد الشيوعية هناك. ورأت الأنظمة أن ذلك يوفر لها تنفيساً لابد منه، ليقظـة إسـلامية، كادت أن تخرج عن سيطرة الأوعية المحددة لها سواء كانـت أوعيـة حكوميـة أو شعبية.
كان النظام المصرى فى الصدارة أيضاً، فالأوضاع الإجتماعية فى مصر هى أفـدح مما كانت عليه فى عام 48م، وزاد عليها عاملان غاية الخطورة: الأول كان إتفـاق السلام الذى عقده (أنور السادات) مع إسرائيل، متحدياً إسلام شعبه ووطنيته، والعامل الثانى كان نجاح الثورة الشعبية الإسلامية فى إيران التى كانت إجتماعيـاً وسياسـياً، ونفسياً قريبة جداً من المناخ المصرى. (وشكلت الثورة الإيرانية أيضاً تحـدياً كبيـراً للنظام السعودى الذى كان الركيزة الثانية للسياسة الأمريكية فى الخليج، كمـا تـأثر المناخ الإسلامى العام بتلك الثورة).
مرة أخرى يعطى النظام المصرى الضوء الأخضر للإخوان المسلمين، للإنطلاق خارجياً فى عمل جهادى، ولكنه خارج المنطقة العربية لأول مرة، بـشرط أن يظـل نشاطه محصوراً للعمل الدعائى والإنسانى، بعيداً عن ميادين القتال، التى يدفع إليهـا فقط بالشباب غير المنظم ،الذين تولت السعودية، أمنياً، الإشراف على حركتهم بشكل غير مباشر تمويلاً وتنظيماً، بل وحددت قيادات تسيطر على نشاطاتهم، داخل وخارج الجبهات .
فى هذه المرة أيضاً كان النظام المصرى هو السباق فى الإعلان المدوى عن مشاركته فى الحرب الأفغانية، وأعلن عن أسلحة قيمتها خمسة ملايـين دولار، أرسـلها إلـى المجاهدين الأفغان .

## 2- حرب فلسطين 48م.

ـ لا تذكر حرب فلسطين إلا وذكرت معها قضية الأسلحة الفاسدة، وهى الأسلحة، التى أرسلها ملك مصر إلى قواته فى فلسطين بعد أن إشتراها رجال بطانته من بقايـا أسلحة الجيش الإيطالى المهزوم ، والتى تلفت فى الحرب العالمية الثانية. لقـد حقـق

الملك وأعوانه أرباحاً طائلة، من تلك الصفقة، التى حصدت أرواح جنـود وضـباط الجيش المصرى فى فلسطين. فكانت ضمن عوامل إنقلاب الجيش على الملـك عـام 1952م.

- إستدرجت بريطانيا الجيش المصرى إلى حرب فلسطين، وذلك بإغرائـه بفـتح مخازنها فى قناة السويس، لتموينه بالعتاد. وعندما تعمق الجيش المصرى فى صحراء النقب، وإشتدت المعارك بينه وبين اليهود، أغلقت بريطانيا مخازنها، وإفتقد الجـيش المصرى الذخائر الضرورية، فتعرضت قواته للحصار فى عدة مواضع. وبذلك أجبر على قبول الهدنة، التى كانت حتماً فى مصلحة اليهود، ومكنت لهم من التوسع علـى الأرض وتعزيز القوات، و من ثم تثبيت أركان الدولة الجديدة.

## فى الحرب الأفغانية السوفيتية..

عانى المجاهدون الأفغان من: الأسلحة الفاسدة، والأسلحة عديمة القيمـة، والأسـلحة المفخخة.

أما الأسلحة الفاسدة فقد وصلت فى وقت مبكر وأشارت إليهـا مـصادر أمريكيـة متعددة. وشملت ألغاماً أرضية، وأسلحة خفيفة و متوسطة لا تعمل، وذخـائر تالفـة، وصواريخ مضادة للطائرات تطلق من الكتف، طراز سام 7 السوفيتية، وقد وردتهـا مصر، من مخزونها التالف القديم.

أما الأسلحة عديمة القيمة، فكان أبرز أمثلتها، صفقة صواريخ بريطانيـة الـصنع طراز (بلو بايب) عديمة الفائدة، إشترتها أمريكا، من حليفتها كنـوع مـن المجاملـة والمكافأة المالية. ثم هناك صفقة من الهند إشترتها أمريكا لحساب المجاهدين، وهـى عبارة عن ثلاثة آلاف بندقية (لي أنفيلد) البريطانية العتيقة، والتى لم يستخدمها أحد

فى أفغانستان، بعد أن إنتشر فى أيدى سكانها، رشاشات كلاشنكوف الحديثة، مـن صناعات سوفيتية، وصينية، ومصرية.

أما الأسلحة المفخخة، فتحتاج إلى كتاب كامل للحديث عنها. وإرتـبط ظهورهـا بشكل وثيق مع تطورات الوضع الأفغانى سياسياً وعسكرياً. وأول ما ظهر منها على الساحة القتالية، كان ذخائر الهاونات الأمريكية المتوسطة والثقيلة. ثم زحفـت علـى باقى الذخائر، حتى وصلت إلى أثقل الأنواع المعروفة وقتها، وهى صواريخ صـقر المصرية، من عيار 122مم. ولم تنجوا صواريخ ستينجر الأمريكية من ذلك الوبـاء القاتل، وكان بعضها مصمماً كى ينفجر فى يد من يستعمله وقيل يومها أن المستهدف كان السوفييت، وليس المجاهدين الأفغان، وأن الخطة كانـت تـسريب الـصواريخ المفخخة إليهم. ولكن الواقع شهد بغير ذلك، وسقط الأفغان صرعى، وليس السوفييت.

التوقيت السياسى، الذى ظهر فيه وباء الذخائر المفخخة، كان حين إقـرار حـل سياسى متفق عليه، بالنسبة لأفغانستان بين أمريكا والإتحـاد الـسوفيتى. والتوقيـت العسكرى، كان وقوف المجاهدين على أبواب المدن الرئيـسية الكبـرى، بمـا فيهـا العاصمة، ولم يتبقى غير إقتحامها، وإسقاط النظام عسكرياً. وكان ذلك متاحاً ولكنـه يتطلب قدراً كبيراً من الأسلحة الثقيلة وذخائرها. عند هذه النقطـة تحديـداً ظهـرت الذخائر المفخخة، فى معظم الأسلحة الثقيلة والمتوسطة. وأمرت أمريكـا باكـستان، بقطع الإمدادات العسكرية عن المجاهدين، إلا ما يكفل لهـم مجـرد البقـاء، وعـدم الإستسلام للقوات الشيوعية، أى فى موقف دفاعى سلبى بدون قدرة على شن هجمات كبيرة.

وكما أغلقت بريطانيا العظمى أبواب مخازنها، فى وجه الجيش المصرى المقاتل فى فلسطين لفرض الهزيمة العسكرية عليه، أغلقت أمريكا العظمى أبواب مخازنها فى وجه المجاهدين، الأفغان والعرب، لفرض العجز العسكرى ومن ثم الهزيمة السياسية عليهم.

## 3- حرب فلسطين 48م

كانت الحرب تحت السيطرة الصليبية قبل أن تطلق فيها رصاصة واحدة أو تراق فيها قطرة دم ، أو تلقي لأجلها خطبة حماسية في مسجد أو شارع .

-- فالدول العربية المشاركة في الحرب ، جميعها تحت الإحتلال .

-- والجيوش العربية، دخلت ليس كجيش واحد ولكن كسبعة ( أو ستة ) جيوش مستقلة ، كلها غير جاهزة للحرب بأي شكل كان .

-- الجيوش العربية دخلت الحرب بدون تنسيق فعلي فيما بينها .

-- القائد العام للجيوش العربية كان جنرالاً بريطانياً ، هو جلوب باشا قائد جيش ( إمارة شرق الأردن ) ، التي صارت ( مملكة) الأردن . بفضل ما سرقه أميرها من أرض فلسطين ثم سلمه حفيده كاملاً غير منقوص للجيوش اليهودية وبدون أن يطلق طلقة واحدة عليهم في حرب 67م ( وكأنهم تركوها أمانة لدي جده ) .

-- الهدف النهائى للحرب كان تنفيذ "وعد بلفور" الذى قطعته بريطانيا على نفسها فى عام 1917م، بإقامة وطن قومى، لليهود فى فلسطين، وتلك الحرب هى الخطوة النهائية لتنفيذ الوعد، فى إطار ملهاة عسكرية، وقودها الجيوش الرسمية للعرب ومتطوعيهم المسلمين.

-- تمسك بريطانيا بخيوط اللعبة العسكرية كاملة: فالجنرال قائد الجيوش بريطانى، و تسليح أكبر وأهم الجيوش بريطانى أيضاً، وأهم إمدادات الذخائر بريطانية، الجيوش العربية فى الميدان تحت قيادات لاتعرف الطاعة سوى لبريطانيا العظمى، والجيوش العربية تم إعدادها أو بالأحرى إضعافها على يد الإحتلال البريطانى، وحركة المتطوعين المسلمين من مصر ملحقة، بالجيش الرسمى، أما المتطوعين من الدول الأخرى، فهم بين الأيدى الأمينة، لجامعة الدول العربية التى أنشأتها بريطانيا، كأداه لسياستها العربية بعد الحرب العالمية الثانية.

فماذا تبقى من مجالات العمل، أو إحتمالات النجاح أمام المجاهدين فى سبيل ا ؟ وما مدى مسؤولية القيادة التى قذفتهم فى تلك المعمة، وهى تدرى بلا شك، معظم أبعاد المأساة؟ وإذا كانت أضعف من أن تغير الواقع السياسى الفاسد فى بلادها، ألم تكن قادرة على شرح حقيقة الموقف، المحيط بقضية فلسطين، ثم تترك حرية الخيار بعد ذلك لشبابها، فى المشاركة أو عدمها؟ .

## .. في الحرب الأفغانية السوفيتية :

عملت أمريكا للسيطرة التامة علي المجاهدين الأفغان عسكرياً ولوجيستياً ، عبر جهاز الإستخبارات الباكستانية . كما أنها حددت الهدف من الحرب والحل السياسي الذي ينبغي تحقيقه . ولم يكن للأفغان ، في المنظور الأمريكي ، من دور سوي القتال فحسب . ولم يكن للإسلام من دور في كل ذلك التخطيط المستقبلي سوي الإستبعاد ، مع إستخدامه آنياً كحافز معنوي للقتال لدي الأفغان والمسلمين في مواجهة المنافس الشيوعي .

-- دخلت المنظمات الأفغانية ، وعددها سبعة أيضاً ، إلي الحـرب وهـي متنافـسة وأحياناً متحاربة . لا تجمعهم سوي أوامـر الإسـتخبارات الباكـستانية ، وأمـوال الإستخبارات السعودية .
-- لم يكن من المنظمات الأفغانية ، ومقرها مدينة بشاور الباكستانية ، أي دور فـي تحديد الإستراتيجية العسكرية للجهاد ، أو تحديد المسار السياسي لقضيتها ، بل منعت من ممارسة العمل السياسي تماماً حسب أوامر مدير الإستخبارات الباكستانية بدعوى ( أن ذلك يشغلها عن الجهاد !! ) . والحقيقة أن تحديد الغاية السياسية من القتال كانت حقاً أمريكياً خالصاً .

-- كثيراً ما نفذت المخابرات الباكستانية إلي عمق العمل القتالي وتدخلت في معارك ميدانية ، لضبط إيقاع الحرب ، وحفاظاً علي نتائجها ، ومنع المجاهدين من الوصول إلي وحدة حقيقية فيما بينهم ، أو حسم معارك كبري لصالحهم بمـا يعزز إستقلاليتهم وفرض رؤيتهم علي مصير بلادهم السياسي.

-- وكما إغتصبت الأردن ومصر أراض من فلسطين الـشقيقة فـى ظـروف الحرب فعلت باكستان الشئ نفسه مع أفغانستان الشقيقة، وإبتلعت الكثيـر مـن الأراضى التى مازالت بحوزتها حتى الآن.

كانت الجوانب السلبية علي المسرح الأفغاني واضحة تماماً لدي القيادات الإسـلامية الكبري ( الأخواني منها والسلفي )والتي واصلت الحشد المعنـوي للـشباب المـسلم وتسهيل وصوله إلي جبهات القتال في أفغانستان . ولم تكف عـن ذلـك إلا عنـدما حصلت أمريكا علي ما تريد من دماء المجاهدين العرب وتحقق لها إنسحاب الغـريم السوفيتي.

ولأكثر من عشر سنوات أخفت تلك القيادات الحقائق عن الأمـة الأسـلامية وعـن الشباب المجاهد . الذي لم يشرح له أحد الحقائق ، ولم يعط الفرصة كي يقرر بنفـسه على بصيرة، إن كان يقبل الجهاد في تلك الساحة بشروطها الحقيقية القائمة، أم لا .

لا شك أن القيادات الإسلامية الكبيرة تتحمل وزراً كبيراً في إهـدار دمـاء الـشباب وإزهاق أرواحهم بدون إختيار حقيقي من جانبهم . ويتحملون، تجاه الأمة الإسلامية، مسئولية الصدمة وفقدان الثقة بالأفغان بل وحتي فكرة الجهاد نفسها ، عندما إنـدلعت حرب أهلية مجنونة في كابل بين المنظمات ( الجهادية ) الفاسدة، عندما وصلت إلي الحكم هناك وقد كان قادة تلك المنظمات طبقاً للإعلام ( الإسلامى الملتزم) هـم مـن أولياء ا الصالحين وبقايا جيل الصحابة، رضوان ا عليهم.

## **4- حرب فلسطين 48م**

تعرض المجاهدون المسلمون للتصفية، فور إنتهاء الحرب.

صدرت الأوامرلقوات الجيش المصرى، فى الجبهات قبل وبعد وقف القتـال، بنـزع سلاح زملائهم، داخل نفس الوحدات، من مجاهدى الإخوان المسلمين.

ثم تسلمهم ( الأمن) المصرى الذى إعتقلهم فى سجون سيناء، حتى لا تطأ أرجلهـم أرض وادى النيل.

وقبلها صدر قرار بحل جماعة الإخوان المسلمين، وتم إعتقال الآلاف منهم، وأغلقـت جميع مقارهم فى القطر المصرى.

ثم أغتيل مؤسس الجماعة ومرشدها العام، الشيخ حسن البنا، فى أحد شوارع القاهرة، على يد رجال الملك، وبأوامر بريطانية صريحة، بعد توصية أمريكية إسرائيلية .

ثم إعتقلت الحكومة المصرية من تبقى من كوادر العسكرية للإخوان، بعد قيام (ثورة يوليو)، وحكم على بعضهم بالإعدام، وقتل أكثرهم تحـت التعـذيب فـي معـتقلات (الثورة). ولم ينج أحد من مجاهدي الإخوان المسلمين فى فلسطين، إلا أفراد قلائـل عاشوا مشردين خارج مصر باقى أعمارهم، لم يسمح لهم بـالعودة إلا فـى توابيـت للدفن، وبعد وساطة.

## .. في الحرب الأفغانية السوفيتية :

ـ ـ أغتيل الدكتور عبد ا عزام، الرمز والقائد والخطيب، فى أحد شوارع بيشاور، بأوامر أمريكية، ورغبة إسرائيلية، وإشراف باكستانى، وتواطؤ عدة جهات.

ـ ـ بعد تشكيل حكومة ( المجاهدين) فى كابول التى شرعت فوراً فى حرب أهليـة بين أطرافها، بدأت عملية تصفية العرب من باكستان، وإعتقل المئات منهم، وسـلموا إلى حكومات بلادنهم كى تجهز عليهم بمعرفتها، وطـورد الآلاف مـنهم فـى مـدن باكستان، وإعتصم العشرات منهم فى جبال أفغانستان.

وتمت متابعة وملاحقة الآلاف من العرب الذين شاركوا فى جهاد أفغانستان، فى شتى بلدان العالم، بتهمة الإرهاب .

تلك الحملة المستمرة دفعت العرب مرة أخرى نحو أفغانستان، عندما إسـتقر الأمـر لحكومة طالبان فى كابول، فعاد المجاهدون العرب إلى أفغانستان كآخر ملجأ آمن لهم على وجه الأرض.

حتى أدركتهم فى الأخير (العناية الأمريكية) وأجهزت عليهم بعدالتها المطلقة.

## 5- حرب فلسطين 1948م

أثرت تلك الحرب بعمق فيما تلاها من أحداث، فى الدول العربية ولعدة عقود وإلـى الآن، وذلك لعمق الصدمة التى حاقت بالشعوب و هول الواقع الذى إستيقظت عليـه فجأة، والهوان الذى شعرت به. فحدثت إنقلابات وثورات وتغيـرت أنظمـة حكـم، وتوالت الحروب التى ظهر الإسلام بعدها على الساحة العربية، مغيراً الكثيـر مـن موازين المعادلة، وإن ظلت القوة الإسلامية عاجزة عن حسم المعركة، مع أعدائها.

## .. فى الحرب الأفغانية السوفيتية:

غيرت تلك الحرب موازين العالم أجمع، وتمكنت البنادق الإسلامية من إسـقاط قـوة عظمي، ولكنها لم تتمكن من شق طريقها لتصبح كياناً ذا قيمة بين الدول. والعكـس تماماً هو الذى حدث،فالمعسكر الصليبي، الذي جني ثمار تلـك الحـرب، إسـتدار بسرعة لإزاحة القوة الإسلامية ، ليس فقط من أفغانستان ، أوالمنطقة العربية، بل على نطاق العالم أجمع. ثم واصل الهجوم الصليبي إندفاعته صوب الجـذور الإعتقاديـة للإسلام، واقتلاع القلة القليلة الباقية من المدارس الدينية التقليدية.

فبعد السيطرة على الأرض و الثروات الإسلامية، شرع الغرب جدياً فى تشكيل ديانة جديدة للمسلمين ، متوافقة تماماً مع رؤيته اللادينيـة، بحيـث لا تهـدد أطماعـة أو مصالحة أو سيطرتة المطلقة.

لقد كان طريق الأشواك ممتداً من فلسطِين إلى أفغانستان، قطعه الشباب المجاهد بكل إخلاص وتصميم، وإن كانت النتائج حتى الآن لا تبدو مشجعة، فإن الحيويـة التـى أظهرتها الشعوب الإسلامية، رغم غياب القيادات الصحيحة، لتؤكد أن الغـد الآتـى سيكون أفضل بإذن ا .

# ثلاث إجتياحات في 21 عاماً

## جدول مقارنات:

| العام | البلد | قوة الإحتلال | قوة مساندة محلية "أهل الشمال" | أهم مجازر الحرب | الزعيم المستهدف | التنظيمات المستهدفة | نتيجة الحرب |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| **1982 م** | **لبنان** | **إسرائيل** | **حزب الكتائب "أهل شمال لبنان"** | **المخيمات الفلسطينية في صبرا وشاتيلا** | **عرفات** | **منظمة التحرير** | **طرد عرفات إلي تونس وتوزعت المنظمة علي عدة دول لاحقًا حصل عرفات علي جائزة نوبل للسلام ثم عاد عرفات والمنظمه إلي إسرائيل في مشروع سلام!!** |
| **2001 م** | **أفغانستان** | **أمريكا** | **تحالف الشمال (أهل شمال افغانستان)** | **قلعه بانجي (مزارشريف) ومجزرة للعرب في (بانجواي بقندهار** | **بن لادن & الملا محمد عمر** | **القاعدة & طالبان** | **الزعيم مازال مطاردا في الجبال، والتنظيم ما بين قتيل ومطارد وأسير في قواعد للجيش الامريكي في (جوانتانامو) و (بجرام) شمال كابول وجزر بالمحيط الهندى، ويخضعون للتعذيب بشكل مستمر.** |
| **2003 م** | **العراق** | **أمريكا** | **الأحزاب الكردية (أهل شمال العراق)** | ***مجازر عاشوراء للشيعة 2004 * فضيحه سجن ابو غريب** | **صدام** | **حزب البعث** | **صدام في حوزة أمريكا (او تحت حمايتها) وحزب البعث يعود تدريجياً إلي مواقعه الحساسة القديمة** |

**مقارنة 3**

## عاصفة الطائرات : من "بيرل هاربور" إلي نيويورك

كما جاء معنا فى فقرة " وداعاً قندهار " فقد ورد الحديث عن ، " بيرل هاربور" كدليل على قدرة الولايات المتحدة على إمتصاص الضربات الكبيرة والرد عليها بقوة .

ولكن بعد وقوع عاصفة الطائرات فى الحادى عشر من سبتمبر من نفس العام 2001م ظهر بين عاصفة الطائرات " اليابانية " على " بيرل هاربور " (7ديسمبر 1941) وعاصفة الطائرات " العربية " على نيويورك ( 11 سبتمبر 2001 ) أوجه شبه عديدة وعميقة ، تكاد تقود إلي نتيجة تقول بأن العقلية المدبرة واحدة فى الحالتين ، رغم أكثر من نصف قرن يفصل بينهما . بالتأكيد فإن أسامة بن لادن لم يكن متواجداً في غرفة العمليات اليابانية، ولكنها القوى اليهودية التى كانت قوية داخل المجتمع الأمريكي ومتسللة فى ثنايا الكونجرس والإدارة حول الرئيس روزفلت ، قد توطنت واستفحلت حتى وصلت إلى مرتبة ( الحكومة نصف الخفية ) فى عهدي كلينتون ثم بوش الثاني ولنستعرض بإيجاز أوجه الشبه بين العمليتين .

**أولا: فى عاصفة بيرل هاربور**

لأسباب إستراتيجية وإقتصادية كانت الحكومة الأمريكية فى حاجة ماسة لدخول الحرب ضد اليابان. فالولايات المتحدة متخوفة من سيطرة اليابان على آسيا ، خاصة بعد إجتياحها للصين وإستيلائها على مستعمرات فرنسا فى الهند الصينية .

ولكن الشعب الأمريكي كان عازفاً عن الحروب . فبعد تجربة الحرب العالمية الأولى أدرك الأمريكيون خطأ تورط بلادهم فى تلك الحرب . ورجعوا إلي قناعتهم القديمة بأن السلام الأمريكي مرتبط بسياسة العزلة عن المشاكل الدولية ( خاصة الحروب الأوروبية ) . فعندما إشتعلت الحرب العالمية الثانية فى أوروبا كان الرأي العام الأمريكي يؤيد بريطانيا ولكنه يرفض دخول الحرب إلي جانبها . لذا كان روزفلت فى إنتخابات الرئاسة عام1940يعد الناس بألا يرسل أولادهم إلى الحرب ، وكان على يقين بأنه يكذب عليهم .

وصل الأمر حد أن الإدارة الأمريكية عجزت عن الرد عسكرياً على اليابان ، خشية شعبها الجانح إلى السلم ، عندما أغرقت اليابان زورقاً أمريكياً مسلحاً فى نهر "يانجتزتم".

**.. وفى عاصفة الطائرات العربية :**

***لأسباب عقائدية واستراتيجية وإقتصادية، كانت الولايات المتحدة فى حاجة إلي إحتلال أفغانستان***

***ضمن خطة كونية عظمى تستهدف الإسلام كديانة عالمية ، وتستهدف النفط كعماد للإقتصاد الدولى ، وتستهدف الأفيون كأكبر مصدرللعائدات المالية فى العالم . ومخطط كهذا يستدعى تورطاً عسكرياً طويل المدي وتكاليف إقتصادية قد تؤثر على مستوى حياة المواطن الأمريكى . وهو مواطن غارق فى الرفاهية وغير مستعد لدفع التكاليف الضرورية ، من دم ومال ، لمغامرة إمبراطورية مجنونة وغير مضمونة العواقب على المدى الطويل .***

***هذا العزوف الشعبى عن الحرب ، منع رد الفعل الأمريكى على تحدى كبير وإهانـة عسكرية مذلة حين دمر شباب اليمن المدمرة الأمريكية ( يـو إس إس كـول) فـى ميناء عدن عام 2000م.***

**<u>ثانياً : فى عاصفة ( بيرل هاربور ) اليابانية :</u>**

كان بوسع الولايات المتحدة التوصل إلى حل سياسى مع اليابان ، التى بـذلت جهـداً كبيراً من أجل ذلك . وكان إمبراطور اليابان ( هيروهيتو ) ورئـيس وزرائـه مـن إنصار التوصل إلى حل سياسى مع أمريكا .

ولكن الإستفزازات الأمريكية لليابان ، بل ومحاولة خنقها إقتصادياً دفع المتشددين من أمثال وزير الدفاع "توجوهيديكى" إلى تبنى نظرية ( حتمية الحرب ) مـع الولايـات المتحدة .

وكانت الحكومة الأمريكية قد بدأت منذ يوليو 1940 وقـف بيـع وقـود الطـائرات والشحومات إلى اليابان . ثم أدخلت الصلب والمواد المعدنية إلى قائمة الممنوعـات . ثم أوصلت الإقتصاد اليابانى إلى حافة الإختناق عندما حظرت عليها إستيراد البترول من أندونسيا . فلم تترك أى طريق آخر أمام اليابان سوى طريق الحرب .

***<u>.. فى عاصفة الطائرات العربية (2001م)</u>***

***لم يكن بن لادن فى حاجة لأن يدخل فى حرب باردة أو ساخنة مع الولايات المتحدة فقد كان منهمكاً منذ سنوات فى أعمال زراعية وإنشائية فى السودان قبل أن تقـرر أمريكا أن تجعله – بالقوة- أخطر رجل فى العالم . والذى يهدد أمن سته مليـارات من البشر يعيشون فى عالم هادئ آمن لا يعكره سوى بـن لادن رمـز ( الإرهـاب الإسلامى) .***

***وكان تنظيم القاعدة قد تفكك بالفعل ولم يتبقى مع بن لادن فى السودان سوى أقـل من خمسين شخصاً يعملون كموظفين فى مشاريعه المدنية***

***وبضغط أمريكى طردت السودان بن لادن ومن معه ونفتهم إلى مدينة جلال آباد فى أفغانستان ، كى يتوسع الضغط الأمريكى الخانق فيشمل حركة طالبان ونظام (الأمارة الإسلامية ) فى قندهار، ويوقع به حصاراً سياسياً وإقتصادياً لا يطاق .***

***ثم يقوم الإعلام الامريكى بعملية " جراحة تجميل معلوماتية " لطلاب العلوم الشرعية " طالبان " ، فيراهم العالم بصورة الشياطين وربما أسوأ .***

***شعر بن لادن أن الأمريكان يسعون إلى تدميره فى نهاية المطاف فلم يكن أمامه من حل آخر سوى" إعلان الجهاد على الأمريكان المحتلين للحرمين الشريفين "، على حد بيانه الأول الذى أعلن فيه الحرب على الولايات المتحدة .***

***أما قائد حركة طالبان ( أمير المؤمنين ) الملا محمد عمر فلم يجد فى أحكام الشريعة الإسلامية ، ولا فى أعراف القبائل الأفغانية ما يجيز له تسليم ضيفه ( أسـامه بـن لادن ) الذى جاهد ضد السوفييت جنباً إلى جنب مع المجاهدين الأفغان ، أن يـسلمه إلى ( دولة كافرة ) هى الولايات المتحدة . فقرر الحفاظ على ضيفه والـدفاع عنـه حتى ولو كانت النتيجة هى الحرب مع أقوى وأغنى دولة فى العـالم وعلـى مـر التاريخ .***

***( كان دخل المواطن الأفغانى وقتها – حسب الأمم المتحدة – هو 250 دولار فى العام وهو أقل كثيراً من مثيله فى أفقر دول أفريقيا !!) .***

## ثالثاً فى عاصفة " بيرل هاربور " اليابانية :

تمكنت المخابرات الأمريكية من حل رموز الشيفرة اليابانية .

وكانت المفاوضات دائرة بين الطرفين على الأرض الأمريكية بهدف الوصول إلى حل سياسى وعلمت أمريكا من البرقيات اليابانية المشفرة أن الحرب ستكون خيار اليابان إذا فشلت المفاوضات ، فواصلت تعنتها .

وأرسلت المخابرات الأمريكية تحذيرات متعددة باحتمال هجوم يابانى على بيرل هاربور وقد تم تجاهل هذه التحذيرات – وكان أحدها قد وصل إلى الرئيس روزفلت نفسه .

لم تتحرك القيادة الأمريكية لتقوية الدفاعات عن بيرل هاربور ، أو إتخاذ أى إجراء لحماية الأسطول أو دعم القوة الجوية فى " بيرل هاربور " من أجل التصدى لأى هجوم يابانى محتمل .

الإجراء الوحيد كان إخراج حاملات الطائرات الحديثه وإرسالها بعيداً عن الميناء فى مهمة لامعنى لها . وتركت باقى الأسطول ، وهى سفن قديمة ، أستخدمتها كطعم تستدرج به اليابان إلى فخ الحرب .

فى 7 ديسمبر 1941 هاجمت اليابان المنشآت الجوية الأمريكية فى جزر هاواى ثم شنت هجوماً جوياً مباغتاً على ميناء " بيرل هاربور " إستخدمت فيه 350طائرة قاذفة ضربت الميناء على موجتين . وكانت النتيجة :

- تدمير 347طائرة أمريكية .
- تحطيم 18 سفينة أمريكية ، ( منها ثمانى سفن حربية !! ).
- مقتل ( 2403 ) أمريكى ( ما يقارب ضحايا برجى التجارة فى نيويورك ) .
- جرح 1178 أمريكى .

كنوع من التغطية على تآمر النظام الأمريكى على جيشه وشعبه قدم عدداً من المسئولين العسكريين كقرابين واتهمهم بالتقصيرفعزل عدداً من كبار الضباط فى بيرل هاربور وهاواى .

رغم مرور أكثر من نصف قرن على الحادث فإن السلطات الأمريكية تمتنع عن كشف الوثائق السرية الخاصة بعملية "بيرل هاربور" بدعوى خطورتها على " الأمن القومى " . وحتى أعضاء الكونجرس يحظر عليهم الإطلاع على تلك الوثائق.

إنتهت الحرب بقصف أمريكى لليابان بالقنابل النووية .ومقتل أكثر من مئة ألف فى هيروشيما ، وأكثر من سبعين ألف فى نجازاكى.

## ***...وفى عاصفة الطائرات العربية ( 2001م) .***

***دلائل كثيرة تشير إلى معرفة جهات أمنية أمريكية بعملية " عاصفة الطائرات " قبل تنفيذها . وأن تحذيرات عديدة وصلت إلى المسئولين الأمريكين على أعلى مستوى ، وقد تم تجاهلها جميعاً.***

***بل الأدهى من ذلك دلائل على أن هذه العملية قد تم إفساح الطريق لمنفذيها وتسهيل إنجازهم لها .***

***الإجراء الوحيد الذى تم إتخاذه أمريكيا هو عدم ذهاب الموظفين اليهود يومها – وعددهم أربعة آلاف – إلى عملهم فى أبراج التجارة كما لم يذهب زملاؤهم اليهود***

***إلى أعمالهم فى البنتاجون الذى صدمته طائرة أخرى ، حـسب إدعـاء الـسلطات الأمريكية .***
***( ولعلنا هنا نتسائل عما إذا كانت حاملات الطائرات التى غادرت بيرل هاربور قبـل عاصفة الطائرات اليابانية كانت تحمل الجنود اليهود العاملين فى الأسطول والميناء ؟؟.. وأن الهدف كان إنقاذ اليهود وليس حاملات الطائرات ؟. )***
***لتغطية تآمر النظام الأمريكى على حياة مواطنية ، تم عزل عدد مـن مـسئولى الأمن والاستخبارات بتهمة التقصير وتكرر ذلك فى الحرب على العراق .***
***عدد من قتلتهم أمريكا فى حربها على أفغانستان ثم العراق تخطى بكثير عـدد من قتلتهم فى هيروشيما ونجازاكى . كما أن كمية الدمار أعظم وأخطر بما يتناسب مع ما حدث من تطور فى القوة التدميرية للسلاح الأمريكى .***
***ولكن الذى لم يتغير هى بصمات ذلك المجرم الذى صمم عمليـة الإسـتدراج ، ثـم الكمين ، ثم الإنتقام الإجرامى المبرمج ، فى كل من عاصفتى الطائرات على " بيرل هاربور " " ونيويورك ." ذلك المجرم الذى لا يعبأ بأرواح اليابانيين ، ولا المسلمين ، ولا حتى دماء مواطنيه الأمريكان الذين فقدوا عدة آلاف من الضحايا فى الحالتين .. وذنبهم الوحيد أنهم من حمير " الجوييم " الذين خلقهم ا لا لـشئ إلا لخدمـة شعبه المختار .***

## ***رابعاً:عاصفة " بيرل هاربور "***

أدت الضربة اليابانية للأسطول الأمريكى فى ميناء بيرل هاربور إلى إنهاء تردد الشعب الأمريكى إزاء الحرب . وحدث إجماع وطنى خلـف زعـيم الحـرب ورئيس الدولة "روزفلت ". وفى اليوم التالى للضربة صوت الكونجرس علـى قـرار إعلان الحرب على اليابان ، بإجماع الأصوات ( ماعدا صوت واحد ) .

روزفلت تمكن بذلك من أن يقحم بلاده فى الحرب العالمية الثانيـة مـن أوسـع الأبواب . دفع فيها الشعب ضريبة الدم ( عشرات الآلاف ) من أرواح شبابه ، مـع تكلفة مالية ( 321 مليار دولار ) أى عشرة أضعاف ما كلفته الحرب العالمية الأولى وتم تمويل الحرب من الضرائب والقروض من المؤسسات الماليـة ،اليهوديـة فـى معظمها.

الجانب اليابانى بدأ الحرب بقوة عسكرية معتبرة . وهاجم بيرل هاربور بأسطول بحرى يحمل قاذفات قنابل حديثه سحقت الأسطول الأمريكى وهو رابـض كالبطـة العرجاء فوق مياه بيرل هاربور.

ولكن فى نهاية الحرب عندما حطمت أمريكا الأسطول اليابانى والإقتصاد اليابـانى أضطر الطيارون الإنتحاريون ( الكاميكاز ) إلى الإرتطام بأنفسهم وطائراتهم بقطـع الأسطول الأمريكى ، وحسب مصادر أمريكية ، كان ذلك ضمن عوامل اتخاذ قـرار الضربات النووية الأمريكية ضد اليابان .

## ***... فى عاصفة الطائرات العربية***

***عاصفة الطائرات العربية على الأراضى الأمريكية أدت إلى ذات التأثير النفسى على الشعب الأمريكى بل وأكثر منه بأضعاف كثيرة . فالشعب المسالم المستمتع بالحيـاة العازف عن الحروب ، تحول إلى شعب وثنى يدق طبول الثأر والإنتقام من كل مـا هو عربى ومسلم .***

***والرئيس الأمريكى ( بوش ) تحول من رئيس ( بأمر المحكمة ) وليس بالإنتخابات ، ليصبح فى غمضة عين الأعلى شعبية من بين كل رؤساء أمريكا فى تاريخها . وكل مؤهلاته فى ذلك هو إعلان الحرب العالمية الثالثة ضد الإرهاب الإسلامي فى حـرب صليبية قد تمتد إلى مئة عام ( حسب قوله ) !! .***

***وجميع تجاوزات بوش فى حروبه الصليبيه الجديدة ، ضد حقوق الانـسان وضـد الديموقراطية وضد القانون الدولى ، بل وحتى ضد الدستور الأمريكى نفسه وعلى حساب حقوق مواطنيه . كل ذلك غفره له الشعب المتحضر بكـل طيـب خـاطر ، واندفع خلفه بكل طاقته فى طريق الحرب والإنتقام الصليبى .***

***على صعيد ضريبة الدم والمال فإن الخسائر الأمريكية فى الأرواح كانـت ومـا زالت متدنيه للغاية . بسبب المناعة المكتسبه مـن التفـوق التكنولـوجى الـضخم والقدرة على تدمير الخصم وإبادته بدقة متناهية من على بعـد كبيـر أو مـسافات مأمونة للغاية بالنسبة للجنود .***

***وهى مشكلة تكتيكية قد يتوصل المقاومون ( المسلمون ) إلى حلول لها فـى وقـت ليس ببعيد .***

***أما التكلفة المالية فكانت 20مليار دولار كتكلفه أوليه للحـرب ( علـى أفغانـستان والعراق ) ثم إعتمادات إضافية مقدارها 87 مليار آخرى ، وحـرب فـى العـراق تتكلف4 مليار دولار كل شهر .***

***وهى تكاليف عالية جداً لنفس أسباب " المناعة العـسكرية المكتـسبة أى التفـوق التكنولوجى باهظ التكاليف .***

***لذا فإن عجز الميزانية الأمريكية بعد حرب أفغانستان بلغ 500 مليار دولار وهـو الأضخم فى العالم .***

***والدين العام الأمريكى (( الذى لم يعد أحد يتحدث عنه داخل الولايـات المتحـدة )) تجاوز الثلاثين تريليون دولار – وهو الأكبر والأعوص فى التاريخ بل يمكن التجاسر بالقول أنه مستحيل السداد !! . وذلك هو السر أعظم وقدس الأقداس فى الـسياسة الأمريكية التى ، ببساطة ، أشتراها اليهود مقابل الدين الأمريكى العـام . أو الـدين مستحيل السداد .***

***وتلك هى نتيجة الحروب الأمريكية وسباق التسلح وبرامج الفضاء التى ورط فيهـا اليهود الدولة الأمريكية فأغرقوها فى بحار من الديون حتى أصبحت أقوى دولة فى العالم والتاريخ مرتهنه إلى الأبد فى أيدى حفنة من المرابين اليهود .***

نعود إلى عاصفة الطائرات العربية فنقول أنها بدأت من حيث أنتهى (الكاميكاز) اليابانيون – أى العمليات الإنتحارية ( جو – أرض ) بواسطة الطائرات . الفارق هو أن العاصفة العربية تمت بطائرات مسروقة (!! ) أو مختطفة .

الدافع لذلك كان ضياع أى إمكانية للتوازن العسكرى مع الخصم . واستحالة الوصول معه إلى حل سلمى أو تسوية ما . فلم يترك ذلك الخصم سوى طريق الحرب حتـى الموت. أو كما عبر رامسفيلد وزير الدفاع الأمريكى مرات عديـدة فـى مناسـبات مختلفة : الاستسلام بلا شرط أو القتل .

تلك هى الخيارات التى تركها لخصومه المسلمين .

لذا قرر المسلمون منذ البداية أن خيارهم المفضل هو المـوت ومازالـت " العمليـة الإستشهادية "هى الأمنية والغاية ، وأحياناً الخيار الأوحد ، لدى شباب المجاهدين .

بقى أن نقول أن السابع من ديسمبر أصبح يوماً لا يمحى من ذاكرة التاريخ الأمريكى واليابانى ثم الأفغانى .
- فهو اليوم الذى سقطت فيه اليابان فى كمين بيرل هاربور الذى نصبته لها الولايات المتحدة كى تعلن عليها الحرب التى إنتهت بكارثة نووية لم تندمل حتى الآن .
- وأفغانياً فإن السابع من ديسمبر هو اليوم الذى سقطت فيه قندهارمقر ( أمير المؤمنين ) فى يد القوات الأمريكية وحلفائها فتحول ذلك اليوم ، وبقرار إمريكى إلى عيد قومى لأفغانستان .
- ومؤخراً ، في السابع من ديسمبر ، نزلت القوات الأمريكية والأطلنطية إلى شوارع كابول وأعلنت حظر التجول فيها نهاراً ، حتى يتمكن الرئيس الأمريكى الأفغانى ( كرزاى ) من أداء (اليمين الدستورية) كرئيس " منتخب " لأحدث ديموقراطية فى العالم . حسب التوصيف الأمريكى !! .
فى نفس الوقت كانت آلة الحرب الأمريكية تسحق عدة مدن فى العراق كى (( تفتح الطريق أمام نظام ديموقراطى جديد فى البلاد )) .
وبالتزامن يقوم الجيش الإسرائيلى المتفوق بسحق " أوكار الإرهابين " فى الضفة وغزة مطالباً الفلسطينيين بالمزيد من الديموقراطية فى إدارة أمورهم .
فمن ينقذ المسلمين من ... الديموقراطية ؟؟ !! .

## مقارنة 4 **فرعون وبنى إسرائيل – بوش وعرب أفغانستان**

هناك مقارنات آخرى لم نشأ ذكرها تجنباً للأطالة وذلك على غرار مقارنة ما حدث فى الحملة الأمريكية على عرب أفغانستان مع حملة فرعون على موسى وبنى إسرائيل . فقد قيل ما يلى :

1- أن سبب فشل حملة فرعون على نبى ا موسى وقومه من بنى إسرائيل هو أن فرعون لم يستعن بالمخابرات الباكستانية .

1- وقول آخر بأن سبب نجاة بنى إسرائيل عند فرارهم إلى سيناء هو عدم وجود (دولة إسلامية ) فى سيناء حتى تقوم بإعتقالهم وتسليمهم مرة آخرى إلى السلطات الفرعونية .

3- أخطأ فرعون فى عدم تحريك المعارضه الداخلية من أهل الشمال فى بنى إسرائيل وتكوين(جبهة إنقاذ أو تحرير ) للإطاحة بالدعوة الجديدة التى جاء بها نبى ا موسى وأخاه هارون .

4- كان فرعون أغبي من أن يفكر فى إنشاء ( تحالف دولى ) لمكافحة(الإرهاب الموسوى) .

5- أفتقد فرعون بالتالى وجود( منظمة دولية) تمنحه الشرعية فى مقابل ( الشرعية السماوية) التى أتى بها موسى .

كما أفتقد مؤسسات إقليمية تدعمه مثل ( جامعة الدول ال.. ) و(منظمة المؤتمر ال..) و( الإتحاد ال.. ) و ( حلف شمال ال.. ) الخ ..

6 – غامر فرعون بإستخدام قواته البرية ولم يستخدم ( جنود المستعمرات ) من الحلفاء والعملاء المحليين . ولم يعتمد على سلاحه الجوى وطائرات الأباتشى التى لم تكن موجودة اصلا .

7- لم تتوافر لدى فرعون تكنولوجيا متطورة أو تكنولوجيا الفضاء أو أجهزة الأنذار المبكر . لذا يمكنه تقديم الاعتذار الكافى لعدم تمكنه من تفادى إطباق مياه البحر عليه وعلى جيشه .

8- لم يستخدم الفرعون سلاح " الدولار الفرعونى " بنفس المهارة التى إستخدم بها " جورج بوش " سلاح " الدولار الأمريكى " فى مجال شراء ذمم الأفراد والجماعات والحكومات واستئجار جيوش ( الحلفاء ) .

9- المجتمع الفرعونى كان مجتمعاً " ذكورياً " متخلفاً وغير ديمقراطى . لذا لم يسمح للمرأة الفرعونية بمشاركة غريمها الرجل فى مجال تعذيب المعتقليين وإنتهاكهم جنسياً، كما فعلت أختها الأمريكية التى مارست تلك الأعمال ضد" الإرهابيين العرب " بينما هى ترتدى ملابس رسمية عسكرية ، أو مجرد ملابس داخلية فاضحة.

10- إتبع فرعون سياسة فاشلة تمثلت فى شعاره " نقتل أبناءهم ونستحى نساءهم " فأتاح فرصة لبقاء بعض بنى إسرائيل الذين أورثهم ا بعد ذلك مشارق الأرض ومغاربها . ولكن جورج بوش كان أكثر حزماً حين أباد الحرث والنسل ، فلم يبق على رجل أو أمرأة أو طفل . مستخدماً فى ذلك طائراته أحيانا وقوات الحلفاء أحيانا أخرى ثم فرق الإغتيالات الرسمية أو الخاصة فى أحيان كثيرة فقتلوا أسراً بأكملها بعد إعتقال رجالها.

11- لم ينتبه فرعون إلى أهمية الحصول على عينات الحامض النووى لرجال بنى إسرائيل ، حتى يتابع مطاردة ذرياتهم إلى يوم الدين وهو مالم يغب عن " جورج بوش " الذى بات مطمئناً إلى أن بلاده لن تترك الفرصة مطلقاً لهؤلاء الإرهابيين كى يورثهم ا الأرض( جزاء بما صبروا وكانوا يتقون).

12- وفى الأخير فإن الخطأ الأكبر الذى إرتكبه فرعون كان عدم استشارته للرئيس الأمريكى وفريق أمنه القومى قبل الشروع فى حملته على بنى إسرائيل . لكن هل كان يقبل جورج بوش ذلك ؟؟

لا شك أنه سيقبل بقتل موسى ومن آمن معه . أما الذين كفروا بما جاء به موسى وعبدوا عجلاً من ذهب فإنه سيحتفظ بهم ، بل ويباركهم مانحاً إياهم حكماً ديموقراطياً وصناديق إنتخاب شفافة اللون.

**مقارنة 5**

## أفغانستان – العراق:
## تشابه ومقارنة بين الحربين

### أولا.. دوافع الحرب

بين الحربين التى شنتهما الولايات المتحدة على كل من أفغانستان ثم العراق أوجه تشابه جوهرية. وذلك فى الأساس لأن العقلية اليهودية واحدة وهى التى خططت للحربين، والأيدى المنفذة واحدة وهى القوة الأمريكية.

ثم هناك إختلافات منبعها تنوع فى خصوصية البلدين أفغانستان ثم العراق.

من أهم أوجه التشابه بين الحربين هو أن كليهما كان مقرراً سلفاً وتبحث فقط عن ذرائع تبررها.

أى أن الولايات المتحدة إفتعلت أحداثاً وكذبت ودلست حتى تتذرع بشن هاتين الحربين.

كان ذلك أشد وضوحاً فى حالة العراق التى إنكشفت فيها الحكومتين الأمريكية والبريطانية، وهما تزوران وثائق لتبرير الحرب، بإدعاء قدرات تسليحية لا تمتلكها العراق أصلاً، ثم الصراخ بأن ذلك يهدد الأمن القومى لكليهما.

ولكن الزيف والإفتعال كان أقل وضوحاً فى الحالة الأفغانية رغم أنه أكثر خطورة لأنه أعطى مبرراً لهدف أوسع وهو حرب أمريكية على مستوى العالم ضد ما أسمته "بالإرهاب" – الإسلامى بالطبع –فتم التعتيم إعلامياً على حقيقة عِلْم أجهزة الأمن فى إسرائيل والولايات المتحدة بعملية (عاصفة الطائرات) قبل وقوعها بفترة كافية، وأن أربعة آلاف إسرائيلى لم يذهبوا إلى مقار عملهم فى برجى التجارة اللذان تحطما بالطائرات فى ذلك اليوم.

وقرائن كثيرة على "تسهيل" عملية خطف الطائرات الأربع بواسطة (المجاهدين) العرب، وهو ما يصعب حدوثه حتى فى دول أفريقيا الوسطى.

وأن الموظفين اليهود فى البنتاجون لم يذهبوا إلى مقر عملهم فى ذلك اليوم أيضاً. لذا لم يصيب يهودى واحد فى "عاصفة الطائرات".

أكثر من ذلك، يستنتج خبراء فى السياسة الأمريكية أن "عملية عاصفة الطائرات" هى من تدبير أمريكى، وأن القاعدة إستدرجت لتنفيذ تلك العملية، بعد تسريب الفكرة إليها، وتسهيل كل العقبات الأمنية أمام عناصر القاعدة لتنفيذ تلك العملية الكبيرة والمعقدة.. وبدون أى عرقلة!!.

[وذلك طبقاً للأسلوب الأمريكى الشهير المكون من ست خطوات هى:

1-الغواية. 2- الإستدراج. 3- الخطيئة. 4- التشهير. 5- العقاب.

6- جمع الجوائز والإتاوات.

( أشارمحمد حسنين هيكل فى كتاباته إلى إتباع أمريكا أسلوب تصنيع الخطر ثم عرض نفسها كحامى منه . كما أشار لأسلوبها فى غواية الضحية لإرتكاب الخطيئة ، تمهيداً لعقابه).

فهم يبدأون بغواية الضحية، ثم إستدراجه وتسهيل إرتكابه للجريمة، وبعد وقوع الضحية فى الخطيئة، يقومون بتسليط الأضواء عليه والتشنيع الهستيرى بفعلته، ثم

عقابه. يستوى فى ذلك قائد العلمانية الوطنية، صدام حسين فى العراق، أو قائد السلفية الجهادية، أسامة بن لادن فى أفغانستان. ثم تأتى خطوة جمع الجوائز والإتاوات.. فيتم تجريد المغفل مما حاز عليه من خطيئتة، ثم يدفع جيرانه ثمن حفظ إستقرارهم، ويدفع العالم إتاوات حفظ السلام الدولى لشرطى العالم اليقظ".

- يقول هؤلاء أن عملية رهيبة بهذا الشكل كانت ضرورية لإشعار المواطن الأمريكى أنه مهدد فى أمنه من جانب قوة "شريرة وإرهابية" والأخطر من كل ذلك- فى ذهن المواطن الأمريكى – أن تلك القوة إسلامية!!

وذلك الشعور بالخطر المتمثل فى قوة معادية دينياً وثقافياً وتاريخياً فى ذهن المواطن الأمريكى هى الوسيلة الوحيدة لضمان تأييد داخلى شعبى لأجراءات عسكرية كبيرة ذات صفة إستعمارية تقوم بها الحكومة الأمريكية في مناطق بعيدة من العالم، تستدعى بالضرورة تضحيات بالدم والمال يقدمها المواطن الأمريكى.

ومن أوضح وأقوى التعبيرات التى وردت فى دراسات لشخصيات أمريكية بارزة فى مجال الأمن والإستراتيجية هو ما جاء فى كتاب صدر عام 1997م، لبريجنسكى، من أمثال قوله:

[ إن أمريكا بلد ديمقراطى جداً فى الداخل إلى درجة لا يمكنه أن يكون أوتوقراطياً فى الخارج، وهذا يحد من إستعمال قوة أمريكا، وخاصة قدرتها من أجل التهويل العسكرى.. وفى موضع آخر يقول عن بلادة.

- [ أن الشعب الأمريكى ساند دخول أمريكا الحرب العالمية الثانية بشكل واسع بسبب تأثير صدمة الهجوم اليابانى على ميناء بيرل هاربور]

[قد تجد من الصعوبة إلى حد أكبر أن تشكل إجماعاً على قضايا السياسة الخارجية، **إلا فى ظروف تهديد خارجى مباشر كبير حقيقة ويدركه العامة بشكل واسع**].

**ثم فى موضع آخر يقول:**(1)

[قد يجد المجتمع الأمريكى أنه من الصعب إلى حد أكبر بكثير أن يتوصل إلى إتفاق بشأن السياسات الخارجية، التى لا يمكن ربطها مباشرة **بإعتقادات جوهرية وعواطفية ثقافية – عريقة مشتركة إلى حد واسع،** والتى ماتزال تتطلب إنخراطاً إمبريالياً مستمراً ومكلفاً فى بعض الأحيان]

---

**(1)بريجنسكى: كان مستشاراً للأمن القومى لدى الرئيس الأمريكى رونالد ريجان ( 1980-1988م) الكاتب هو: رقعة الشطرنج العظمى: التفوق الأمريكى وضروراته الجيوستراتيجية منتشورات علاء الدين – سورية دمشق – الطبعة الأولى عام 2001م. ص44، ص235، ص33.**

---

- إذاً (فعاصفة الطائرات) فى سبتمر 2001م أخذت موقع ضرب بيرل هاربور فى خلق تحرك شعبى عارم يؤيد بل يطالب الحكومة الأمريكية بدخول "حرب عالمية ثالثة .. ضد الإرهاب ( الإسلام ).. وهذا ما كانت تنتظره وتعمل له.

وما أدق وصف (التهويل العسكرى ) الوارد على لسان مستشار الأمن القومى ، وهو يستحق العودة التفصلية إليه فى موضع لاحق، لأنه أدق ما يمكن أن نصف به ما حدث فى أفغانستان والعراق . فما حدث وشاهد العالم جزء منه بالصورة ، ليست معارك عسكرية بأى حال ، بل مجرد" تهويل عسكرى " – نرجو أن نشرح ذلك فيما بعد بشئ من التفصيل .

ثم لنتأمل ونفكر فى العبارات ، فهى كأنما تصف عمليات الحادى عشرمن سبتمبر فى تأثيرها على نفسيات الجمهور الأمريكى من ناحية الأمن ، ومن ناحية المعتقدات والثقافة ، لأن الهوية الإسلامية لمرتكبى عمليات " عاصفة الطائرات " كانت تحديا وإستفزازاً للمشاعر الصليبية لدى الشعب الأمريكى. وهى خير دافع ومحفز لروح التضامن الشعبى مع الإدارة الأمريكية فى مشروعها الإمبريالى الدولى الموجه أساساً صوب الإسلام، على الأطراف وفى صميم القلب، من أندونيسيا والفلبين، عبوراً بأفغانستان وباكستان، وصولاً الى العراق وفلسطين.

إذن ماحدث فى 11سبتمبر 2001م، كان ببساطة مؤامرة حاكتها الإدارة الأمريكية على شعبها لأجل إستدراجه لتأييد مشروعها الإمبريالى "وتهويلاتها العسكرية" التى تغير بها الحقائق السياسية فى العالم. والأعجب أنها إستدرجت وسهلت العمل لمنظمة "إرهابية دولية" كي تدمر منشآت وتقتل مواطنين، مفروض على تلك الحكومة أن تحميهم. هذا ما حدث لتبرير "الحرب العالمية على الإرهاب (الإسلام) " والتى بدأت بالحرب على أفغانستان.

وهو أمرأشد فظاعة مما قامت به نفس الحكومة (الأمريكية) مع حليفتها (ذيلها) بريطانيا، من تزوير "معلومات إستخبارية موثقة" عن إمتلاك العراق لقدرات أسلحة دمار شامل، عجز الجيشان عن العثور على شيئ منها وبعد أن أعياهم البحث عنها لعدة أشهر بعد إحتلال – وتدمير – العراق، كان لابد أن تنفجر الفضيحة.

ولأن أفغانستان "لابواكى لها"، فقد تناسى العالم أن من أسباب شن الحرب الأمريكية عليها كان نفس "المعلومات الإستخبارية" إياها، بأن القاعدة تقوم هناك بإنتاج تلك الأسلحة.

ونفس ماحدث فى العراق بعد ذلك، وبعد القتل والتدمير، ثم البحث والتفتيش ثم التدقيق، لم يجد الجيش الأمريكى أى أثر لتلك الأسلحة، فيصرح وزير الدفاع (رامسفيلد) – الذى لم يجرب يوماً فضيلة الصدق- ويقول بأن قواته لم تجد أثراً لأسلحة الدمار الشامل، ولكنها إكتشفت (نوايا) لإمتلاك تلك الأسلحة.

ولا يدرى أحد كيف أكتشف رامسفيلد (النوايا) وهى شيئ غير مادى، وهو الذى عجز إكتشاف ماديات ملموسة، وخطيرة كأسلحة الدمار الشامل!!.

- وكما كانت "تهمة" حيازة أسلحة دمار شامل، تهمة جامعة بين أفغانستان ثم العراق لتبرير الحرب. نذكر بأن تهمة "الإرهاب" كانت أيضاً تهمة مشتركة، فالقاعدة ضبطت متلبسة بالجريمة التى أعدتها لها الحكومة الأمريكية وسهلت لها القيام بها بأيسر وأتم صورة.

والنظام العراقى إتهمته أمريكا بدعم الإرهاب- متمثلاً فى دعم تنظيم القاعدة، وإيوائه، ومحاوله تسهيل حصوله على أسلحة دمار شامل.

لم يشمل الإتهام بالإرهاب جرائم النظام الحقيقية ضد شعبه وممارسة إرهاب الدولة فى أبشع صورة ضد مواطنيه، وهى عمليات إستمرت أكثر من ثلاثة عقود تحت سمع وبصر بل وتوجيه- الولايات المتحدة".

وإذا كان صدام حسين قد مارس إرهاب الدولة بعيون مفتوحة وإتفاق واضح مع الولايات المتحدة- فإن القاعدة مارست "إرهاب التنظيم الدولى" بعيون مغلقة، وبإستدراج أمريكى كامل.

وفى الحالتين كانت الولايات المتحدة هى مصدر الإرهاب وصانعه وراسم حدودة ومداه وكيفيته، ثم.. المستفيد الأول – والأوحد – من نتائجه.

**ثانياً – نتائج دينية للحرب**

الحرب في أساسها دينية، ولكن عندما وصفها الرئيس بوش بأنها حرب صليبية غضب العرب والمسلمون!!.. رغم أن وضوح حوافز الحرب هو فى صالح الضحية. ولكن عندما تتسمم العقول بالكذب، فإنها تستقبح الصدق.

والواقع أن الحرب الصليبية (1095-1291م) لم تتوقف ليوم واحد منذ نشوبها وحتى اليوم. ولكنها مرت بأطوار وأشكال شتى، وأصبحت أكثر دهاء وفعالية، بواقع الخبرات المتراكمة وتطور القدرات لدى الغرب، بشكل غير مسبوق فى التاريخ.

إن اليهود يقيمون دولتهم (إسرائيل الكبرى) بواسطة جيوش الصليبيين من الأنجلوسكسون البروتوستانت، فالجيش البريطانى إحتل فلسطين ثم وضعها تحت الإنتداب عام 1918م، ولمدة ثلاثين عاماً أعد المسرح الفلسطينى تماماً للمشهد اليهودى،ثم إنسحب وسلمها لهم فى مايو 1948م، فاعلن اليهود "إستقلالهم" بعد مسرحية عسكرية متفق عليها مع العرب، أدارها وأخرجها البريطانيون.

وفى الوقت الراهن يكرر الجيش الأمريكي (الأنجلوسكسونى والبرتوستانتى) نفس الدور البريطانى القديم، فيوسع الإمبراطورية اليهودية حتى الفرات، ولن ينسحب الأمريكان حتى يتم تجهيز المسرح العراقى ليتقبل الحكم اليهودى المباشر.. بينما "النيل" يتجهز لعلامات الحدود اليهودية لإسرائيل الكبرى فى جانبها الغربى.

ولن يبكى ملوك السعودية على شمال الحجاز الذى يمثل الحزام الجنوبى لإسرائيل الكبرى، إذا بقت حقول النفط تحت أيديهم، وكرسى المملكة تحت مقعدتهم.

والجيوش الأمريكية ضامنه لتنفيذ تلك الحدود. ولن تغادر المنطقة – إذا غادرتها أصلاً- إلا بعد الإطمئنان على إستقرار اليهود وإستكمال حدودهم التوراتية.

وإسرائيل الكبرى حسب الأدبيات اليهودية، ستحكم العالم كله من عاصمتها القدس، بواسطة ملك من نسل داود، هو مسيحهم الحقيقى المنتظر.

- وإذا كانت إسرائيل الكبرى بحدودها التوراتية تمتد من النيل إلى الفرات وتلك الإمبراطورية بدأت فى التكوين، وتزحف نحوحدودها القصوى بواسطة جيوش الصليبيين البروتستانت، فإن تأمين هذه الإمبراطورية التى لا يقوى اليهود لا على إنشائها ولا على المحافظة عليها – بغير الإدعاء والتبجح فقط – فإن على الصليبيين واجب التأمين العسكرى لهذه الإمبراطورية المفتعلة – والتى قامت على نصوص توارتية. تقابلها نصوص إسلامية تقول أن تحطيم هذه الدولة سيكون على أيدى جيوش تزحف من خراسان واليمن – تبايع المهدى المنتظر فى الكعبة . وتزحف معه، لإقتلاع اليهود فى فلسطين،وتقيم مركز لدولة إسلامية عالمية فى العراق.ولليمن حديث آخر ـ ولكن خراسان التاريخية تمتد من إيران لتشمل أفغانستان – ومعظم آسيا الوسطى الحالية.وأفغانستان هى قلب هذه المنطقة كلها ومفتاح السيطرة عليها.

ولذا بدأت بها الجيوش الصليبية لأمريكا وبريطانيا. ومنها تخترق وتحاصر باقى خراسان التاريخية، وفق برنامج للسيطرة الدائمة.

- وبينما يعمل اليهود على تطبيق النصوص التوراتية والتلمودية حرفياً على أرض الواقع، وبالقوى غير العادية التى وقعت فى أيديهم فى هذا العصر. نراهم أيضاً يعملون فى نفس الوقت على إحباط إمكانية تنفيذ المسلمين لما لديهم من نصوص

دينية، خاصة لتلك المرتبطة بتهديم البنيان اليهودى العالمى القائم على الظلم والعدوان.
فهم يتتبعون آثار (المهدى المنتظر) فيزرعونها بالألغام حتى يوقفوا مسيرته القادمة، وهكذا يفعلون فى دائرة نشاط المهدى وإنبعاث حركته. من خراسان إلى اليمن إلى الحجاز والعراق .. وقبل كل ذلك أرض فلسطين، موضع المعركة الفاصلة التى لن تقوم لهم بعدها قائمة.

- والإنسياج اليهودى إلى أفغانستان ثم إلى العراق بعد إحتلال البلادين كان واضحاً. ولكن أضواء الإعلام على العراق كانت أشد، بينما ظلت أفغانستان فى إظلام إعلامى لأهداف يهودية بحته، فالمخطط هناك أكثر دموية وإجراما وبعداً عن الأخلاق.

ولليهود فى أفغانستان تواجد بشرى ضئيل للغاية،جذوره التاريخية فى حاجة إلى تدقيق أكثر – والغالب أن قطاعاً من يهود إيران قد فروا إلى أفغانستان أثناء حكم الدولة الصفوية ( 1502ـ 1736م) التى عاملت اليهود بخشونة.
تلك الأسر اليهودية وعلى ذلك المدى الزمنى الطويل نسبياً، وجدت ملاذاً بين القبائل، ومع الوقت ظهرت كأنها تنتمى إليها بعد أن أظهرت الإسلام – وقد حدث مثل ذلك فى أماكن إسلامية كثيرة منها منطقة (نجد ) في الجزيرة العربية_ وتمكن أحدهم على الأقل من الوصول إلى رئاسة الوزراء (ويدعى حسن شرق). كما إشتهر عن قادة أحد المنظمات الجهادية الأصولية التى قاتلت ضد السوفييت فى ثمانينات القرن العشرين ثم قاتلت ضد بعضها البعض فى التسعينات منه، أن ذلك القائد كان فى مجالسه الخاصة جداً يتهم منافساً أصولياً آخر بأنه من أصول يهودية تسترت بين قبائل الأفغان.
وبعد الإنسحاب السوفيتى من تلك البلاد أشاعت إسرائيل أن قبائل البشتون، هى مثل قبائل الفلاشا الحبشية، تنتمى إلى بنى إسرائيل، وأنهم قد يمنحون الجنسية الإسرائيلية.
وأثناء القتال بين طالبان والتحالف الشمالى تقربت إسرائيل إلى درجة ما من ذلك التحالف، وزودته (بمعونات إنسانسية)عندما ضرب زلزال مدمر مناطق شمالية فى محافظة بدخشان، وتم الإعلان عن ذلك، بما سبب شئ من الحرج (للشماليين).
النظام الذى فرضه الإحتلال الأمريكى على أفغانستان، لم يخف نواياه الحسنة تجاه إسرائيل وإحتمال إقامة علاقات معها، ولكن الواقع هو أن ما هو أكثر من العلاقات قائم حالياً.. ولكن فى غياب الأضواء الإعلامية .. إلى أن يكتمل البناء اليهودى فى أفغانستان ويصبح أمراً واقعاً، يصعب إقتلاعه بدون جراحة مؤلمة.
الهجمة الصليبية على أفغانستان إتضحت منذ تشكيل أول حكومة لها فى ظل الإحتلال الأمريكى. عدد كبير من الوزراء العاملين ورجال الصف الثانى هم من حاملى الجنسية المزدوجة، أفغانية وغربية (أمريكى- أوروبى – كندى – أسترالى).
والمبشرين الذين إعتقلتهم حركة طالبان فى أواخر أيامها، وخلصهم الأمريكان بعملية عسكرية ( مصطنعة كالعادة) ، هؤلاء عادوا فى موكب تحت حراسة الدبابات والطائرات الأمريكية إلى كابول، فقد تمددت أفغانستان أمامهم جريحة فاقدة الوعى.
وفى الموكب هؤلاء الذين إرتدوا عن الإسلام إلى المسيحية، وقت هجرتهم فى ثمانينات وتسعينات القرن الماضى فى دول الغرب أو فى جمهورية باكستان الإسلامية، التى رعت وشجعت التنصير فى معسكرات المهاجرين الأفغان، بل وفى

القرى والمدن الباكستانية نفسها!!.. عدد هؤلاء المرتدين يقدره البعض ما بين عدة مئات إلى عدة آلاف العديد منهم يحمل شهادات عالية.

(( لم يكن فى أفغانستان قبل الغزو السوفييتى نصرانى واحد!!))…. وكل هؤلاء مازال يحمل إسمه الأفغانى القديم، ليكون التعرف إلى حقيقتهم أكثر صعوبة، إلى أن يعاد "تأهيل" المجتمع الأفغانى و"عولمته" !! ليصبح أكثر تسامحاً مع الإغتصاب الدينى والسياسى والإقتصادى، أسوة بمعظم المجتمعات العربية والإسلامية.

- أما فى أعقاب حرب العراق فإن الجزء الذى ظهر من تحركات إسرائيل هناك يثير الذعر. فبصعوبه بالغة سيطرت هذه على فرحتها الطاغية.

وكاد "الموساد" الرهيب أن يتحرك فى مواكب إعلامية فى العراق من شماله إلى جنوبه .. يستأجر المقرات وينشئ المعاهد.. ويعقد الصلات.

وأول حاكم لعراق ما بعد الحرب، خرج أسمه من الدوائر الأمريكية فى واشنطن كان "ديفد _ فؤاد _ اليعازر" الجنرال الإسرائيلى الشهير والعراقى المولد!!.

من أجل وضع الدستور العراقى الجديد رشح الأمريكان شخصية يهودية شهيرة لديهم.

وهكذا لا يذكر العراق – أمريكياً – إلا كان مرفقاً باليهود..

وفى أول زيارة لرئيس الوزراء الإسرائيلى إلى البيت الأبيض بعد سقوط العراق، قدم له جورج بوش خريطة لإسرائيل الكبرى بحدودها التوراتية!!.

والإشارة واضحة ولاتحتاج إلى المزيد.. إنه يقول بفصيح العبارة: نحن فى العراق كى تحقق جيوشنا نبؤة التوراة بدولة لكم من النيل إلى الفرات.. فقط لا غير، وكل ما سوف يحدث فى المنطقة من كوارث هى نتيجة لتلك المقدمة ليس إلا..

- وكما دخل المرتدون الأفغان، وقساوسة التبشير إلى كابول تحت المظلة الجوية الأمريكية وفى حماية دباباتها.. شهدت بغداد عودة مشابهة بعنوان آخر وهو عودة "المعارضة العراقية فى الخارج" .. والمعنى أساساً تلك الفئة من محترفى "المعارضة السياسية" فى دول الغرب، لا يبتغون بها من أجر سوى الدولارات الأمريكية والبريق الإعلامى.

محترفو السياسة هؤلاء من راقصى "العولمة".. يعلمون أو لا يعلمون، أن الجيش الأمريكى تخطى بالعراق محطة العولمة، وهبط بها إلى المحطة التالية لها مباشرة، والتى مازال العالم فى الطريق إليها، ولكن العراق سبق..

تلك هى محطة التهويد.. الإلحاق بدولة إسرائيل الكبرى، قائدة النظام الدولى القادم فى مرحلة مابعد القطب الأوحد.. أى مرحلة السيادة اليهودية المباشرة والمطلقة على كل الكون..

تلك هى رؤية اليهودية القديمة.. ولأجلها تكافح المسيحية الأصولية التى تحكم أمريكا وبريطانيا .

# شارك حوالى 2000 عسكري يهودي ضمن القوات الأمريكية التى دخلت بغداد.

وقد تم تضبيط ذلك الدخول بحيث يتوافق مع موعد عيد يهودي يصنعون فيه فطيراً معجوناً بدماء غير اليهود "**هل صنعوا فى ذلك العام فطيراً بدم العراقيين؟**".

وقد أمرهم الحاخامات بتلاوة تلك الصلاة عند دخول مدينة بابل"مبارك انت ربنا ملك العالم لأنك دمرت بابل المجرمة".

**( سكوت ماكونيل محرر مجلة " المحافظ الجديد " الأمريكية كتب عن قناعات إدارة جورج بوش حول ضرورة كسب الحرب على العراق بأي ثمن . وضرورة تحويل الشرق الأوسط إلى منطقة ديموقراطية وإلا حل الدمار الماحق فى كل من أمريكا وإسرائيل . وأن أصواتاً تتردد عبر الفضائيات والإذاعات الأمريكية تقول:**

**إن كان العرب يرفضون الديموقراطية فلا سبيل لنا سوى إبادتهم بالأسلحة النووية لكون ذلك هو الخيار الوحيد أمامنا للحفاظ على أمننا القومى ).**

## ثالثاً- غنائم الحرب

## فى أفغانستان نفط وذهب أسود – وفى العراق نفط فقط!!

النفط عنصر مشترك بين الغزوتين الأمريكيتين على أفغانستان والعراق – وهو واحد من الجوائز الإقتصادية القيمة وغنائم الحرب.

قليلون يعرفون أن أفغانستان نفسها غنية جداً بالنفط والغاز ـ وأن الأرقام الحقيقية لمخزوناتها لم تعلن حتى الآن. وأن الغاز الأفغانى كان يمد مناطق أسيا الوسطى فى المرحلة السوفيتية بمعظم إحتياجاتها من الطاقة.

والعديد من سكان الشمال الأفغانى لديهم آبار نفط خاصة فى أراضيهم يستخرجونه "بالدلاء" كما يستخرجون الماء، من أعماق قليلة عن سطح الأرض.

ويكررونه فى البيوت ويبعونه فى الأسواق بأسعار رخيصة لرداءة تكريرة.

ولكن إحتلال أفغانستان، ونزول القوات الأمريكية فى العديد من قواعد جمهوريات آسيا الوسطى، ضمن لشركات النفط الأمريكية موقعاً شبه إحتكارى لنفط تلك المنطقة الذى هو فى صدارة الإحتياطات العالمية للطاقة.

- أمريكا تريد نفط آسيا الوسطى، وتريد تمريره عبر أفغانستان إلى باكستان فبحر عمان على المحيط الهندى. وبذلك تتفادى مرورة فى خطوط أنابيب الطاقة عبر روسيا أو إيران – لإضعاف القدرة الإقتصادية، والقيمة الإستراتيجية لكلا البلدين فى مجال نقل الطاقة.

- *لشركات النفط الأمريكية و كبار موظفيها دور حيوي فى الحرب على أفغانستان، ثم العراق بعدها.*

*فقبل أحداث سبتمبر بعام أو أكثر تم وضع (المبادئ الأساسية للحرب على أفغانستان) فى مقال بالغ الأهمية نشرته مجلة (واشنطن كوارتر لى) الأكاديمية عام 2000م. وكاتب المقال هو زلماى خليل زاده الأمريكي الجنسية الأفغانى المولد. وقد تبنت إدارة جورج بوش تلك المبادئ و بفضلها حققت النجاح فى حربها على أفغانستان عام 2001م . وكوفئ خليل زاده بأن تم تعيينة ضمن فريق الأمن القومي برئاسة (كوندو ليزا رايس)، المستشارة السابقة لشركة هالي برتون النفطية،(و التى يعتبر ديك تشيني نائب الرئيس الأمريكي من كبار موظفيها).*

*بقى أن نعرف آن زلماى كان يعمل مستشارا لشركة يونوكول النفطية، التى كانت تسعي لمد خط أنابيب من بحر الخزر عبر أفغانستان، و هو المشروع الذى رفضته حركة طالبان( راجع فقرة: العرب يقطعون نفط آسيا الوسطي).*

*و زلماى خليل زاده هو ضمن واضعي استراتيجية أمريكا للسيطرة على منابع النفط فى العالم .*

*بقى أن نعلم أن خليل زاده كان على رأس من رشحوا إسم حامد كرزاى رئيساً لأفغانستان. و نعلم أن كرزاى بجانب عملة للمخابرات الأمريكية كان مستشاراً لنفس شركة يونيكول التى كان يعمل بها خليل زاده!! . ولا عجب فكلاهما من علائم القرن الأمريكي الجديد الذى شعاره : نفط العالم لأمريكا.. وأمريكا فقط.*

- أما الجائزة النفطية فى العراق فكانت 11% من مخزون النفط العالمى، إضيف إلى الإحتياط النفطى السعودى- وهو من جوائز حرب تحرير الكويت عام 1991م ـ ليصبح فى اليد الأمريكية 41% من المخزون العالمى للنفط.

هذا هو الظاهر.. ولكن الوضع الحقيقى فهو أن عائدات نفط العراق ستتكفل بنفقات تهويد العراق، ونفقات تصنيع إسرائيل الكبرى وإمدادها بالطاقة اللازمة من "داخل أراضيها"، مع توفير عائدات من تصدير الفائض الى خارج "إسرائيل الكبرى".

- تنفرد أفغانستان عن العراق "بالذهب الأسود" – ونعنى به الأفيون.

فبعد "تحرير أفغانستان" على يد الجيش الأمريكى من حكم طالبان، عاود إنتاج الأفيون إلى الإرتفاع، من صفر تقريباً فى العالم الأخير من حكم طالبان، إلى 5000طن أو أكثر. وقفز السعر إلى ما يقارب عشرة أضعاف سعره المعتاد فى فترة التسعينات فحصل المزارع الأفغانى على حوالى3 مليار دولار بدلاً عن مبلغ التسعين مليون دولار فى التسعينات.وبهذا إمتلك المزارع الأفغانى حافزاً لا يقاوم لمواصلة الزراعة والتوسع بها إلى أقصى حد ممكن.

وبنجاح الحملة الأفغانية حققت أمريكا إحتكاراً مطلقاً على الأفيون الأفغانى، وطردت أو همشت للغاية دور الشريك الباكستانى الأصغر، والمنافس الروسى الأكبر، الذى كان يدير تجارة كبرى للهيروين الأفغانى عبر قواعده العسكرية المواجهة لأفغانستان على نهر جيحون وعبر مطارات طاجيكستان.

و طبقاً للأمم المتحده فهناك حالياً 50 طن من الهيروين تعبر سنوياً من حدود طاجيكستان صوب روسيا، ينتجها 200 مصنع منتشرة على طول الحدود الأفغانية مع طاجيكستان، ويديرها نافذون فى تحالف الشمال الأفغانِي، الذراع العسكري للإحتلال الأمريكي.

ومن المؤكد أن تخترق العائدات الأمريكية من تجارة أفيون أفغانستان ومشتقاته سقف الأربعمئة مليار دولار،التى شكلت في تسعينات القرن العشرين أكبر عائد منفرد للإقتصاد الأمريكي متفوقة بذلك على عائدات إحتكارات النفط والأسلحة معاً.

والعمليات العسكرية المشتركة للجيش الأمريكى والأفغانى بالتعاون مع القوات الباكستانية على الحدود المشتركة، الهدف الأكبر منها إقتلاع الأوكار السرية لمافيا الهيروين الباكستانية، المدعومة من الدولة، والتى كانت تمتلك شبكة للتصنيع والتهريب على جانبى الحدود.

أما الهدف المعلن من تلك الحملات وهو [مطاردة فلول القاعدة وحركة طالبان] فهو ستار للتمويه. لأن المقاومين لا يمتلكون،ولا يمكنهم إمتلاك،قواعد إنطلاق فى هذه المرحلة، بل يعملون من داخل تجمعاتهم السكانية القبلية والمدنية.

## رابعاً – جوائز مائية:

من نتائج الحربين المذكرتين، أن أمريكا (وإسرائيل تحت عباءتها) أصبحت تسيطر، بدرجة عالية تقترب من الكمال، على أهم خمسة أنهار فى العالم الإسلامى:

سيحون، جيحون، دجلة، الفرات، النيل .

هذا بينما العالم يصرخ ـ بالحق والباطل ـ بوجود أزمة مياه تهدد البشرية وأكبر المتضررين من الأزمة المرتقبة، وكالعادة فى كل الأزمات، هم العرب والمسلمين.

ولتلك الأنهار تحديداً هوية وتعريفاً إسلامياً خاصاً.

فالمدرسة السنية تقول: أن الأنهار الخمسة هى من أنهار الجنة.

والمدرسة الشيعية تقول: أنه من إشارات إقتراب ظهور المهدى، إشارة إستيلاء الكفار على تلك الأنهار الخمسة!!.

وها هي أمريكا تسيطر على منابع نهر جيحون فى هضبة البامير بينما منابع النيل.. و روافده فى جنوب السودان وديعة لدى السيد جون جارنج المسيحى الوثنى.

## في أحاديثه الخاصة كان بن لادن يقول ( بأن بعض التقارير العلمية تشير إلي أن موجة من الجفاف تهدد مناطق زراعة الحبوب في الولايات المتحدة ، لذا تسعى هذه إلى الإستيلاء على الثروات الزراعية الهائلة فى السودان . فبهذه الثروات تؤمن أمريكا إحتياجاتها من الحبوب بل والإستمرارها أيضاً علي رأس الدول المصدرة لهذه السلعة الإستراتيجية).
كان يقول أيضاً (أنه قرأ في الأحاديث النبوية الشريفة أن جزيرة العرب في آخرالزمان ستعود أرضاً زراعية خضراء – وأن شهودا يؤكدون وجود صدع في منطقه صحراوية في الربع الخالي يسمع الناس من خلاله هدير نهر متدفق بالمياه. ولكن السلطات في تلك البلاد تتكتم بشدة علي ذلك الأمر).
فهل لذلك "السر المائي" علاقه بالتدفق الأمريكي اليهودى علي جزيره العرب؟ وهل في تلك البلاد ثروات مائية يجب "شفطها" في يوم ما، كما يحدث الآن للثروة النفطية؟.
لقد سمعنا في الماضي المقولة الشهيرة (أرض بلاشعب، لشعب بلا أرض) فهل نسمع في المستقبل القريب مقولة مشابهة تقول: ماء بلا شعب، لشعب بلا ماء !!.

## خامساً – جوائز مقدسة:

بعد حرب 1991م أصبحت أمريكا وإسرائيل تسيطران/مباشرة وبدون واسطه نظام عميل/ على المساجد الثلاثة المقدسة لدى جميع المسلمين: الكعبة المشرفة ـ المسجد النبوى ـ المسجد الأقصى.

لتكون أمة الإسلام هى الوحيدة فى تاريخ ديانات السماء، التى لا تسيطر على مساجدها المقدسة، التى تقع جغرافيا داخل نطاق أراضيها !!.

وبعدغزو العراق وقعت بذلك كل المراقد المشرفة لأئمة أل البيت. والتى لها قيمة خاصة كبيرة لدى القطاع الشيعى من المسلمين. وقعت تلك المراقد المشرفة تحت قبضة الإحتلال الصليبى اليهودى.

ولم يبق سوى مرقد الإمام الرضا فى مشهد الإيرانية، خارج نطاق الهجمة الصليبية اليهودية، ولكنه يقع على مسافة 300كم فقط أفغانستان المحتلة أمريكياً.

- كما فقد الأفغان المرقد المقدس ،رغم كونه إفتراضياً، لأمير المؤمنين على بن أبى طالب ـ فى مدينة مزار شريف.

## سادساً ـ جوائز إستراتيجية:

الإستيلاء على أفغانستان أضاف إلى الجانب الإمريكى (ومن ثم الإسرائيلى) جوائز، وغنائم إستراتيجية نادرة المثال.
لقرابة قرنين من الزمان إكتسبت أفغانستان صفة المنطقة العازلة بين إمبراطوريتين زاحفتين، الروسية (السوفيتية) من الشمال، ثم البريطانية من الجنوب.
وبعد سقوط الإتحاد السوفيتى الذى حاول بالقوة رفع هذه الصبغة عن أفغانستان فقتلته المحاولة ـ بل قتلته أفغانستان فى الحقيقة.
منذ إنهيار السوفييت فى عام 1991 وحتى إبتلاع الأمريكان لها فى عام 2001م، قضت أفغانستان مرحلة إضطراب داخلى عنيف وفقدان للدور (الجيوسياسي)، والآن أصبحت أفغانستان جزء من الإمبراطورية الأمريكية، بل قاعدة عمليات متقدمة لها تعمل على عدد من المحاور الحساسة والخطيرة..منها:

## أ- المحور الإيرانى:

إكتسبت أمريكا حدوداً مشتركة مع إيران يبلغ طولها 800 كم مع أفغانستان يمكن من خلالها تشكيل ضغطاً أمني خانقً بواسطة تنظيم عمليات تهريب المخدرات بإشراف السلطات الأمنية والعسكرية الأمريكية.
كما يمكنها عند الضرورة ترتيب عمليات تخريب إرهابية أو حتى إضطرابات داخلية مع الأقليات القريبة من الحدود.
هذا إضافة إلى قدرة العمل العسكرى البرى، عندما تقرر أمريكا ذلك إذا سنحت لها ظروف مواتية.
وعلى كل الأحوال يمثل التواجد العسكرى الأمريكى فى أفغانستان ضغطاً عصبياً ونفسياً ثقيلاً على أعصاب القيادة الإيرانية، يضاف إلى سيل الضغوط من حرب نفسية متصلة تشنها الولايات المتحدة على القيادة الإيرانية، بهدف إخضاعها أو إستبدالها.

**ب - المحور الروسى:**

- من مرتكزها الأفغانى تتمكن أمريكا أكثر من تحقيق هدفها الجوهرى بمنع روسيا من مجرد التفكير فى إستعادة نفوذها السابق فى جمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية الخمس، إذا إنتابتها "حمى إمبراطورية" جديدة فى وقت ما.
- أكثر من ذلك أصبحت أمريكا فى وضع أفضل لتحقيق رغبات لاتخفيها بتفكيك روسيا الحالية التى تعتبر أكبر كتلة قارية فى العالم، بدعوى أن ذلك يحقق مصالح روسيا ويحقق الإزدهار لها وللمنطقة كلها. ويجعل الرقعة الجغرافية العظيمة الممتدة من شرق أوروبا إلى بحر الصين (أوراسيا) أكثر تنوعاً جيوسياسياً ـ (أى أكثر تفتتاً) بمعنى أوضح. وهو ما يسهل مهمة الهيمنة الأمريكية على المنطقة ووضع نظام لادارتها يراعى مصالح أمريكا أولا ثم مصالح باقى الأطراف كل حسب قوته وحجمة وقدرته على التأثير.

والإقتراح الأمريكى (أو المطلب الأمريكى) هو تفكيك روسيا إلى ثلاث جمهوريات (كونفيدرالية). وهذا يمنع إمكان ظهور إمبراطورية روسية وإلى مدى طويل.

**ج - المحور الصينى**

- إحتلال أفغانستان، مع الإنتشار العسكرى – وإن كان محدوداً – فى جمهوريات آسيا الوسطى كان أشبه بعملية أسقاط مظلى خلف الخطوط الصينية.

فرغم أن أفغانستان نفسها لها 20كم فقط من الحدود المشتركة مع الصين على هضبة البامير – إلا أن الأوضاع الجديدة المغلفة بحمى هستريا "مكافحة الإرهاب" جعل النفوذ الأمريكى العسكرى يجد مسارب كثيرة فى دول آسيا الوسطى ذات الحدود الطويلة غرب الصين.
ولم لا وقد حملت موجه مكافحة الإرهاب المباحث الفيدرالية الأمريكية (إف.بى. آي) إلى قلب الصين فأفتتحت مكتباً لها فى بكين !!.

- على أسوأ الإحتمالات تستطيع أمريكا الآن وبسهولة أكبر من أى وقت مضى أن تحرك قلاقل إجتماعية سياسية للأقليات الصينية، الإسلامى منها وغير الإسلامى.

وعلى كل الأحوال فإن التواجد الأمريكى بشكله الحالى يضع معياراً للنفوذ الصينى فى آسيا الوسطى ويضمن ألا يتمدد ذلك النفوذ هناك ليكون بديلاً عن النفوذ الأمريكى حالي، أو السوفيتى البائد.

أى يضمن عدم ظهور إمبراطورية جديدة فى (أوراسيا) التى تحافظ أمريكا على تنوعها (الجيوسياسى) حسب تعبير بريجنسكى.

- حتى على البر الصينى نفسه تسعى أمريكا إلى جعل الكتله الصينية أكثر تنوعاً (جيوسياسياً)!!. أى تفكيك الصين أيضاً!!.

فقد أرغموا الصين على قبول مبدأ وطن واحد ونظامين فى مقابل إعادة مستعمرة "هونج كونج" لها. والآن تريد أمريكا مقايضة (تايوان) مع الصين فى مقابل مبدأ أكثر (تنوعاً) وهو مبدأ وطن واحد وأنظمة متعددة!! .أى أن تقبل الصين بأن تكون (وطن) متعدد الأنظمة.. فهل يعنى ذلك سوى تفتيت جمهورية الصين الشعبية. وإراحة أمريكا من أهم منافسيها فى العالم؟.

**د- المحور الأفغانى نفسه:**

مبدأ التنوع (الجيوسياسى) سيلحق أفغانستان أيضاًـ حسب ما توحى به التصرفات الأمريكية إلى الآن، فليس من إحتياج لدولة فى هذه المنطقة بالتأكيد فإن عدة كيانات، يحتوى كل كيان على إغلبية عرقية معينة ملتفة حول مصدر هام من مصادر الثروة، سيكون أفضل للشركات الأمريكية من حيث الحصول على أفضل الشروط، كما حدث فى الخليج حيث أقيمت كيانات سياسية حول حقول النفط ـ يكفيها فتات المال مقابل حماية مصالح شركات النفط وحراسة منشآتها.

كما أن (تنوعا جيوسياسياً) فى أفغانستان يعنى صراعاً داخلياً لا ينفذ تشعل نيرانه أمريكا كلما خبا. ولأن يقتل الأفغان بعضهم بعضاً لهو أمر أفضل- أمريكياً – من إتحاد الأفغان لطرد الأمريكان كما طردوا السوفييت والبريطانيين من قبل.

***

- إن التفتيت يستهدف أفغانستان كما يستهدف روسيا والصين وإيران.. والعراق هو الآخر مرشح (لتنوع جيوسياسى) على النمط الأمريكى. وكذلك السعودية ومصر والسودان.

وبدون هذا "التنوع" ستكون مهمة أمريكا فى إدارة العالم مهمة غاية الصعوبة ـ وربما مستحيلة. فثلاثمئة مليون إنسان فى أمريكا كيف لهم أن يتحكموا فى ستة مليارات من البشر؟.. ذلك غير ممكن بغير (تنويع) كل دول العالم جيوسياسياً، وإلى إقصى مدى من (التفتيت) حتى لا توجد كيانات عملاقة كالتى شهدها العالم حتى وقت قريب.. وتتحول دول العالم الى كيانات صغيرة لا تشغل نفسها سوى بعبادة (عجل بنى إسرائيل) ـ أى الذهب ـ أو الدولار فى الزمن الحديث ـ أى تتحول الدول إلى شركات تعمل فى الإنتاج والإستهلاك والتجارة والتنمية والعملات والبورصات.فلا تبقى فى العالم أديان أو أيدلوجيات عقائدية أو وطنية.

وبذلك يكون "إشراق" الحكم اليهودى ممكناً في عالم يسجد لعجل بنى إسرائيل ولا يشغله عنه شيئ.

وكل من يشذ عن ذلك فهو (إرهابى) أو داعم للإرهاب الدولى أو مارق.. أو... إلخ.

ويجب الإشارة هنا إلى أمريكا بحجمها الحالى (300مليون) يكفيها تفتيت الكيانات السياسية ـ ولكنها حتى تسلم الراية إلى الإمبراطورية اليهودية الوريث الشرعى لهاـ فإن هذا التفتيت لن يكون كافياً بالمرة.. فكيف أن اليهود (20 مليون) يمكنهم أن يحكموا العالم حكماً (أوتوقراطياً) ـ كما تقول أدبياتهم ـ دموياً سفاكاً للدماء؟.

هنا حلقة مفقودة لا تملأها إلا "معركة هرمجدون" المذكورة فى التلمود والتى لا يؤمن بها اليهود فقط، بل واليمين المسيحى الحاكم فى الولايات المتحدة، منذ عهد ريجان إلى بوش الثانى.
إنها المعركة التى تدمر الحضارة الحالية وتهلك ثلثى البشر!!.
وهنا تعتدل الموازين – نسبيا- ويصبح فى مقدور عشرين مليون يهودى ((يمكنهم الإختباء من تاثيرات هرمجون كما أختبأوا من تأثيرات الحادى عشر من سبتمر، فلم يذهب آلاف منهم إلى أعمالهم فى برجى التجارة العالمية أو البنتاجون!!)).
يمكن لهؤلاء أن يخرجوا كالجرذان من جحورهم كى يتحكموا كما يشاؤن فى عالم من الدمار يعيش فيه أشباه البشر الذين لا يمكنهم مقاومة أوتوقراطية (مسيح بنى إسرائيل المنتظر) الذى يمتلك ذهب العالم بين يديه، بعد أن سلبه اليهود على مدى قرون من أيدى الأمم ذات الأصل الحيوانى من "الجوييم" حسب تعبير التوراة التى لا ترى صفة البشرية لغير اليهود، أما باقى الأمم فهى مجرد حيوانات لا قيمة لها.

- من ناحية إستراتيجية فإن إحتلال أفغانستان والعراق يهيئ مواضع غاية الأهمية لتوجيه ضربات إلى الكتل البشرية الكبيرة المستهدفة.

مثل الصين، روسيا، إيران، الهند، باكستان، وتركيا.... إلخ.
إذن على المستوى الإستراتيجى فإن إحتلال هذين البلدين خطوة هامة، فى سيناريو حرب (هرمجدون) المقدسة ـ هو المفصل الذى يستلم فيه اليهود راية قيادة العالم من الأيدى الأمريكية، التى تمهد الساحة الدولية لإستقبال تلك النقلة الخطيرة للمسيرة البشرية.
وقد راعت أمريكا متطلبات تلك الحرب ومواصفاتها، ليس فقط فى إجراءات الدفاع عن أراضيها [[ برنامج حرب النجوم ـ وحزام الصواريخ المضادة للصواريخ وأجهزة توجيه الصواريخ، والقنابل النووية التكتيكية، وقنابل النيترون النظيفة، ومنظومة الحرب البيولوجية والمرتبطة بهندسة الجينات، والحرب الكيماوية، عدى منظومات أخرى لم يعلن عنها!!]].
بل مازالت ميزانية تطوير الأسلحة الأمريكية تفوق إجمالى ما تنفقه جيوش العالم مجتمعة فى نفس المجال. وهذه الميزانية تتصاعد سنوياً رغم عدم وجود أى مبرر ظاهر لهذا البزخ العسكرى، وزوال أى تهديد للوضع الأمريكى المهيمن على العالم عسكرياً وإقتصادياً وسياسياً.
ولكن إذا عرفنا أن العدو المستهدف هم "الجوييم" ـ ذوى الأرواح الحيوانية ـ وتقليص أعدادهم وتدمير مصادر ثرواتهم التى لم يستطيع اليهود السيطرة عليها ـ ومن ثم حكمهم بنظام حكم غاية البشاعة والإستبداد ـ كما أجمله التلمود وفصلته البرتوكولات ـ فإن الأمر يصبح عندئذ منطقياً ومفهوماً.
العدو هو كل الإنسان على ظهر الأرض ـ فيما عداً اليهود.. واليهود فقط..

**[على الجانب العراقى]**

الجوائز الإستراتيجية فى النطاق العراقى كثيرة جداً وواضحة.
فمع إحتلال العراق أصبحت إسرائيل ـ وتابعها أمريكا ـ فى موقع سيطرة "جيوستراتيجية" كاسحة على المنطقة العربية بأسرها، بما يهدد فى الصميم الحزام الأسلامى الخارجى والمتمثل فى كل من تركيا (السنية) وإيران (الشيعية).

وإنطلاقاً من الميزة الإستراتيجية التى يوفرها إحتلال العراق، فإن النطاق الإسلامى الخارجى يواجه مشكلة وجود، وليس مجرد أزمات أمنية وسياسية. فإسرائيل الكبرى ليست فى حاجة إلى وجود كيانات إسلامية كبيرة على حدودها.. سواء من ناحية الحجم أو القوة الإقتصادية والسياسية، خاصة الكيان الإيرانى الذى تمكن من الحفاظ على هوية وطبيعة دينية، رغم أن ذلك من أغلظ المحظورات (إلا على إسرائيل) فى ظل النظام الدولى الراهن.

- وحتى تركيا العلمانية، تعصبت أكثر من اللازم بما يحمل فى طياته بذور "حلم إمبراطورى تركى" يصل إلى حدود الصين مروراً بالقوقاز ومعظم آسيا الوسطى. وكلها الشعوب ذات أصل تركى.

ذلك "البروز" لأحلام إمبراطورية يشكل تهديدات خطيرة فى طور جنينى يجب وأدها كما أن تركيا تحتجز الآن معظم مياه دجلة والفرات بواسطة سلسلة من السدود، أقيمت للإضرار بالنظام العراقى السابق. ولكنها الآن تضر "بمصالح إسرائيل" على إعتبار الوضع "الجيوسياسى" الجديد للعراق كقطاع شرقى لإسرائيل الكبرى.

وتركيا المجزأة ضرورية، ليس فقط لتأمين إسرائيل من مخاطر (جنينية) قومية كانت أو إسلامية ـ ولكنها بشكل عاجل ضرورية "لتحرير" مياة الفرات من أيدى "المغتصبين الأتراك". لهذا السبب تحديداً لن تكون تركيا عضواً فى الإتحاد الأوروبى، فالشروط المطروحة على تركيا تشبه نوعاً ما الشروط المطروحة على الصين لإستعادة تايوان، لا تهدف فى النهاية سوى لتفتيت كيان الدولة الحالى إلى جزيئات يسهل أكثر إبتلاعها وإستخلاص ما فى إيديها من ثروات ومصادر قوة.. ومياة.

- برنامج أمريكا الإستراتيجى فى المنطقة يهدف إلى تفتيت وتجميع.. تفتيت معظم الكيانات السياسية فى المنطقة العربية والإسلامية القريبة منها. وتجميع الأجزاء التوراتية "لإسرائيل الكبرى" فى كيان سياسى واحد.

وكما كان تفتيت الإمبراطورية العثمانية فى أعقاب الحرب العالمية الأولى مقدمة ضرورية لإنشاء "إسرائيل" على أرض فلسطين ،فإن تفتيت الدول العربية والإسلامية فى أعقاب "الحرب العالمية على الإرهاب". هو أيضاً مقدمة ضرورية لإنشاء "إسرائيل الكبرى" وإستكمال مواصفاتها التوراتية وتأمين ديمومتها وإستلامها زمام القيادة ، بعد تنحى، أو إزالة، دور "الحمار" الأمريكى الذى حمل أسفار التوراة وأحلام التلمود، وتعاليم بروتوكولات حكماء صهيون، إلى كل جحر فى المعمورة.. التى سريعاً ما سيزول عمرانها فى موعدها مع "هرمجدون" التى أوشك الإستعداد لها أن يتم.

- وعلى الجانب الإيرانى لن تقبل إسرائيل بأقل من إزاحة نظامها الإسلامى وتفتيت كيانها السياسى، ووضع خراسان (الإيرانية) تحت حراسة قوات أمريكية أو أوروبية،[لتلغيم الأرض التى قد تسير عليها "الرايات السود" التى ستمهد لحكم "مهدى" المسلمين فى العراق، وتبايعه أولاً فى مكة]. ثم وضع مشهد "الإمام الرضا" تحت الوصاية اليهودية أسوة بجميع مشاهد الأئمة ومقدسات المسلمين الكبرى فى الجزيرة وفلسطين والعراق.

ثم تفكيك القاعدة الصناعية والعلمية (خاصة النووية) الموجودة فى إيران، ثم (تنويعها) جيوسياسياً (!!) إلى عدة كيانات عرقية ومذهبية.. كل ذلك لا يكفى .. فتخفيف عدد



سكان إيران كما تركيا ومصر وباكستان.. بل والعالم كله.. أمر حيوى لرفاهية وإستقرار العالم، وضمان تقدمة فى ظل حكم مسيح بنى إسرائيل وملكها من نسل داود.

................................................................................

***الباب الرابع:***

**بين حربين**

## 1_ حرب.. أم تهويل عسكرى؟**

1- **إن نطاق سيطرة أمريكا كبير بأعتراف الجميع إلا أن عمقه ضحل**، فهـو مكبـل بالقيود الخارجية والداخلية، فالسيطرة الأمريكية تشمل ممارسة نفوذ حاسم ولكن دون تحكم مباشر، بخلاف إمبراطورية الماضى"(1)

2-"إن أمريكا بلد ديموقراطى جداً فى الداخل إلى درجة لا يمكنه أن يكون أوتوقراطياً فى الخارج، وهذا يحد من إستعمال قوة أمريكا ، وخاصةً قدرتها من أجـل التهويـل العسكري . (2)

"فالسيادة الأمريكية للعالم يسندها **نظام دقيق من التحالف والإئتلاف** التى تمتد بالفعـل فى بقاع العالم كله". (3)

3-باتت الثقافة السائدة للبلد (أمريكا)أكثر فأكثر مركزة على التسلية الجماهيرية التـى هيمنت إلى حد كبير عن طريق موضوعات تحض على المتعة والهروب إجتماعيـاً من الواقع وقد جعل الأثر التراكمى حشد الإجماع السياسي المطلوب لـصالح قيـادة أمريكا المستديمة، والمكلفة أحياناً، للعالم الخارجى صعباً على نحو متزايـد. وباتـت وسائل الإتصالات الجماهيرية تلعب دوراً مهماً بشكل بارز فى ذلك الخصوص، مولدة إشمئزازاً شديداً تجاه أى إستخدام إنتقائى للقوة حتى لـو إسـتلزم الأمـر مـستويات منخفضة من الإصابات بين الجنود . (4)

4-"...وربما أصبحت الحرب من أمور الرخاء التى لن يتحمل وزرها غير الشعوب الفقيرة، بوجود الأمم الأكثر ثراء المقيدة بقدرتها التكنلوجية الأكثر تطـوراً الخاصـة للتدمير الذاتى إضافة إلى كونها مقيدة بمصلحتها الذاتية ففى الستقبل المنظور ربما لن يتمكن الأغنياء من تحريك ثلثى البشر الفقراء بفرض القيود من قبلهم.(5)

5-"وجدير بالملاحظة أيضاً أن النزاعات الدولية وأعمال الإرهاب كانت حتـى الآن بشكل ملحوظ أيضاً، خالية من أى إستخدام لأسلحة التدمير الشامل. وأن طول الفتـرة التى يستمر فيها ضبط النفس هذا أمر لايمكن أساساً التكهن به، إلا أن وفرة الوسـائل لإنزال إصابات هائلة، ليس بأيدى الدول فحسب، بل بأيدى الجماعات المنظمة أيضاً- بواسطة إستخدام الأسلحة النووية أو الجرثومية _ تزيد بشكل حتمى مـن إحتماليـة إستخدامها.(6)

6-* بإختصار إن أمريكا بصفتها القوة الأولى فى العالم تواجه بالفعل نافذة ضيقة للفرصة التاريخية، فربما لن يطول أمر السلم النسبى الذى تعيشه الكرة الأرضية فى الوقت الراهن.(7)

********************************************************************************

**1- رقعة الشطرنج العظمى ص44 _ 2- نفس المصدر ص44_3 نفس المصدر ص35_ 4- نفس المصدر ص 236 _ 5،6، 7 نفس المصدر ص 237**

********************************************************************************

** **التهويل العسكري** الذي تكلم عنه بريجنسكي يري البعض له توصيفاً آخر علي غرار ما جاء في كتاب – الثلاثاء الاسود – للدكتور أحمد النابلسي في صفحة 137، 138: ( فالحروب الصغيرة الوقائية ، أو قل الرمزية وإن كان بعضهم يسميها بالإفتراضية ، يقوم علي إستخدام الأسلحة الأمريكية لتدمير أي شيئ يزعج أمريكا في هذا العالم في معارك مفترض أنها حرب ، مع أنها ليست كذلك ، لأن ليس فيها جنود ، ولا توجد فيها إحتمالات هزيمة ، بل يمكن خوضها حتي بدون إعلانها أو طلب موافقة الكونجرس علي شنها ، علي غرار حرب كوسوفو التي باتت ! نموذجاً – سابقة – للحرب الإفتراضية ) .

وما كتبه النابلسي كان سابقاً علي حرب أفغانستان والعراق ، وكلاهما حروبا وهمية من جانب واحد لا تواجه فيها أمريكا خطر الهزيمه حيث لا جيوش أمامها ، والإشتباكات المحدودةعلي الأرض يتكفل بها- عملاء أرضيون – تحميهم مظلة جوية أمريكية ساحقة لا يعترضها أدني شيئ.{أستخدمت أمريكا فى قصفها الجوى على أفغانستان قنابل إرتجاجية و قنابل ذات قدرة تدميرية تعادل 15 ألف طن،أدت إلى خلخلة مكونات القشرة الأرضية و لعبت دورا هاما فى زيادة النشاط الزلزالى فى المنطقة.فقد زاد عدد الزلازل القوية 24 ضعفا عما كان عليه قبل الحرب. وفى بداية الغزو حدث أول زلزال بعد مرور 6 ساعات فقط من إسقاط قنبلة فراغية شديدة الانفجاربقدرة 100 طن على شمال أفغانستان و طال الزلزال، و قوته 6 درجات على مقياس ريختر، العاصمة الطاجيكية"دوشنبه"}.

{فى العراق تكررت مشاهد "البذخ التكنولوجى" و"التهويل العسكرى" المقصود لذاته، وعلى نطاق أكبر مما شهدته أفغانستان و خلال غزو العراق حذر عالم جيو فزيائى روسى من أن القصف الجوى الأمريكي سيجعل الزلازل تطال المنطقة برمتها و ليس العراق فقط. و أنها ستبلغ من حيث المدى و الشدة مقادير لم تكن مألوفة قبلا. و أن إستخدام أمريكا لقنابل نوعية سوف يؤثر على التركيب الجيولوجى للمنطقة. و أن الخطر قد يطال دول الخليج و إيران و هضبة جبال الهيمالايا وشمال غرب الهند و دول آسيا الوسطى} ...

لايشعر الأمريكان بالخجل عندما يتبجحون بإنتصاراتهم فى أفغانستان والعراق، ذلك رغم أنه لم تكن هناك ثمة حرب فقواتهم بدأت تتحرك بعد أن كانت الحرب قد حسمت بتأثير إجراءات غير عسكرية قاموا بها لسنوات متوالية.

وفى النهاية تحركت جيوشهم لجنى الثمار وإلتقاط الصور عند الحطام، بعد إستعراض نيران لإرهاب العالم من تكنولوجيا سلاحهم، الذى إنتصر.. ولكن بلا حرب، كما قالها نيكسون فى كتابه الشهير.

فالشعبان فى أفغانستان والعراق أنهكتهما الحروب والإضطرابات الداخلية المتواصلة منذ عقود!!.

فمنذ إنقلاب عام 1973م على الملك ظاهر شاه، لم تشهد أفغانستان إستقراراً سياسياً إلى الآن، بل شهدت حروباً متواصلة، بدأت عام 1978م بالحرب ضد النظام الشيوعى، ثم عشرة سنوات من الحرب ضد الغزوالسوفيتى، ثم ثلاث سنوات من الحرب ضد النظام الشيوعى مرة أخرى، ثم قتال حول كابول لمدة أربع سنوات بين التنظيمات "الجهادية" السابقة، مع إضطراب الشديد فى الأمن عم أرجاء البلاد.ثم قتال حركة طالبان ضد عصابات الإجرام المسلح خارج العاصمة وقوات "المجاهدين" المتقاتلة حول العاصمة كابول، ثم قتال تحالف الشمال المدعوم أقليمياً ودولياً ضد حركة طالبان والذى إستمر حتى غزو أمريكا للبلاد وإحتلالها فى أواخر عام 2001م.

ليس هذا فحسب، فيجب ملاحظة أن الحرب السوفيتية تركت البلاد قاعاً صفصفاً.. فلم تعد فى أفغانستان ثمة دولة بالمعنى المفهوم. وقد تبخرت جميع أجهزتها وكوادرها.. والبنية التحتية مدمرة بشكل شبه كامل، وبالكاد تظهر بعض آثارها.
والأهم أنه لا جيش هناك، ولا شرطة ولا جهاز أمن، وهى أجهزة بلغت شأناً ذا قيمة فيما مضى وكانت عماد النظام الشيوعى ولكنها ذهبت بذهابه ولم يعد لها من أثر.
إن القوات الأمريكية فى غزوها لأفغانستان لم تصادف جندياً نظامياً واحداً، بل مجرد قوات قبلية وقروية ضعيفة التسليح غير مدربة، وسيئة التنظيم والقيادة.
تلك هى القوات التى قاتلها أقوى جيش فى العالم.. بل فى التاريخ!!.
ولكن هل قاتلها فعلاً؟.
منذ نشوب الحرب وحتى سقوط نظام طالبان "الإمارة الإسلامية" لم يحدث أى إشتباك أرضى شاركت فيه القوات الأمريكية.
وكانت قواتهم الأرضية عبارة عن أعداد قليلة جداً من "الخبراء" يعملون فى الخطوط الخلفية لتوجيه الطائرات، وإسداء النصح للمهاجمين الأفغان – من قوات الشمال، أو قوات "جول آغا" التى هاجمت مدينة قندهار قادمة من باكستان.
وبعد سقوط نظام طالبان، بدأت عمليات تفتيش جرت بنفس الأسلوب، ولم تنفرد فيها القوات الأمريكية بالعمل إلا بعد التأكد من عدم وجود عناصر معادية، وبصحبة غطاء جوى كثيف.
فلم يكن دور الجيش الأمريكي يماثل إطلاقاً دور الحصار الإقتصادى، والسياسى، والعقوبات المتوالية التى فرضتها أمريكا على أفغانستان، لمعاقبة حركة طالبان لإيوائها بن لادن وجماعته ورفضها تسليمه لهم.
هذا إلى جانب الحرب النفسية والتشويه الإعلامى المتواصل والذى شاركت فيه أمريكا ودول الغرب جميعاً.. بل والعالم الإسلامى كله تقريباً على المستوى الرسمى على الأقل.
على الجانب العراقى كان الوضع أفضل نسبياً، وأن كان من حيث الجوهر لا يختلف كثيراً.
فالنظام البعثى دمر التماسك الإجتماعى، وقتل أو طرد أهم عناصر المجتمع، وهناك ستة ملايين قتلهم النظام أو أرغمهم على الفرار والهجرة.
وحرب السنوات الثمان ضد إيران أصابت الإقتصاد بالعجز، والجيش بالضعف وإنهيار المعنويات.
ثم تلتها الحرب ضد الكويت، وأصطياد أمريكا للجيش العراقى وتدميرة عن طريق الجو أثناء إنسحابه من الكويت، فأبادت أفضل قواته وكبدته خسائر يصعب تعويضها.
ثم جاءت العقوبات الدولية والحصار لتزيد الضعف والعزلة واليأس ولم يكن ممكناً لأسباب الحصار والضعف الإقتصادى، إعادة الجيش إلى سابق مستواه وتعويض خسائرة الجسمية من جراء حربى إيران والكويت.

## أفغانستان: الموقف الشعبى من الحرب

سلبية الشعب فى أفغانستان والعراق من الحرب كانت عنصراً ملحوظاً من عناصر الضعف "الوطنى"، والذى ضاعف قوة المعتدين. فحسب المتابعة للحروب الأمريكية النشطة منذ عام 1991م فى العراق والبوسنة وأفغانستان ثم العراق مرة أخرى، مراراً بمحطات فرعية جداً أبرزها وأهمها الصومال، جميعها تثبت ليس فقط أهمية " الحرب

الشعبية" وفعاليتها للتصدى "للتهويل العسكرى الأمريكى" بل يثبت أنها الخيار الوحيد أمام الشعوب والأنظمة معاً.. فما ينبغى معرفته ولا يجهله المختصون أن جميع الدول والأنظمة المستهدفة لا مجال أمامها لدفاع عن نفسها أمام الجنون الأمريكى سوى الحروب الشعبية.

وأى قوة عسكرية تقليدية لا يمكنها حتى مجرد الدفاع عن نفسها – وليس عن وطنها- أمام التكنولوجيا الحديثة للسلاح الأمريكى، بينما تقف هذه التكنولوجيا مرتبكة وضائعة أمام مقاومة الشعوب.

وساحات "الجهاد الشعبى" فى فلسطين وأفغانستان والعراق غنية جداً بالدروس لمن أراد أن يفهم ويتعلم.

فى أفغانستان بدأت أمريكا هجومها العسكرى بينما العلاقة بين الشعب ونظام "الإمارة الإسلامية" فى أدنى مستوياتها.

فالحملة الدولية سممت العلاقة الداخلية بين النظام والشعب.. وضاعفت بشكل مبـالغ فيه من تأثيرات أخطاء النظام نفسه فى التعامل الداخلى وعلى رأسها مسألة الإستئثار بالسلطة، وإستبعاد الأقليات غير البشتونية، وإضطهادها أحياناً (خاصة الشيعة).

ومبالغات التطبيق لدى "جهاز" الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر. وبروز بعض نواحى الفساد الإدارى والمالى وقصور فى النظام القضائي.. إلخ.

- تضخيم دور بن لادن فى الإعلام الدولى، وتشويه موقف الملا عمر فى رفض تسليمه لمن يطالبون برأسه فى الولايات المتحدة.

والضجيج الدولى الذى ثار حول التصريحات المدوية (لابن لادن) نفسه، كل ذلك خلق مناخاً شعبياً مؤداه إن هذا الضيف بدأ يأخذ دور السيد المسيطر على البلاد، والمتحكم فى مصيرها، مع تعريضها لخطر العزلة الدولية، والصراع العسكرى مع دول عظمى، نتيجة قضايا لا تمس الأفغان ولا علاقة لهم بها.

هذا الإنطباع – على ما به من خطأ أو صواب – جعل الشعب فى عزلة ولامبالاه تجاه الحرب التى نشبت وشعر أن لا ناقة له فيها ولا جمل، وأنها حرب ورطهم فيها بن لادن، وشجعه فيها الملا عمر بعدم كبح زمامة فى التصعيد مع الولايات المتحدة.

- نتيجة الحروب الداخلية المتصلة منذ عقود، وحرب "تحـالف الـشمال" ضد نظام "الإمارة الإسلامية"، كان هناك قطاعاً لايستهان به من الشعب على إستعداد لحمل السلاح والقيام بدور "مخلب القط" للقوات الغازية،ويكـون طليعـة لهـا علـى الأرض بمساندة طيرانها وصواريخها، ويفتح لها الحصون والمدن ثم يرضـى بمـا تعطيه له من نصيب فى السلطة والثروات.

- النخب الأفغانية المتغربة، والمثقفون الأفغان المقيمون الغرب، والأفغان الذين بدلوا دينهم وإرتدوا إلى النصرانية، واليهود الأفغان المتخفين فى مسارب قبائل أفغانية، كل هؤلاء عادوا تحت المظلة الجوية الأمريكية وبحراسة القوات الخاصـة، ودباباتها كى يشكلو النخبة الحاكمة الجديدة "لأفغانستان ما بعد الحكم الإسلامى".

أى المرحلة الحالية التى تحاول أمريكا إستكمال ملامحها بعيداً عن أنظار المسلمين والعالم.

وكان ذلك ناتج عن حالة التفتت والصراع الذى شملت المجتمع كله لسنوات طوال بما أتاح فرصة واسعة للتدخل الأجنبى الذى يمتلك وسائل هائلة للتأثير الإعلامى والنفسى، وقدرة العمل السياسى والإقتصادى.. وبعد أن يتفسخ المجتمع ويبدأ النظام

فى التهاوى.. تتقدم الجيوش الأمريكية لتعلن إنتصارها.. فى حرب لم تخضها. لقد شنقت الضحية نفسها وقدمت جثتها قرباناً للجيش الزاحف.

**العراق ـ الموقف الشعبى من الحرب:**

كان الشعب العراقى سلبياً تجاه الحرب الأمريكية مع النظام.بل كان شامتاً وشاكاً.شامتاً لأن النظام قضى معظم عمرة فى خدمة المخططات الأمريكية، والآن هو يقع فريسة لولى نعمته.

وشاكاً لأن كثيرين فى العراق كانوا يتوجسون من أتفاق تآمرى بين الأمريكان والنظام يكون الشعب فريسته، وفى الخلفية التاريخية هناك التعاون بين الجيش الأمريكي مع الجيش العراقى لقمع إنتفاضه شعبية عمت العراق في أعقاب هزيمة الجيش العراقي في الكويت واذا بالعداوة والحرب بين أمريكا والنظام تعود إلى صداقه وتعاون لقمع ، قوى الشعب العراقى الثائر!!.

كثيرون كانوا ينادون بالتعاون مع "الشيطان" لإسقاط نظام صدام،الذى لا يمكن أن يكون هناك ما هو أسوأ منه، حتى الإحتلال الأمريكى.

- الحرب النفسية والتشويه الإعلامى لم يساعدا أمريكا كثيراً فى العراق، لأن أعمال النظام نفسه على مدى ثلاثة عقود كانت أكثر من كافية لفصل النظام عـن الشعب ببحار من الدماء.

وإذا كان الشعب يقبل بالشيطان بديلاً عن صدام فإن أمريكا تصورت أنها ستكون موضع ترحيب بصفتها "عميد عائلة الشيطان".

لهذا كانت المقاومة المسلحة للإحتلال – وإن كانت ضيقة النطاق – قد أدهشت أمريكا وأربكت أحلامها المتفائلة، وعليها أن تدفع ثمن عدم معرفتها بطبيعة الشعب العراقى الذى تصعب قيادته على كل الشياطين.. وربما الملائكة أيضاً.

- القوى التى كانت تقاتل ضد النظام قدمت خدماتها للقوات الغازية، وإن بدرجة أقل كثيرا مما حدث فى أفغانستان.

فالشمال الثائر فى العراق تولى فيه الأكراد المسلحون دور الحليف المحلى المسلح والقوى الذى بسط الأمن والنظام لقوات الغزو ولكنه لحسن الحظ لم يكن مضطراً للقتال ضد النظام المنهار وعمقه الإجتماعى كما فعل تحالف الشمال الأفغانى.

- بشكل عام فإن معظم القيادات التى عادت إلى العراق في ظل الإحتلال، تميل بشكل تلقائى نحو التهدئة مع الإحتلال "والإستفادة" من تواجده لتأسـيس وضـع جديد يتيح لها "شرعية" و"إستمرارية" فى ظل النظـام الإسـتعمارى الجديـد، ومـن منطلقات وكوابح سياسية ودينية توفر المعارضة العائدة، مظلة تهدئة لـصالح قـوات الإحتلال، هى فى أشد الحاجة إليها. أى أننا الآن فى مرحلة الـشهور القليلـة بعـد الإحتلال – نشاهد حالة من التعايش المتبادل بين قوات الإحتلال، وقوى المعارضـة العائدة من المنافي .ويصعب أن نتوقع تعايشاً إستراتيجياً بين التيار الديني العائد الـى العراق مع قوات الإحتلال بعكس التيارات العائدة إلى أفغانستان التى غلبـت عليهـا "العلمانية" والحماس للعمل مع الإحتلال إلى مدى غير محدود.

على كل الأحوال، كانت القوى السياسية المهاجرة فى أفغانستان والعراق، قوى متعاونة مع الإحتلال بدرجات متفاوتة، وكانت محبة للحرب الأمريكية وإسقاط أنظمة بلادها بواسطة قوى إحتلال خارجى.

*وأثار ذلك ملاحظة تحتاج إلى المزيد من البحث، وهى تبادل فى الأدوار بين الكتلتين الإسلاميتين،السنة والشيعة:*

فبينما القطاع السنى ينتقل تدريجياً إلى معسكر الثورة والمواجهة مع الولايات المتحدة، يقوم المعسكر الشيعى، (بشكل عام) بإنتقال معاكس، تاركاً مواقعه الثورية القديمة وشاغلاً مواقع قريبة وأكثر تفاهماً مع "الشيطان الأكبر" .. الولايات المتحدة!!.

فنرى "السلفية الجهادية تأخذ تدريجياً المواضع القديمة "للثورة الإسلامية" التى رفعتها الثورة فى إيران.

كما نرى فى ساحة الثورة أن صوت بن لادن يحل تدريجياً مكان صوت الإمام الخمينى، وأن رموز الثورة الإسلامية [التى أصبحت ثورة سنية – بعد أن كانت شيعية] تلك الرموز لم تعد تشمل بن لادن فقط بل أيضاً الملا محمد عمر، وحتى .. صدام حسين!!.

وإيران تركت الحديث عن الثورة لتطالب بدور جيوسياسى "يليق بها" و "مرضى عنه دوليا".

وذلك يستحق أبحاثاً مطولة ومتابعات أكثر دقة وعمقاً .حتى لا تترك للأيدى الأمريكية وحدها قدرة تحريك المسيرة الإسلامية ورفع تيار وخفض آخر طبقاً لمصالحها.

**{ الممارسات السياسية تعطى أحياناً مصاديق لقصص سيئة كتلك التى تحكى عن إمرأتين تتنافسان على إقامة علاقة غير مشروعة مع رجل لعوب . فكلتاهما تلعنه وتلعن منافستها .**
**وإن فازت منه بقبلة أو وصال قبيح إعتبرت ذلك حرية ونصرا ديموقراطياً وربما نضالا ثوريا .**
**ولكن إن فعلت غريمتها نفس الشئ إعتبرت منها ذلك زناً محرماً . وإن هجرها العشيق إعتبرت نفسها ربة الصون والعفاف . أما الرجل اللعوب فهو الفائز ذهاباً وإياباً والملعون دوماً .**
**قصة سيئة بلا شك ، ولكن أليست السياسة عندنا هى فن الأسوأ ؟أو فلنقل بأنها الفن الأسوأ.**

## بين حربين:

## 2-الدولار الحاسم

**يقول اليهود فى تورا م:      الأعياد جعلت للضحك، و النبيذ للبهجة و السعادة ،**
**أما النقود  فهي الوسيلة الوحيدة القادرة على شراء أى شئ.**

حيث انه لم يكن هناك مبرراً للحرب فى الأساس، بل تم إختراع وتلفيق أسباب لشنها على البلدين (أفغانستان والعراق). فإن إستخدام القوات العسكرية لم يكن لازماً من الناحية السياسية.

كما أن إيقاع الهزيمة العسكرية بأنظمة كالتي كانت فى هذين البلدين لم يكن يحتاج كل هذا القدر "الهائل" من القوة النارية، لأفضل أنظمة الحرب التكنلوجية فى التاريخ.

فقوات طالبان على سبيل المثال، وهى قوات ريفية وقبلية، كان يكفى لدحرها – بالموازين العسكرية البحتة – فرقة من مكافحة الشغب مدعومة بعدد محدود من طائرات الهيلوكبتر.

والجيش العراقى كان يكفى لدحره – بالموازين العسكرية البحتة أيضاً – إستخدام الفائض العسكرى لدى واحد أو إثنين من حلفاء أمريكا فى المنطقة، والذين يسرهم بالتأكيد إسداء ذلك الجميل للولايات المتحدة لقاء أجرمناسب.

كانت قيادات حركة طالبان تستبعد فكرة الحرب على أعتبار أنه ليس فى أفغانستان أى هدف تساوى قيمة صاروخ "كروز" واحد.

وهى وجهة نظر جديرة بالإعتبار.. وبغير فكرة التهويل العسكرى وأنه مقصود لذاته، بهدف إرعاب الشعوب المسلمة، وتشجيع شعوب الصليب فى أمريكا بالذات، بغير ذلك لا يمكن فهم هذا التهويل المجنون فى إستخدام الذخائر المتطورة وأفضل أنظمة الطيران الحربى والصواريخ، بدون أى ضرورة على الإطلاق فى بعض الأحوال، والأمثلة على ذلك لا تكاد تحصى حتى بلغ حد السفاهة، فكانت تقوم قاذفات (بى/2)

الشبح التى لا يرصدها الرادار، بمطاردة مجموعة من المقاتلين الأفغان لا تزيد عن خمسة أفراد!! ثم تدعمها فى تلك المهمة "المعقدة" طائرة (إف-16).
أو أن تقوم طائرات التجسس بضرب مجموعة من الأفغان لا تزيد عن خمسة عشر شخصاً بالصواريخ الموجهة، لأنها – أى الطائرة لاحظت أن المجموعة تعامل أحد أفرادها بإحترام زائد!! فإفترضت الطائرة الذكية، وصواريخها الموجهة بالليزر أن ذلك الشخص [قد] يكون بن لادن، فقتلت الجميع.
فهل هى حالة غباء أمريكى مشفوع بجنون التكنولوجيا، أم هى رسالة للشعب الأفغانى ألا يحترم كبراءه من شيوخ وعلماء؟؟!.
ثم ظاهرة قصف القرى التى تقيم حفلات العرس وتطلق فيها النيران كما هى العادة، فتغير عليها أسراب طائرات (إف- 16) وصورايخ كروز بدعوى الدفاع عن النفس ضد نيران معادية(!!).
مرة أخرى – هل هى حماقة - أم رساله بوقف العادات القديمة فى الأعراس أو ربما وقف الأعراس بل والزواج نفسه؟!! على اعتبار ما سينتج عنه من ذرية أفغانية جديدة ستكون "معادية" و"إرهابية".
أو كقصف قافلة من ثلاث أو أربع سيارات بقنبلة زنة ستة أطنان (وهو النوع الجديد الذى إستخدم لأول مرة فى أفغانستان)، بينما كان إستخدام قنبلة واحدة زنة ستة كيلوجرامات أو حتى ستين كافية لتحقيق الغرض، إذا كان هناك غرض عسكرى فى ضرب سيارات مدنية.
مع كل ذلك المجهود الجوى الصاروخى، تصبح الحاجة إلى العمل البرى على الأرض قليلة، تكفل بها فى أفغانستان، ثوار عهد العولمة من "تحالف الشمال" الذى تلقى من المخابرات الأمريكية قبل الحرب بقليل وأثنائها معونات مالية- إلى جانب الإستشارات – مقدارها 70 مليون دولار فقـط!! سقط بعدها نظام طالبان، حتى أن بوش كاد أن يفقد صوابه وهو يعقد مقارنة بين نجاحـه وفـشل السوفييت فى السيطرة على أفغانستان، الروس إنفقوا ما بين 70 إلى 100 مليـار دولار وقـاتلوا عشر سنوات وفشلوا – وهو ( أى بوش) أنفق 70 مليون دولار، ولم يقاتل علـى الأرض قـط، وإستطاع إحتلال البلد بسلاحه الجوى، وجيوش "أهل الشمال" الزاحفة على الأرض رافعـة رايـة الإنتقام والثأر.
ورغم كل ذلك الزخم التكنولوجى المتساقط فى الفضاء الخارجى وجو الأرض إلا أن كابول إستعصت على الفتح، ذلك أن خطوط دفاع طالبان المواجهه لقوات الشمال كانت غايـة البدائيـة، فهى قنوات مائية، وحفر، وأطلال بيوت طينية هرستها عقود من الحروب فلـم تجـد القاذفـات الأمريكية شيئ من التحصينات حتى تقتلعه بصواريخها الموجهة، وقنابلها ذات الأطنان الستة التى تعادل قنابل نووية صغيرة.
ولكن ما استعصى على تكنولوجيا السلاح الأمريكى المتطورة، عالجه وبنجاح سلاح الدولارات الأمريكية فائق النفوذ. فكانت ثغرات فى دفاعات "طالبان" الصامدة، وسقطت كابول التى كانت تواقة بالفعل إلى السقوط.
وأهلوها الذين ضجوا بالشكوى لهيئات حقوق الإنسان من "عصى" حركة طالبان التى تسوقهم إلى المساجد، تصارعوا أمام السينمات التى تعرض الأفلام الهندية لشراء تذاكر الدخول، حتى قتل بعضهم بعضاً، وقدموا "الشهداء" للفن السابع.

# كانت العراق مقسمة إلى ثلاث مناطق عسكرية (صار ذلك أمراً واقعاً منـذ قـرار أمريكـى بريطانى بحظر الطيران العراقى من إستخدام مناطق الشمال وجنوب البلاد منذ سنوات).

فى الشمال قامت الميليشيات الكردية – بدور شبيه بما قام به ميليشيات أهل الشمال الأفغانى – وقدم أحفاد صلاح الدين الأيوبى قاهر الحملات الصليبية ومحرر القدس– قدم أحفاده ما يكفى من الإعتذار ومحوا عن أنفسهم "عار صلاح الدين" وقدموا أراضيهم على طبق من ذهب للجنود الأمريكان الذين وزع عليهم بوش كتاب واجبات الجندى الصليبى الذى كان يحمله كل منهم فى جيبه.

وفى الجنوب ترك الأمريكان لحلفائهم الإنجليز مهمة قتل الشيعة أو التفاهم معهم، فللإنجليز خبرة تاريخية فى أختراق العراق من الجنوب إلى الشمال.

أما الجيش الأمريكى – الأعظم فى العالم – فقد زحف رأساً إلى بغداد، وإقتحمها بالسلاح الذى أثبت فعالية لا تقهر فى أفغانستان، وأعاد إكتشافه فى بغداد، التى سريعاً ما لحقت بكابول بعد أن حطم "الدولار" دفاعاتها.

ولكن، ولكون أكراد الشمال لم يتقدموا جنوباً لقمع باقى أجزاء الوطن وفتحها فى وجه المحتلين – كما فعل شماليوا أفغانستان – فإن الأمريكان والإنجليز كان عليهم تحمل بعض العبء القليل من القتال الأرضى الذى كان لا يمكن تفاديه، ولم يكن دفاعاً متماسكاً ومبرمجاً على مستوى قيادة مركزية للحرب. ومع ذلك قاسى منه الأمريكان والإنجليز أيما معاناة.

فهنا تكمن نقطة ضعفهم الكبرى، وعورتهم العسكرية الفاضحة.

فالتفوق الهائل فى الفضاء والجو يقابله ضعف على نفس القدر على الأرض فى الجانب البشرى للجندى المقاتل.

وقد لخصة خبرائهم منذ زمن طويل وأرجعوه إلى ثقافة "اللذه" التى غرق فيها مجتمعهم، وعدم إستعداد مواطنهم أن يتحمل ضريبة غزوات إمبراطورية، حتى لو كانت تكلفتها فى الأرواح جد ضئيلة.

لهذا إستنجدت أمريكا بحلف الأطلنطى فى أفغانستان، فاستجاب لها ومعه عدد من "الدول الصديقة".

وفى العراق تحاول توريط العالم كله، كى يمول بالدم والدولارات أحلام الإمبراطورية الأمريكية، التى تجهز المسرح الدولى لإستقبال (ملك بنى إسرائيل من نسل داود) الذى سيحكم العالم من القدس عاصمته الدينية، وبدولة توارتية تمتد من النيل إلى الفرات. وعلى العالم أن يثَبِت الحدود الشرقية لدولة ملك بنى إسرائيل.. فى العراق، فذلك أقل درجات العرفان الدولى بالجميل اليهودى.

ومع ذلك فإن الحرب لم تكن رخيصة كما حاول بوش إيهام نفسه، فهو لم ينشر بعـد أرقاماً حقيقية لتكلفة حملته الصليبية على أفغانستان.

ولكن الأرقام تقول عن العراق – مع إحتمال التهوين – أن الحملة كلفت 48 مليار دولار.. وأن التكلفة الشهرية هى 4 مليارات. (حتى تاريخه أى أربعة أشهر بعد الإحتلال).

وذلك مقدار خيالى، فقد كان بوش يسخر من السوفييت فى أفغانستان ويباهى – كاذباً بالطبع – أنه تكلف 70 مليون فقط لإسقاط أفغانستان.

بينما نراه فى العراق يدفع شهرياً 4مليارات تكلفة لقواته بينما كان السوفييت يدفعون هذا المبلغ خلال عام كامل فى أفغانستان فى ذروة تورطهم هناك، وقد كان المبلغ أقل من ذلك بكثير فى الثمانينات كلها.

أن بوش سيتكلف خلال ستة أشهر فقط ما تكلفه السوفييت فى أفغانستان لأكثر من عشر سنوات.. فهل سيتحمل الإقتصاد الأمريكى العليل، كل ذلك العبء؟ .. بينما يعانى فى عام الحملة العراقية من عجز فى الميزانية مقدار 450 مليار دولار!!.

ولولا دخل الأفيون الأفغانى لبلغ عجز الميزانية الأمريكية تريليون دولار!!.

{ملاحظة: بعد مضي عامين على غزو العراق بلغت تكلفة الحربين فى العراق و أفغانستان 700مليار دولار حسب مصادر أمريكية}.

## بين حربين

## 3-الحرب تبدأ.. بعد نهاية الحرب!!

حاولت القوات القبلية الأفغانية أن تقاوم الغزاة الأمريكان وحلفائهم من أهل الشمال – وكذلك حاولت القوات العراقية.

ولفترة قصيرة نجح الأفغان فى عرقلة العدوان لعدة أسابيع فى شمال أفغانستان خاصة مدينتى مزار شريف، ثم مدينة قندز التى قاتلت حتى نهاية الحرب تقريباً، ولكن كل شئ إنتهى فى غضون شهرين. وقاتل الجيش النظامى العراقى ببسالة ولكن من مواقع ثابتة بعد أن حرمه الطيران من حرية المناورة، فإنتهى أمره إلى الهزيمة رغم أن أحداً لم يكن يتوقع له الإنتصار فى حرب نظامية أمام "أقوى جيوش التاريخ" (!!).

**وسقطت العاصمتان كابول وبغداد تحت وطأة هجمات لا ترحم شنها "الدولار" الأمريكى – أقوى الأسلحة على الإطلاق فى ترسانة القوة الأمريكية – رغم أن إنتصاراته دوماً تعزى إلى تكنولوجيا السلاح المتطور فى الجو والفضاء، لأسباب نفسية وتجارية تتعلق بالهيمنة على سوق السلاح الدولى، وإرعاب الشعوب والأنظمة، ما بين راكع منها وساجد.. ومنبطح!!.**

ولكن ما أن ينقشع غبار المعركة عن هزيمة الأنظمة، حتى تتعرف الشعوب تدريجياً على المصيبة التى إبتليت بها وتبدأ فى التحرك الفطرى لمقاومة الإحتلال. والصعوبة هنا **أن قطاعات إجتماعية لايستهان بها قد دخلت فى(تحالف مصلحة) مع المحتل (المنقذ). وذلك يحتاج إلى وقت حتى ينقشع ذلك الوهم وتفيق قطاعات شعبية أوسع وتنخرط فى مشروع تحرير، لا يمكن، بحكم طبيعة تلك الشعوب، إلا أن يكون إسلامياً.**

عمليات المقاومة التى بدأت فى أفغانستان والعراق، فور سقوط الأنظمة وإن كانت فى طورها الجنينى – أحدثت خللا شديداً فى صفوف الإحتلال على مستوى فكر القيادات كما على مستوى القوات الأرضية المقاتلة.

فرغم التعتيم والكذب الإعلامى – الذى هو سمة ثابتة لدى الأمريكان وحلفائهم – إلا أن الخسائر فى الأرواح والمعدات بعد الإحتلال كانت أعلى بكثير مما تكبدته تلك القوات فى عملية الإحتلال نفسها.

بعد إنتهاء المعارك سرعان ما تحول أقوى "جيش فى التاريخ" إلى قوات درك، يحرس أمن المدن، ويتجول فى الأرياف لحفظ الأمن، أو يتجول فى الجبال بحثاً من مشتبهين.

لقد فقد إذن معظم أو كل مزاياه التى جعلته فى قمة الجيوش وأصبح لا يتميز كثيراً – بل ربما أقل كفاءة بكثير- من قوات الأمن المحلية فى تلك البلدان.

فى طبيعته الأمنية الجديدة – أحرجت المقاومة المحلية، وإن كانت فى طورها الجنينى – أحرجت ذلك الشرطى الجديد، وكبدته الخسائر التى لم يكن يتوقعها. ولم تدفع عنه التكنولوجيا أخطار القتل. ولكنها إفادته فى الإنتقام من المدنيين الذين لا ذنب لهم. أى بمعنى آخر عملت "التكنولوجيا" على تجنيد المزيد من المقاومين للإحتلال.

وما تباهى به بريجسكى فى فقرة أوردناها سابقاً من أن [السيادة الأمريكية للعالم يسندها نظام دقيق من التحالف والائتلاف التى تمتد بالفعل إلى بقاع العالم كله].

تلك الشبكة من التحالفات الدقيقة بدأت تتصدع فى أفغانستان والعراق ولم يعد تعدد جنسيات الجيوش المحتلة يكسبها الشرعية في نظر الشعوب الواقعه تحت الأحتلال-

والشركاء الكبار بدأوا فى التمرد لا من أجل "العدالة" ولكن إختلفوا حول حصص الغنائم.
والحلفاء الأشد حقارة الذين يؤجرون جيوشهم فى مقابل حسابات مصرفية، ونياشين إعلامية، أصبحوا أكثر عرضة للمشاكل بل وللمخاطر داخل بلدانهم.
شبكة التحالفات، وبفضل المقاومة الأفغانية العراقية، وقبل ذلك الفلسطينية. أصبحت شبكة عنكبوت سقطت فيه الذبابة الأمريكية الضخمة، وهى إما أن تموت بداخلها أو أن تحطمها كى تفتح نوافذ العالم على المزيد من رياح الفوضى.. وقد يكون ذلك متوقعاً.. أو حتى مطلوباً .. ألم يقل مفكر الأمن القومى الكبير فى فقرة أوردناها سابقاً "فربما لن يطول أمر السلم النسبى الذى تعيشه الكرة الأرضية فى الوقت الراهن".فهل ذلك: حلم.. أم نبؤة .. أم أمنية.. أم خطة (وهذا هو الأرجح).

**<u>بين حربين: حتى يطول الوهم</u>**

**<u>4 فى الفضاء حرب نجوم.. وعلى الأرض فيلم رعاة بقر!!</u>**

باتت الثقافة الأمريكية هى الغالبة دولياً، بل هى من أهم سمات العولمة. ولما كانت تلك الثقافة هى كما وصفها صاحب كتاب "رقعة الشطرنج" بأنها [مركزة على التسلية الجماهيرية التى هيمنت إلى حد كبير عن طريق موضوعات تحض على المتعة والهروب إجتماعياً من الواقع].
فقد جعلت أمريكا من حملاتها العسكرية جزءاً من ثقافة التسلية الجماهيرية والهروب من الواقع، فدوافع الحرب ليست واقعية، وتحركات الجيوش وأهدافها التى تقاتل لتحقيقها هى الهروب من الواقع بعينه. ولا يكاد أحد فى العالم يستغرب، ولا نقول يستنكر، ما يحدث .
فهل يعقل أن تكون منظومات التسليح المستخدمة فى تلك الحروب تعتمد على الأقمار الصناعية وأشعة الليزر والإستطلاع والتجسس من الفضاء الخارجى وجو الأرض وصولا إلى القذائف الموجهة والمزودة باليورانيوم المنضب، والقنابل التى تعادل تفجيراتها قوة قنابل نووية صغيرة، إلى الطائرات التى لا ترصدها الرادارات إلى طائرات الإستطلاع التى تكتشف الهدف وتدمره فوراً بصواريخ ليزرية.. إلى آخر قائمة طويلة جداً تدير الرأس السليم.

**(قال الرئيس الأمريكى السابق ليندون جونسون: إن البريطانيين سادوا العالم بسيطرتهم على البحار،و سيطرنا نحن على العالم بعد الحرب العالمية الثانية بفضل تفوقنا فى الجو، و سنسود بعد الآن بفضل سيادتنا فى الفضاء) .**

كل ذلك بينما على الأرض أعظم الجيوش منهمك فى البحث عن "أشخاص" هم رموز الشر فى العالم (!!) ويطبع صورهم على أوراق اللعب (الكوتشينة) ويوزعها علي الناس ويعرضها علي الشاشات طالبا الإرشاد عنهم، ومكافأة "المرشد" بملايين الدولارات. وكلما أمسك أحدهم وضع علامة على صورته أنه قد إنتهى منه.
بإختصار .. مجرد فيلم ردئ من أفلام رعاة البقر التى لا تمل هوليود من عرضها على العالم منذ إختراع السينما وحتي الآن.
فهل هذا معقول؟..
وهل الهدف هو تحويل الحروب الحديثة إلى عمل إعلامى من الأعمال التى تحض على المتعة والهروب من الواقع - وحتى يتصور الشعب الأمريكى وشعوب العالم أن الحرب عمل ممتع ومسلى.. ولولاه لأصبحت الحياة مملة جداً ولا تطاق!!

• ثقافة المتعة .. والهروب من الواقع جعلت الجمهور لا يسأل عـن دوافـع الحرب وأهدافها وآثارها على الشعوب.. بل يتابعونها على طريقة المسلسلات. كـل يوم حلقة جديدة. يتوقع فيها الجمهور الأمريكى والدولى نهاية سعيدة للمسلسل، بأن يتم القبض على المجرم.. أو أن يقتل.. ثم قبلة على شفاة البطلة (الشعوب التـى تـدور الحرب على أراضيها) ثم يحمل البطل نفسه فوق ظهر حصانه، ويمضى وحيداً فـى الصحراء بحثاً عن مغامرة جديدة، يطارد فيها المجرمين، وينصر الضعفاء.. ويتلقى قبلات النساء الجميلات (شعوب العالم المـستهدفة والتـى أنقـذها مـن الإرهـاب والدكتاتورية) فالإعلام الأمريكي العسكرى والتجارى لخص حرب أفغانستان فى أنها بحث عن بن لادن والملاعمر وأعوانهما [على الإجمال!!] ثم لخص حـرب العـراق على أنها بحث عن صدام حسين وخمس وخمسين من أعوانه فقط!!.

وفى كل ليلة، يسأل الجمهور الأمريكى عن مصير هؤلاء الأشرار، ولكن المسلسل لن ينتهى بهذه السهولة، فالمخرج السينمائى فى البيت الأبيض (والقدس!!) لم يحقق أغراضه بعد.

فالمسألة قد تطول، كلما طالت مقاومة الشعب المستهدف وكلما إختلف اللصوص حول حصص توزيع الغنائم،.. المهم ألا يهتدى الجمهور إلى الحقيقة.. حقيقة أن البطل الأمريكى هو المجرم الأصلى فى هذا العرض الوهمى كله.

قتل شعبه بيد (قتلة) من الخارج قدم لهم الخطة كاملة مع التسهيلات اللازمة للتنفيذ.

ثم حول (القتلة) إلى أشرار فى فيلم "كاوبوى" ردئ وأرسل أقوى جيوش التاريخ للبحث عن أفراد معدودين . وبلا خجل لا يمل إعلامه المتفوق من نشر هذه الصورة المشوهة وفرضها على العقول.. وقد نجح.

بينما جيوشه تمثل على الارض دور قوات شرطة تحميها أعقد أسلحة من "تكنولوجيا حرب النجوم"..ولكنها على الأرض تهيم على غير هدى فليس هناك أى عدو مفهوم، أو مواقع محددة وتفقد يومياً قتلى وجرحى.. وأشد ما يرهقها هو الوهم وضياع الهدف.. وعدم الوضوح فى أى شئ.. لا سياسة بلادها واضحة ولا العدو الذى تقاتله له كيان محدد واضح.

إن الحروب تحولت أمريكياً إلى عمل من أعمال التسلية الجماهيرية والهروب من الواقع..

والجيوش المزودة بأعقد الأسلحة التكنولوجية أصبحت ضائعة فى سيناريو عمليات أرضية عقيمة فى مشاهد فيلم غريب من أفلام "الكاوبوى التكنولوجى".

والشعوب التي تعانى من محرقة الحروب التى تدمر حاضرها ومستقبلها تشعر بالآلم والعزلة..واليأس..

*فهل نفهم الآن المغزى العميق لما قاله بريجينسكى فى ملاحظته الأخيرة من أن وفرة أسلحة الدمار الشامل تغري بإستخدامها سواء من "الحكومات" أو "الجماعات المنظمة" .. ومن أحتمال "ألا يطول أمد السلم النسبى الذى تعيشه الكرة الأرضية فى الوقت الراهن"؟؟.*

**<u>إن ما يحدث الآن فى أفغانستان والعراق وفلسطين والشيشان ليس مزحة، ولا يمكن أن يقبل التاريخ، ولا الشعوب المسحوقة، أن تتحول الحروب إلى عمل رخيص من أعمال الإستمتاع الإعلامى للجماهير المسترخية.</u>**

فالحروب أصبحت بالفعل على حد قوله ( **من أمور الرخاء التى لن يتحمل وزرها غير الشعوب الفقيرة).**
هؤلاء المتخمين المتحصنين داخل تكنولوجيا السلاح المعقدة والتى تجعلهم فى منأى عن أيدى الضحايا المحترقين بنيران الحروب "الممتعة"، قد لا يتمكنون من تحريك "ثلثى البشر الفقراء" .. ويومها ماذا سيحدث؟؟
ربما يقوم أصحاب التخمة التكنولوجية والمالية بإحراق ثلثى البشر من الفقراء..
فالوجود قد يصبح أجمل بدون فقرهم ومشاكلهم التى تزيد المتخمين إزعاجاً ومللاً.
وكما أحرق "نيرون" روما وجلس يغنى بصوته القبيح على ضوء نيرانها ، قد يحرق إمبراطور البيت الأبيض العالم كله، أو فليحرق ثلثية.. ثم يسلم الراية للبطل الحقيقي.. مؤلف ومخرج المسرحية كلها.. كى يحكم ما تبقى من العالم.. من أورشليم القدس!!.
وعندها ينحل هذا التناقض المذرى بين تكنولوجيا حرب النجوم فى الفضاء..
وتمثيليات "حروب الكاوبوى" على الأرض ويحال "البطل الأمريكي" إلى التقاعد.. مع من سبقه من أباطرة.. فى مزبلة التاريخ.. وما أوسعها من مزبلة.

## بين حربين - حتي يطول الوهم:

## 5- عصب العيون .. إظلام العقول .. منع الكلام

الكذب والخداع والتضليل هى مسارات (الإمبريالية الأمريكية) فى مجالات العمل السياسى والإعلامي .
أما القسوة والعنف المفرط، فهى مسارات عملهم العسكرى وما سبقه من عقوبات إقتصادية. ومعرفة الحقائق ونشرها على الجماهير فى الداخل أو الخارج هو عمل ضار جداً بالمسار "الإمبريالى" كله، داخل بلاده وخارجها.
فلا بد إذن من عصب عيون الجمهور وإظلام عقولهم.
ولا سبيل إلى ذلك بغير منع تطفل هؤلاء "الباحثين عن الحقيقة" من صحفيين وكتاب وباحثين.
هؤلاء يجب ضبط حركتهم وحصر مصادر معلوماتهم "بالمصادر الإمبريالية" للمعلومات، وتقييدهم بوجهات نظرها، بوسائل الإغراء أو العنف حسب الإحتياج. وإن لم ينصاعوا.. يسجنون أو يقتلون.. أو يتهمون بالإرهاب!!
أما الطرف المعادى والمستهدف بالعدوان الإمبريالى فيجب ألا يسمح لهم بالكلام ..
وفى الحربين الإخيرتين (أفغانستان/ العراق) من السهل وصم الرسالة الإعلامية للضحية بأنها "دعاية إرهابية".
وتحت هذا الشعار يتم قمع كل الحقوق الطبيعية للإنسان، فيمنع من أبسط حقوق التعبير. فالأسهل إعتقاله، وتغييبه فى الظلمات بعيداً عن العيون والأذان، ثم تمارس بحقه أبشع الإنتهاكات، فإن لم يمت فى "رحاب" السجون والمعتقلات، فإن المحاكم الإستثنائية والعسكرية فى الإنتظار لأكمال القمع والإقتلاع .. والقتل!!

- قبل الحرب (فى أفغانستان ثم العرق ثم..... و..... إلخ) يقوم الإعلام "العالمى" "بشيطنة" الخصم الضحية.. حتى يحين وقت الدم... وتبدأ القاذفات والصواريخ الموجهة. فيأخذ الإعلام الدولى منحى آخر فإذا هو إعلام موجه كأفضل ما يكون.. ويقف صفاً واحداً خلف قادة الحرب الصليبية.. فيشوه الحقائق الجوهرية

ويركز على الأوراق والقشور. بل يتحول وبلا خجل الي ماكينـة عملاقـة لإنتـاج الأكاذيب.
وفى النهاية يطبل ويزمر للنصر فى حرب لم تحدث.. فأقوي جيوش البشرية كان يقاتل خصماً إنتهى منذ زمن بعيد.. حرباً من طرف واحد.. مجرد إستعراض تجارى لتكنولوجيا حرب النجوم، لإرهاب الضعفاء وإقناع المشترين فى سوق تجارة السلاح الدوليه.

- فى الحربين (أفغانستان/العراق) أفلتت بعض الشظايا الإعلامية العربية من نطاق الشباك الأمريكية، فتم علاجها بالصواريخ الموجهة فمكتب قناة الجزيـرة فـى كـابول قـصفته الطائرات صبحية إحتلال قوات الشمال للعاصمة الأفغانية. وفى بغداد قصفت القوات الأمريكيـة بعثة "الجزيرة" ونجحت فى قتل مراسلها. ولم تنس أمريكا مراسل الجزيرة فى كابول – وحتى بعد مرور عامين على الحرب – فقد واصلت مطاردته حتى نجحت فى إعتقاله فى أسبانيا – على يـد حكومتها التى يحمل جنيسيه بلادها، وذلك بالتهمة المشهورة فـى مثـل تلـك الحـالات وهـى "الإرهاب"!!. ومازالت أمريكا تطارد باقى طاقم الجزيرة فى "كابول" و"بغداد" حتى تعطيهم درسـاً فى "حرية الإعلام"، ولكن على الطريقة "الماكارثية".
- يظهر نوع من التفرقة فى المعاملة الأمريكية بين إعلام طالبان وإعـلام "البعـث العراق"، فبينما كانت (إستئصالية) مع الأول كانت متساهلة ومرنة مع الثانى. فقد ظـل الإعـلام البعثى يتكلم، وآلاته تعمل حتى يوم سقوط بغداد. أما إعلام طالبان – رغم تفاهتة – فقد قـصفت إذاعته المحلية الضعيفة فى كابول وتعطلت فى الساعات الأولـى للحـرب. وموقـع طالبـان – الركيك- على شبكة الإنترنت، مورست عليه حرب الإلكترونيات، وإزيل من الشبكة العنكبوتية.
ثم يجئ الصوت الرسمى الوحيد، وهو سفير طالبان الرسمى لدى "إسلام آباد" فى باكستان، وكان هو المصدرالوحيد فى معظم وقت الحرب، لإسماع صوت طالبان للعالم.
فما أن بدأ نظام طالبان يترنح، حتى أمرته باكستان – بطلب أمريكى – بأن يتوقف على الكلام. ثم أغلقت سفارته.. ثم إنقضت عليه وإعتقلته.. ثم سلمته للقوات الأمريكية فى باكستان كى يحتجزوه فى جوانتانامو!!.
أما فى العراق فإن وزير الإعلام النظام البعثى"محمد سعيد الصحاف" فقد رفضت أمريكا إعتقاله، وعاملته بإستخفاف كوميدى، وإنتقل السيد الوزير كى يعيش على الرحب والسعة فى ضيافة دولة الأمارات العربية المتحدة!!.
- تفرقة أخرى فى المعاملة، فبينما أمريكا تعتقل على أساس الشبهة لا غيـر كـل منتمى إلى حركة طالبان، وتعتقل كل عربى كان فى أفغانستان بتهمة أنه" قيادى" فـى القاعـدة، وتعتقل عرباً من شوارع باكستان بإجتهادات أمنية لمرتزقة أمنيين فى الأجهزة الباكستانية – ثـم بلمسة سحرية تحولهم إلى " قيادات" فى تنظيم القاعدة – الذى تحول إلى تنظيم من القادة حيث لـم يعتقل منه عضو واحد حتى الآن، بل قيادات فقط!!{**هل نفهم من ذلـك أن ذلـك التنظـيم هـو مجموعة من قيادات ليس لها "قاعدة"** ؟}
وفى المقابل نجد أن امريكا فى العراق حصرت المشكلة فى 55 شخصية بعثية- بما فيهم صدام حسين – طالبت بإعتقالهم.
بينما عدد كبير من البعثيين ظلوا يمارسون وظائفهم رسمية فى الدولة الجديدة – أو يتعاونون بشكل غير رسمى مع الإحتلال الأمريكى العلنى – أو الإحتلال الإسرائيلى الخفى (حتى الآن).
مرة أخرى التفرقة.. فبينما خصصت (فنادق جونتانامو الفولاذية) لأفراد الطالبان وقيادات القاعدة، وقذفت بهم أمريكا خارج كل قوانينها وقوانين العالم، ولم تبال بأى أصوات تعترض بخجل من هنا وهناك. نجد أن البعثيين لم يذهب، واحداً منهم إلى الجحيم الكوبى، بل ظلوا فى العراق .
# ***{..ولكن ما ينذر بسوء أكثر من إحتلال العراق هو إحتلال الولايات المتحدة. فعندما أستيقظ في الصباح و أقرأ الصحيفة أشعر أننا في بلد محتل، و أن مجموعة من الغرباء إحتلت البلاد، وأن الولايات المتحدة في قبضة رئيس يحيط به سفاحون في بزات، لايهتمون بحياة***

***البشر في الخارج أو الداخل، و لا يهتمون بالحرية فى الخارج أو الداخل و لا يهمهم ما يحدث للأرض أو الماء أو الهواء ولا يهتمون بالعالم الذي سيرثه أطفالنا وأحفادنا.***

***...والحرب على الإرهاب ليست حربا فقط علي الأبرياء في الدول الأخرى بل حربا على حرياتنا و على مستوى معيشتنا، إذ أن ثروات البلاد تسرق من الناس و تعطى للأغنياء.***

***... و نحن على ثقة بأن الناس سينقلبون على الحكومة عندما يدركون الحقيقة. ونحن نحظى بتأييد بقية العالم فى الوقوف ضد الحرب. و أن تاريخ التغيير الإجتماعي هو تاريخ الملايين من التحركات الصغيرة و الكبيرة التى تتحد فى نقاط خلال التاريخ و تنشئ قوة لاتستطيع الحكومات كبتها}.*** **هوارد زين**"كاتب أمريكي"

## وأخيراً: من يسمح بالكلام؟

تحرص الولايات المتحدة أشد الحرص على منع ذبائحها من الكلام بل حتى من مجرد الصراخ من ألم الذبح.

ويستوى فى ذلك (طالبان والقاعدة) فى أفغانستان أو (القيادات والحزبيين البعثيين) فى العراق.

وتختلف المقولات التى قد يتكلم بها ضحايا أفغانستان مع ما يمكن أن يقوله ضحايا البعث فى العراق، ولكنها جميعاً فى النهاية ستلحق حتماً ضرراً بليغاً بسمعة ومصداقية الولايات المتحدة، ويكشف حقيقة بأنها المتهم الأول- بل المجرم الأول – الذى دبر وخطط وشارك فى تنفيذ كل "الجرائم" المنسوبة لضحاياه أو ذبائحه فى أفغانستان والعراق.

فإذا تكلم أسرى أفغانستان فسوف يتضح الدور الأمريكى فى قضايا محورية مثل:

- دور أمريكا فى إشعال الحرب الأهلية الأفغانيـة منـذ عـام 1992م. وماقبله، وحتى تاريخ الحرب الأمريكية على تلك البلاد. ودورها فى تحريك الأطراف الأفغانية والإقليمية فى ذلك الإتجاه المدمر.
- دور أمريكا فى تجارة المخدرات الدولية، وحجم ومدى إستفادتها مـن زراعة الأفيون فى أفغانستان.. وحجم عامل الأفيون فى شن الحرب على أفغانستان، قبل أحداث سبتمبر بعام كامل أو أكثر.
- دور العامل النفطى فى قرار شن الحرب على أفغانـستان وأن الـنفط والأفيون كانا الأسباب المالية والإقتصادية لتلك الحرب الذى كان قرارها سابقاً علـى سبتمبر 2001م.
- دور تطبيق أحكام الشريعة فى أفغانستان على قرار أمريكا فى إسـقاط حكم طالبان، وهدم الشريعة الإسلامية تحت شعار حماية حقوق الإنسان.
- دور أمريكا من حيث التخطـيط ، والتـسهيل اللوجـستيكي لعمليـات سبتمبر، متعاونة فى ذلك مع الموساد الإسرائيلى.
- كيف تم إستدراج "القاعدة" فى عمليات نيويورك وواشنطن وتسهيل تلك العمليات لها، للإستفادة منها كغطاء لمخطط إمبريالى دولى تريـد أمريكـا تنفيـذه، ويحتاج إلى غطاء أدبى.
- بواعث حماية نظام طالبان لأسـامة بـن لادن وبـاقى العـرب فـى أفغانستان، وهل هو لأسباب شرعية إسلامية (دين شعب أفغانستان)، وأعراف القبائل

الأفغانية الممتدة إلى آلاف السنين، أم السبب كما تقول أمريكا (حمايـة الإرهـاب)!! وهل تعاقب أمريكا حركة طالبان لأجل إنتمائها الإسلامى.؟

- دور أمريكا فى إستغلال النظام السعودى، وماكينته الدينيـة والأمنيـة والإغاثية فى تأسيس وتفصيل عشرات الجماعات التى عملت – لأسباب دينية – فـى خدمة إستراتيجية أمريكا فى مناطق حساسة فى العالم، ثـم تطاردهـا أمريكـا الآن بدعوى الإرهاب، بعدما إستنفذت الغرض الذى من أجله تأسست وعملت منذ الثمانينات فى القرن الماضى.
- بل ربما إستنفذ النظام السعودى الآن الهدف مـن وجـوده، لمطالبـة إسرائيل بثلث أراضيه، ولحاجة أمريكا إلى أموال ذلك النظام – وحاملى جنـسيته – والتى تقترب من الترليون دولار، ومصادرة ذلك كله بدعوى التعويض عن خـسائر سبتمبر والحروب التى تلتها، وهو ما تحملة أمريكا للنظام السعودى وآلياته.

<u>أما أركان النظام البعثى السابق فلديهم الأكثر كى يقولوه أمام أى محاكمات علنية:</u>

- فالرئيس السابق صدام حسين لديه ما يقوله عن علاقاته مع الولايـات المتحدة منذ ستينات القرن الماضى، وعن العمل ضمن مخططـاتهم فـى إنقلابـات العراق، وحروب العراق مع جيرانه، والدعم الأمريكى لكل ذلك بما في ذلك أسـلحة الدمار الشامل – التى كانت السبب الأول المعلن للحرب على بلاده، ودور أمريكا فى حصوله على تلك الأسلحة، والأهداف التى ضربت بها داخل العراق أو فى جبهـات القتال مع إيران، العدو الأول للسياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط.

ثم سياسته الداخلية – من الإغتيالات وحتى المقابر الجماعية، هل هى من بنات أفكاره العقيمة أم من إبداعات الفكر الأمريكى الصهيونى.. وكيف إستلم تلك التوجيهات.. ومن .. ومتى.. وأين .. إلخ؟؟.

أما باقى أعوانه فلديهم من التفاصيل المطولة والمثيرة، ما يضفى الوضوح والبهجة على أقوال الزعيم.

ولعل ما لدى صدام من أقوال مدعمة بالوثائق هى ضمان سلامته حتى الآن، بحيث جعل الفضيحة رادعاً لأمريكا عن المساس به .

- إن الإرهاب صار شأناً دولياً، بل شعاراً للحرب العالمية الثالثة التى تشنها أمريكـا الآن ضد الإسلام، وما دام الأمر كذلك فكان ينبغى تدويل مشكلة الإرهـاب بالفعـل، وإخراجها من أدراج (الأمركة)، وألا يكون التدويل منحصراً فى مجرد منح الشرعية الدولية للتجاوزات الامريكية بحق المسلمين والعالم ، ومنحصرا في مجـرد تمويـل حملاتها بالأموال، والمشاركة فيها بالجنود الذين تنحصر مهمتهم فى حمايـة جنـود الإحتلال الأمريكى من ضربات المقاومة.
- <u>فالأمر يجب أن يبدأ من التحقيق فى حوادث سـبتمبر، تحقيقـاً دوليـاً لتحديد المسئوليات فيها.</u>
- والتحقيق فى جدية الدوافع التى أعلنتها أمريكا للحرب فـى أفغانـستان وبالمثل الدعاوى التى رفعتها لسحق العراق.

والأهم عقد محاكمة العصر لجميع الإرهابيين المعتقلين ليس فقط فى جونتانامو بل في أفغانستان والعراق، ودول عربية شتى، وإسلامية كثيرة.

لقد حوكم النازيون الذين أشعلوا الحرب العالمية الثانية علناً فى (نورنبرج)، فلماذا لا يحاكم جميع الإرهابيين فى العالم فى محاكمات دولية علنية، فى ظل إطار قانونى دولى واضح.

فيقال أن أكثر هؤلاء لم تثبت عليهم أى تهمة، وكثيرون لم توجه لهم أى تهمة، وكثيرون أمضوا سنوات السجن المقررة لهم وتعدوها بسنوات طويلة، ثم هناك قوائم تبتدئ ولا تكاد تنتهى بدعاوى تعذيب غير عادية شملت المتهمين وتعدتهم إلى أهاليهم وحتى نسائهم وأطفالهم!!.

لقد أصدروا قرارات دولية تدين الإرهاب، وتجنف منابعة وتبطش بالقائمين عليه..

فلماذا لا يتم تدويل المحاكمات أيضاً؟؟، وأن ترفع الشرائط اللاصقة من على أفواه المتهمين، ويوضعوا تحت أضواء الإعلام الكاشفة، كما وضعوا وقت الإعتقال؟؟، وأن تترك لهم فرصة الكلام حتى يكون العالم على بينه من "أفكارهم الهدامة" و"جناياتهم فى حق البشر".

لا شك أن كثير منهم على إستعداد لذلك..

ولكن من يسمح لهم بالكلام ؟؟ .

**فالنظام الدولي يسجد الناس فيه لعجل من ذهب ،**
**ويقودهم مشعوذ دجال يسكن في البيت الأبيض،**
**والغاية : محرقة لبني البشر تدعى ( هرمجدون ).**